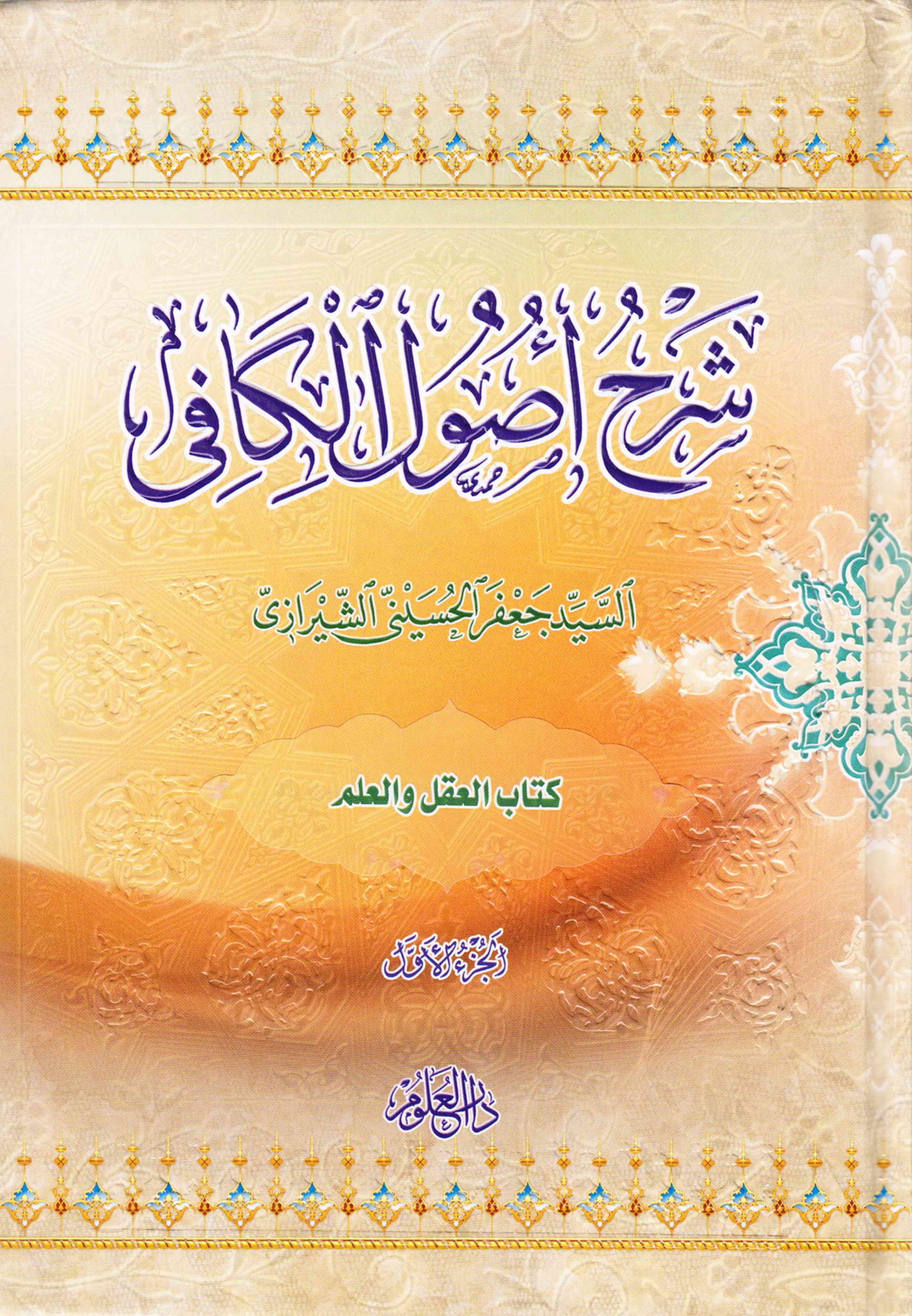

شرح أصول الكافي
السيد جعفر الحسيني الشيرازي
كتاب العقل والعلم
الجزء الأول
دار العلوم


شرح أصول الكافي



الطبعة الأولى
١٤٣١هـ/٢٠١٠م



المكتب : الرويس - بناية عروس الرويس - تلفاكس : 01/545182 - 03/473919
ص . ب : 24 /140 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

شرح أصول الكافي

السيد جعفر الحسيني الشيرازي

العقل، العلم، التوحيد قسم أول

الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدِّين.

وبعد، فإنَّ الله سبحانه وتعالى تفضّل علينا بأن وفّقنا لمدارسة كتاب الكافي الشريف لثقة الإسلام الشيخ الجليل المحدّث محمد بن يعقوب الكليني رضوان الله تعالى عليه.

وكان ذلك في شهر رمضان المبارك عام ١٤٢٨ حيث عطلة الحوزة العلمية لفسح المجال لذهاب الطلبة لتبليغ الشرع الأقدس، ومن بقي منهم ينتهز الفرصة للعبادة والمطالعة، والبعض منهم يوفّق لمدارسة بعض الكتب والمواد التي لا تدرس عادة، فاقترح عليَّ بعض الأقرباء مذاكرة كتاب الكافي الشريف حيث إنَّه أضبط الأُصول وأصحّها وعليه المعوَّل والمعتمد في أخبار أهل البيت عليهم السلام.

ثم لما حان العام الدراسي في سنة ١٤٢٩ ارتأينا مواصلة المدارسة في كل يوم، وخاصة بعد أن حصلت الرغبة في ذلك لأمر يتعلق بالأخ الفقيه آية الله السيِّد محمد رضا الحسيني الشيرازي رحمه الله تعالى.

ثم فكّرت بأن أدوّن بعض ما ذكرته في مجلس المدارسة عسى أن ينفع الله به المؤمنين.

وكانت أكثر استفادتي من كتاب «مرآة العقول» للعلّامة المحدّث الجليل الشيخ محمد باقر المجلسي رضوان الله عليه، وكتاب «الوافي» للعلّامة الشيخ محمد محسن الفيض الكاشاني رحمه الله، مع ما فيه من الحواشي لجمع من الأعلام[1]، وفي تفسير الآيات القرآنية كتاب (تبيين القرآن) للسيِّد الوالد أعلى

(١) منشورات (مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة أصفهان) الطبعة الأولى عام ١٤٠٦.

الله درجاته، وفي شرح خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كتاب (توضيح نهج البلاغة) للوالد أيضاً، وفي مسائل التوحيد كتاب «كفاية الموحّدين» للعلّامة السيد إسماعيل الطبرسي النوري رضوان الله عليه وغيرها من الكتب وقد حاولت أن أربط الأحاديث الشريفة بالآيات القرآنية ـ في معانيها أو ألفاظها ـ لأنَّ كلامهم مقتبس من القرآن الكريم، حيث إنهم عدل الكتاب، كما صرّح به رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين، ولأنا أُمرنا أن نأخذ بما وافق كتاب الله وترك ما خالفه، وكلامهم عليهم السلام كلّه موافق للكتاب العزيز.

وبالله أستعين

٢١/ صفر الخير/ ١٤٣٠
قم المقدَّسة
جعفر ابن السيد محمد الشيرازي

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود لنعمته[١]، المعبود لقدرته[٢]، المطاع في سلطانه[٣]،

لا يخفى أنَّ كلمات هذه المقدمة ومضامينها مأخوذة من الآيات والروايات، كدأب كثير من العلماء في مقدمة كتبهم.

[١] **(المحمود لنعمته):**

أي الحمد لأجل نعمة الله تعالى علينا، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾(٢) ومن مصاديق الحمد لأجل النعمة قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾(٣).

[٢] **(المعبود لقدرته):**

أي يستحق العبادة لقدرته وأنَّه الخالق الرازق، ولأنَّه قادر على الثواب والعقاب، قال سبحانه: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾(٤)، وأما غيره تعالى فإنَّه عاجز فلا يستحق العبادة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾(٥).

[٣] **(المطاع في سلطانه):**

أي تجب إطاعته فيما هو مسلط عليه ـ وهو الوجود بأجمعه ـ.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣.

(٢) سورة النحل: الآية ١١٤.

(٣) سورة فاطر: الآية ٣٤.

(٤) سورة الفرقان: الآية ١٢٣.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ١٧.

المرهوب لجلاله[١]، المرغوب إليه فيما عنده[٢]، النافذ أمره في جميع خلقه[٣]، علا فاستعلى[٤]، ودنا فتعالى[٥]، ....

[١] **(المرهوب لجلاله):**

الجلال: العلو والارتفاع، والله تعالى ذو الجلال لأنَّه منزّه عن النقائص، وإنَّما يخاف منه لعلوه وارتفاعه لتمكنه من عقاب المخالفين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾(١).

[٢] **(المرغوب إليه فيما عنده):**

من الثواب والنعم ـ دنيوية أو أخروية ـ، «ورغب إليه» بمعنى أراده شوقاً كقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾(٢)، و«رغب عنه» بمعنى كرهه أو أعرض عنه كقوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾(٣).

[٣] **(النافذ أمره في جميع خلقه):**

أي ولايته التكوينية جارية في جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٤)، كما أنَّ الولاية التشريعية له تعالى.

[٤] **(علا فاستعلى):**

أي لأنَّه عالٍ على المخلوقات فلذلك تكبَّر عليهم، قال سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾(٥)، و«المتكبر» من صفاته سبحانه كما في سورة الحشر.

ويمكن أن يكون المعنى أنَّه تعالى علا علواً ذاتياً فصار ذلك سبباً لأن يكون مستعلياً عن مشابهة مخلوقاته وعن أن تدركه عقولهم وأوهامهم ـ كما في المرآة ـ(٦).

[٥] **(ودنا فتعالى):**

أي قرب من مخلوقاته لكن قرب علم وقدرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.
(٢) سورة الشرح: الآية ٨.
(٣) سورة مريم: الآية ٤٦.
(٤) سورة يس: الآية ٨٢.
(٥) سورة الرعد: الآية ٩.
(٦) المرآة: ج١، ص٥.

وارتفع فوق كل منظر[١]، الّذي لا بدء لأوّليّته[٢]، ....

عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾(١). وتعاليه بمعنى ارتفاعه عن مشابهة مخلوقاته كقوله سبحانه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾(٢).

فأصل المعنى: أنَّ الله أحاط علماً وقدرة بمخلوقاته ولكنَّه منزَّه عن مشابهتهم.

[١] **(وارتفع فوق كل منظر):**

المنظر اسم مكان بمعنى: ما يُرى، أي ارتفع الله تعالى بالمنزلة والرتبة فوق كل شيء يُرى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٣) أي كل هذه المخلوقات تخضع لله سبحانه ويخافونه وهو فوقهم بالرتبة والمنزلة.

ويمكن أن يكون المنظر مصدراً ميمياً بمعنى النظر، أي تنزّه من أن يراه أحد، كقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾(٤).

وفي المرآة(٥): إنَّه تعالى لظهور آثار صنعه في كل شيء ظهر في كل شيء، فكأنَّه علاه وارتفع عليه، فكلما نظرت إليه فكأنَّك وجدت الله عليه.

[٢] **(الذي لا بدء لأوليّته):**

لأنَّ كل موجود ممكن لا بد أن تكون له علَّة ببداهة العقل، إلى أن ينتهي الأمر إلى علَّة العلل حيث يكون وجوده ضرورياً أزلياً لا بدء له، لأنَّ هذا الوجود إن كان مسبوقاً بالعدم لزم أن تكون له علَّة تخرجه من العدم إلى الوجود، لاستحالة وجود المعدوم من غير علّة، فثبت أنَّ علَّة العلل وجود ليس بمسبوق بالعدم ووجوده أزلي، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾(٦) أي هو السابق على كل الموجودات، الباقي بعد فنائها.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦.
(٢) سورة طه: الآية ١١٤.
(٣) سورة النحل: الآيتان ٤٩ ـ ٥٠.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.
(٥) المرآة: ج١، ص٦.
(٦) سورة الحديد: الآية ٣.

ولا غاية لأزليّته[١]، القائم قبل الأشياء[٢]، الدائم الّذي به قوامها[٣]، والقاهر الّذي لا يؤوده حفظها[٤]، والقادر الّذي بعظمته تفرّد بالملكوت[٥]، وبقدرته توحّد

---

[١] **(ولا غاية لأزليته):**
أي يكون إلى الأبد، ولا نهاية له، لأنَّ ما كان وجوده ضرورياً استحال عليه العدم مطلقاً، وسيأتي في كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى مزيد توضيح.

[٢] **(القائم قبل الأشياء):**
أي هو القائم على جميع الأُمور بالعلم والقدرة، قبل أن يخلق شيئاً فهو القيُّوم، قال سبحانه: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾(١)، أو بمعنى مدبّر الأشياء ومقدرها قبل خلقها، أو بمعنى أنَّه علَّة العلل، فكل علَّة لا بدّ أن تنتهي إليه حيث خلقها وجعل لها القدرة.

[٣] **(الدائم الذي به قوامها):**
أي بالله تعالى استمرار وجود الأشياء، فهو علَّة الإيجاد وعلَّة البقاء أيضاً، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾(٢) أي قائم بالعلم والتدبير على كسب كل نفس من خير أو شر.

[٤] **(والقاهر الذي لا يؤوده حفظها):**
أي الغالب الذي لا يشقّ عليه حفظ الأشياء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾(٤).

[٥] **(والقادر الذي بعظمته تفرّد بالملكوت):**
الملكوت: الملك العظيم والسلطة، قال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٥). فهو سبحانه لقدرته المطلقة وسعت سلطته وملكه كل شيء.

---

(١) سورة طه: الآية ١١١.
(٢) سورة الرعد: الآية ١٣.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.
(٥) سورة يس: الآية ٨٣.

بالجبروت[١]، وبحكمته أظهر حججه على خلقه[٢]؛ اخترع الأشياء إنشاءً[٣] وابتدعها ابتداءً[٤]، بقدرته وحكمته، لا من شيءٍ فيبطل الاختراع، ولا لعلّة[٥] فلا يصحّ

[١] **(وبقدرته توحّد بالجبروت):**

من الجبر بمعنى القهر والغلبة، فهو سبحانه الجبّار المطلق الذي يقهر الكون حسب إرادته، ولا أحد يمكنه الخروج عن إرادة الله التكوينية، فالجميع محكوم بها.

[٢] **(وبحكمته أظهر حججه على خلقه):**

الحجج هم الأنبياء والأوصياء وكذلك العقل والآيات الواضحات، الدالَّة عليه، قال سبحانه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾(١)، أي الحجة الواضحة التي تصل إلى المكلفين، وكان ذلك من حكمته تعالى حتى يتمّ الامتحان وما يستتبعه من الثواب أو العقاب.

[٣] **(اخترع الأشياء إنشاءً):**

الاختراع: إيجاد الشيء من غير تقليد، و«إنشاءً» مفعول مطلق وفعله «اخترع» لتقارب معناهما كما يُقال: (جلس قعوداً) قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(٢).

[٤] **(وابتدعها ابتداءً):**

الابتداع: هو الإيجاد من العدم، من غير أن يكون لها مادة سابقاً، كقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٣).

[٥] **(ولا لعلّة):**

أي المادة، فهو خلق مادتها من العدم، كما أنَّه سبحانه ركَّب تلك المادة على أي صورة شاءها.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.
(٢) سورة يس: الآية ٧٩.
(٣) سورة البقرة: الآية ١١٧.

الابتداع، خلق ما شاء كيف شاء، متوحّداً بذلك[١] لإظهار حكمته[٢]، وحقيقة ربوبيّته، لا تضبطه العقول[٣]، ولا تبلغه الأوهام[٤]، ولا تدركه الأبصار[٥]، .....

---

[١] **(خلق ما شاء كيف شاء متوحداً بذلك):**
قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١).

[٢] **(لإظهار حكمته):**
قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾(٢).
وفي المرآة(٣): والمعنى أنَّه تعالى خلق الأشياء على هذا النظام العجيب والصنع الغريب ـ متوحداً بذلك بدون مشاركة أحد ـ ليستدلوا بها على علمه وحكمته وأنَّه الرب حقيقة.

[٣] **(لا تضبطه العقول):**
أي لا تحيط العقول بكنه ذاته، فإنَّ العقل وإن كان مقراً أو معترفاً بوجوده تعالى، لكنَّه لا يمكنه الوصول إلى حقيقته، لاستحالة إحاطة المحدود باللامحدود، بل لا يمكن معرفة حقيقة الممكنات فكيف بخالقها؟، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(٤) أي هم لا يعلمون ذاته سبحانه.

[٤] **(ولا تبلغه الأوهام):**
وهي جميع قوى الإدراك الباطنية سوى العقل، ومنها الشعور والخيال ونحوهما، وقد تشمل العقل ـ توسعاً ـ.

[٥] **(ولا تدركه الأبصار):**
لأنَّه ليس بجسم ولا محدود ولا جهة له، فتستحيل رؤيته، قال تعالى: ﴿لَّا

---

(١) سورة القصص: الآية ٦٨.
(٢) سورة الطلاق: الآية ١٢.
(٣) المرآة: ج١، ص٧.
(٤) سورة طه: الآية ١١٠.

ولا يحيط به مقدار[١]، عجزت دونه العبارة[٢]، وكلّت دونه الأبصار[٣]، وضلّ

تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(١).

[١] **(ولا يحيط به مقدار):**

أحاط به أي اشتمل عليه وحدّه، وهو سبحانه ليس بجسم فلا تحيط به المقادير المادية كالأوزان والمكاييل والحواس الظاهرة ونحوها، وهو ليس بمحدود ولا نهاية له فلا تحيط به الحدود العقلية كالجنس والفصل ونحوها.

[٢] **(عجزت دونه العبارة):**

حيث إنَّ الألفاظ وضعت ـ عادة ـ لما يأنس به الإنسان من الماديات، فلذا تضيق العبارات والألفاظ فيما لا يمكن إحساسه، فتكثر المجازات والاصطلاحات حينئذٍ وسيأتي ـ إن شاء الله ـ قول الإمام الصادق عليه السلام: «ليس قولي إنَّه سميع يسمع بنفسه وبصير يبصر بنفسه، إنَّه شيء والنفس شيء آخر، ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً»(٢).

[٣] **(وكلت دونه الأبصار):**

أي عجزت عن الوصول إليه، قال تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾(٣)، وذلك لأنَّ القوم طلبوا من موسى عليه السلام ذلك فأراد جوابهم، فأجابه تعالى بأنَّه لن يراه أبداً لاستحالة رؤية الله، ثم علّق الله تعالى الرؤية على المحال، إذ استقرار الجبل حال التجلي محال.

وهذه الفقرة «كلّت دونه الأبصار» لبيان عجز الأبصار عن رؤيته كما أنَّ الفقرة السابقة «لا تدركه الأبصار» لبيان استحالة ذلك، فالأولى كالعلة للثانية أي لاستحالة رؤيته فإن الناس عاجزون عنها.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٢) الكافي/كتاب التوحيد/باب إطلاق القول بأنّه شيء/الحديث ٦.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

فيه تصاريف الصفات[١]، احتجب بغير حجاب محجوب[٢]، واستتر بغير ستر مستور[٣]، عُرف بغير رؤية، ووصف بغير صورة، ونُعِت بغير جسم[٤]، لا إله إلَّا

---

[١] (وضلّ فيه تصاريف الصفات):

التصريف يُستعمل بمعنى التقليب أو التكرار أو إزاحة الشيء، ويُراد به هنا المعنى الأول، أي كل صفة واشتقاقاتها باطلة ضلّ فيها الناس، إلا عباد الله المخلصين فإنَّهم وصفوا الله بما وصف نفسه وبالمعنى الذي أراده، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٥٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(١).

[٢] (احتجب بغير حجاب محجوب):

الحجب: المنع، والحجاب ما يمنع من النظر أو الوصول إلى الشيء، فلا يمكن للمخلوقين الوصول إلى كنه ذات الله تعالى، لا بإدراكه بالحواس ولا بالقوى الباطنة.

والمحجوب: بمعنى اسم الفاعل كما يقال في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾(٢) أي ساتراً، فالمعنى احتجب تعالى عن المخلوقات بغير حجاب حاجب وساتر، فإنَّه تعالى محتجب عن خلقه لا بالحجب التي يحتجب بها المخلوقون.

هذا أظهر الاحتمالات في معنى الجملة، وهنالك احتمالات أخرى أنهاها العلامة المجلسي إلى ثمانية(٣).

[٣] (استتر بغير ستر مستور):

لعل المراد الاستتار عن العقول، كما أنَّ الفقرة السابقة يُراد بها الاحتجاب عن الحواس، ويمكن أن تكون الثانية تأكيداً للأولى.

[٤] (ونعت بغير جسم):

لا يخفى لطف الترتيب في هذه الفقرات الثلاث.

---

(١) سورة الصافات: الآيتان ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٥.

(٣) مرآة العقول: ج١، ص٧ ـ ٨.

الله الكبير المتعال[١]، ضلّت الأوهام عن بلوغ كنهه[٢]، وذهلت العقول أن تبلغ غاية نهايته[٣]، لا يبلغه حدُّ وَهم[٤]، ولا يدركه نفاذ بصر[٥]، وهو السميع العليم[٦]،

فإنَّ المخلوقات تُعرف عادة برؤيتها أو بشكلها، لكنَّ الله تعالى معرفته ليست عن طريق رؤيته، كما أنَّ أوصافه ليست عبر المادة أو الصورة لأنَّه ليس بجسم ولا صورة له.

[١] **(الكبير المتعال):**

لعلَّ الإتيان بهذه الفقرة للدلالة على أنَّ استحالة رؤيته وعدم كونه جسماً ولا صورة ليس نقصاً فيه، بل هو كمال مطلق.

[٢] **(بلوغ كنهه):**

الكنه: حقيقة الشيء كما هو.

[٣] **(وذهلت العقول أن تبلغ غاية نهايته):**

الذهول: الاندهاش، ويستعمل عادة في الاندهاش أمام شخص أو أمر عظيم، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾(١)، والمراد هنا عدم تمكن العقول من الوصول إلى مرتبة تنتهي بها معرفته تعالى، وذلك لأنَّه تعالى غير محدود والعقول قاصرة عن معرفته كما هو، وكلما ارتفعت درجة الإنسان زادت معرفته بلا وصول إلى الغاية والنهاية.

[٤] **(حدّ وهم):**

أي حدة فكر.

[٥] **(نفاذ بصر):**

أي قوَّة البصر، فكأنه ينفذ في الأشياء ويدخل فيها، وهذه الفقرات تأكيد لما سبق بعبارات أخرى.

[٦] **(وهو السميع العليم):**

لعلَّ الإتيان بهذين الوصفين للدلالة على أنَّ العقول والأوهام لا تصل إليه

---

(١) سورة الحج: الآية ٢.

احتجَّ على خلقه برسله[١]، وأوضح الأُمور بدلائله[٢]، وابتعث الرسل مبشّرين ومنذرين[٣]، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى مَنْ حيَّ عن بيّنة[٤]، وليعقل العباد

لكنّه محيط بها، كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(١).

[١] **(احتج على خلقه برسله):**

قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾(٣).

[٢] **(وأوضح الأُمور بدلائله):**

فأقام الأدلة على وجوده تعالى في الآفاق والأنفس، وأجرى المعجزات على يد الأنبياء دلالة على صدقهم، ونصب الأدلة للأحكام الشرعية بما بيّنه في الكتاب والسُّنَّة والعقل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾(٤) أي آيات قد أوضحت..

[٣] **(ابتعث الرسل مبشرين ومنذرين):**

الابتعاث هو الإرسال، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾(٥).

[٤] **(من حيّ عن بيّنة):**

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾(٦).

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.
(٢) سورة النساء: الآية ١٦٣.
(٣) سورة طه: الآية ١٣٤.
(٤) سورة النور: الآية ٣٤.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٤٨.
(٦) سورة الأنفال: الآية ٤٢.

عن ربّهم ما جهلوه[١]، فيعرفوه بربوبيّته بعدما أنكروه، ويوحّدوه بالإلهيّة بعدما أضّدُوه[٢]، أحمده حمداً يشفي النفوس[٣]، ويبلغ رضاه[٤]، ويؤدّي شكر ما

الهلاك بمعنى الكفر، والحياة بمعنى الإيمان، أي بعد إقامة الدلائل يكون كفر من استمر على كفره عن عناد لا عن جهل، وكذلك إيمان من آمن عن بصيرة، فتتم الحجة على كلا الطرفين، وفي تفسير الآية احتمالات أخرى ترجع كلها إلى إقامة الحجة على الجميع.

[١] **(ليعقل العباد من ربّهم ما جهلوه):**

ليعقل أي ليعلم العباد بواسطة الرسل.

[٢] **(بعدما أضَّدُوه):**

أي جعلوا له أضداداً في الألوهية، كالأصنام ونحوها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾(١).

[٣] **(حمداً يشفي النفوس):**

من الأمراض القلبية كالكفر ورذائل الأخلاق، وهذا إخبار بقصد الإنشاء، أي أدعو أو أرجو ليكون حمدي كذلك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(٢) وذلك لأنَّ تذكر الله تعالى يوجب طمأنينة القلب للاعتماد عليه سبحانه في السرّاء والضرّاء ـ كما في التبيين ـ(٣).

[٤] **(ويبلغ رضاه):**

لأنَّ الله يرضى بالعمل الصالح قال سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾(٤) وشرط الرضا هو الإخلاص وصحة العمل.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٥.
(٢) سورة الرعد: الآية ٢٨.
(٣) التبيين: ص٢٦٤.
(٤) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

وصل إلينا[١]، من سوابغ النعماء[٢]، وجزيل الآلاء[٣] وجميل البلاء[٤]. وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً أحداً صمداً[٥] لم يتّخذ صاحبة

---

[١] **(يؤدي شكر ما وصل إلينا):**

أي حمداً يقوم مقام الشكر، لأنَّ شكر المنعم واجب ـ عقلاً وشرعاً ـ، وقد يكون الحمد أداءً للواجب.

ولا يخفى أن بين الحمد والشكر فرقاً، ذكرناه في أول (التفكّر في القرآن)، ولكن مع ذلك قد يقوم أحدهما مقام الآخر، فيكتفى به.

[٢] **(سوابغ النعماء):**

أي النعم التامة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(١).

[٣] **(جزيل الآلاء):**

أي النعم الكثيرة العظيمة، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾(٢)، فالفقرة السابقة تدلُّ على كون النعم تامة لا ناقصة، وهذه على كثرة النعم.

[٤] **(جميل البلاء):**

أي الامتحان الحسن، وذلك بالامتحان بالنعم، كقوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾(٣)، أو بالامتحان بما فيه فائدة للإنسان، كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾(٤).

[٥] **(واحداً، أحداً، صمداً):**

الواحد ما لا ثاني له، والأحد ما لا جزء له، والصمد ما يُقصد في كل الأُمور، ومرجعها إلى معنى واحد وهو المنفرد الذي لا نظير له.

---

(١) سورة لقمان: الآية ٢٠.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

(٣) سورة النمل: الآية ٢٧.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

ولا ولداً، وأشهد أنَّ محمداً ﷺ عبدٌ انتجبه[١]، ورسول ابتعثه، على حين فترةٍ من الرسل[٢] وطول هَجْعةٍ من الأُمم[٣]، وانبساط من الجهل[٤]، واعتراض من الفتنة[٥]، وانتقاضٍ من المبرم[٦]، ....

---

[١] **(عبد انتجبه):**

أي خلقه نجيباً واصطفاه، أو بمعنى اختاره.

[٢] **(فترة من الرسل):**

أي حين انقطاع من إرسال الأنبياء، لأنه لم يرسل رسولاً لمدة مديدة قبل إرسال رسول الله محمد ﷺ، وفي هذه الفترة كانت حجة الله تعالى على الناس أوصياء عيسى عليه السلام لما ثبت بالدليل من عدم خلو الأرض من حجة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ﴾(١).

[٣] **(هجعة من الأُمم):**

أي النومة، كناية عن غفلة الأُمم عن الدِّين والشريعة، قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾(٢).

[٤] **(انبساط من الجهل):**

أي انتشار، وقد عبّر القرآن عن تلك الفترة بالجاهلية.

[٥] **(اعتراض من الفتنة):**

أي وقوفها في طريقهم وذلك بابتلائهم بها، كمن يمشي في عرض الطريق فيغلقه على الآخرين.

[٦] **(انتقاض من المبرم):**

الإبرام: الإحكام، ولعلَّ المراد عدم العمل ونسيان ما أودعه الله في كل نفس من الفطرة السليمة وحب الخير والعمل به.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٩.

(٢) سورة يس: الآية ٦.

وعمى عن الحقّ[١]، واعتساف من الجور[٢]، وامتحاق من الدين[٣]. وأنزل إليه الكتاب، فيه البيان والتبيان[٤]، قرآناً عربيّاً غير ذي عوج[٥] لعلّهم يتّقون؛ قد بيّنه

---

[١] (عمى عن الحق):
وفي بعض النسخ «من الحق»، أي جهل بالحق عن عناد، كقوله تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾(١).

[٢] (اعتساف من الجور):
الاعتساف: الأخذ على غير الطريق، والجور: الميل عن القصد ويستعمل كثيراً بمعنى الظلم إذا تعدّى إلى الغير، وحاصل المعنى الظلم الذي يسبّب خروج الناس عن جادة الحق إلى التيه والضلال.

[٣] (امتحاق من الدين):
المحق: الإمحاء والإبطال ولذا يقال للقمر في آخر الشهر إنّه في المحاق.
والمعنى إعراض الناس عن الدِّين الحق وتوجههم إلى الباطل من الأصنام ونحوها.

[٤] (فيه البيان والتبيان):
قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(٣).
والتبيان: البيان الواضح وهو مبالغة في البيان، ولعلَّ الفرق بينهما أنَّ البيان هو ذكر الشيء، والتبيان ذكره مع إقامة الحجة والبرهان عليه ممَّا يزيده وضوحاً وقناعةً.

[٥] (غير ذي عوج):
أي لا اعوجاج فيه عن طريق الهداية، وهذه الجملة هي نص القرآن في سورة الزمر الآية ٢٨.

---

(١) سورة النمل: الآية ٦٦.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٨.
(٣) سورة النحل: الآية ٨٩.

للناس ونهّجه[١]، بعلم قد فصّله[٢]، ودين قد أوضحه، وفرائض قد أوجبها، وأُمور قد كشفها لخلقه وأعلنها، فيها دلالةٌ إلى النّجاة[٣]، ومعالم تدعو إلى هداه[٤]. فبلّغ ﷺ ما أُرسل به، وصدع بما أُمر[٥]، وأدّى ما حمّل من أثقال النبوّة[٦]،

---

[١] (قد بيّنه للناس ونهجه):
النهج: الطريق الواضح، والمعنى هنا: قد أوضحه.

[٢] (بعلم قد فصَّله):
بعلم متعلق بقوله «بيّنه» أي البيان بعلم ودين وفرائض وأُمور، والتفصيل: البيان المستوفى.

[٣] (فيها دلالة إلى النجاة):
أي في الأُمور المذكورة من العلم والدِّين والفرائض والأُمور دلالة إلى النجاة، بمعنى أنَّ القرآن الكريم أرانا طريق النجاة عبر ذكره لهذه الأُمور.

[٤] (ومعالم تدعو إلى هداه):
المعالم جمع مَعْلَم، بمعنى العلائم التي توضع في الطرق والحدود، هي عطف على دلالة، أي هذه الأُمور فيها دلالة، وفيها معالم.

[٥] (صدع بما أُمر):
امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾(١)، والصدع بمعنى التشقق والتفرّق، والمعنى هنا: فرّق بين الحق والباطل ويكون ذلك عادة بالتكلُّم جهاراً.

[٦] (أثقال النبوة):
«ما حُمّل» أي ما كُلّف بأدائه كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾(٢)، و«أثقال النبوة» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾(٣)، وذلك لما فيه من الأحكام الشاقة عملاً وكذلك تحمل الصعوبات لتبليغها.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩٤.
(٢) سورة النور: الآية ٥٤.
(٣) سورة المزمل: الآية ٥.

وصبر لربّه[١]، وجاهد في سبيله، ونصح لأُمّته[٢]، ودعاهم إلى النجاة[٣]، وحثّهم على الذكر[٤]، ودلّهم على سبيل الهدى من بعده[٥]، بمناهج ودواع أسّس للعباد

---

[١] **(صبر لربه):**

أي ابتغاء وجه ربه كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾(١) أي لطلب رضاه، أو بمعنى صبر لحكم ربّه كقوله سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾(٢)، أي بلّغ حكم ربك ولا تهتم بالأذى في سبيله.

[٢] **(نصح لأمته):**

النصح: الخلوص من الشوائب، ومن وعظ مخلصاً ونبّه على الخطأ يقال له ناصح، لأنَّه يعظ مخلصاً لا غرض له سوى نجاة المنصوح له، كقوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾(٣).

[٣] **(ودعاهم إلى النجاة):**

كقوله تعالى: ﴿وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾(٤).

[٤] **(وحثّهم على الذكر):**

الحث: الطلب الشديد، أي حثهم على ذكر الله تعالى وخاصة القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٥).

[٥] **(سبيل الهدى من بعده):**

تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾(٦) وسبيل الهدى هو منهج الشرع القويم.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٢.
(٢) سورة الحاقة: الآية ٤٨.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٦٨.
(٤) سورة غافر: الآية ٤١.
(٥) سورة النحل: الآية ٤٤.
(٦) سورة المائدة: الآية ٦٧.

أساسها[١] ومنائر رفع لهم أعلامها[٢]. لكيلا يضلّوا من بعده[٣]، وكان بهم رؤوفاً

---

[١] **(بمناهج ودواع أُسس للعباد أساسها):**

«المناهج» جمع منهاج بمعنى السبيل الواضح، كقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(١) أي لكل من الرسول ﷺ والأنبياء السابقين عليهم السلام، والمراد الأحكام والشرائع التي جاء بها الرسول ﷺ أو صدّق الشرائع السابقة ولم ينسخها.

و«الدواع» جمع داعية، وهم من يدعون إلى الله تعالى كقوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾(٢)، والمراد الأوصياء من بعد الرسول ﷺ، حيث وضع الرسول ﷺ أساس الأحكام والأوصياء، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ﴾(٣).

والتأسيس هنا نصب الأدلة على الأحكام وعلى خلافة الأئمة عليهم السلام.

[٢] **(ومنائر رفع لهم أعلامها):**

«المنائر» جمع منارة، وهي ما يُرفع ويوقد عليه النار للدلالة على الطريق، ثم استعمل للهداية إلى الحق، والمراد هنا الأئمة عليهم السلام، وهو تكرار للتأكيد، ورفع الأعلام على المنائر يوجب كثرة الاهتداء بها، حيث لا توقد النار على المنارات في النهار فيكون العَلَم أوضح وأكثر دلالة على الطريق، والأوصياء عليهم السلام يهتدي الخلق بهم، ونصب الأدلة عليهم سبب لكثرة الاهتداء بهم.

ويمكن أن يُراد «بالمناهج والدواعي»: القرآن وبيانه، و«بالمنائر»: الأوصياء فيكون إشارة إلى حديث الثقلين.

[٣] **(لكيلا يضلوا من بعده):**

فقد قال ﷺ: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»، وقال سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾(٤).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.
(٢) سورة الأحقاف: الآية ٣١.
(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٩.
(٤) سورة يونس: الآية ١٠٨.

رحيماً[١]. فلمّا انقضت مدّته، واستكملت أيّامه، توفّاه الله وقبضه إليه[٢]، وهو عند الله مرضيٌّ عمله، وافر حظّه[٣]، عظيم خطره[٤]، ....

---

[١] **(وكان بهم رؤوفاً رحيماً):**

قال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١) والرأفة هي شدة الرحمة، وفي المرآة(٢): وهذا ردّ على المخالفين بأنّه كيف يدعهم النبي ﷺ بلا هادٍ وأمير وداعٍ مع شدة رأفته ورحمته بهم في أُمور دنياهم وآخرتهم.

[٢] **(وقبضه إليه):**

«انقضاء المدة»: إتمامها كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾(٣) أي أتمّه.

و«استكملت أيامه» بأن أكمل الأيام المقدرة له في الدنيا.

و«توفاه الله» من التوفي وهو الأخذ كاملاً، ويراد به هنا الموت، وهو يطلق على النوم، وعلى الرفع في السماء، وعلى الموت، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾(٤)، وقوله سبحانه: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾(٥)، وقوله عز من قائل: ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾(٦). و«قبضه إليه» أي أخذه إليه والمراد إلى رحمته ورضوانه.

[٣] **(وافر حظّه):**

أي كاملاً نصيبه، و«الحظ»: النصيب كقوله تعالى: ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾(٧)، و«الوافر»: الكامل كقوله تعالى: ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾(٨) أي مكملاً.

[٤] **(عظيم خطره):**

«الخطر»: القدر والمنزلة.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨.
(٢) المرآة: ج١، ص١٢.
(٣) سورة القصص: الآية ٢٩.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٦٠.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٥٥.
(٦) سورة النساء: الآية ١٥.
(٧) سورة النساء: الآية ١٧٦.
(٨) سورة الإسراء: الآية ٦٣.

فمضى ﷺ وخلّف في أُمّته كتاب الله ووصيّه أمير المؤمنين، وإمام المتّقين صلوات الله عليه، صاحبين مؤتلفين[١]، يشهد كلّ واحد منهما لصاحبه بالتصديق[٢]، ينطق الإمام عن الله في الكتاب[٣]، بما أوجب الله فيه على العباد، من طاعته، وطاعة الإمام وولايته، وواجب حقّه[٤]، ....

[١] **(صاحبين مؤتلفين):**
فقد قال ﷺ: «علي مع القرآن والقرآن مع علي»(١) وقال ﷺ: «وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»(٢).

[٢] **(لصاحبه بالتصديق):**
لأنَّ كليهما حق مطلق، وكل حق يصدق الحق الآخر.

[٣] **(ينطق الإمام عن الله في الكتاب):**
أي الإمام يبيّن ما في الكتاب، وبيانه إنما يكون مما علَّمه الله تعالى بواسطة رسوله ﷺ، فقد قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٣)، وقال الإمام علي عليه السلام: «علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب»(٤) وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾(٥)، وقول المصنف: «بما أوجب...» متعلق بـ«ينطق».

[٤] **(وطاعة الإمام وولايته وواجب حقه):**
أي من طاعة الله وطاعة الإمام في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٦)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(٧)، وقال عز من قائل: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ

(١) البحار: ج٣٤، ص٣٥.
(٢) نفس المصدر.
(٣) سورة النحل: الآية ٤٤.
(٤) رسائل السيد المرتضى: ج١، ص٣١٧.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٧.
(٦) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٧) سورة المائدة: الآية ٥٥.

الّذي أراد من استكمال دينه[١]، وإظهار أمره، والاحتجاج بحججه، والاستضاءة بنوره[٢]، في معادن أهل صفوته[٣] ومصطفى أهل

أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾(١).

[١] **(الذي أراد من استكمال دينه):**

قوله: «الذي...» بدل عن قوله: «ما أوجب...» أي: ينطق الإمام عن الله في الكتاب بالذي أراد، وقوله: «من استكمال...»الخ بيان للذي أراده الله تعالى.

[٢] **(والاستضاءة بنوره):**

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾(٣)، وقال عز من قائل: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(٥).

[٣] **(في معادن أهل صفوته):**

«في» بمعنى «مع»، وحاصل المعنى: أنَّ الرسول ﷺ خلَّف في أُمَّته كتاب الله ووصيه أمير المؤمنين مع معادن أهل صفوته، ويحتمل أن يكون «في» للظرفية ومتعلقة بالاستضاءة أي الاستضاءة في تلك المعادن، والأول أقرب للمعنى المقصود.

و«معادن» هم الأئمة عليهم السلام لأنَّهم الأصل والأساس و«أهل الصفوة» هم الأنبياء والأوصياء وبعض الملائكة قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٦)، وقال سبحانه: ﴿يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾(٧).

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٥.
(٢) سورة المائدة: الآية ٣.
(٣) سورة الصف: الآية ٩.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.
(٥) سورة إبراهيم: الآية ١.
(٦) سورة آل عمران: الآية ٣٣.
(٧) سورة الحج: الآية ٧٥.

خيرته[١]. فأوضح الله بأئمّة الهدى من أهل بيت نبيّنا ﷺ عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل مناهجه[٢] وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه[٣]، وجعلهم مسالك لمعرفته[٤]،

---

[١] **(ومصطفى أهل خيرته):**

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾(١) و«الاصطفاء» و«الخيرة» بمعنى الاختيار، فيكون المعنى أفضل من اختارهم الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾(٢)، وسيأتي إن شاء الله الروايات الدالة على أنَّ الذين اصطفاهم الله تعالى هم آل محمد ﷺ، منها قول الإمام الرضا عليه السلام: «ولد فاطمة عليها السلام، والسابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف بالإمام، والظالم لنفسه الذين لا يعرف الإمام» وقد استفاضت الروايات في ذلك فراجع تفسير البرهان(٣).

[٢] **(أبلج بهم عن سبيل مناهجه):**

«أبلج»: أوضح، و«المناهج»: الطرق الواضحة، والمراد بها أحكام الشرع، وسبيل المناهج هي الأدلة التي توصل إليها.

[٣] **(ينابيع علمه):**

«الينبوع»: العين الجارية، والمراد: العلوم الإلٰهيّة التي أراد الله أن يفيضها على خلقه، فجعلهم عليهم السلام مخازن ذلك العلم.

[٤] **(مسالك لمعرفته):**

أي طرق لمعرفة الله تعالى، لأنَّ كل ما لم يخرج من المعارف الإلهية من بينهم فهو باطل وضلال، وفي حديث الثقلين: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»(٤) ومفهومه إنَّ عدم التمسك بهم سبب للضلال.

---

(١) سورة القصص: الآية ٦٨.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٣) البرهان: ج٨، ص١٤٥ ـ ١٥٦ طبعة مؤسسة البعثة، عام ١٤٢١م.

(٤) المسترشد في الإمامة، للطبري: ص٥٥٩، ج٢٣٧.

ومعالم لدينه[١]، وحُجّاباً بينه وبين خلقه[٢]، والباب المؤدّي إلى معرفة حقّه، وأطلعهم على المكنون من غيب سرّه[٣]. كلما مضى منهم إمام، نصب لخلقه من عقبه[٤] إماماً بيّناً، وهادياً نيّراً، وإماماً قيّماً، يهدون بالحقّ وبه يعدلون[٥]،

---

[١] **(معالم لدينه):**

«معالم» جمع معلم وهو ما يوضع على الطريق للدلالة عليه حتى لا يضل المسافرون.

[٢] **(حجاباً بينه وبين خلقه):**

«الحُجّاب» جمع حاجب، والمراد الوسيلة إلى الله تعالى والواسطة بين الخلق وبينه تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾(٢).

[٣] **(المكنون من غيب سره):**

«المكنون»: المحفوظ، والمعنى أنَّه تعالى أطلعهم على الأُمور والعلوم الغائبة عن غيرهم.

وسيأتي إن شاء الله في كتاب الحجة من الكافي الشريف، متواتر الروايات في هذه المضامين.

[٤] **(نصب لخلقه من عقبه):**

أي نصب الله تعالى من ذرية الإمام الماضين إماماً آخر، وقوله: «من عقبه» للتغليب، لأنَّ كل إمام لاحق هو من ذرية الإمام السابق إلَّا الحسين عليه السلام فإنَّه أخ للحسن عليه السلام.

[٥] **(يهدون بالحق وبه يعدلون):**

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾(٣) أي يحكمون

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥٧.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨١.

حجج الله ودعاته ورعاته[١] على خلقه، يدين بهديهم العباد[٢]، ويستهلُّ بنورهم البلاد[٣]، جعلهم الله حياة للأنام[٤]، ومصابيح للظلام ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام[٥]، وجعل نظام طاعته وتمام فرضه[٦] التسليم لهم فيما

بالعدل بين الناس، و«القيّم» القويم المستقيم أو القائم بأمر الأُمَّة.

[١] **(ودعاته ورعاته):**
«الدعاة» جمع الداعي أي الذين يدعون إليه تعالى، و«الرعاة» جمع راعي وهو الذي يحفظ، والمعنى هم عليهم السلام يدعون إلى الله ويرعون الخلق بحفظهم عن الضلال والانحراف ـ بل يشمل الرعاية التكوينية أيضاً ـ.

[٢] **(يدين بهديهم العباد):**
«يدين»: يلتزم أو يتعبد، «الهَدي»: السيرة، والمعنى أنَّ الناس يهتدون بسيرتهم إلى الحق القويم.

[٣] **(يستهل بنورهم البلاد):**
«الاستهلال» هنا بمعنى الاستضاءة، و«نورهم»: علمهم وسيرتهم ووجودهم.

[٤] **(حياة للأنام):**
لأنَّ الحياة الواقعية في الإيمان والعمل الصالح، وهم عليهم السلام السبب لذلك قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾(١).

[٥] **(دعائم للإسلام):**
جمع «دعامة» بمعنى السند.

[٦] **(وتمام فرضه):**
«نظام الطاعة» أي ما ينتظم به طاعته، والمراد أنَّ تطبيق أحكام الشرع والالتزام بها تكون عبرهم، و«تمام الفرض» أي ما يتمّ به الفرائض، لأنَّ الدِّين كمل بالولاية قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٢).

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٧.
(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

عُلم[١]، والردّ إليهم فيما جهل[٢]، وحظر على غيرهم التهجّم على القول بما يجهلون[٣]، ومنعهم جحد ما لا يعلمون[٤]، لما أراد الله[٥] تبارك وتعالى من

---

[١] **(التسليم لهم فيما علم):**

«التسليم»: الانقياد، أي الانقياد إليهم فيما علم أنَّه قولهم وحكمهم.

[٢] **(والرد إليهم فيما جهل):**

أي إرجاع الأمر إليهم فيما لم يعلم قولهم وحكمهم، والحاصل أنَّ على الناس عدم التقدم عليهم أو التأخر عنهم في كل الأُمور بل ملازمتهم، فإن علموا كلامهم انقادوا إليهم، وإن جهلوه ردّوا الأمر إليهم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾(١).

[٣] **(وحظر على غيرهم التهجّم على القول بما يجهلون):**

«الحظر» المنع.

أي لأنَّ غيرهم يجهلون كثيراً من الأُمور فلا يجوز لهم التكلُّم فيها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾(٢)، أما الأئمة عليهم السلام فقد علَّمهم الله تعالى، فهم يتكلمون عن علم، و«التهجم»: الدخول بغتة.

[٤] **(جحد ما لا يعلمون):**

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾(٣).

[٥] **(لما أراد الله):**

«لمَّا» ظرفية، وهي متعلقة بكل ما سبق، ابتداءً من قوله: «فأوضح الله»، أي نصب الأئمة وإعطائهم هذا المناصب حينما أراد الله هداية الأنام.

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٢) سورة الحج: الآية ٨.

(٣) سورة يونس: الآية ٣٩.

استنقاذ من شاء من خلقه[١]، من ملمّات الظُّلَم ومغشيّات البُهم[٢]. وصلّى الله على محمّد وأهل بيته الأخيار، الّذين أذهب الله عنهم الرجس [أهل البيت] وطهّرهم تطهيراً.

---

[١] **(من شاء من خلقه):**
بأن هيَّأوا لأنفسهم أسباب النجاة فوفّقهم الله تعالى لذلك بأن أنقذهم بالأئمة عليهم السلام.

[٢] **(مغشيات البهم):**
«الملمات» جمع «مُلِمَّة» وهي ما ينزل بالإنسان من المشاكل، ومنه «اللمم» وهي الذُنوب الصغار، و«المغشيات» جمع «مغشية» وهي ما تغطي الإنسان، و«البُهَم» جمع «بُهمة» وهي ما أُبهم من الأُمور فلا يهتدي الناس لوجهها.
والحاصل أنَّ الأئمة عليهم السلام ينقذون البشر من المشاكل والانحرافات التي تنزل بهم وكذا من المبهمات التي لا يعرفون وجهها.
ثم اعلم أنَّ ما ذكره ثقة الإسلام الكليني رضوان الله عليه في أوصاف الأئمة عليهم السلام كلّه مأخوذ من القرآن الكريم والروايات المعتبرة وسيأتي إن شاء الله تعالى في كتاب الحجة من هذا الكتاب الشريف متواتر الروايات في علمهم وفضلهم ودرجاتهم.

أمّا بعد، فقد فهمت يا أخي ما شكوتَ من اصطلاح أهل دهرنا على الجهالة[١]، وتوازرهم[٢] وسعيهم في عمارة طرقها، ومباينتهم العلم وأهله، حتّى كاد العلم معهم أن يأرز كلّه وتنقطع موادّه[٣]، لمّا قد رضوا أن يستندوا إلى الجهل، ويضيّعوا العلم وأهله. وسألَت: هل يسع الناس المُقام على الجهالة والتديّن بغير علم، إذا كانوا داخِلين في الدين، مقرّين بجميع أموره على جهة الاستحسان، والنشوء عليه، والتقليد للآباء، والأسلاف والكبراء، والاتّكال على عقولهم[٤] في دقيق الأشياء وجليلها؟

---

[١] **(على الجهالة)**:

«الاصطلاح»: التوافق، و«الجهالة»: الجهل والسفه والغفلة.

[٢] **(وتوازرهم)**:

«التوازر» التعاون، وأصله من «الوزر» بمعنى الحمل الثقيل ومنه: الوزر بمعنى الذنب.

[٣] **(تنقطع مواده)**:

«يأزر» بمعنى يزول، و«الأزر» في الأصل بمعنى الانضمام وقد يكون بمعنى القوة كقوله تعالى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ﴾(١) وقد يكون بمعنى الضعف، وفي الحديث «يأزر العلم» أي يزول من الناس ويجتمع بعضه إلى بعض بعد أن كان منتشراً بين الناس.

و«المواد»: يراد بها المصدر والمنبع.

[٤] **(والاتكال على عقولهم)**:

أي عقول الآباء والأسلاف والكبراء، أو المعنى على عقول أنفسهم أي

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

فاعلم يا أخي رحمك الله، أنَّ الله تبارك وتعالى خلق عباده خلقة منفصلة عن البهائم[١] في الفطن والعقول المركّبة فيهم، محتملة للأمر والنهي[٢]، وجعلهم جلّ ذكره صنفين[٣]: صنفاً منهم أهل الصحّة والسلامة، وصنفاً منهم أهل الضرر والزمانة، فخصّ أهل الصحّة والسلامة بالأمر والنهي، بعدما أكمل لهم آلة التكليف[٤]، ووضع التكليف عن أهل الزمانة والضرر، إذ قد خلقهم خلقة غير محتملة للأدب والتعليم، وجعل عزّ وجلّ سبب بقائهم أهل الصحّة والسلامة، وجعل بقاء أهل الصحّة والسلامة بالأدب والتعليم[٥]، فلو كانت الجهالة جائزة لأهل الصحّة والسلامة لجاز وضع التكليف عنهم، وفي جواز ذلك بطلان الكتب والرسل والآداب[٦]، وفي رفع الكتب والرسل والآداب

يقلدون فيما كان عليه الآباء، وفي غيرها يتكلون على عقولهم.

[١] **(منفصلة عن البهائم):**
أي متغايرة عنهم.

[٢] **(محتملة للأمر والنهي):**
أي تتحمل ويمكن أمرها ونهيها.

[٣] **(جلَّ ذكره صنفين):**
الصنف الأول العقلاء الذين يمكن تكليفهم، والصنف الثاني المجانين وضعاف العقول الذين لا يصحّ تكليفهم، ويلحق بهم غير المميز من الصبيان.

[٤] **(آلة التكليف):**
وهو العقل.

[٥] **(بالأدب والتعليم):**
«الأدب» ما تلقوه من الآباء والأُمهات، «والتعليم» ما تعلّموه من المعلم أو المطالعة ونحوهما.

[٦] **(والرسل والآداب):**
لأنَّه لو كان بقاؤهم على الجهل جائزاً فما معنى إرسال الرسل وإنزال الكتب؟

فساد التدبير[١]، والرجوع إلى قول أهل الدهر، فوجب في عدل الله عزّ وجلّ وحكمته[٢]، أن يخصّ مِن خَلْق مَنْ خَلَقَه خِلْقةً محتملة للأمر والنهي[٣]، بالأمر والنهي، لئلّا يكونوا سدى مهملين[٤]، وليعظّموه ويوحّدوه، ويقرُّوا له بالربوبيّة، وليعلموا أنّه خالقهم ورازقهم، إذ شواهد ربوبيّته دالّة ظاهرة، وحججه نيّرة واضحة، وأعلامه لائحة تدعوهم إلى توحيد الله عزّ وجلّ، وتشهد على أنفسها لصانعها بالربوبيّة والإلهيّة، لما فيها من آثار صنعه، وعجائب تدبيره، فندبهم[٥] إلى معرفته لئلّا يبيح لهم أن يجهلوه ويجهلوا دينه وأحكامه، لأنَّ الحكيم لا

---

[١] **(فساد التدبير)**:

لأنَّ الخلقة كانت لأجل العبادة قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١) ولا تمكن العبادة على النحو الصحيح إلّا بالمعرفة التي تكون بواسطة إنزال الكتب وإرسال الرسل.

[٢] **(في عدل الله وحكمته)**:

المعبر عنه بقاعدة اللطف.

[٣] **(أن يخصّ من خلق من خلقه خلقة محتملة للأمر والنهي)**:

«يخص» يختار «من» حرف جر «خلق» مصدر «من» موصول «خلقه» صلة «خلقة» مفعول يخصّ، وحاصل المعنى أن يختار الله من مجموع الخلق بعض المخلوقات العاقلة التي يمكن أمرها ونهيها.

[٤] **(سدى مهملين)**:

«سدى» المهمل ويستعمل للمفرد والجمع، «مهملين» عطف بيان على سدى.

[٥] **(فندبهم)**:

أي حثّهم وأمرهم وحبَّب إليهم.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

يبيح الجهل به، والإنكار لدينه، فقال جلّ ثناؤه: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ[١]﴾ [الأعراف: ١٦٩] وقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ[٢]﴾ [يونس: ٣٩]، فكانوا محصورين بالأمر والنهي، مأمورين بقول الحقّ، غير مرخّص لهم في المقام على الجهل، أمرهم بالسؤال، والتفقّه في الدِّين فقال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ[٣]﴾ [التوبة: ١٢٢] وقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣]. فلو كان يسع أهل الصحّة والسلامة، المقام على الجهل، لما أمرهم بالسؤال، ولم يكن يحتاج إلى بعثة الرسل بالكتب والآداب، وكادوا يكونون

---

[١] **(على الله إلّا الحقّ):**

في تبيين القرآن للوالد رضوان الله عليه: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي العهد المذكور في الكتاب ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ فكيف يقولون سيغفر لنا ـ وهم مرتكبون للمعاصي ـ ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ أي قرأوا ما في الكتاب (١).

[٢] **(بما لم يحيطوا بعلمه):**

في التبيين(٢): بالقرآن قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي بعد لم يفهموا معانيه وحقائقه.

[٣] **(قومهم إذا رجعوا إليهم):**

في التبيين(٣): ﴿وَمَا كَانَ﴾ نهي في صيغة نفي ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟﴾ يخرجوا من بلادهم إلى المدينة ﴿كَآفَّةً﴾ جميعاً ﴿فَلَوْلَا﴾ تحريض، أي فلماذا ما ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ جماعة ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ أفراد ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ أي يتفهموا تلك الطائفة ﴿فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟﴾ يخوفوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بعذاب الله إذا ارتكبوا المعاصي ﴿إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عما أنذروا.

---

(١) التبيين: ص١٨٤.
(٢) التبيين: ص٢٢٥.
(٣) التبيين: ص٢١٨.

عند ذلك بمنزلة البهائم، ومنزلة أهل الضرر والزمانة، ولو كانوا كذلك لما بقوا طرفة عين[١]، فلمّا لم يجز بقاؤهم إلّا بالأدب والتعليم، وجب أنّه لا بدّ لكلّ صحيح الخلقة، كامل الآلة من مؤدّب ودليل، ومشير، وآمر، وناهٍ، وأدب، وتعليم، وسؤال، ومسألة. فأحقُّ ما اقتبسه العاقل، والتمسه المتدبّر الفطن، وسعى له الموفّق المصيب: العلم بالدين، ومعرفة ما استعبد الله به خلقه[٢] من توحيده، وشرائعه وأحكامه، وأمره ونهيه وزواجره وآدابه، إذ كانت الحجّة ثابتة، والتكليف لازماً، والعمر يسيراً، والتسويف غير مقبول، والشرط من الله جلّ ذكره فيما استعبد به خلقه أن يؤدّوا جميع فرائضه بعلم ويقين وبصيرة[٣]، ليكون المؤدّي لها محموداً عند ربّه، مستوجباً لثوابه، وعظيم جزائه، لأنَّ الّذي يؤدّي بغير علم وبصيرة، لا يدري ما يؤدّي، ولا يدري إلى مَن يؤدّي، وإذا كان جاهلاً لم يكن على ثقة ممّا أدّى، ولا مصدّقاً، لأنَّ المصدِّق لا يكون مصدِّقاً

---

[١] **(لما بقوا طرفة عين):**

لأنَّ وجودهم كان يتحول إلى عبث، والله تعالى عن العبث قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾(١).

[٢] **(استعبد الله به خلقه):**

أي أراد عبادته عن ذلك الطريق وأمر الخلق بذلك.

[٣] **(بعلم ويقين وبصيرة):**

كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٢).

والعلم واليقين والبصيرة متقاربة المعنى والفرق اعتباري، فالعلم: الانكشاف، واليقين: العلم المطابق للواقع، والبصيرة: العلم الموجب لرؤية الحق.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

حتّى يكون عارفاً بما صدَّق به من غير شكّ ولا شبهة، لأنَّ الشاكّ لا يكون له من الرغبة والرهبة والخضوع[١] والتقرُّب مثل ما يكون من العالم المستيقن، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] فصارت الشهادة مقبولة لعلّة العلم والشهادة، ولولا العلم بالشهادة، لم تكن الشهادة مقبولة، والأمر في الشاكّ المؤدّي بغير علم وبصيرة، إلى الله جلَّ ذكره، إن شاء تطوّل عليه فقبل عمله، وإن شاء ردّ عليه[٢]، لأنّ الشرط عليه من الله أن يؤدّي المفروض بعلم وبصيرة ويقين، كيلا يكونوا ممّن وصفه الله فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ[٣]﴾ [الحج: ١١] لأنّه كان داخلاً فيه بغير علم ولا يقين، فلذلك صار خروجه بغير علم ولا يقين، وقد

---

[١] (الرغبة والرهبة والخضوع):

الرغبة في الشيء: الميل إليه، والرهبة: الخوف القلبي، والخضوع: الانقياد والتذلل.

[٢] (وإن شاء ردّ عليه):

ومقتضى حديث الرفع عدم معاقبته إذا أدَّى العمل صحيحاً، منّة من الله تعالى على العباد.

[٣] (ذلك هو الخسران المبين):

في التبيين(١): ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ طرف من الدِّين لا على كل الأوجه والتقلبات ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ نعمة ورخاء ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ بسببه، على عبادة الله ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ محنة وبلاء ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ عاد إلى كفره كمن سقط على وجهه ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا﴾ بفقد فوائد الإسلام ﴿وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ بالعذاب ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ الواضح.

---

(١) التبيين: ص٣٤٥.

قال العالم عليه السلام[١]: «مَن دخل في الإيمان بعلم، ثبت فيه، ونفعه إيمانه، ومَن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل منه»، وقال عليه السلام: «مَن أخذ دينه من كتاب الله وسنّة نبيّه صلوات الله عليه وآله زالت الجبال قبل أن يزول[٢] ومَن أخذ من أفواه الرجال ردّته الرجال[٣]»، وقال عليه السلام: «مَن لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكّب الفتن[٤]».

ولهذه العلّة[٥] انبثقت على أهل دهرنا بثوق هذه الأديان الفاسدة[٦]، والمذاهب المستشنعة الّتي قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلّها، وذلك[٧]

---

[١] **(وقد قال العالم عليه السلام):**
المعروف أنَّ «العالم» اصطلاح في الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ولكن في مرآة العقول(١): أي المعصوم، وتخصيصه بالكاظم عليه السلام غير معلوم!

[٢] **(زالت الجبال قبل أن يزول):**
أي لا يزول دينه كما لا تزول الجبال، فهو تعليق على المحال لزيادة المبالغة.

[٣] **(ردّته الرجال):**
أي عن الحق إلى الباطل.

[٤] **(لم يتنكَّب الفتن):**
«التنكّب» العدول، والمعنى لم يعدل عن الفتن بل يسقط فيها.

[٥] **(ولهذه العلة):**
أي لأجل أخذ الدين من أفواه الرجال ولعدم معرفة أمرهم عليهم السلام من القرآن.

[٦] **(هذه الأديان الفاسدة):**
«انبثقت» أي جرت، بمعنى انتشرت، والفاعل الضمير الراجع إلى «الفتن»، و«بثوق» مفعول مطلق، أي جرت الفتن كجريان الأديان الفاسدة والمذاهب المستشفة.

[٧] **(وذلك):**
أي الأخذ من الكتاب والسُّنَّة أو من أفواه الرجال، وكذلك معرفة أمرهم من

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص١٩.

بتوفيق الله تعالى وخذلانه[١]، فمن أراد الله توفيقه وأن يكون إيمانه ثابتاً مستقرّاً، سَبّب له الأسباب الّتي تؤدّيه إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله وسنّة نبيّه صلوات الله عليه وآله بعلم ويقين وبصيرة، فذاك أثبت في دينه من الجبال الرواسي[٢]، ومَن أراد الله خذلانه وأن يكون دينه معاراً مستودعاً ـ نعوذ بالله منه ـ سبّب له أسباب الاستحسان والتقليد والتأويل من غير علم وبصيرة، فذاك في المشيئة، إن شاء الله تبارك وتعالى، أتمَّ إيمانه، وإن شاء سلبه إيّاه، ولا يؤمن عليه أن يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، لأنّه كلّما رأى كبيراً من الكبراء مال معه، وكلّما رأى شيئاً استحسن ظاهره قبله، وقد قال العالم عليه السلام: «إنَّ الله [عزّ وجلّ] خلق النبيّين على النبوّة، فلا يكونون إلَّا أنبياء، وخلق الأوصياء على الوصيّة، فلا يكونون إلَّا أوصياء، وأعار قوماً إيماناً فإن شاء تمّمه لهم، وإن شاء سلبهم إيّاه؛ قال: وفيهم قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ[٣]﴾ [الأنعام: ٩٨].

القرآن أو عدم معرفته منه.

[١] **(بتوفيق الله وخذلانه):**

والإنسان نفسه سبب للتوفيق أو الخذلان، فهو يهيىء المقدمات التي تسبّب توفيق الله أو خذلانه له.

[٢] **(الجبال الرواسي):**

«الراسية»: الثابتة.

[٣] **(قوله: فمستقرٌ ومستودعٌ):**

وهذا تأويل الآية الشريفة، فإيمان البعض مستقر أي ثابت وإيمان آخرين مستودع أي مستعار ويسترجع منهم، وذلك لأن كل مولود يولد على الفطرة أي على الإيمان الذي أودعه الله في فطرة كل إنسان.

وأما تفسير الآية ففي التبيين(١): فلكم مستقر في الأرض ومستودع في الصلب، أو المستقر في الآخرة والمستودع في الدُّنيا.

---

(١) التبيين: ص١٥٢.

وذكرت أنَّ أُموراً قد أشكلت عليك، لا تعرف حقائقها لاختلاف الرواية فيها، وأنّك تعلم أنَّ اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها وأسبابها[١]، وأنّك لا تجد بحضرتك من تذاكره وتفاوضه ممّن تثق بعلمه فيها، وقلت: إنّك تحبُّ أن يكون عندك كتاب كافٍ يجمع [فيه] من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلّم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه مَن يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام[٢] والسنن القائمة الّتي عليها العمل، وبها يؤدى

---

[١] **(لاختلاف عللها وأسبابها):**
أي إنَّ اختلاف الرواية في تلك الأُمور إنما هو بسبب اختلاف علل تلك الأُمور، أو لاختلاف علل الرواية، كالتقية أو العموم والخصوص أو النسخ ونحو ذلك.
وفي هذا الكلام إشارة لطيفة إلى صحة هذه الروايات، لكن أُشكل الأمر على السائل لعدم معرفته بالعلل والأسباب، فتأمل.

صحة ما في الكافي

[٢] **(بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام):**
قال العلامة المجلسي رضوان الله عليه(١): والحق عندي فيه: أنَّ وجود الخبر في أمثال تلك الأُصول المعتبرة ممَّا يورث جواز العمل به، لكن لا بد من الرجوع إلى الأسانيد لترجيح بعضها على بعض عند التعارض، فإنَّ كون جميعها معتبراً لا ينافي كون بعضها أقوى.
وقال أيضاً: نعم عدم إنكار القائم وآبائه (صلوات الله عليه وعليهم)، عليه وعلى أمثاله في تأليفاتهم ورواياتهم، ممَّا يورث الظن المتاخم للعلم بكونهم عليهم السلام راضين بفعلهم ومجوزين للعمل بأخبارهم. انتهى
وعن المحقّق النائيني رحمه الله: إنَّ المناقشة في إسناد روايات الكافي حرفة العاجز(٢):
ثم اعلم أنَّ الصحة ـ حسب اصطلاح المتقدمين ـ هو ما ثبت صدور الخبر

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص٢٢.
(٢) نقله عنه في: (معجم رجال الحديث، ج١ ص٨١.

عن المعصومين عليهم السلام بالقرائن المفيدة للعلم، وهذا يختلف عن اصطلاح المتأخرين وهو ما كان رجال السند كلهم عدول إماميون ضابطون، وهو اصطلاح نُسب إلى العلامة الحلي رحمه الله، أو أستاذه ابن طاوُس رحمه الله، ولكن لا يمكن إثبات صحة حديث ـ حسب هذا الاصطلاح ـ لأنَّ الرجاليين ذكروا الوثاقة ولم يذكروا العدالة، وبين العدالة والوثاقة عموم مطلق (أو من وجه)، فقد يكون الراوي ثقة وصدوقاً لكنَّه غير عادل، فتأمل.

ثم إنَّ العمدة في التوثيق والتضعيف: رجال النجاشي رحمه الله وكتابا الشيخ رحمه الله، فقد قيل بأنَّهما اعتمدا على الحس!

أقول: ويمكن قبول هذا الادعاء فيمن كان معاصراً لهما أو قريباً لعصرهما، ومن البعيد جداً أن تكون توثيقاتهم بالحس لمن بعد عن عهدهم بثلاثمائة سنة ـ مثلاً ـ كأصحاب الصادقين عليهما السلام، والمرجح أنَّ تلك التوثيقات كانت بالحدس أيضاً، لا أقل من احتماله قوياً.

وحينئذٍ فلا دليل على ترجيح توثيقهما أو تضعيفهما على تصحيح الكليني والصدوق وأمثالهما لما في كتبهم.

بل الأظهر ترجيح تصحيح الكليني لما في «الكافي» والصدوق لما في «الفقيه» على التضعيف أو الإهمال من النجاشي أو الطوسي وذلك لعدم التعارض بينهما، حيث لا منافاة بين ضعف الراوي أو جهالته وبين صدق ما نقله لقيام القرائن على صحة نقله. ثم إنَّ قول الكليني رضوان الله عليه (بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهما السلام والسُّنن القائمة التي عليها العمل) حيث دلَّ على أنَّ ما رواه من السُّنن كان معمولاً بها في عصره وقبل عصره، ومن المعلوم أنَّ المشهور هو: «أنَّ الشهرة كاسرة وجابرة»، أي الضعيف الذي عمل به المشهور يكون معتبراً، والصحيح الذي أعرض عنه المشهور يكون ضعيفاً غير معتبر، وعلى هذا طريقة العقلاء، فيكون المعتمد وذلك لأنَّ طرق الطاعة تعتمد على بناء العقلاء، ولم يجعل الشارع طريقة خاصة في طرق الطاعة والمعصية، بل أمضى ما عليه العقلاء.

ثم لو فرض اعتماد النجاشي والشيخ على الحس ـ حتى لمن بعد عهده عنهم ـ، فإنَّ توثيقهما أو تضعيفهما يكون من باب الشهادة، والمشهور لزوم

فرض الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه ﷺ، وقلت: لو كان ذلك رجوت أن يكون ذلك سبباً يتدارك الله [تعالى] بمعونته وتوفيقه إخواننا وأهل ملّتنا، ويقبل بهم إلى مراشدهم.

فاعلم يا أخي أرشدك الله، أنّه لا يسع أحداً تمييز شيء ممّا اختلف الرِّواية فيه عن العلماء برأيه، إلّا على ما أطلقه العالم[١] بقوله عليه السلام: «اعرضوها على كتاب الله فما وافى كتاب الله عزّ وجلّ فخذوه، وما خالف كتاب الله فردُّوه» وقوله عليه السلام: «دعوا ما وافق القوم فإنَّ الرشد في خلافهم». وقوله عليه السلام: «خذوا بالمجمع عليه، فإنَّ المجمع عليه لا ريب فيه» ونحن لا نعرف من جميع ذلك إلّا أقلّه[٢].

شهادة عدلين ولا يكتفى بقول الثقة الواحد، وقل ما يوثّقان شخصاً معاً، بل غالب التوثيقات انفرد بها النجاشي، فعلى هذا المبنى يكون الاعتماد على كلامه من باب الانسداد أو ما يعبّر عنه بالظنون الرجالية، وعليه فكل ظن يكون حجة نعم لو قلنا بعدم حجية الانسداد الصغير، أو قلنا بأنَّ التوثيق والتضعيف من باب الخبر ويكفي فيه قول الثقة الواحد، فلا يمكن الاستدلال بهذا الوجه، فتأمل.

والحاصل: أنَّ الظاهر هو اعتبار كل ما في الكافي الشريف أي جواز العمل بما فيه، لكن الاعتبار لا ينافي وجود روايات أصح، ـ كما في تعارض الصحاح ـ وعليه فالترجيح يكون للأقوى سنداً أو دلالة أو حجة أو ما عمل به المشهور أو غيرها من المرجحات. والله العالم.

[١] **(إلا على ما أطلقه العالم):**

حاصل مختار الكليني رضوان الله عليه في اختلاف الأخبار هو أنَّ الترجيح يكون بأمور ثلاثة:

١ ـ ترجيح ما وافق القرآن على ما خالفه.

٢ ـ ترجيح ما خالف العامة على ما وافقهم.

٣ ـ الترجيح بالشهرة الروائية.

[٢] **(من جميع ذلك إلا أقلّه):**

أي لا نعرف من جميع تلك المرجحات إلا بالمقدار الأقل.

وذلك لأنَّ العرض على القرآن لا يمكن إلا بمعرفة الكتاب وفهم ظاهره وباطنه،

ولا نجد شيئاً أحوط ولا أوسع[١] من ردّ علم ذلك كلّه إلى العالم عليه السلام وقبول ما وسّع من الأمر فيه بقوله عليه السلام: «بأيّما أخذتم من باب التسليم وسعكم».

وقد يسّر الله ـ وله الحمد ـ تأليف ما سألت، وأرجو أن يكون بحيث توخّيت فمهما كان فيه من تقصير فلم تقصر نيّتنا في إهداء النصيحة[٢]، إذا

وأكثر الأخبار المتعارضة إنما هي في التفاصيل التي لا توجد في ظاهر الكتاب.

وأما الترجيح بما خالف العامة، فلا يتيسر عادة لكثرة الاختلاف بينهم، بحيث لا تخلو الروايات المتعارضة من موافق من العامة، كما أنَّه يتوقف على معرفة القول الذي كان للعامة في زمن صدور الحديث، بل معرفة القول الذي كان للحاكم أو القاضي العامي في المكان الذي كان فيه الإمام عليه السلام، وكل ذلك متعسر عادة.

وأما الترجيح بالشهرة الروائية، فإنَّ أكثر الروايات المتعارضة توجد في بعض الأُصول دون بعض ممَّا لا يحصل به الشهرة الروائية، كما لا تخفى على من راجع الاستبصار.

ثم إنَّه سيأتي معنى الموافق للكتاب والمخالف له في (باب اختلاف الحديث) إن شاء الله تعالى.

[١] **(أحوط ولا أوسع):**

أما كونه أحوط فلأنَّه عمل بالأخبار الدالة على التخيير، ولأنَّ الأمر دائر ـ عادة ـ بين تركهما معاً أو العمل بأحدهما، وفي تركهما معاً مخالفة قطعية وفي العمل بأحدهما مخالفة احتمالية، والثاني أحوط. فتأمل

أما كونه أوسع فبمعنى جعل الناس في سعة من الأمر فيختاروا ما يناسبهم.

ثم إنَّ المجتهد هو الذي يتخيَّر، والتخيير ابتدائي لا استمراري ـ وتفصيل ذلك موكول إلى أُصول الفقه ـ.

[٢] **(إهداء النصيحة):**

«النصح» هو الخلوص، ونصحت له بمعنى أخلصت النية له، ويقال للمرشد ناصح لأنَّه يرشد الغير إلى الصلاح من غير أن تشوب النية بمصالح ونحوها.

كانت واجبة لإخواننا وأهل ملّتنا، مع ما رجونا أن نكون مشاركين لكلّ مَن اقتبس منه، وعمل بما فيه[١] في دهرنا هذا، وفي غابره إلى انقضاء الدنيا، إذ الربّ جلّ وعزّ واحدٌ، والرسول محمّد خاتم النبيّين ـ صلوات الله وسلامه عليه وآله ـ واحد، والشريعة واحدة، وحلال محمّد حلال وحرامه حرام إلى يوم القيامة، ووسَّعنا قليلاً كتاب الحجّة وإن لم نكمّله على استحقاقه، لأنّا كرهنا أن نبخس حظوظه كلّها.

وأرجو أن يسهّل الله جلّ وعزَّ إمضاء ما قدّمنا من النيّة، إن تأخّر الأجل صنّفنا كتاباً أوسع وأكمل منه، نوفّيه حقوقه كلّها إن شاء الله تعالى، وبه الحول والقوّة، وإليه الرغبة في الزيادة في المعونة والتوفيق. والصلاة على سيّدنا محمّد النبيّ وآله الطاهرين الأخيار.

وأوّل ما أبدأ به وأفتتح به كتابي هذا كتاب العقل، وفضائل العلم، وارتفاع درجة أهله، وعلو قدرهم، ونقص الجهل، وخساسة أهله، وسقوط منزلتهم، إذ كان العقل هو القطب الّذي عليه المدار وبه يحتجّ وله الثواب، وعليه العقاب، (والله الموفّق).

---

[١] **(اقتبس منه وعمل بما فيه):**
لما روي أنَّ (الدال على الخير كفاعله)(١)، و(من سنَّ سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)(٢) وغيرها كثير.

---

(١) مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٣٨٠، ح٥٨١٣.

(٢) التهذيب: ج٦، ص١٢٤، ح١، باب ٥٥.

كتاب العقل والجهل

١ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ[١] قَالَ: حَدَّثَنِي عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ[٢]

الحديث الأول:

[١] **(أخبرنا أبو جعفر محمد بن يعقوب):**

من دأب المؤلفين تصدير الكتاب ـ وحتى بعض الأبواب ـ بأسمائهم.

[٢] **(لما خلق الله العقل):**

العقل في الأصل بمعنى المنع، ومنه «عَقَل البعيرَ» إذا شدَّ يديه بالحبل ليمنعه من الحركة، ولأنَّ عقل الإنسان يمنعه من الانسياق وراء الشهوات أو المضار أو نحوها لذلك سُمِّي بالعقل.

ومعنى العقل: القوة التي يدرك بها الخير والشر والتمييز بينهما والتمكن من معرفة أسباب الأُمور وموانعها ونحو ذلك.

ثم بعد الإدراك يدعو العقل إلى اختيار الخيرات والمنافع واجتناب الشرور والمضار.

والناس يستعملون العقل في نظام أُمورهم ومعاشهم، فإن وافقت تلك الأُمور الشرع سُمِّي بعقل المعاش، وإن استعملت في الأمور الباطلة والحيل الفاسدة سُمِّي بالنكراء والشيطنة ـ كما سيأتي في الحديث الثالث ـ.

وهذا معنى العقل وبعض آثاره وكيفية استعماله، وأما المعاني المختلفة المذكورة للعقل فاختلافهما بالاعتبارات أو بالنظر إلى الآثار وإلا فكلها ترجع إلى المعنى المذكور.

قال العلامة المجلسي رضوان الله عليه(١): (ما ذهب إليه الفلاسفة ـ يعني في

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص٢٧.

اسْتَنْطَقَهُ[٣] ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ[٤].

معنى العقل ـ وأثبتوه بزعمهم «من جوهر قديم لا تعلق له بالمادة ذاتاً ولا فعلاً»، والقول به كما ذكروه مستلزم لإنكار كثير من ضروريات الدين من حدوث العالم وغيره مما لا يسع المقام ذكره.

وبعض المنتحلين منهم للإسلام «أثبتوا عقولاً حادثة» وهي على ما أثبتوها مستلزمة لإنكار كثير من الأُصول المقررة الإسلامية، مع أنَّه لا يظهر من الأخبار وجود مجرد سوى الله تعالى).

ثم قال رحمة الله عليه: (وليس لهم على هذه الأمور دليل، إلا ممَّوهات شبهات، أو خيالات غريبة، زينوها بلطائف عبارات).

[٣] **(استنطقه):**

أي جعله ذا نطق وكلام ثم أمره بالتكلم.

ففي الخصال للصدوق رضوان الله عليه(١): عن رسول الله ﷺ: «ثم قال عزَّ وجلَّ له ـ يعني العقل ـ أدبِر فأدبر، ثم قال له أقبِل فأقبل، ثم قال له تكلَّم، فقال: الحمد لله الذي ليس له ضد ولا ندّ ولا شبيه ولا كفو ولا عديل ولا مثل، الذي كل شيء لعظمته خاضع ذليل...» الحديث(٢).

[٤] **(أدبر فأدبر):**

أمر العقل بالإقبال والإدبار، إما لأجل التكليف والإطاعة، للإشارة إلى أنَّ العقل أول من كُلّف وأول من أطاع، فعلى هذا الإقبال والإدبار بمعنييهما الحقيقيين، أي الذهاب والإياب.

ومع إمكان الحمل على المعنى الحقيقي ـ بما بيَّناه ـ، فإنَّه لا داعي للحمل على المعنى المجازي من غير قرينة.

فقد قيل إنَّه استعارة تمثيلية لبيان أنَّ مدار التكاليف والكمالات على العقل، أو أنَّ الاستنطاق هو جعله قابلاً لكونه وسيلة لتحصيل الدُّنيا والآخرة

---

(١) الخصال: ص٤٢٧.

(٢) ولمراجعة كل الحديث يُراجع الوافي: ج١، ص٥٦ عن الخصال والعلل والمحاسن مع اختلاف يسير.

ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، وَلَا أَكْمَلْتُكَ[٥] إِلَّا فِيمَنْ أُحِبُّ[٦]، أَمَا إِنِّي إِيَّاكَ آمُرُ، وَإِيَّاكَ

والسعادة والشقاء، أو أنَّ الإقبال هو إلى الحق من التصديق بالألوهية وغير ذلك، والإدبار هو عن الباطل، ونحو ذلك.

فإنَّ هذه الأمور لا شك في أنَّها حق، لكن لا يمكن الإعراض عن ظاهر الحديث إليها من غير دليل. فتأمل.

[٥] **(ولا أكملتك):**

إنَّ أقل درجات العقل هي مناط أصل التكليف، وبتلك الدرجة يتميّز العقلاء عن المجانين.

وللعقل درجات، فبعض الناس أكثر عقلاً من بعض، فإن كان أقل من المتعارف كان الحمق والبله والسفه، وهي درجات في قلة العقل.

والمقدار المتعارف موجود في غالب الناس، ويمكن زيادة العقل ـ بشرط الاستعداد ـ بالعلم والعمل، فكلما سعى الإنسان إلى تحصيل ما ينفعه وعمل بعلمه ازداد عقلاً، فلذا كان العاقل واللبيب والفَطِن ونحوها.

وباختلاف درجات العقل تختلف التكاليف، وكلما كان العقل أكثر كانت التكاليف أشد، وكلما كان أقل كانت التكاليف أقل قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾(٢).

[٦] **(إلا فيمن أحب):**

فكلما ازداد حب الله تعالى لشخص زاده عقلاً، ولأن أحب الخلق إلى الله تعالى رسوله محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، فإنَّهم العقل الكامل من كل الجهات.

بل قد يُستفاد من الجمع بين الأخبار أنَّ «العقل المخلوق أولاً» تأويله برسول الله ﷺ.

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

فقد روي: «إنَّ أول ما خلق الله نور رسول الله ﷺ»[١].

قال العلامة المجلسي رضوان الله عليه[٢]: (فاستمع لما يُتلى عليك من الحق الحقيق بالبيان، وبأن لا يبالي بما يشمئز عنه من نواقص الأذهان:

فاعلم: أنَّ أكثر ما أثبتوه لهذه العقول[٣] قد ثبت لأرواح النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام - في أخبارنا المتواترة - على وجه آخر:

فإنَّهم أثبتوا القدم للعقل: وقد ثبت التقدم في الخلق لأرواحهم إما على جميع المخلوقات، أو على سائر الروحانيين - في أخبار متواترة -.

وأيضاً أثبتوا لها التوسط في الإيجاد أو الاشتراط في التأثير، وقد ثبت في الأخبار كونهم علّة غائية لجميع المخلوقات، وأنَّه لولاهم لما خلق الله الأفلاك وغيرها.

وأثبتوا لها كونها وسائط من إفاضة العلوم والمعارف على النُّفوس والأرواح، وقد ثبت في الأخبار أنَّ جميع العلوم والحقائق في المعارف بتوسطهم يفيض على سائر الخلق حتى الملائكة والأنبياء.

والحاصل أنَّه قد ثبت بالأخبار المستفيضة: أنَّهم عليهم السلام الوسائل بين الخلق وبين الحق في إفاضته جميع الرحمات والعلوم والكمالات على جميع الخلق، فكلما يكون التوسل بهم والإذعان بفضلهم أكثر، كان فيضان الكمالات من الله تعالى أكثر.

ولما سلكوا - يعني الفلاسفة - سبيل الرياضيات والتفكرات مستبدين بآرائهم على غير قانون الشريعة المقدَّسة، ظهرت عليهم حقيقة هذا الأمر ملبساً مشبّهاً فأخطؤوا في ذلك، وأثبتوا عقولاً، وتكلموا في ذلك فضولاً). انتهى.

أقول: ويمكن أن يكون أصل كلامهم أخذوه من الأنبياء، لكنهم زادوا ونقصوا، فصار مشوَّهاً إلى أبعد الحدود ومحرّفاً كتحريف الشرائع المنسوخة، والكتب السماوية السابقة.

---

(١) انظر، البحار: ج١٦، ص٤٠٦، ح١، باب١٢.

(٢) مرآة العقول: ج١، ص٢٩.

(٣) يعني العقول العشرة.

أَنْهَى[٧]، وَإِيَّاكَ أُعَاقِبُ، وَإِيَّاكَ أُثِيبُ[٨].

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ، عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: هَبَطَ جَبْرَئِيلُ عَلَى آدَمَ عليه السلام[١] فَقَالَ: يَا آدَمُ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُخَيِّرَكَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ فَاخْتَرْهَا وَدَعِ اثْنَتَيْنِ. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: يَا جَبْرَئِيلُ وَمَا الثَّلَاثُ؟ فَقَالَ: الْعَقْلُ وَالْحَيَاءُ وَالدِّينُ[٢]. فَقَالَ آدَمُ: إِنِّي قَدِ اخْتَرْتُ الْعَقْلَ. فَقَالَ جَبْرَئِيلُ

---

[٧] **(إياك آمر وإياك أنهى):**
أي التكليف لأجل وجود العقل، ولولا العقل لم يكن تكليف، وهذا مبالغة في اشتراط التكليف بالعقل، وفي بعض الأخبار (بك آمر وبك أنهى).

[٨] **(وإياك أثيب):**
فالثواب والعقاب بمقدار العقل، حيث إنَّه مناط التكليف فهو مدار الثواب والعقاب، بل مقدارهما يرتبط بمقدار العقل ـ كما سيأتي في الحديث الثامن ـ إن شاء الله تعالى.

الحديث الثاني:

[١] **(هبط جبرئيل على آدم):**
لعل ذلك كان في بداية خلق آدم عليه السلام حينما أراد الله تعالى تسويته جسماً ومعنىً، أو إنَّ آدم عليه السلام كان يمتلك الثلاثة فجاء جبرئيل عليه السلام يخيِّره بينهما.
وكأنَّ الغرض من ذلك التنبيه إلى أنَّ العقل يستلزم الدين والحياء، فمن لا دين له لا عقل له، كما أنَّ من لا حياء له لا عقل له أيضاً، مضافاً إلى كشف كمال عقل آدم عليه السلام.

[٢] **(العقل والحياء والدين):**
«الحياء» هو الخوف من الظهور بمظاهر النقص حتى لا يلحقه الذم، و«الدين» هو النهج الذي عليه الإنسان ـ عقيدة وعملاً ـ، والمراد به هنا الدين الحق أي العقائد الحقّة والشريعة الإلهية.

لِلْحَيَاءِ وَالدِّينِ: انْصَرِفَا وَدَعَاهُ. فَقَالَا: يَا جَبْرَئِيلُ إِنَّا أُمِرْنَا أَنْ نَكُونَ مَعَ الْعَقْلِ حَيْثُ كَانَ[٣]، قَالَ: فَشَأْنَكُمَا وَعَرَجَ[٤].

٣ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا الْعَقْلُ؟ قَالَ: مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَاكْتُسِبَ بِهِ الْجِنَانُ[١]. قَالَ: قُلْتُ: فَالَّذِي كَانَ فِي مُعَاوِيَةَ؟ فَقَالَ: تِلْكَ

---

[٣] **(مع العقل حيث كان):**

لعل تخيير آدم عليه السلام بين هذه الثلاثة ـ دون غيرها ـ لأجل ارتباط سعادة الإنسان بها، ورجوع كل صفات الكمال إليها، فبالعقل يميّز الإنسان بين الخير والشر، وبالحياء يمتنع الإنسان عن ارتكاب النقائص، وبالدين ينظم الإنسان حياته.

فالعقل يرتبط بالجهة النظرية، والحياء والدين مرتبطان بالجهة العملية.

[٤] **(فشأنكما وعرج):**

«الشأن»: الحال، أي الزما شأنكما، فكونا على الحالة التي أنتما عليها ـ من ملازمة العقل ـ.

و«العروج» الصعود، فرجع جبرئيل عليه السلام إلى مكانه وتركهما مع العقل في آدم عليه السلام.

الحديث الثالث:

[١] **(ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان):**

لأنّ العقل ـ كما مرّ ـ يدعو إلى اختيار الخيرات والمنافع واجتناب الشرور والمضار، وعبادة الله تعالى رأس كل الخيرات، واكتساب الجنان نفع ليس فوقه شيء، فمن يترك المنفعة الأبدية لتحصيل شهوات زائلة موقتة ليس بعاقل البتة، كمن يعلم بأنّ الطعام مسموم ولكنّه يأكله ليلتذ به دقائق معدودة تنتهي إلى ألم شديد ثم موت، فإنّه لا يُعَدُّ عاقلاً. قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾(١) ومن المعلوم أنّ ملّة إبراهيم عليه السلام هي

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٠.

النَّكْرَاءُ! تِلْكَ الشَّيْطَنَةُ[٢]، وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالْعَقْلِ، وَلَيْسَتْ بِالْعَقْلِ[٣].

العقيدة السليمة (عبادة الرحمٰن)، والعمل الصالح (اكتساب الجنان)، والذي يرغب عنها سفيه لا عقل له.

و«عبادة الرحمن» أداء حق، و«اكتساب الجنان» تحصيل نفع، أو أنَّ العبادة الناشئة عن المعرفة عقل نظري، واكتساب الجنة عقل عملي.

[٢] **(تلك النكراء تلك الشيطنة):**

«النكراء» الدهاء في الباطل، ومنشؤها تسويلات الشيطان ولذا سُمِّيت بالشيطنة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾(١).

ومعاوية وإن كان داهية واستعمل دهاءه في تأسيس ملك له ولبني أمية، لكنَّه تمتع قليلاً واكتسب عذاباً أبدياً، وهذا ليس من العقل أصلاً.

[٣] **(شبيهة بالعقل وليست بالعقل):**

أما تشبيهها بالعقل فلأجل أنها تدعو إلى جرّ المنافع، وأما أنَّها ليست بالعقل فلأنَّ تلك المنافع موقتة زائلة يتوصل إليها بالباطل وبجنود الجهل، وأما العقل فإنَّه يدعو إلى التوصل إلى المنافع الحقيقية الأبدية التي يتوصل إليها بجنوده وهي الحق، قال تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٣)، وقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٥).

---

(١) سورة النور: الآية ٢١.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٢.
(٣) سورة القصص: الآية ٦٠.
(٤) سورة الملك: الآية ١٠.
(٥) سورة الزمر: الآية ١٨.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ، قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: صَدِيقُ كُلِّ امْرِئٍ عَقْلُهُ، وَعَدُوُّهُ جَهْلُهُ[١].

٥ ـ وَعَنْهُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام إِنَّ عِنْدَنَا قَوْماً لَهُمْ مَحَبَّةٌ[١]، وَلَيْسَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْعَزِيمَةُ[٢] يَقُولُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ؟ فَقَالَ: لَيْسَ أُولَئِكَ مِمَّنْ عَاتَبَ اللَّهُ[٣] إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢][٤].

الحديث الرابع:

[١] **(وعدوّه جهله):**
لأنَّ الصديق هو من يحبّ الخير لصديقه ويحاول إيصاله إليه، والعدو هو من يحبّ ويريد الشر لعدوه، والعقل والجهل كذلك، بل العقل أصل كل خير، والجهل أصل كل شرّ.

الحديث الخامس:

[١] **(لهم محبة):**
أي يحبون الأئمّة عليهم السلام.

[٢] **(وليست لهم تلك العزيمة):**
أي ليس لهم الاعتقاد الراسخ الناشىء عن الدليل، بل محبتهم فطرية أو باتباع الآباء، وذلك لقصورهم عن الاستدلال، وهم المستضعفون القاصرون عن التمييز التام بين الحق والباطل.

[٣] **(ممن عاتب الله):**
«العتاب» هو اللوم على ترك حق أو تكليف، وهو في الأصل بمعنى طلب الرضى لأن من يعاتب إنما يطلب الرضا.

[٤] **(فاعتبروا يا أولي الأبصار):**
«الاعتبار» هو الاستدلال بما يشاهدون، فيأخذون العبرة منه، و«الأبصار»

٦ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الرَّازِيِّ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَنْ كَانَ عَاقِلاً كَانَ لَهُ دِينٌ[١]، وَمَنْ كَانَ لَهُ دِينٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّمَا يُدَاقُّ[١] اللَّهُ الْعِبَادَ فِي الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى قَدْرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ

يراد به البصائر بمعنى العقول.

والحاصل أنَّ من قلَّ عقله إذا كان على المنهج الصواب فإنَّه لا يعاتب ولا يعاقب على تركه الاستدلال، وذلك لقصوره عن ذلك، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١).

وهؤلاء المحبون، اتبعوا الحق، لكنَّهم تركوا واجباً ـ وهو الاستدلال ـ، لكن لم يكن ذلك عن عمد أو تقصير، فلذا سقط عنهم هذا الواجب، لأنَّ شرط التكليف القدرة، والقاصر عاجز.

الحديث السادس:

[١] **(كان له دين):**

لأنَّ الدين يجلب للإنسان أهم المنافع الأبدية ويجنبِّه أكبر الشرور، والعقل القوة التي يدرك بها الخير والشر والتمييز بينهما، وقد مرَّ بعض الكلام في شرح الحديث الثالث.

الحديث السابع:

[١] **(يداق):**

من باب المفاعلة، من الدقة، والمعنى محاسبتهم بشكل مفصَّل ودقيق.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

الْعُقُولِ فِي الدُّنْيَا[٢].

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَحْمَرِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فُلَانٌ مِنْ عِبَادَتِهِ وَدِينِهِ وَفَضْلِهِ[١]؟ فَقَالَ: كَيْفَ عَقْلُهُ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ: إِنَّ الثَّوَابَ عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ، إِنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، خَضْرَاءَ نَضِرَةٍ[٢] كَثِيرَةِ الشَّجَرِ ظَاهِرَةِ الْمَاءِ[٣]، وَإِنَّ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَرَّ بِهِ فَقَالَ: يَا رَبِّ أَرِنِي ثَوَابَ عَبْدِكَ هَذَا، فَأَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ، فَاسْتَقَلَّهُ الْمَلَكُ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: أَنِ اصْحَبْهُ. فَأَتَاهُ الْمَلَكُ فِي صُورَةِ إِنْسِيٍّ فَقَالَ

---

[٢] (من العقول في الدنيا):

لأنَّ التكاليف على مراتب العقول، فالأكثر عقلاً أشد تكليفاً والأقل عقلاً أخفّ تكليفاً قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(١).

وهذا أيضاً من دأب العقلاء فإنَّهم يأمرون الأكثر فهماً بما لا يأمرون غيره، ويحاسبونه بما لا يحاسبون الأقل فهماً.

الحديث الثامن:

[١] (ودينه وفضله):

والخبر محذوف أي كذا وكذا.

[٢] (نضرة):

«النضرة» الحسن الظاهر.

[٣] (ظاهرة الماء):

أي كان ماؤها جارياً على وجه الأرض مما يزيدها حسناً.

---

(١) سورة النساء: الآيتان ٩٨ ـ ٩٩.

لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا رَجُلٌ عَابِدٌ بَلَغَنِي مَكَانُكَ وَعِبَادَتُكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَأَتَيْتُكَ لِأَعْبُدَ اللَّهَ مَعَكَ، فَكَانَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ الْمَلَكُ: إِنَّ مَكَانَكَ لَنَزِهٌ[٤]، وَمَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْعِبَادَةِ، فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: إِنَّ لِمَكَانِنَا هَذَا عَيْباً. فَقَالَ لَهُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: لَيْسَ لِرَبِّنَا بَهِيمَةٌ، فَلَوْ كَانَ لَهُ حِمَارٌ رَعَيْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَإِنَّ هَذَا الْحَشِيشَ يَضِيعُ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الْمَلَكُ: وَمَا لِرَبِّكَ حِمَارٌ[٥]؟ فَقَالَ: لَوْ كَانَ لَهُ حِمَارٌ مَا كَانَ يَضِيعُ مِثْلُ هَذَا الْحَشِيشِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْمَلَكِ إِنَّما أُثِيبُهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ[٦].

---

[٤] **(مكانك لنزه):**

«نَزِه» صفة مشبهة من النزهة والنزاهة، بمعنى الطهارة والنظافة واللام ابتدائية للتأكيد.

[٥] **(وما لربك حمار؟):**

الاستفهام للتقرير، لأجل معرفة معتقد ذلك العابد.

[٦] **(أثيبه على قدر عقله):**

قد يقال: كيف يُثاب هذا العابد، مع اعتقاده بالتجسيم - حسب ما يظهر من الحديث -، والقائل بالتجسيم كافر باطناً لا يستحق ثواباً أصلاً؟

والجواب من وجوه:

الأول: أن يراد بالثواب: الدنيوي منه، وثواب الدنيا قليل أمام ثواب الآخرة، فهذا العابد لعبادته أو لبعض أعماله الصالحة آتاه الله ثواب الدُّنيا، وثواب الدُّنيا عام للمؤمن والكافر قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾(١) والأئمة عليهم السلام في كلامهم اتبعوا ألفاظ القرآن ومصطلحاته، وسنبين بإذن الله تعالى في طي هذا الشرح؛ أنَّ كلامهم عليهم السلام موافق للقرآن معنى ولفظاً، وسنتبع أسلوب عرض الروايات على القرآن الكريم في ألفاظها أيضاً،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٥.

٩ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِذَا بَلَغَكُمْ عَنْ رَجُلٍ حُسْنُ حَالٍ[١] فَانْظُرُوا فِي حُسْنِ عَقْلِهِ[٢]، فَإِنَّمَا يُجَازَى بِعَقْلِهِ[٣].

وسنجد التطابق الكامل ـ وخاصة في الأحاديث المروية بألفاظها ـ، وبعد هذا التطابق لا حاجة إلى البحث في الأسناد، وسيأتي إن شاء الله بعض الكلام في باب (الأخذ بالسُّنة وشواهد الكتاب).

الثاني: إنَّ اعتقاده بالتجسيم كان ناشئاً من قصوره وقلَّة عقله، والله تعالى لا يعاقب الجاهل القاصر، بل كما يظهر من بعض الأخبار أنَّ القاصرين كأطفال الكفار ومجانينهم يمتحنون في الآخرة، ومن نجح في ذلك الامتحان يُثاب، ولعل ذلك الثواب قليل بالنسبة إلى ثواب المؤمنين.

الثالث: لعله كان يتمنى الجسمية ولم يكن يعتقد بها، وهذا التمني ناشيء من قلة العقل.

الرابع: لعله كان يتوهم إمكان وجود حمار لربه من غير أن يعتقد بالتجسيم، وهذا أيضاً من قلة العقل.

الحديث التاسع:

[١] **(حسن حال):**

أي حسن ظاهر، من طاعة أو فضيلة يتحلَّى بها.

[٢] **(فانظروا في حسن عقله):**

أي لا تعتمدوا فوراً على ما بلغكم، فإنَّ الناس كثيراً ما يغترّون بحسن الظاهر، من غير تحقيق في الباطن.

بل عليكم اكتشاف باطنه أيضاً لمعرفة عقله، ويمكن معرفة حسن العقل عن طريق الآثار، فإنَّ آثار الباطن تظهر على قول الإنسان وفعله ومواقفه.

[٣] **(فإنما يجازى بعقله):**

هذا كالتعليل لما سبق، أي إنَّ الله تعالى لا ينظر إلى الظاهر بل إلى الباطن

١٠ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: ذَكَرْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام رَجُلاً مُبْتَلًى بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ[١] وَقُلْتُ: هُوَ رَجُلٌ عَاقِلٌ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَأَيُّ عَقْلٍ لَهُ وَهُوَ يُطِيعُ

كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(١) فكذلك أنتم لا تنظروا إلى الظاهر بل إلى حسن العقل، ولا يخفى أنَّ حسن العقل من آثاره الطاعة وتجنب المعصية وفي الوافي(٢): (أي لا تحكموا بمجرد الأعمال والأحوال الظاهرة على حسن عاقبته وسلامة قلبه من الآفات ما لم تنظروا ـ أولاً ـ في حسن عقله وكمال جوهره وذاته، فإنَّ النتائج والثمرات تابعة للأُصول والمبادىء. . .) انتهى.

ويمكن التمثيل لذلك باختلاف راتب المفكرين مع الموظفين العاديين، بل لعلّ المفكر يستلم راتباً أو أجراً أضعاف ما يستلمه عامل عادي، رغم أن جهد العامل البدني قد يكون أضعافاً مضاعفة.

الحديث العاشر:

[١] **(بالوضوء والصلاة):**

أي مبتلى بالوسوسة وهي مرض نفسي منشؤه قلة العقل، وتظهر في الأفعال، بالشك والإبطال والتكرار، وهي تظهر في مختلف الأعمال، فقد تظهر في العبادات وقد تظهر في غير العبادات من الأعمال اليومية العادية، ولذا قد يُبتلى بها غير المتدينين أيضاً، وسمعت أنَّ رجلاً كان مهووساً بالتحرز من سرقة دكانه فكان حين انصرافه إلى البيت يقفل الدكان ثم يتأكد من القفل عشرات المرات، وبعد ذهابه كان يرجع مرات متعددة ليتأكد، وكان بعض المؤذين إذا شاهدوه في مكان شككوا في القفل، فكان يرجع مسرعاً إلى المحل، والبعض له وسوسة في النظافة والقذارة وهكذا.

ويمكن علاج الوسوسة بعدم الاعتناء بها وعدم تكرار العمل لفترة إلى أن تزول.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٨٩.

(٢) الوافي: ج١، ص٨٤.

الشَّيْطَانَ[٢]؟ فَقُلْتُ لَهُ: وَكَيْفَ يُطِيعُ الشَّيْطَانَ؟ فَقَالَ: سَلْهُ هَذَا الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ[٣]؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ لَكَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ[٤].

---

[٢] **(وهو يطيع الشيطان):**

أي يفعل ما يأمره به الشيطان، وذلك لأنَّ الوسوسة في العبادات تؤدي إلى إبطالها عادة، ويحرم إبطال الصلاة الواجبة، ومرتكب المعصية مطيع للشيطان، كما أنَّ الوسوسة في الوضوء تؤدي كثيراً إلى فوات الصلاة، بل عدم التوضي على الطريقة المشروعة، مضافاً إلى أنَّ الوسوسة في العبادات محرمة بذاتها، كما أنَّها قد تستلزم التشريع، بل قد تستلزم الوقوع في محرمات أخرى.

[٣] **(من أي شيء هو):**

أي اسأله عن مستنده في الوسوسة: هل هو من العقل أم من الشرع أم من الشيطان؟

[٤] **(من عمل الشيطان):**

حيث لا يتمكن من إسناد الوسوسة إلى العقل ولا إلى الشرع، فلا يجد بدّاً من نسبته إلى الشيطان، وعلمه بأنَّ ذلك من الشيطان لم يؤثر في عمله، لأنَّ العلم غير العقل، فكثير من الناس يعلمون الشر لكنهم يولعون به، كما أنَّهم يعلمون الخير لكنهم يتركونه، فهذا الوسواسي يعلم بأنَّه يطيع الشيطان، لكنَّه لقلَّة عقله لا يعمل بعلمه.

وعادة ما تكون الوسوسة في العمل، وقلما تكون في النية، وقد مَثّل في الوافي[١] للوسوسة في النية بمثال لا يخلو ذكره من فائدة، قال:

(لأنَّ امتثال أوامر الله تعالى كغيره من الأفعال ـ فيما يتعلق بالقصد ـ.

فمن دخل عليه عالم، فقام تعظيماً له، فهو لو قال: «انتصب قائماً تعظيماً لدخول هذا الفاضل، لأجل فضله، مقبلاً عليه بوجهي»!! لعُدّ سفيهاً، لأنَّ هذه المعاني مخطورة بالبال إجمالاً، بل هي الباعثة على تلك الحركة،

---

(١) الوافي: ج١، ص٨٥.

١١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا قَسَمَ اللَّهُ لِلْعِبَادِ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ فَنَوْمُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ سَهَرِ الْجَاهِلِ[١]، وَإِقَامَةُ الْعَاقِلِ

وذلك كافٍ في القصد، ولا يستدعي فكراً فيها، وإحضاراً تفصيلياً لها.
وفرق بين حضور الشيء في النفس إجمالاً، وبين إحضاره فيها تفصيلاً، والنية عبارة عن الأول دون الثاني. انتهى.

الحديث الحادي عشر:

[١] **(أفضل من سهر الجاهل):**
النوم من آيات الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(١)، والعاقل إنَّما ينام لحاجته إلى النوم وبه يستعيد قواه ليعمل ويعبد، وأما الجاهل فإنَّ سهره حتى لو كان لأجل العبادة، فإنَّه لجهله لا يؤديها على الوجه الصحيح، بل قد يكون ضررها أكثر من نفعها، فنوم العاقل فيه المنفعة وسهر الجاهل لا منفعة فيه بل قد يكون فيه الضرر.
بل غير العاقل ربما كان جهله خيراً من علمه، قال تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٢)، وذلك لأنَّه لو كان جاهلاً كان ضرره بمقدار نفسه، أما لو علم حدود الله فإنَّه لقلة عقله يحرِّفها عن مواضعها ويعمّ ضرره على الجميع، كما يشاهد في مسلك التكفير الذي انتشر بواسطة بعض الأعراب حيث عمَّ ضررهم على الأُمَّة الإسلامية وعلى سمعتها.
هذا الحديث الشريف يتضمن عدة مقاطع:
١ ـ فضيلة العقل.
٢ ـ نوم العاقل وإقامته وفضيلتهما على سهر الجاهل وسهره.

---

(١) سورة الروم: الآية ٢٣.
(٢) سورة التوبة: الآية ٩٧.

أَفْضَلُ مِنْ شُخُوصِ الْجَاهِلِ[٢]، وَلَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً وَلَا رَسُولاً[٣] حَتَّى يَسْتَكْمِلَ الْعَقْلَ[٤]، وَيَكُونَ عَقْلُهُ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ عُقُولِ أُمَّتِهِ[٥]» . وَمَا

---

٣ ـ استكمال العقل في الأنبياء شرط لنبوتهم.

٤ ـ أداء الفرائض بالعقل.

٥ ـ فضل عبادة العاقل.

[٢] **(من شخوص الجاهل):**

«الشخوص» الخروج من البلد، والجاهل خروجه حتى لو كان لأجل الخير وطلباً للثواب، فإنَّه لجهله ربما أتى بالعمل باطلاً أو ناقصاً بل ربما يكون ضرره أكثر من نفعه، أما العاقل فإنَّ وجوده مفيد للمجتمع الذي هو فيه حتى لو كان مقيماً غير مسافر.

[٣] **(نبياً ولا رسولاً):**

«النبي» هو المخبر عن الله تعالى، و«الرسول» هو المرسل إلى الناس، فكل رسول نبي، وبعض الأنبياء رسل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾(١).

[٤] **(حتى يستكمل العقل):**

أي يصل إلى العقل الكامل، وذلك عبر إتمام الابتلاءات، وعبور المراحل التي جعلها الله تعالى لكل نبي، كقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(٣).

[٥] **(من جميع عقول أمته):**

ولو كان في الأمة من هو أعقل منه لكان ذاك أولى بالنبوة منه عقلاً، لقبح ترجيح المفضول على الفاضل عقلاً.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٣) سورة القصص: الآية ١٤.

يُضْمِرُ[٦] النَّبِيُّ ﷺ فِي نَفْسِهِ أَفْضَلُ مِنِ اجْتِهَادِ الْمُجْتَهِدِينَ[٧]، وَمَا أَدَّى الْعَبْدُ فَرَائِضَ اللَّهِ حَتَّى عَقَلَ عَنْهُ[٨]، وَلَا بَلَغَ جَمِيعُ الْعَابِدِينَ فِي فَضْلِ عِبَادَتِهِمْ مَا بَلَغَ

---

[٦] **(وما يضمر):**

«ما» موصولة بمعنى الذي، والإضمار بمعنى النية، أو بمعنى العلوم والمعارف التي يعلمها.

[٧] **(من اجتهاد المجتهدين):**

«الاجتهاد» من الجهد بمعنى المشقة والتعب.

وأفضلية ما يضمره النبي لأجل أنَّ النية والعلم هما روح العمل، فلا قيمة للعمل من غير نية صادقة ومن غير منشأ علمي صحيح.

مضافاً إلى أنَّ النية الصحيحة الحقة هي منشأ أعظم الأعمال، فيتوصل الإنسان بها بما لا يتوصل إليه بمجرد العمل والتعب.

وفي الحديث (نية المؤمن خير من عمله)(١) وفي حديث آخر (إنما الأعمال بالنيات)(٢) وفي نهج البلاغة (قيمة كل امرىءٍ ما يحسنه)(٣).

[٨] **(حتى عقل عنه):**

أي حتى يأخذ تلك الفرائض عن الله تعالى بلا واسطة كالأنبياء، أو مع الواسطة كأتباع الأنبياء والأوصياء.

فلا يجوز عبادة الله تعالى إلا عن طريق الأنبياء وأوصيائهم، وكل ما يخرج في المعارف من غيرهم فهو باطل وزخرف.

وبعبارة أخرى شرط صحة العمل وقبوله هو كونه مأخوذاً من الله تعالى بواسطة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وكل فريضة أدّاها المكلف من غير أخذ عنهم فهي باطلة ـ حتى لو استجمعت سائر الشرائط ـ وذلك للإخلال بشرط الأخذ عنهم عليهم السلام.

---

(١) البحار: ج٧، ص٣٢٢.

(٢) أمالي الطوسي: ج٢ ص٢٠٦.

(٣) نهج البلاغة: ٤:١١.

الْعَاقِلُ[٩]، وَالْعُقَلَاءُ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[البقرة: ٢٦٩][١٠].

١٢ ـ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، رَفَعَهُ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام: يَا هِشَامُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَشَّرَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ[١] فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿...فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ

ولذا صحّ أن يقال العلم بالفرائض مأخوذ على نحو القطع الموضوعي ـ أي الذي أخذ الطريق الخاص في موضوعه ـ، وليس على نحو القطع الطريقي الصِّرف.

[٩] **(ما بلغ العاقل):**

لما مرَّ من أنَّ التكليف والثواب على قدر العقل.

[١٠] **(وما يذكّر إلّا أُولوا الألباب):**

أي لا يتعظ إلا أصحاب العقول، وهذا ممّا يميِّزهم عن غيرهم.

ولا يخفى الارتباط الوثيق والتدرج اللطيف في مقاطع هذا الحديث، فقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وآله فضيلة العقل أولاً، ثم فضيلة عمل العاقل ـ حتى لو كان نوماً أو إقامة ـ على عمل الجاهل، ثم اشتراط النبوة باستكمال العقل، ثم أداء الفرائض بالعقل، ثم فضل عبادة العاقل ثم انتفاع العاقل بالمواعظ.

الحديث الثاني عشر:

هذا الحديث الشريف يتضمن أكثر من ثلاثين مقطعاً، ويتصدر كل مقطع «يا هشام» ـ لزيادة الالتفات ـ، يذكر الإمام عليه السلام في كل مقطع أمراً يرتبط بالعقل.

١ ـ براعة الاستهلال

[١] **(بشر أهل العقل والفهم):**

«الفهم» هو الالتفات إلى الشيء وإدراكه فيما يحتاج إلى إعمال الفكر، والعقل هو سبب الفهم ـ عادة ـ، لذا قرنهما معاً.

﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ[٢] أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمَر: ١٧-١٨].

وتصدير الكلام بالبشارة لزيادة شوق السامع إلى الاستماع إلى كل الكلام، وخاصة في مثل هذا الكلام الطويل.

[٢] (فيتبعون أحسنه):

«الاستماع» هو الإصغاء إلى الكلام وتركيز الفكر عليه، وفي الآية معانٍ متعددة منها:

١ ـ الاستماع إلى مطلق الأقوال ثم اختيار أحسنها، لأنَّ الحق مختلط بالباطل، والتمييز إنَّما يكون بالاستماع إلى الأقوال ثم التمييز بينها واختيار الأحسن ـ أي الحق ـ منها. ولا يكون ذلك إلا بواسطة إعمال العقل وهداية من الله تعالى ولذا جاء في رأس الآية(١): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ هذا حين اختلاط الحق بالباطل.

وأما مع العلم بالباطل فقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾(٢)، وحينئذٍ لو دار الأمر بين الحسن والأحسن فعباد الله يختارون الأحسن.

٢ ـ أن يكون معنى «القول» هو القرآن وضمير «أحسنه» يرجع إلى مصدر يتبعونه، فالمعنى: «الذين يستمعون القرآن فيتبعونه أحسن الاتباع».

وهذا المعنى يظهر من الروايات، ولعله تفسير بالمصداق، منها: عن أبي بصير قلت لأبي عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾؟ قال: هو الرجل يسمع الحديث فيحدِّث به كما سمعه، لا يزيد فيه ولا ينقص منه(٣).

٣ ـ ويمكن إرجاع ضمير أحسنه إلى «القول» وهو فيما دار الأمر بين الحسن والأحسن مع عدم إمكان الجمع بينهما، فيختار الأحسن.

---

(١) اشتهر تسمية آخر الآية بـ(رأس الآية)، لأنَّ المتعارف أن يُقال ذيل الكلام، ولكن لما لم يناسب التعبير عن كلام الله بالذيل استبدلوه بضده وهو الرأس فقالوا رأس الآية.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٣.

(٣) البرهان: ج٨، ص٣٥٨ عن الكافي.

يَا هِشَامُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ[٣]، وَنَصَرَ النَّبِيِّينَ بِالْبَيَانِ[٤]، وَدَلَّهُمْ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بِالأَدِلَّةِ[٥]، فَقَالَ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ

---

٢ ـ العقل دليل التوحيد

[٣] **(الحجج بالعقول):**

«الحجة» هي الدليل الذي يحتج به ولا مناص عن قبوله وبه يقطع العذر، قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾(١) أي الواضحة الواصلة.

و«إكمال الحجج» لأنَّ لله حجتين: الأنبياء والعقول، ومن مهمة الأنبياء إثارة العقول، وسيأتي في الحديث الثاني والعشرين قول الصادق عليه السلام: (حجة الله على العباد النبي والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل).

[٤] **(نصر النبيين بالبيان):**

المراد من «البيان» هنا: الكلام الذي يقتنع به العقل، وفي نهج البلاغة(٢) (ويُثيروا لهم دفائن العقول) أي الأنبياء بكلامهم يخاطبون عقول الناس ويزيحوا ركام العادات والتقاليد عن عقولهم.

[٥] **(على ربوبيته بالأدلة):**

وهذه من ميزات الإسلام، فإنَّه يخاطب عقول الناس ويقنعهم بالأدلة والبراهين في كل شيء، حتى الأحكام الفرعية الجزئية ذكر القرآن الكريم عللها أو الحكمة منها، لأنَّ الاتباع عن دليل وبرهان أكثر فائدة ودواماً.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١ ج١ ص٢٣ ـ طبعة صبحي الصالح ـ

ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[٦]﴾.

---

[٦] **(لقوم يعقلون):**

الآيتان من سورة البقرة(١) بيان للتوحيد وصفة الرحمة والاستدلال بدليلين: أصل الخلق، والنظم فيه، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ أي معبودكم أيُّها الناس ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا ثاني له ولا جزء له، وقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إما للتأكيد وإما لبيان أنَّه تعالى إله لغيركم أيضاً من الملائكة والمخلوقات الأخرى، فلا معبود سواه، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ووصفه بالرحمة هنا لعلَّه لبيان استحقاقه للعبادة لكمال ذاته وشمول نعمه، والدليل على أنَّه الإله أمران: الأول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي إيجادهما وإنشائهما، الثاني: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ﴾ أي تعاقب ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي يخلف أحدهما الآخر بنظام مذهل، أو يتفاوت أحدهما عن الآخر في الذات والآثار ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ السفينة والسفن، وهو يأتي بمعنى المفرد والجمع ﴿ٱلَّتِي تَجْرِي﴾ تسير ﴿فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي ملابساً بالشيء الذي ينفع الناس من التجارة والسفر والمراد تذليل البحر ليستفيد منه الناس ضمن قوانين وضوابط منظمة بدقة أي وفي ما ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ جهة العلو ﴿مِن مَّآءٍ﴾ بيان «ما أنزل» ﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ بذلك الماء ﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ حياتها بالماء: النبات والحيوانات التي تستفيد من ذلك، وموتها بكونها قفراً لا نبات فيها ولا إعمار ﴿وَبَثَّ﴾ أي نشر ﴿فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ أي كل نوع من أنواع الدواب فإنَّ الدواب تنتشر في الأماكن الخصبة ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أي صرفها من جانب إلى جانب آخر قال سبحانه: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾(٢)، ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ المهيَّأ لمصالح العباد والبلاد ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيرتفع إلى حدٍّ معين لا يتجاوزه ويبقى إلى أن يحين وقت المطر، ﴿لَآيَٰتٍ﴾ دالات على وجود الله تعالى وعلى رحمته وسائر صفاته ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ إذن هو المستحق للعبادة لأنَّه الخالق الرازق لا غيره.

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) سورة فاطر: الآية ٩.

يَا هِشَامُ: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ[٧] دَلِيلاً عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّ لَهُمْ مُدَبِّراً[٨]، فَقَالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ[٩] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢] **وَقَالَ:** ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ

وفي المرآة (١): وفي الآية دلالة على لزوم النظر في خواص مصنوعاته تعالى، والاستدلال بها على وجوده ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته وسائر صفاته، وعلى جواز ركوب البحر والتجارات والمسافرات لجلب الأقوات والأمتعة.

٣ ـ العقل دليل على المدبّر

[٧] **(قد جعل الله ذلك):**

أي جعل العقل.

[٨] **(بأن لهم مدبراً):**

والفرق بين هذا المقطع وسابقه بالاعتبار، فالسابق كان استدلالاً على توحيده وأصل التدبير، وهذا استدلال على علّة التدبير فلذا كان الاستدلال هناك بآية تدلُّ على وجوده وتصرفه في الأشياء، وهنا الاستدلال بآيات تدلُّ على أنَّ تصرفه وتدبيره لأجل مصلحة البشر، ولذا كان الناس هم المخاطبون بهذه الآيات، وفيها ضمير الخطاب.

[٩] **(والنّجوم مُسخّراتٍ بأمره):**

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ﴾ أي ذلك وهيّأ لمنافعكم ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ وتسخير هذه الأشياء لمصلحة الإنسان واضح، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾ أي النُّجوم مذللات بإرادته تعالى، وإنَّما فصل النُّجوم عن الشمس والقمر، لخفاء احتياج البشر إليها فهو تعالى سخّر للبشر الليل والنهار والشمس والقمر، وأما النجوم فهي وإن لم تسخر للبشر بشكل جلي لكنها مع ذلك فهي تحت قدرة الله تعالى وإرادته.

---

(١) المرآة: ج١، ص٤٠.

شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى [١٠]وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧] وَقَالَ: إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ[١١] [وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَقَال: ﴿يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ[١٢] قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ

---

[١٠] **(أجلاً مسمّى)**:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ فإنَّ التراب ينقلب إلى النبات ثم دم ثم مني، وكذلك لأنَّ أول إنسان خلق من تراب فأصل الجميع منه، ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ التي تنعقد من ماء الرجل والمرأة ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم المتجمّد التي تتحول النطفة إليه بعد مرور أربعين يوماً من انعقادها ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ والطفل اسم جنس، جيء به مفرداً لكي يناسب لفظ «نطفة» و«علقة» فكلها أسماء أجناس ﴿ثُمَّ﴾ يبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ أي قوتكم البدنية والعقلية، و«أشد» جمع «شِدَّة» مثل نعمة وأنعم ﴿ثُمَّ﴾ يبقيكم ﴿لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ﴾ الأشد أو قبل الشيخوخة ﴿وَ﴾ يبقيكم بعد الشيخوخة أو يفعل ذلك ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ أي وقتاً سمّاه تعالى في علمه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لتستعملوا عقولكم فتعلموا أنَّ كل ذلك دليل على المدبر، أو لتكمل عقولكم بذلك.

[١١] **(بعد موتها وتصريف الرياح)**:

نص الآية في سورة الجاثية ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾ أيُّها البشر ﴿وَمَا يَبُثُّ﴾ ينشر الله ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ الحي المتحرك ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي يتأملون في الأشياء حتى يحصل لهم اليقين ﴿وَ﴾ في ﴿ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾. . .الآية.

ولعل بعض الرواة نقل الآية بالمعنى، ويجوز نقل الآيات بالمعنى إذا لم يكن مظنة التبديل والتحريف، كما يجوز نقل الروايات بالمعنى كما سيأتي في باب رواية الكتب، إن شاء الله تعالى.

[١٢] **(ويحيي الأرض بعد موتها)**:

قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾ الآية، وحياة الأرض بالماء

تَعۡقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]. **وَقَالَ**: ﴿وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ[١٣] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]. **وَقَالَ**: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا[١٤] وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرُّوم: ٢٤]. **وَقَالَ**:

كما أنَّ حياة القلب بالموعظة.

وفي تأويل الآية عن الإمام الكاظم عليه السلام «ليس يحييها بالقطر، ولكن يبعث الله عزَّ وجلَّ رجالاً، فيحيون العدل فتحيا الأرض لإحياء العدل...» الحديث(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «يحييها الله عزَّ وجلَّ بالقائم عليه السلام بعد موتها - يعني بموتها كفر أهلها - والكافر ميت»(٢).

[١٣] **(ونفضّل بعضها على بعض في الأُكُل)**:

في التبيين(٣): ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾ بقاع متلاصقات، ولكل قطعة كيفية خاصة كالسبخة والمالحة والطيبة وما أشبه ﴿وَجَنَّٰتٞ﴾ بساتين ﴿مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ﴾ كالحنطة والخضروات ﴿وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ﴾ جمع صنو، وهي نخلات أصلها واحد ﴿وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ﴾ متفرقة الأُصول ﴿يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ﴾ في الثمر طعماً ولوناً وشكلاً... الخ

وفي الآية دلالة على مدبّر، حيث إنَّ الماء واحد والأرض واحدة لكن الثمر مختلف ولا يكون ذلك إلا بتخصيص من مدبر حكيم وقادر.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنَّ تلك القطع المتجاورات هي الأراضي الواقعة على جنب الشريعة في كربلاء المقدّسة(٤).

[١٤] **(يُريكم البرْق خوفاً وطمعاً...)**:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾ أي: أن يريكم - بتأويل المصدر - ﴿ٱلۡبَرۡقَ﴾ حال

---

(١) البرهان: ج٩، ص٣٨٩ عن الكافي.
(٢) البرهان: ج٩، ص٣٩٠ عن كمال الدين للصدوق.
(٣) التبيين: ص٢٦١.
(٤) مفاتيح الجنان، زيارة الإمام الحسين عليه السلام السابعة، عن مصباح الشيخ الطوسي.

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[١٥]﴾ [الأنعام: ١٥١]. **وقال:** ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا

كونكم تخافون ﴿خَوْفًا﴾ من الصواعق والدمار، وتطمعون ﴿وَطَمَعًا﴾ في الأمطار والسقي والزرع... الآية.

وكل ذلك دليل على المدبر.

[١٥] **(ذلكم وصّاكم به لعلّكم تعقلون):**

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾ من التعالي، وفي الأصل يقوله من كان في علو لمن كان في الأسفل، ثم استعمل بمعنى هلموا مطلقاً. ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ وهذه المحرمات من المحكمات غير المنسوخات وهي ﴿عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ و«عليكم» اسم فعل أي يلزمكم، ﴿وَ﴾ أحسنوا ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾، استبدل النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان للدلالة على أن مجرد ترك الإساءة غير كاف بل يجب الإحسان أيضاً، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ﴾ أي فقر وفي آية أخرى **(خشية إملاق)**(١) لأنَّ بعضهم كان يقتل أولاده حينما يفتقر، والبعض بمجرد الخوف من الفقر، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ أي الكبائر من الذُّنوب، وقوله **(لا تقربوا)** للمبالغة في الاجتناب عنها، والفحش تجاوز الحدّ ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أنّها فاحشة كالزنا، ﴿وَمَا بَطَنَ ۖ﴾ أي خفي أنّه فاحشة كنكاح زوجة الأب، أو في العلن والخفية، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ كالقصاص، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ «ذا» للإشارة و«كم» للخطاب ﴿وَصَّىٰكُم﴾ الله ﴿بِهِۦ﴾ أي بحفظه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تستعملون عقولكم أو لتكمل عقولكم.

وفي الوافي(٢) (فيه إشارة إلى أنَّ الغرض الأصلي والغاية الذاتية من فعل الواجبات

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣١.

(٢) الوافي: ج١، ص٩٥.

رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ[١٦] كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرُّوم: ٢٨].

يَا هِشَامُ: ثُمَّ وَعَظَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَرَغَّبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَقَالَ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[١٧]﴾ [الأنعام: ٣٢].

وترك المحرمات إنَّما هو حصول العقل ـ والعاقل بما هو عاقل ـ، وإنَّ لتكميل القوة العملية مدخلاً في ذلك، كما أنَّ لتكميل القوة النظرية مدخلاً. . .»

وفي إعراب (**عليكم ألَّا تشركوا**) محتملات متعددة مذكورة في مظانها.

[١٦] (**كخيفتكم أنفسكم. . .**):

﴿ضَرَبَ﴾ الله ﴿لَكُم﴾ أيُّها المشركون ﴿مَّثَلًا﴾ والمثل يوضِّح الفكرة ويدفع الشُّبهة، والمثل مستخرج ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي ممَّا يرتبط بكم، وهذا المثل لبيان بطلان عبادتكم للأصنام ﴿هَل﴾ استفهام يقصد به النفي ﴿لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي بعض عبيدكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ «من» للتأكيد أي هل ترضون بأن يكون عبيدكم شركاءكم ﴿فِى﴾ أموالكم التي ﴿رَزَقْنَٰكُمْ﴾ إياها؟ مع أنَّ العبيد ناس أمثالكم وتلك الأموال ليست ملككم الحقيقي بل حباكم الله تعالى تلك الأموال عارية! ﴿فَأَنتُمْ﴾ أي فتكونوا أنتم والعبيد ﴿فِيهِ سَوَآءٌ﴾ متساوين في تلك الأموال ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي كما يخشى الشركاء بعضهم من بعض حتى لا يستولي بعضهم على كل المال أو يخون فيه، فهل ترضون بالتساوي مع العبيد في أموالكم؟ وحيث إنَّ جواب المشركين هو بالنفي، فيقال لهم: فكيف ساويتم الأصنام بالله تعالى وجعلتموها شركاء لله تعالى؟ مع أنَّ العبيد مثلكم في الإنسانية، والآلهة الأخرى لا تشترك مع الله في أي شيء فهو تعالى ليس كمثله شيء، إذن اللازم عليكم أن لا تجعلوا عبيد الله ومخلوقاته شركاء له.

٤ ـ الآخرة

[١٧] (**خيرٌ للذين يتّقون أفلا تعقلون**):

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي أعمالها ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ «اللهو» ما يشغل عن الأهم

يَا هِشَامُ: ثُمَّ خَوَّفَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ عِقَابَهُ[١٨] **فَقَالَ تَعَالَى:** ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ[١٩] ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٦-١٣٨]. **وَقَالَ:** ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[٢٠]﴾ [العنكبوت: ٣٤-٣٥].

و«اللعب» ما لا غرض فيه من الأعمال، وبينهما عموم من وجه، والمقصود أنَّها قليلة المنفعة وليست باقية ﴿وَلَلدَّارُ﴾ اللام للتأكيد ﴿ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ لدوامها وعدم اختلاط منافعها وملذاتها بالمنغصات ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي كونها خيراً إنَّما هو للمتقين أما غيرهم فهم في الأهوال والعذاب، وفيه حثّ على التقوى للوصول إلى منافع الآخرة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بأنَّ الآخرة خير فلذا تركتم الأفضل وانشغلتم باللهو واللعب؟

٥ ـ العذاب الدنيوي

[١٨] **(الذين لا يعقلون عقابه):**

أي خوّف مَن لا يعمل بمقتضى عقله من العقاب.

[١٩] **(مُصبحين، وبالليل أفلا تعقلون):**

﴿ثُمَّ﴾ بعد نجاة لوط وأهله إلا امرأته ﴿دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿ٱلْآخَرِينَ﴾ قوم لوط، ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾ أي على منازلهم في طريق تجارتكم إلى الشام ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح ﴿وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعتبرون بهم.

[٢٠] **(آية بينة لقوم يعقلون):**

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ أي سننزل ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي قوم لوط ﴿رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ونوع ذلك العذاب ذكرته آيات أخرى قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾(١)، ﴿بِمَا كَانُوا۟

---

(١) سورة هود: الآيتان ٨١ ـ ٨٢.

يَا هِشَامُ: إِنَّ الْعَقْلَ مَعَ الْعِلْمِ[٢١] **فَقَالَ:** ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ[٢٢]﴾ [العنكبوت: ٤٣].

يَا هِشَامُ: ثُمَّ ذَمَّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]. **وَقَالَ:** ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ[٢٣]﴾ [البقرة: ١٧١]. **وَقَالَ:** ﴿وَمِنْهُم مَّن

﴿يَفْسُقُونَ﴾ أي بسبب فسقهم و«الفسق» الخروج عن الطاعة، ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا﴾ أي أبقينا ﴿مِنْهَآ﴾ أي من القرية بعد تدميرها ﴿ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾ علامة واضحة وهي المنازل الخربة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم للاعتبار.

٦ ـ العقل والعلم

[٢١] **(العقل مع العلم):**
لأنَّ أصل العقل موهبة، ولكن تكميله يكون بالعلم والعمل ـ كما مرَّ ـ فكلما ازداد الإنسان علماً ازداد عقلاً.

[٢٢] **(إلّا العالمون):**
﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ﴾ أي مثال العنكبوت للكفار ونظائره ﴿نَضْرِبُهَا﴾ أي نذكرها ﴿لِلنَّاسِ﴾ لتقريب الحقائق إلى أذهانهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ أي لا يفهم فائدتها إلا الذين لهم علم أو يريدون التعلُّم.

٧ ـ ذمّ الذين لا يعقلون

[٢٣] **(صمٌّ بكمٌ عُميٌ فهم لا يعقلون):**
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿ٱتَّبِعُوا﴾ اعتقدوا واعملوا ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ من الشرك وسائر الأعمال ﴿أَوَلَوْ كَانَ﴾ الاستفهام للإنكار والتعجب «والواو» للحال أي هل يتبعونهم

يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ[٢٤]﴾ [يونس: ٤٢]. وَقَالَ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا[٢٥]﴾

والحال كان ﴿ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ من الحق ومن أُمور الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى ما هو الصواب، فلا عقل لهم ولا هداية.
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بدعائهم الأصنام ﴿كَمَثَلِ﴾ الراعي قليل العقل ﴿ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ يصيح ﴿بِمَا﴾ أي بالحيوان الذي لا يفهم شيئاً من كلام الراعي و﴿لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ فكما أنَّ هذا الراعي لا يعقل كذلك عبدة الأصنام لا يعقلون بدعائهم الأصنام، و«الدعاء» أي دعوة البهيمة إلى طعام وشراب مثلاً و«النداء» الصياح عليها، وقوله: إلا «دعاء ونداء» لزيادة المبالغة في ذم الكفار فإنَّ البهيمة لا تفهم شيئاً لكنها تفهم دعوتها للطعام ونحوه، والأصنام لا شعور لهم حتى بهذا المقدار، وهؤلاء الكفار ﴿صُمٌّۢ﴾ جمع أصم: الأطرش ﴿بُكْمٌ﴾ جمع أبكم: الأخرس ﴿عُمْىٌ﴾ جمع أعمى، فلذا لا يستجيبون لدعوة الحق ﴿فَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ لأنَّ السمع والبصر واللِّسان وسائل الفهم، فمن أغلقها على نفسه عناداً أغلق على نفسه التعقل.

[٢٤] (تُسمع الصُّمَّ ولو كانوا لا يعقلون):
﴿وَمِنْهُم﴾ من الناس ﴿مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن أو بيَّنت الأحكام والمواعظ، لكن لا بقصد الاهتداء فلذا لا يطيعونك ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ فهؤلاء كالأصم الذي لا يسمع، والاستفهام للتعجب لبيان عدم فائدة وعظهم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ بأن انضم إلى صممهم عدم تعقلهم، فهم لا يسمعون ولا يعقلون.

[٢٥] (بل همّ أضلُّ سبيلاً):
﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ تظن ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أكثر الكفار ﴿يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم فيتدبرون ويتعظون، ﴿إِنْ هُمْ﴾ أي ليسوا ﴿إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ لعدم انتفاعهم بما يسمعون ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ لأنَّ البهائم معذورة لعدم قابليتها للفهم، ولكنَّها إذا عرفت مصالحها اتبعتها، ولأنَّها تنقاد لمن يحسن إليها ويتعهدها لا إلى من يسيء إليها، ولأنَّها إن لم تكسب خيراً فلا

[الفرقان: ٤٤]. **وَقَالَ:** ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ[٢٦]﴾ [الحشر: ١٤]. **وَقَالَ:** ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[٢٧]﴾ [البقرة: ٤٤].

تكتسب شراً، ولأنَّ جهلها لا يضرّ أحداً، عكس هؤلاء الكفار في كل ذلك.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «إن هم إلا كالأنعام لأنَّ الدابة إنَّما تحمل بروح القوة وتعتلف بروح الشهوة وتسير بروح البدن»(١) يعني إنَّها لا تأتمر بعقل إذ لا عقل لها كذلك هؤلاء لا يستعملون عقولهم.

[٢٦] **(وقلوبهم شتَّى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون):**

نزلت في بني النضير حيث نقضوا عهدهم مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهمّوا بقتله، ثم نابذهم للقتال فجبنوا عنه ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ هؤلاء اليهود ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ أي حصنوها بالخنادق ونحوها ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ جمع جدار، وذلك لخوفهم من مواجهتكم فيقاتلون من وراء التحصينات، وليس ذلك الخوف لضعفهم العسكري بل ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ فهم أقوياء لكن لأنَّهم حاربوا الله ورسوله فقد قذف الله الخوف في قلوبهم لذا شعروا بالضعف وجبنوا، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين في الآراء ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة لاختلاف مصالحهم، ﴿ذَٰلِكَ﴾ التشتت ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنَّهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه صلاحهم وإلا لآمنوا ولم يغدروا ولم يتفقوا مع المنافقين، ولم تتشتت قلوبهم، فلو كانوا يعقلون لاجتمعوا على الحق.

[٢٧] **(تتلون الكتاب أفلا تعقلون):**

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ يا بني إسرائيل ﴿ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ الأعمال الصالحة كالصدقات وأداء الأمانات ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ أي تتركون ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ فتقولون ما لا تعملون ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة، فأنتم أولى بالعمل من الجهال الأميين ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي هل ليس لكم عقل يمنعكم عن هذه الأُمور؟ أو لماذا لا تستعملون عقولكم فترتدعوا عن هذه المخالفات؟

---

(١) البرهان: ج٧، ص١٧٨ عن الكافي.

يَا هِشَامُ: ثُمَّ ذَمَّ اللَّهُ الْكَثْرَةَ[٢٨] **فَقَالَ:** ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ[٢٩]﴾ [الأنعام: ١١٦]. **وَقَالَ:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[٣٠]﴾ [لقمان: ٢٥]. **وَقَالَ:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ[٣١]﴾ [العنكبوت: ٦٣].

---

٨ ـ الكثرة لا تدل على العقل

[٢٨] **(ثم ذم الله الكثرة):**

أي الكثير، وذلك لأنَّ العقلاء يتبعون الحق، وليس الكثرة من أدلة الحق، فربما كان الحق مع الأقل، لأنَّ الأكثر لا يستعملون عقولهم غالباً، بل يتبعون الظنون والأكاذيب.

[٢٩] **(يضلُّوك عن سبيل الله):**

﴿وَتَمَّتْ﴾ أي بلغت الغاية ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ في الأحكام والإحكام ﴿صِدْقًا﴾ في الأخبار والمواعيد ﴿وَعَدْلًا﴾ في الأُصول والفروع ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بأن يأتي أحد بأصدق منها أو أعدل ﴿...وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهم الكفار والمنافقون والضالون ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأنَّهم لم يستعملوا عقولهم حتى يتبعوا كلمات الله، بل ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ أي لا يتبعون ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ﴾ أي ما هم ﴿إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي يكذبون.

[٣٠] **(الحمدُ لله بل أكثرهم لا يعلمون):**

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي المشركين عامة أو كفار قريش ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ وحده وليس للأصنام دور في الخلق، ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على اضطرارهم إلى الاعتراف بالحق بما يوجب بطلان معتقدهم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأنَّ الخالق يستحق العبادة دون الصنم المصنوع.

[٣١] **(قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون):**

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي المشركين ﴿مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ من جهة العلو مطراً ﴿فَأَحْيَا بِهِ

يَا هِشَامُ: ثُمَّ مَدَحَ الْقِلَّةَ[٣٢] **فَقَالَ:** ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ[٣٣]﴾ [سبأ: ١٣]. **وَقَالَ:** ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ[٣٤]﴾ [صٓ: ٢٤]. **وَقَالَ:** ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ[٣٥]﴾ [غافر: ٢٨]. **وَقَالَ:** ﴿وَمَنْ

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات والحيوانات ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ بالقفر والخلو من الحيوانات ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لأنَّهم يدركون عجز الأصنام عن ذلك ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على اعترافهم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لا يستعملون عقولهم، لأنَّ الأصنام حيث لا دخل لها في الخلق ـ كما اعترفوا في الآية ٦١ـ ولا في الرزق كما أقرّوا في هذه الآية، فكيف يجعلونها شركاء لله تعالى؟ أليس ذلك من عدم استعمالهم لعقولهم!!

٩ ـ العقلاء أقلية

[٣٢] **(ثم مدح القلة):**

أي الموصوفين بالقلَّة، لأنَّ الذين يستعملون عقولهم أقلية عادة.

[٣٣] **(وقليل من عبادي الشّكور):**

﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ أي اعملوا ما تشكرون عليه، أو بمعنى أطيعوا ـ حيث إنَّ الإطاعة شكر عملي ـ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ أي المجتهد في أداء الشكر ـ مبالغة في الشاكر ـ، وأما أكثر الناس فإنَّهم لا يشكرون أو لا يؤدون حق الشكر.

[٣٤] **(وقليل ما هم):**

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ الشركاء ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا﴾ «ما» للتأكيد وقيل للتعجب من قلّتهم ﴿هُمْ﴾ أي الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم أقلية دائماً، أما أكثر الناس فإما لا يؤمنون، أو إذا آمنوا لا يعملون الصالحات.

[٣٥] **(أن يقول ربّيَ الله):**

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ من أقرباء فرعون ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ تقية، لئلا يقتله فرعون، ومع ذلك كان ينتهز الفرص للدفاع عن الحق، فإنَّ التقية

ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ[٣٦]﴾ [هود: ٤٠]. وَقَالَ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[٣٧]﴾ [الأنعام: ٣٧]. وَقَالَ: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]. وَقَالَ: وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَشْعُرُونَ[٣٨].

بحدودها ومقدارها ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ أي كيف تريدون قتل موسى عليه السلام، والاستفهام للإنكار ـ توبيخاً أو تعجباً ـ، تقتلونه لأجل ﴿أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ فإنَّ هذا الكلام لا يوجب القتل ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعاجز الدالة على صدقه. . . الآية.

والشاهد هو وجود مؤمن واحد في جمع كثير من الكفار.

[٣٦] **(وما آمن معه إلّا قليلٌ):**

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ العذاب بالغرق ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي غلا بالماء أو فاض الماء من التنور، وكان فوران التنور علامة حلول العذاب ﴿قُلْنَا﴾ يا نوح ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِن كُلٍّ﴾ من أنواع الحيوانات حتى لا ينقرض نسلها ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَ﴾ احمل في السفينة ﴿أَهْلَكَ﴾ عائلتك ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ من الله بهلاكه وذلك لكفره وهو ابنه وزوجته ﴿وَ﴾ احمل فيها ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ من قومك، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ﴾ مع نوح ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وفي بعض الروايات أنَّ عددهم كان ثمانية(١).

[٣٧] **(وقال: ولكنَّ أكثرهُم لا يعلمون):**

الكلام في هذا المقطع في مدح القلة، وفي المقطع السابق كان في ذم الكثرة، وإنَّما جاء بهذه الآيات في هذا المقطع لتلازم ذم الكثرة مع مدح القلة، أو رجوع إلى المقطع السابق للتأكيد أو لجهات أخرى.

[٣٨] **(وأكثرهم لا يشعرون):**

والآيات في ذم الكثرة كثيرة جداً، وذلك ذم على الغالب، أي عادةً الكثرة تُجانب الحق فليست هي الملاك والمرجع لمعرفة الحق من الباطل.

ومن تلك الآيات:

---

(١) البحار: ج١١ ص٣٣٧، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «آمَن مع نوح من قومه ثمانية نفر».

يَا هِشَامُ: ثُمَّ ذَكَرَ أُولِي الْأَلْبَابِ[٣٩] بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ وَحَلَّاهُمْ بِأَحْسَنِ الْحِلْيَةِ[٤٠]، فَقَالَ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾(١)، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٢)، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣)، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٤)، ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾(٥)، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾(٦) ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾(٧).

ثم إنَّ البعض يستشكل على الأخذ بمبدأ الأكثرية في الحكم أو الأمور الإدارية ونحوها.

والجواب: إنَّ آيات الذم إنَّما هي في المعتقدات، لا في تنظيم أمور المعاش، كما أنَّ الأقلية الممدوحة إذا كان لهم آراء مختلفة في تنظيم أمورهم فإنَّ الترجيح بأكثرية الأقلية لا يكون مذموماً وهو مقتضى الشورى، لأنَّ ترجيح غيرهم عليهم ترجيح للمرجوح على الراجح وهو قبيح عقلاً. فتأمل.

١٠ ـ مدح العقلاء

[٣٩] **(ذكر أولي الألباب)**:

«اللب» العقل، وأولو الألباب أصحاب العقول، والمراد من يستفيدون من عقولهم أو أصحاب العقول الكاملة.

[٤٠] **(بأحسن الحلية)**:

«الحلية»: الزينة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٣.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١١٦.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٧.
(٤) سورة هود: الآية ١٧.
(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٩.
(٦) سورة الزخرف: الآية ٧٨.
(٧) سورة الفرقان: الآية ٤٤.

كَثِيرًاۗ[٤١] وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وقال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ[٤٢] وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

---

[٤١] **(فقد أُوتيَ خيراً كثيراً):**

﴿يُؤْتِي﴾ الله ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ و«الحكمة» وضع الأشياء في مواضعها ولا يكون ذلك إلا بالعلم وإتقان العمل ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾ الله، وذلك لمن استعد لقبولها ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ﴾ لأنَّ الحكمة خير ونتيجتها خير في الدنيا والآخرة ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ أي لا يتعظ بما تقدم من الآيات ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول.

وأهم مصاديق الحكمة هي العلم بالشرائع والعمل بها، لذا ورد في مستفيض الروايات تفسيرها: بطاعة الله، وبمعرفة الإمام، وبالتفقّه في الدِّين، وباجتناب الكبائر(١).

[٤٢] **(كلٌّ من عند ربّنا):**

﴿هُوَ﴾ الله ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ﴾ من الكتاب ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ دلالتها واضحة ﴿هُنَّ﴾ المحكمات ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي أصله والمرجع للناس إليها، كما أنَّ الأم مرجع الطفل ﴿وَ﴾ آيات ﴿أُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ مجملة فيشتبه المراد منها، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ انحراف عن الحق وشك فيه وميل إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ لأجل ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ أي طلب ﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ الإضلال ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ﴾ أي إرجاعه إلى ما يتطابق وهواهم ﴿وَ﴾ لكن ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ تأويل المتشابه ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ أي الذين ثبت قدمهم في العلم لكثرة علمهم، ﴿يَقُولُونَ﴾ أي حال كونهم يقولون ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ فهو لمصلحة أنزل المحكم والمتشابه، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ بعدم التسرّع إلى تفسير المتشابه ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ المستعملين لعقولهم.

---

(١) البرهان ج٢، ص٢٩٩ عن الكافي والمحاسن وتفسير العياشي.

وَقَالَ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ[٤٣] إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرّعد: ١٩]. وَقَالَ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ[٤٤] إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمر: ٩].

ووجود المتشابه في القرآن إنَّما هو لمصلحة، حتى يحتاج الناس إلى الرجوع إلى الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام، ولامتحان الخلق، وأنَّه من البلاغة في الكلام لذا لا يخلو كلام الفصحاء من المتشابه، ولتقريب بعض المعاني إلى الأذهان كالآيات المتعلقة بالتوحيد حيث لا يفهم عامة الناس المعاني الدقيقة فاحتاجوا إلى مخاطبتهم بما يفهمون مثل ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾(١) ولوجود الناسخ والمنسوخ والعام والخاص، ولغير ذلك. والراسخون في العلم هم رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام كما يظهر من الروايات المتواترة(٢).

وقد تواتر عنهم عليهم السلام (وشيعتنا أولو الألباب)(٣) وفي هذه الآية بحوث مفصلة، فليُراجع المجلد الثالث من كتابه (التدبر في القرآن) للسيد الأخ رضوان الله عليه.

[٤٣] **(كمن هو أعمى)**:

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ﴾ أي: أنَّ القرآن الذي ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ فيستجيب لك ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ القلب، أي الفاقد للبصيرة الذي لا يرى الحق بقلبه فلا يستجيب له، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول المستعملين لها.

وأبرز المصاديق الإمام علي عليه السلام: الذي يعلم، ومن ناواه: الأعمى كما روي ذلك(٤).

[٤٤] **(هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون)**:

﴿أَمَّنْ﴾ أي الكافر ـ المذكور في الآية السابقة ـ خير أم مَن ﴿هُوَ قَٰنِتٌ﴾ «القنوت» الخضوع والطاعة ﴿ءَانَآءَ﴾ ساعات ﴿ٱلَّيْلِ﴾، حال كونه ﴿سَاجِدًا

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.
(٢) منها ما في البرهان ج٢، ص٣٦٣.
(٣) البرهان: ج٨، ص٣٥٠ عن الكافي.
(٤) البرهان: ج٥، ص٣٢٦.

وَقَــــالَ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ[٤٥] وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] وَقَــــالَ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ[٤٦]﴾ [غافر: ٥٣-٥٤]. وَقَــالَ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ[٤٧]﴾ [الذاريات: ٥٥].

﴿وَقَآئِمًا﴾ في صلاته ـ يعني صلاة الليل ـ ﴿يَحْذَرُ﴾ عذاب ﴿ٱلْءَاخِرَةَ﴾، فهذا الفرق في العمل بين المؤمن والكافر، وكذلك فرق في العلم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ وهم المؤمنون ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهم الكفار، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ بهذا الفرق فيحاول أن يكون من المؤمنين ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وقال الباقر عليه السلام: «إنّما نحن الذين يعلمون، والذين لا يعلمون عدونا، وشيعتنا أولو الألباب»(١).

[٤٥] **(مُباركٌ ليدَّبّروا آياته):**

هذا القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ خيره ونفعه دائم من البركة ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي ليتفكروا ويتأملوا فيها ليكتشفوا معانيه وينتفعوا بها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ أي يتعظ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

[٤٦] **(هدًى وذكرى لأُولي الألباب):**

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ ما يهتدي به الناس من المعجزات والتوراة، ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي أبقينا بينهم بعد موسى ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة، في حال كون الكتاب ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾ أي مذكراً لهم، ولكن ليس الكل يهتدي ويتذكر، وإنّما الهداية والذكرى ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

[٤٧] **(فإنَّ الذِّكرى تنفع المؤمنين):**

﴿فَتَوَلَّ﴾ أي أعرض يا رسول الله ﴿عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ في إعراضك عنهم، بل الله سيعاقبهم بالعذاب الدنيوي، ثم بدا لله تعالى فأنزل ﴿وَذَكِّرْ﴾ أي عظهم ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي الذين في طريق الإيمان ولهم القابلية لذلك، وكذلك يكون سبباً لمزيد هداية من آمن فعلاً.

---

(١) البرهان: ج٨، ص٣٥٠ ـ ٣٥٣ عن الكافي وبصائر الدرجات والمحاسن وغيرها.

يَا هِشَامُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ[٤٨]﴾ [قٓ: ٣٧]. **يَعْنِي: عَقْلٌ وَقَالَ:** ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢] **قَالَ: الْفَهْمَ وَالْعَقْلَ[٤٩].**

يَا هِشَامُ: إِنَّ لُقْمَانَ قَالَ لِابْنِهِ: تَوَاضَعْ لِلْحَقِّ[٥٠] تَكُنْ أَعْقَلَ

ودلَّت الروايات على إرادة العذاب ثم البداء(١).

وينتج من انضمام هذه الآية والآيات السابقة، أنَّ المؤمنين هم أولو الألباب لا غيرهم.

١١ ـ انتفاع العقلاء بالعقل

[٤٨] **(لمن كان له قلبٌ):**

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إهلاك الأُمم السالفة ـ المذكور في الآية السابقة ـ ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ تذكرة للاعتبار، وموعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ عقل يتفكر به ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أي أصغى ليستمع ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر القلب، أي إما بعقله يكتشف هذه الحقيقة، أو بالاستماع من النبي ﷺ يلتفت إليها.

و«القلب» هو العضو الصنبوري الذي يكون مضخَّة للدم، ثم استُعمل في العقل مجازاً بعلاقة ارتباط حياة الجسم بذلك العضو، وحياة الرُّوح بالعقل، أو بعلاقة كثرة التقلب فيهما، ثم إنَّه يمكن أن يكون القلب نقطة التقاء بين الجسم وبين العقل والرُّوح. فتأمل.

[٤٩] **(الفهم والعقل):**

لأنَّ الحكمة هي وضع الأشياء في مواضعها، ولا يكون ذلك إلا بالفهم والعقل، فكان إعطاؤها إعطاءها.

١٢ ـ قبول الحق علامة العقل

[٥٠] **(تواضع للحق):**

أي اخضع له بالقبول والعمل.

---

(١) البرهان: ج٩، ص٢٢٩ عن الكافي والعيون وتفسير القمي.

النَّاسِ[٥١] وَإِنَّ الْكَيِّسَ لَدَى الْحَقِّ يَسِيرٌ[٥٢]، يَا بُنَيَّ إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ[٥٣]، قَدْ غَرِقَ فِيهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ[٥٤]، فَلْتَكُنْ سَفِينَتُكَ فِيهَا تَقْوَى اللَّهِ، وَحَشْوُهَا الْإِيمَانَ[٥٥]،

---

[٥١] **(تكن أعقل الناس):**

لأنَّ التواضع للحق يوصل الإنسان إلى الدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والعقل كما مرَّ القوّة التي يميِّز بها النفع من غيره والعمل بما ينفع، وأيُّ نفع أكثر من عبادة الرحمن واكتساب الجنان، وإبليس لما استكبر على الحق ولم يسجد لآدم عليه السلام، حلَّت عليه اللعنة إلى يوم الدِّين.

[٥٢] **(إنَّ الكيّس لدى الحق يسير):**

«الكيّس» صفة مشبهة من الكياسة، وهي بمعنى جودة الفهم.

و«يسير» إما بمعنى قليل، أي الكيس لا يتكبر بل يعتبر نفسه صغيراً قليلاً أمام الحق، وإما بمعنى السهل، أي العاقل الكيس ينقاد إلى الحق بسهولة.

[٥٣] **(إنَّ الدنيا بحر عميق):**

وجه الشبه هو إمكان الغرق في البحر كما أنَّ الدُّنيا تُهلك من غاص فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾(١).

وفي الوافي(٢): «وجه الشبه تغيّرها واستحالتها وإهلاكها، والكائنات فيها كالأمواج، وما من صورة فيها إلا ولا بدَّ أن تفسد، وأيضاً الناس يعبرون عليها إلى دار أخرى بسفن أخلاقهم الحسنة، والسفينة الناجية هي التقوى المحشوّة بالإيمان».

[٥٤] **(عالم كثير):**

«عالَم» بفتح اللام والمراد ناس بكثرة.

[٥٥] **(وحشوها الإيمان):**

أي البضاعة التي تملأ بها السفينة.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٧.

(٢) الوافي: ج١، ص٩٨.

وَشِرَاعُهَا التَّوَكُّلَ[٥٦]، وَقَيِّمُهَا الْعَقْلَ[٥٧]، وَدَلِيلُهَا الْعِلْمَ[٥٨]، وَسُكَّانُهَا الصَّبْرَ[٥٩].

يَا هِشَامُ: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلاً[٦٠] وَدَلِيلُ الْعَقْلِ التَّفَكُّرُ[٦١]، وَدَلِيلُ التَّفَكُّرِ

---

[٥٦] **(شراعها التوكل):**

«الشراع» القماش الذي يُعلَّق على أخشاب السفينة لتسير بتصفيق الرياح.

و«التوكل» الوثوق بالله والاعتماد عليه وإيكال الأمر إليه.

[٥٧] **(قيمها العقل):**

«القيّم» مدبّر الأمر، وهنا هو القبطان الذي يقود السفينة.

[٥٨] **(دليلها العلم):**

أي الدال على الطريق كالخريطة والنُّجوم ونحوها.

[٥٩] **(سكانها الصبر):**

«السكان» ذنب السفينة، لأنَّها به تسكن وتقوم، وبالصبر يتجاوز الإنسان الصعاب، كما تتجاوز السفينة الأعاصير والصعاب بسكانها.

١٣ ـ تنمية العقل

[٦٠] **(لكل شيء دليلاً):**

أي مرشداً يدلّه على المطلوب ويوصله إليه.

[٦١] **(دليل العقل التفكُّر):**

لأنَّ الإنسان بالتفكير يكتشف كثيراً من الحقائق، ولذا حثَّ القرآن على التفكُّر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١)، فكلما فكَّر الإنسان أكثر ازداد علماً وعقلاً.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣.

الصَّمْتُ[٦٢]، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ[٦٣] وَمَطِيَّةُ الْعَقْلِ التَّوَاضُعُ[٦٤]، وَكَفَى بِكَ جَهْلاً أَنْ تَرْكَبَ مَا نُهِيْتَ عَنْهُ[٦٥].

يَا هِشَامُ: مَا بَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ إِلَى عِبَادِهِ إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللَّهِ[٦٦]

---

[٦٢] **(دليل التفكُّر الصمت):**
أي الصمت يرشد إلى التفكُّر، لأنَّ التفكُّر قرين مع الصمت عادة، كما أنَّ الكلام هو إلقاء الإنسان ما في نفسه فلا يزيده علماً أو عقلاً، أما الصمت فإنَّه يقترن كثيراً مع الإنصات والاستماع وبهما يزداد الإنسان علماً وعقلاً.
ويمكن أن يكون «الدليل» بمعنى العلامة، فالتفكُّر علامة العقل، كما أنَّ الصمت علامة التفكُّر.

[٦٣] **(لكل شي مطيَّة):**
الدابة التي تمطو في سيرها أي تسرع وقيل هو من «مَطَىٰ» أي ظهر الناقة، و«المطيَّة» الدابة التي تركب على ظهرها، والمعنى كل شيء له وسيلة توصل إليه.

[٦٤] **(مطية العقل التواضع):**
أي الانقياد لله تعالى في أوامره ونواهيه، والتواضع للخلق في قبول الحق منهم، فإنَّ العقل يزداد بالطاعة وبجمع عقول الناس إلى عقله.

[٦٥] **(ما نهيت عنه):**
فالدابة الشموس تلقي براكبها في الردى، كما أنَّ الاستكبار والتكبر يلقي بالإنسان إلى الهلاك.

١٤ ـ الالتزام بالشرع علامة العقل

[٦٦] **(إلا ليعقلوا عن الله):**
أي ليستعملوا عقولهم بما تعلّموه من الله بواسطة الأنبياء وليزيدوا عقلهم بعلم الشرع والالتزام به، وفي نهج البلاغة في علة إرسال الأنبياء «وليثيروا

فَأَحْسَنُهُمُ اسْتِجَابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً[٦٧]، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ عَقْلاً[٦٨]، وَأَكْمَلُهُمْ عَقْلاً أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[٦٩].

يَا هِشَامُ: إِنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ[٧٠]: حُجَّةً ظَاهِرَةً وَحُجَّةً بَاطِنَةً، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالأَنْبِيَاءُ وَالأَئِمَّةُ عليهم السلام، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ[٧١].

لهم دفائن العقول» فإنَّ العلم يزيد العقل ـ كما مرّ ـ.

[٦٧] **(فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة):**
هذا في الجانب العملي، لأنَّه كلما ازدادت معرفة الإنسان بالله وآياته وكلماته، ازداد استجابة له تعالى، لأنَّه يعرف حينئذٍ بأنَّ صلاحه في الاستجابة.

[٦٨] **(بأمر الله أحسنهم عقلاً):**
وهذا مرتبط بالجانب العلمي، لأنَّ زيادة العقل بالعلم ـ كما مرّ ـ فكلما ازداد علماً ازداد عقلاً.
و«أمر الله» أي ما يتعلق به تعالى من الطاعات والآداب ونحوها.
فينتج من هاتين الجملتين: أنَّ الإنسان بالعلم وبالعمل يكون أحسن الناس عقلاً.

[٦٩] **(في الدنيا والآخرة):**
قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾(١) أما في الدنيا فإنَّ قيمة الإنسان بعقله، وأما الآخرة فإنَّ الثواب بمقدار العقل ـ كما مرّ في الأحاديث السابقة ـ.

١٥ ـ العقل والأنبياء

[٧٠] **(على الناس حجتين):**
أي دليلين مرشدين إلى العقل يحتجّ بهما على الناس لو خالفوا.

[٧١] **(وأما الباطنة فالعقول):**
سواء كان نظرياً يرشد إلى الله وأنبيائه عليهم السلام، أم كان عملياً يميّز بين الحسن

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١١.

يَا هِشَامُ: إِنَّ الْعَاقِلَ الَّذِي لَا يَشْغَلُ الْحَلَالُ شُكْرَهُ[٧٢]، وَلَا يَغْلِبُ الْحَرَامُ صَبْرَهُ[٧٣].

والقبيح، فالمولود في الفترة أو في منطقة نائية فلم يسمع بالأنبياء، إذا ارتكب القبائح كالسرقة فإنَّه يعاقب عليها، وإذا كسب خيراً فإنَّه يُثاب عليه، وذلك لاتباعه الحجَّة الباطنة.

وأما الفطرة ـ وهي حجَّة باطنة أيضاً ـ:

فإن قيل بأنَّها درجة من درجات العقل فتدخل في قوله: «فالعقول».

وإن قيل بتغايرهما ـ كما هو ليس بالبعيد ـ فلا بدّ من تعميم معنى «العقول» مجازاً، أو أنَّ «العقول» جمع بالتغليب، فقوىٰ الإدراك الباطنة من الفطرة والعقل وغيرهما حينما أريد جمعها تمَّ تغليب أحد الألفاظ فجمع عليه، كما يقال «القَمَران» ويراد بهما الشمس والقمر.

١٦ ـ العقل والعمل

[٧٢] **(لا يشغل الحلال شكره):**

أي لا يغفل بكثرة نعم الله تعالى عليه عن شكره سبحانه، أداءً للواجب واستمراراً للنعمة ودفعاً للنقمة، قال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(٢).

وما دام استمرار النعمة ودفع النقمة في الشكر، فإن العاقل من يدفع الضرر عن نفسه ويجلب النفع إليها، عبر الشكر.

[٧٣] **(ولا يغلب الحرام صبره):**

«الصبر» التحمل وعدم الانهيار وجمع القوى لتجاوز الأزمات، وهو صبر في الطاعة، وعلى المعصية، وعند المصيبة، وخلاف الصبر ترك الطاعة وارتكاب المعصية والجزع عند المصيبة وكلها محرمات، وهي تضرّ الإنسان

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٢.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧.

يَا هِشَامُ: مَنْ سَلَّطَ ثَلَاثاً عَلَى ثَلَاثٍ فَكَأَنَّمَا أَعَانَ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ[٧٤]: مَنْ أَظْلَمَ نُورُ تَفَكُّرِهِ بِطُولِ أَمَلِهِ[٧٥]، وَمَحَا طَرَائِفَ حِكْمَتِهِ بِفُضُولِ كَلَامِهِ[٧٦]، وَأَطْفَأَ

وتُبعد عنه منافع الدنيا والآخرة، فلذا العاقل لا يغلب الحرامُ المُضرّ صبرَه النافع، قال تعالى: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾(٢)، والشكر والصبر مقترنان عادة قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(٣).

١٧ ـ أعداء العقل

[٧٤] **(على هدم عقله):**

لأنَّ العقل كما يزداد بالعلم والعمل، كذلك ينقص بالجهل وترك العمل بطول الأمل.

[٧٥] **(أظلم نور تفكّره بطول أمله):**

«أظلم» من الظلمة، والمعنى أطفأ نور التفكُّر، «نور تفكره» أي نور هو تفكره، أو نور ينشأ من التفكر، «طول أمله» أصل الأمل مطلوب لأنَّ الإنسان بالأمل يعيش ويعمل قال تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾(٤) فإنَّ أمل الإنسان فيها خير من أمله بما في دنياه، ولكن إذا تعدَّى الأمل بالدنيا حدّه انقلب إلى طول الأمل فيغفل عن الآخرة وعن السعي لها ويسوّف في الجمع لها ممَّا يضر دينه ودنياه، قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(٥) أي يشغلهم الأمل في البقاء في الدنيا ثم سيعلمون وبال ذلك.

[٧٦] **(محا طرائف حكمته بفضول كلامه):**

«الطرائف» جمع طريف وهو الأمر الجديد النفيس الذي يثير الاستغراب

(١) سورة النساء: الآية ٢٥.
(٢) سورة الرعد: الآية ٢٤.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٥.
(٤) سورة الكهف: الآية ٤٦.
(٥) سورة الحجر: الآية ٣.

نُورَ عِبْرَتِهِ بِشَهَوَاتِ نَفْسِهِ[٧٧]، فَكَأَنَّمَا أَعَانَ هَوَاهُ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ، وَمَنْ هَدَمَ عَقْلَهُ أَفْسَدَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ.

يَا هِشَامُ: كَيْفَ يَزْكُو[٧٨] عِنْدَ اللَّهِ عَمَلُكَ، وَأَنْتَ قَدْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ عَنْ أَمْرِ

لنفاسته «الفضول» الزائد اللغو، لأنَّ الإنسان إذا انشغل باللغو غفل عن وضع الأشياء في مواضعها، وإذا انغمس في ذلك نسي الحكمة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٢).

[٧٧] (أطفأ نور عبرته بشهوات نفسه):

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾(٣).

فإن أخذ العبرة من الحوادث، من صفات العاقل، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(٤)، ولكن الشهوات تعمي البصيرة فتنطفىء نور العبرة، فينساق الإنسان وراء الشهوات ممَّا تضر دنياه وآخرته، أما إذا تحكَّم في شهواته وخشي ربه فإنَّه يعتبر بنور بصيرته قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾(٥).

١٨ ـ نمو العمل بالعقل

[٧٨] (كيف يزكو):

«الزكاة» بمعنى الطهارة والنمو، أي كيف يطهر وينمو عند الله عملك.

---

(١) سورة المؤمنون: ٣.
(٢) سورة لقمان: الآية ٦.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٧.
(٤) سورة يوسف: الآية ١١١.
(٥) سورة النازعات: الآية ٢٦.

رَبِّكَ[٧٩] وَأَطَعْتَ هَوَاكَ عَلَى غَلَبَةِ عَقْلِكَ[٨٠].

يَا هِشَامُ: الصَّبْرُ عَلَى الْوَحْدَةِ[٨١] عَلَامَةُ قُوَّةِ الْعَقْلِ[٨٢]، فَمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ[٨٣]

---

[٧٩] **(عن أمر ربك):**

أي عن شأن ربك من الطاعة له، ولا يطهر ولا ينمو العمل إلا إذا كان عن قلب سليم قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(١).

[٨٠] **(على غلبة عقلك):**

أي أطعت هواك على رغبته في المعاصي، فتكون قد رجّحت الهوى على العقل.

١٩ ـ العقل والوحدة

[٨١] **(الصبر على الوحدة):**

«الوحدة»: الانفراد وعدم الانضمام إلى الجمع، وقولهم «الوحدة الإسلامية» لا يصحّ إلا بضرب من التأويل، والأصح «الاتحاد» أي انضمام البعض إلى الآخر.

ومعنى «الصبر على الوحدة» هو عدم الدخول مع الناس في مناهجهم الخاطئة، بل البقاء على الحق حتى وإن كلّف ذلك هجران الناس، وليس معنى ذلك عدم الالتقاء بالناس وعدم مداراتهم، بل قيل: «كُن في الناس ولا تكن معهم» أي لا تكن معهم في عقائدهم الباطلة وأعمالهم الفاسدة، نعم قد تلزم مقاطعتهم حتى لا يتأثر بهم، أو إذا كان ذلك تأييد لباطلهم.

[٨٢] **(علامة قوة العقل):**

لأنّه ابتعاد عن الشهوات لتحصيل النفع الأكبر، وهذا ناشىء عن العقل وقوته.

[٨٣] **(عقل عن الله):**

أي استعمل عقله بما تعلّمه من الله تعالى، والواسطة في ذلك العلم هم الأنبياء وأوصياؤهم عليهم السلام، ولذا قال عليه السلام «عن الله».

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٨٩.

اعْتَزَلَ أَهْلَ الدُّنْيَا وَالرَّاغِبِينَ فِيهَا[٨٤]، وَرَغِبَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ[٨٥]، وَكَانَ اللَّهُ أُنْسَهُ فِي الْوَحْشَةِ[٨٦]، وَصَاحِبَهُ فِي الْوَحْدَةِ، وَغِنَاهُ فِي الْعَيْلَةِ[٨٧]، وَمُعِزَّهُ مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ[٨٨].

يَا هِشَامُ: نَصْبُ الْحَقِّ لِطَاعَةِ اللَّهِ[٨٩]، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا

---

[٨٤] (اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها):
«الاعتزال» هو الابتعاد والهجران، أي لم يدخل مع أهل الدنيا في ما هم عليه من الباطل، و«أهل الدنيا»: المالكين لها فعلاً، و«الراغبين فيها» هم الذين لا يمتلكونها ولكنهم يريدونها، وكلا الصنفين يزيّنان للإنسان معصية الله تعالى.

[٨٥] (ورغب فيما عند الله):
من الثواب والأجر.

[٨٦] (أنسه في الوحشة):
أي مونسه في وحشته، لأنَّ الوحدة توجب الاستيحاش، لكن من كان مع الله كان الله معه، وهذه الوحشة قد تكون في الدنيا، وقد تكون في القبر وما بعده، فيكون الله تعالى يخرجه من وحشته ووحدته وفقره وذلّه.

[٨٧] (غناه في العيلة):
أي مُغنيه في فقره.

[٨٨] (من غير عشيرة):
قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾(١).

٢٠ ـ العقل والطاعة

[٨٩] (نصب الحق لطاعة الله):
«نُصِبَ» فعل مجهول أي جُعِل، والمعنى: إنَّما أنزل الله الدِّين الحق وبيَّنه للناس بواسطة الرسل لكي يطيعوه فيهتدوا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن

---

(١) سورة مريم: الآيتان ٤٩ ـ ٥٠.

بِالطَّاعَةِ[٩٠]، وَالطَّاعَةُ بِالْعِلْمِ[٩١] وَالْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالتَّعَلُّمُ بِالْعَقْلِ يُعْتَقَدُ[٩٢]، وَلَا عِلْمَ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ رَبَّانِيٍّ[٩٣]، وَمَعْرِفَةُ الْعِلْمِ بِالْعَقْلِ[٩٤].

رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(١).

[٩٠] **(ولا نجاة إلا بالطاعة):**

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٣).

[٩١] **(والطاعة بالعلم):**

أي الطاعة بالعلم بكيفية الطاعة، وإلا كان عاصياً من حيث يزعم أنَّه مطيع، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(٤).

[٩٢] **(التعلم بالعقل يعتقد):**

«يُعتقد» فعل مجهول، أي يستحكم، لعدم فائدة تعلم من غير إعمال العقل، إذ مثل من يحفظ المطالب من غير تعقل ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾(٥).

[٩٣] **(إلا من عالم رباني):**

«رباني» منسوب إلى الرب، والمقصود أنَّ علوم الدِّين لا تؤخذ إلا من عالم متقٍّ أخذ علمه من الرب بواسطة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٦).

[٩٤] **(ومعرفة العلم بالعقل):**

أي العقل هو المائز بين العلم الحق وبين الباطل المتلبس بلباس العلم.

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٤.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٧١.
(٣) سورة الصف: الآية: ١٠.
(٤) سورة الكهف: الآيتان ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٥) سورة الجمعة: الآية ٥.
(٦) سورة الأنبياء: الآية ٧.

يَا هِشَامُ: قَلِيلُ الْعَمَلِ مِنَ الْعَالِمِ مَقْبُولٌ مُضَاعَفٌ[٩٥]، وَكَثِيرُ الْعَمَلِ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَالْجَهْلِ مَرْدُودٌ[٩٦].

يَا هِشَامُ: إِنَّ الْعَاقِلَ رَضِيَ بِالدُّونِ مِنَ الدُّنْيَا[٩٧] مَعَ الْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَرْضَ

وحاصل الحديث: أنَّ الإنسان بتعقل ما يتعلم يصل إلى العلم، وبالعلم يطيع الله تعالى، وبالطاعة ينجو، وذلك هو الغرض من نصب الحق وبيانه بإرسال الرسل وإنزال الكتب، والعلم يحتاج إلى العقل لمعرفة العالم الذي يأخذ منه العلم ولفهم ما يلقيه العالم.

٢١ ـ العقل وقبول العمل

[٩٥] **(من العالم مقبول مضاعف)**:
وذلك لأنَّ العالم يأتي بالعمل على وجهه صحيحاً وبشروطه، فيكون مقبولاً ومضاعفاً قال تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١).
وفي تحف العقول: (من العاقل مقبول مضاعف).

[٩٦] **(الهوى والجهل مردود)**:
لاختلاط عمل أهل الهوى بالرياء والشرك ونحوهما، وأهل الجهل لا يأتون بالعمل بشكل صحيح لجهلهم بالكيفية الصحيحة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾(٣).

٢٢ ـ العقل والحكمة

[٩٧] **(بالدون من الدنيا)**:
«الدون» أي القليل، وهو قدر الكفاف.

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٠.
(٢) سورة المائدة: الآية ٢٧.
(٣) سورة التوبة: الآية ٥٣.

بِالدُّونِ مِنَ الْحِكْمَةِ مَعَ الدُّنْيَا[٩٨]، فَلِذَلِكَ رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ[٩٩].

يَا هِشَامُ: إِنَّ الْعُقَلَاءَ تَرَكُوا فُضُولَ الدُّنْيَا[١٠٠] فَكَيْفَ الذُّنُوبَ[١٠١]، وَتَرْكُ الدُّنْيَا مِنَ الْفَضْلِ[١٠٢] وَتَرْكُ الذُّنُوبِ مِنَ الْفَرْضِ.

---

[٩٨] **(مع الدنيا):**
وإن كانت الدنيا شاملة ولذاتها كاملة.

[٩٩] **(فلذلك ربحت تجارتهم):**
قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(١) وربحهم لأنَّهم باعوا دنيا حقيرة زائلة بأمر شريف باق يضمن لهم سعادة الدارين.

٢٣ ـ العقل والذنوب

[١٠٠] **(فضول الدنيا):**
أي الزائد على مقدار الكفاف، وذلك لأنَّ الدنيا تمنع من الالتفات إلى الآخرة، وكلَّما اشتغل الإنسان بالدنيا أكثر ابتعد عن الآخرة أكثر، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾(٢).

[١٠١] **(فكيف بالذُّنوب):**
فالعاقل لا يشتغل بفضول الدنيا التي هي مباحة، لأنَّها تمنعه من الكمالات، فكيف يشتغل بالذنوب التي تلقيه في الرذائل والعقوبة!!
وكان الوالد رضوان الله عليه يوصينا دائماً بالابتعاد عن البهرجة الدنيوية والكماليات فيها، وكان يقول إنَّ الإنسان يتحول إلى طاغوت بالتدريج، وكلَّما اهتم بأمر دنيوي أكثر انغمس في الدنيا أكثر، إلى أن تتحول الدنيا إلى همّه الوحيد.

[١٠٢] **(وترك الدنيا من الفضل):**
الجملة حالية، والمراد أنَّ العقلاء اشتغلوا بالفضل فضلاً عن الفرض.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.
(٢) سورة الشورى: الآية ٢٠.

يَا هِشَامُ: إِنَّ الْعَاقِلَ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا وَإِلَى أَهْلِهَا، فَعَلِمَ أَنَّهَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ، وَنَظَرَ إِلَى الْآخِرَةِ فَعَلِمَ أَنَّهَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ، فَطَلَبَ بِالْمَشَقَّةِ أَبْقَاهُمَا[١٠٣].

يَا هِشَامُ: إِنَّ الْعُقَلَاءَ زَهِدُوا فِي الدُّنْيَا[١٠٤] وَرَغِبُوا فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا طَالِبَةٌ مَطْلُوبَةٌ[١٠٥] وَالْآخِرَةَ طَالِبَةٌ وَمَطْلُوبَةٌ[١٠٦]، فَمَنْ طَلَبَ

---

٢٤ ـ العقل والمشقة للربح الأكبر

[١٠٣] (بالمشقة أبقاهما):

عن أمير المؤمنين عليه السلام «لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف، لاختار العاقل الخزف الباقي على الذهب الفاني»(١) كيف والأمر على العكس من ذلك.

٢٥ ـ العقل وطلب الآخرة

[١٠٤] (زهدوا في الدنيا):

«الزهد» هو عدم الرغبة في الشيء حتى لو كان يملكه، وقد قيل: «الزهد أن لا يملكك شيء لا أن لا تملك شيئاً» فرُبَّ غني زاهد، ورُبّ فقير راغب حريص.

[١٠٥] (الدنيا طالبة مطلوبة):

الدنيا تطلب الإنسان لتوصل إليه رزقه ويستوفي منها طعمته، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾(٢)، كما أنَّ الدنيا مطلوبة لأبنائها ليتمتعوا فيها أكثر.

وقوله (مطلوبة) حال من الدنيا أو صفة لها، أي إنَّ الدنيا طالبة بالذات حال كونها مطلوبة لأبنائها بالعرض، إذ لم تخلق لتكون مطلوبة وإنَّما خُلقت لتكون طالبة.

[١٠٦] (الآخرة طالبة ومطلوبة):

الآخرة تطلب الإنسان لتقبضه إليها، ببلوغ الأجل والموت، قال تعالى:

---

(١) الوافي ج١، ص١٠٠.

(٢) سورة هود: الآية ٦.

الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ، وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَتْهُ الْآخِرَةُ فَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ، فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

يَا هِشَامُ: مَنْ أَرَادَ الْغِنَى بِلَا مَالٍ[١٠٧]، وَرَاحَةَ الْقَلْبِ مِنَ الْحَسَدِ[١٠٨]، وَالسَّلَامَةَ فِي الدِّينِ، فَلْيَتَضَرَّعْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَسْأَلَتِهِ بِأَنْ يُكَمِّلَ عَقْلَهُ،

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾(١).

كما أنَّ الآخرة مطلوبة لمن يسعى لها لينال الدرجات الرفيعة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾(٢).

وقوله (طالبة ومطلوبة) مع واو العطف لأنَّ الآخرة بالذات طالبة ومطلوبة، عكس الدنيا التي هي طالبة بالذات، مطلوبة بالعرض، فتأمل.

٢٦ ـ العقل والراحة

[١٠٧] **(الغنى بلا مال):**

لأنَّ الغنى مرتبط بالنفس، فمن كانت نفسه غنية كان غنياً وإن كان مُعدماً، ومن كانت نفسه فقيرة كان مسكيناً حتى وإن ملك الدنيا، قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾(٣) فاليهود أذلاء فقراء النفس لا يشبعون من المال مهما ازدادت ثرواتهم.

[١٠٨] **(راحة القلب من الحسد):**

لأنَّ الحسد يشغل فكر الإنسان ويسلبه راحته، وعادة ما يكون الحسود فاقداً لكمال يوجد في المحسود، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(٤).

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٨.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية١١٢.
(٤) سورة النساء: الآية ٥٤.

فَمَنْ عَقَلَ قَنِعَ بِمَا يَكْفِيهِ، وَمَنْ قَنِعَ بِمَا يَكْفِيهِ اسْتَغْنَى[١٠٩]، وَمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِمَا يَكْفِيهِ لَمْ يُدْرِكِ الْغِنَى أَبَداً[١١٠].

يَا هِشَامُ: إِنَّ اللَّهَ حَكَى، عَنْ قَوْمٍ صَالِحِينَ: أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ[١١١]﴾ [آل عِمرَان: ٨] **حِينَ عَلِمُوا أَنَّ الْقُلُوبَ تَزِيغُ وَتَعُودُ إِلَى عَمَاهَا وَرَدَاهَا[١١٢]. إِنَّهُ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ مَنْ لَمْ يَعْقِلْ**

---

[١٠٩] (بما يكفيه استغنى):

أي استغنت نفسه، وابتعد عن الحسد أيضاً، لأنَّه لا ينشغل بالتفكير في دنيا الغير.

[١١٠] (لم يدرك الغنى أبداً):

لأنَّه يطلب الزيادة، ولا حدّ للزيادة ولا لطلبها.

٢٧ ـ العقل والانحراف

[١١١] (إنَّك أنت الوهّاب):

في التبيين[١]: يقول الراسخون ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ أي لا تحرِّفها عن الحق، وإنَّما يدعون هكذا لأنَّ الله سبحانه إذا أوكل العبد إلى نفسه ولم يلطف به مال عن الحق ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي ارحمنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ معطي الهبات الكثيرة. انتهى.

والإنسان هو سبب الزيغ، وإلا فإنَّ الله لا يزيغ القلوب اعتباطاً قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٢] أي هم بانحرافهم سبَّبوا لأن يتركهم الله تعالى وشأنهم حتى زاغت قلوبهم.

[١١٢] (تعود إلى عماها ورداها):

«الردى» الهلاك، لأنَّ الأصل في النفس أنَّها ترغب إلى الباطل قال تعالى:

---

(١) التبيين: ص٦٠.

(٢) سورة الصف: الآية ٥.

عَنِ اللَّهِ[١١٣] وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ عَنِ اللَّهِ، لَمْ يَعْقِدْ قَلْبَهُ[١١٤] عَلَى مَعْرِفَةٍ ثَابِتَةٍ يُبْصِرُهَا[١١٥] وَيَجِدُ حَقِيقَتَهَا فِي قَلْبِهِ[١١٦]، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾(١) وذلك لأنَّ الهداية من الله تعالى فإذا تُرك الإنسان وشأنه ضلَّ سواء السبيل.

[١١٣] **(لم يعقل عن الله):**

أي من لم يستعمل عقله بالأخذ عن الله بواسطة الأنبياء والأئمة عليهم السلام وذلك لأنَّ من يخاف عقاب الله تعالى يبتعد عن أسباب العقاب، ويستمع إلى أوامره ونواهيه تعالى لكي ينجو، وأما إذا أخذ عن غير الله فقد ألقى بنفسه في عقابه تعالى وذلك معنى عدم الخوف منه تعالى.

[١١٤] **(لم يعقد قلبه):**

«عقد القلب» إحكامه ويُراد به القبول الجازم للشيء، وهو الفرق بين المنافق والمؤمن.

فقد يقال: إنَّ بعض المنافقين كانوا يعلمون بأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله حق، وتلفظوا الشهادتين، وأدّوا الفرائض في الظاهر، فما هو فرقهم عن المؤمنين؟

فيقال: بأنَّ المنافق لم يعقد قلبه على الإيمان، أي لا يقبل الحق في قلبه ولا يريد قبوله ويتربص الدوائر للتخلص من الإيمان والمؤمنين، عكس المؤمن الذي يعقد قلبه على الإيمان.

[١١٥] **(على معرفة ثابتة يبصرها):**

لأنَّ ما أخذ عن الله تعالى هو الحق، والحق ثابت لا يزول ولا يتغيَّر، أما من أخذ عن غيره فليس له معرفة فهو أعمى القلب لا يبصر المعارف، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ﴾(٢).

[١١٦] **(يجد حقيقتها في قلبه):**

قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾(٣)، أما من عقل عن الله فإنَّ قلبه

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٦.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

كَذَلِكَ[١١٧] إِلَّا مَنْ كَانَ قَوْلُهُ لِفِعْلِهِ مُصَدِّقاً[١١٨]، وَسِرُّهُ لِعَلَانِيَتِهِ مُوَافِقاً[١١٩]، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ[١٢٠] لَمْ يَدُلَّ عَلَى الْبَاطِنِ الْخَفِيِّ مِنَ الْعَقْلِ إِلَّا بِظَاهِرٍ مِنْهُ، وَنَاطِقٍ عَنْهُ.

مطمئن بالإيمان والمعرفة قال سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(١).

[١١٧] **(ولا يكون أحد كذلك):**

أي عاقداً القلب على المعرفة وواجداً حقيقتها فيه، والحاصل لا يكون أحد مطمئن القلب بالإيمان إلا إذا كان قوله. . .الخ.

[١١٨] **(قوله لفعله مصدقاً):**

الفعل عادة يسبق القول، فإذا تكلم الإنسان بالكلام الصحيح، ينظر إلى فعله السابق على هذا الكلام، فيرى هل كلامه يكذّب فعله بمعنى عدم مطابقته له أم أنَّ كلامه يصدّق فعله أي يطابقه، لأنَّ الصدق هو مطابقة الواقع، والكذب مخالفته.

[١١٩] **(لعلانيته موافقاً):**

لأنَّ الإيمان الحقيقي يظهر على الفعل وفي السرّ، كما يظهر في القول والعلانية. قال تعالى: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾(٢)، أما إذا لم يكن القلب مطمئناً بالإيمان ـ حيث لم يكن لصاحبه معرفة ثابتة ولم يجد حقيقة الإيمان في قلبه ـ فإنَّ صاحب هذا القلب يتصرف من منطلق مصالحه وشهواته، فيقول الكلام الصحيح لأنَّ مصلحته في ذلك ويفعل عكس كلامه لأنَّ شهوته تريد كذلك، كما أنَّه في العلن يلاحظ الناس لا في السر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾(٣).

[١٢٠] **(لأنَّ الله تبارك اسمه):**

دليل على أنَّ صاحب المعرفة لا بدَّ أن يكون قوله مصدقاً لفعله وسرّه موافقاً لعلانيته.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٨.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤.

يَا هِشَامُ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ[١٢١]، وَمَا تَمَّ عَقْلُ امْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خِصَالٌ شَتَّى: الْكُفْرُ وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونَانِ[١٢٢]، وَالرُّشْدُ وَالْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولَانِ[١٢٣]، وَفَضْلُ مَالِهِ

وحاصله أنَّ الله تعالى جعل لكل أمر خفي علامة ظاهرة يستدلّ بتلك العلامة على ذلك الأمر الخفي، فالباطن الخفي ـ هنا ـ هو استعمال العقل بالأخذ عن الله والخوف منه وعقد القلب على المعرفة.

وعلامته الظاهرة هو تطابق الفعل مع القول والسر مع العلانية، فإذا أراد الإنسان معرفة درجة إيمان نفسه أو إيمان الآخرين نظر إلى هذه العلامة.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾(١) فجعل سبحانه في هذه الآيات القول والعمل العلامة الفارقة بين النفاق والإيمان.

٢٨ ـ كمال العقل

[١٢١] **(أفضل من العقل):**

أي أهم سبب للعبادة هو العقل، أو بمعنى أنَّ تكميل العقل هو أفضل العبادات.

[١٢٢] **(الكفر والشر منه مأمونان):**

لعلَّ المراد كفر النعمة، فيأمن جانبه في أنَّه لا يكفر بمن أنعم عليه، كما لا يوصل شره إلى الغير.

أو المراد الكفر في الاعتقاد والشر في العمل، فهو مأمون الجانب في فكره وفي عمله، ومنشأ ذلك عقله.

[١٢٣] **(الرشد والخير فيه مأمولان):**

«الرشد» الهداية، ولعلَّ المراد به ـ هنا ـ أمل الناس بحسن فكره، كأملهم بخير عمله.

---

(١) سورة محمد: الآيات ٢٩ ـ ٣١.

مَبْذُولٌ[١٢٤] وَفَضْلُ قَوْلِهِ مَكْفُوفٌ[١٢٥]، وَنَصِيبُهُ مِنَ الدُّنْيَا الْقُوتُ[١٢٦]، لَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ دَهْرَهُ[١٢٧]، الذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مَعَ اللَّهِ مِنَ الْعِزِّ مَعَ غَيْرِهِ[١٢٨]، وَالتَّوَاضُعُ

والحاصل أنَّ الناس يأمنون منه، ويأملونه فكراً وعملاً.

[١٢٤] **(فضل ماله مبذول):**
لأنَّ الكرم سب المنافع الدنيوية والأخروية، وعكسه البخل، والعقل يدعو إلى جلب المنافع ـ كما مرّ ـ.

[١٢٥] **(فضل قوله مكفوف):**
أي ممنوع، لأنَّ الكلام الزائد لغو، والعاقل يُعرض عن اللغو، كما مرّ توضيحه في قوله ﷺ: «محا طرائف حكمته بفضول كلامه».

[١٢٦] **(نصيبه من الدنيا القوت):**
أي لا يفرط من ملذات الدنيا، بل يأخذ منها ما يكفيه لرفع حاجته، فإنَّ الإفراط في الأكل والشرب والملامسة ونحوها مضرة للبدن، وتوجب غفلته عن المكارم.

[١٢٧] **(لا يشبع من العلم دهره):**
لأنَّ العلم كمال، والعاقل يسير نحو الكمال ما دام حياً، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(١).
وعن رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللّحد»(٢).
وقوله: «دهره» ظرف منصوب بمعنى تمام عمره.

[١٢٨] **(من العزّ مع غيره):**
وذلك لأنَّ العزة لله جميعاً، وكل منقطع عن الله ذليل، فالعاقل يذلّ نفسه أمام الله تعالى بالخضوع والخشوع والعبادة، لينال الدرجات العلى عنده سبحانه، وهي العزة الحقيقية، ولا يطلب العزة من غير الله، لأنَّ غير الله لا

---

(١) سورة طه: الآية ١١٤.
(٢) آداب المتعلّمين: ص١١١.

أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرَفِ[١٢٩]، يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ[١٣٠]، وَيَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ[١٣١]، وَيَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْراً مِنْهُ[١٣٢]، وَأَنَّهُ شَرُّهُمْ فِي

عزة له أصلاً، وما يتصور أنَّها عزة فهي ذلة في الحقيقة، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾(١).

ويمكن أن يكون المراد أن يُذَلّ أمام الناس بالحبس والإقصاء والتجريح ـ فيما فيه مرضاة الله تعالى ـ أحب إليه من أن تكون له عزة دنيوية فيما فيه معصية الله.

[١٢٩] **(التواضع أحب إليه من الشرف):**

لعلَّ المراد أنَّه في قرارة نفسه لا يهتم بالمناصب الدنيوية والفخفخة والبهرجة، لعلمه بأنَّها زائلة لا قيمة لها، وفي نهج البلاغة يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»(٢) وفي رواية أخرى: «من عراق خنزير في يد مجذوم»(٣).

[١٣٠] **(يستكثر قليل المعروف من غيره):**

أي يجازي من أحسن إليه بأضعاف مضاعفة، وروي أنَّ جارية للإمام الحسن بن علي عليه السلام حيّته بطاقة ريحانٍ، فقال لها: انتِ حرّة لوجه الله»(٤) أهدت إليه وردة فأعتقها في سبيل الله تعالى.

[١٣١] **(يستقل كثير المعروف من نفسه):**

لأنَّه يعلم أنَّ فعله للمعروف كان بتوفيق من الله تعالى، فلا يَمُنّ على الناس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾(٥) أي لا تمنن في عطيتك فتراه كثيراً.

[١٣٢] **(يرى الناس كلهم خيراً منه):**

لحسن ظنه بالناس، وهذه الرؤية تكون حافزاً للجد والمثابرة والعمل قال

---

(١) سورة النساء: الآية ١٣٩.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣.
(٣) نهج البلاغة: ٤:٣٧.
(٤) البحار: ج٤٣، ص٣٤٣.
(٥) سورة المدثر، الآية: ٦.

نَفْسِهِ[١٣٣]، وَهُوَ تَمَامُ الْأَمْرِ[١٣٤].

يَا هِشَامُ: إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَكْذِبُ[١٣٥] وَإِنْ كَانَ فِيهِ هَوَاهُ.

تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾(١)، كما أنَّها تسبب حسن التعامل مع الناس وعدم التكبر عليهم.

[١٣٣] **(شرهم في نفسه):**

لعلمه بعيوب نفسه، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾(٢)، والإنسان بطبعه يميل إلى تزكية نفسه، فحسن ظنه بنفسه يوجب غفلته عن إصلاح عيوبه، ولذا فسوء ظنه بنفسه يبعده عن الانخداع بهواه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾(٣) وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾(٤).

[١٣٤] **(وهو تمام الأمر):**

مرجع ضمير «هو» إما قوله: (أنه شرّهم في نفسه) أي بهذه الفقرة ينتهي الكلام في الخصال التي يستجمعها العاقل حتى يتمّ عقله، وإمَّا إلى الكون المستفاد من قوله: (حتى يكون فيه خصال) فالمعنى باستجماع كل هذه الصفات يتمّ الأمر ـ أي العقل ـ.

٢٩ ـ العقل والكذب

[١٣٥] **(إنَّ العاقل لا يكذب):**

«الكذب» هو القول المخالف للواقع أو المخالف للاعتقاد، ولا يكذب الإنسان إلا بسبب مشكلة في نفسه وخلل في عمله، يريد التغطية عليهما، والعاقل من أصلح سريرته وعلانيته فلا يحتاج إلى الكذب أصلاً، وضرر

---

(١) سورة المطففين: الآية ٢٦.
(٢) سورة القيامة: الآية ١٥.
(٣) سورة النجم: الآية ٣٢.
(٤) سورة النساء: الآية ٤٩.

يَا هِشَامُ: لَا دِينَ لِمَنْ لَا مُرُوَّةَ لَهُ[١٣٦]، وَلَا مُرُوَّةَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ[١٣٧]، وَإِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ قَدْراً الَّذِي لَا يَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ خَطَراً[١٣٨] أَمَا إِنَّ أَبْدَانَكُمْ لَيْسَ لَهَا ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ فَلَا تَبِيعُوهَا بِغَيْرِهَا.

الكذب أكثر من نفعه والعاقل لا يعمل ما يُضره.

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «جعلت الخبائث كلها في بيت وجعل مفتاحها الكذب»(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «ثمرة الكذب المهانة في الدنيا والعذاب في الآخرة»(٢).

٣٠ ـ العقل والمروءة

[١٣٦] **(لا دين لمن لا مروَّة له):**

«المروءة»: فعل ما ينبغي فعله، وترك ما لا يليق بالمرء ـ وهي مصدر مشتق من المرء ـ، وهي صفة تدعو لمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب في القول والفعل، وقمة المروءة ترك المحرمات وفعل الواجبات، ومن لا مروة له لا يهتم بفعل محرمات لا تليق به وترك واجبات ينبغي فعلها، فيكون عدم الدِّين نتيجة عدم المروءة.

[١٣٧] **(لا مروة لمن لا عقل له):**

لأنَّ من لا عقل له لا يكون عارفاً بما يليق وما لا يليق، وإذا عرف فلا رادع له عن فعل ما لا يليق، ولا داعي له لفعل ما يليق.

[١٣٨] **(لنفسه خطراً):**

«الخطر» هنا بمعنى المنزلة والقدر، والمراد أنَّ الإنسان لا يرى للدنيا قيمة حتى يبيع نفسه بها، وذلك من مروءته حيث لا يفعل ما لا يليق به من معاوضة نفسه بالدنيا، بل يرى للآخرة القيمة الكاملة فيبيع نفسه بدلاً عنها.

---

(١) البحار: ج٦٩ ص٢٦٣.

(٢) غرر الحكم: ج١ ص١٤٢.

يَا هِشَامُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام كَانَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ عَلَامَةِ الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ[١٣٩]: يُجِيبُ إِذَا سُئِلَ، وَيَنْطِقُ إِذَا عَجَزَ الْقَوْمُ عَنِ الْكَلَامِ، وَيُشِيرُ بِالرَّأْيِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ صَلَاحُ أَهْلِهِ[١٤٠]، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ شَيْءٌ فَهُوَ أَحْمَقُ[١٤١].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾(١).

٣١ ـ العقل وكمال الرأي

[١٣٩] **(ثلاث خصال):**

وهي أن يكون صاحب رأي سديد، ويتكلم في وقت الحاجة.

[١٤٠] **(صلاح أهله):**

أي يكون له علم ولا يبخل به، فهو قادر على الجواب لعلمه، كما أنَّه يعلم بأنَّ زكاة العلم نشره.

وفي المرآة(٢): ولعلَّ قوله: «يجيب إذا سئل» ناظر إلى الفتاوى في النقليات والشرعيات، وقوله: «وينطق إذا عجز القوم» ناظر إلى تحقيق المعارف والعقليات، و«يشير بالرأي» ناظر إلى معرفة التدبير والسياسات في العمليات. انتهى.

ويمكن أن يكون إشارة إلى حالات ثلاث: حينما يُسأل، وحينما يرى الجميع عاجزين، وحينما يرى احتياج الغير إلى الرأي ولو لم يسأل فيبادر.

[١٤١] **(شيء فهو أحمق):**

أي قليل العقل، حيث لا معرفة له بمواطن المصلحة والمفسدة.

ثم إنَّ المراد وجود هذه الخصال الثلاث في الجملة، لا دائماً، فلا يخلو غير المعصوم من جهل أو عجز أو خطأ.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٢) المرآة: ج١ ص٦٣.

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: لَا يَجْلِسُ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ[١٤٢] إِلَّا رَجُلٌ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ أَوْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُنَّ فَجَلَسَ فَهُوَ أَحْمَقُ[١٤٣]. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام: إِذَا طَلَبْتُمُ الْحَوَائِجَ فَاطْلُبُوهَا مِنْ أَهْلِهَا[١٤٤]، قِيلَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ أَهْلُهَا؟ قَالَ: الَّذِينَ قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَهُمْ، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَٰبِ﴾ [الرّعد: ١٩] قَالَ: هُمْ أُولُو الْعُقُولِ[١٤٥].

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ دَاعِيَةٌ إِلَى الصَّلَاحِ[١٤٦]، وَآدَابُ الْعُلَمَاءِ[١٤٧] زِيَادَةٌ فِي الْعَقْلِ، وَطَاعَةُ وُلَاةِ الْعَدْلِ

---

[١٤٢] (في صدر المجلس):

كناية عن الرئاسة على الناس والتصدي لأمورهم.

[١٤٣] (فجلس فهو أحمق):

لأنَّ العاقل لا يتصدى لما لا يقدر عليه.

[١٤٤] (فاطلبوها من أهلها):

أي أهل قضاء الحاجة، وهم الذين يجدر طلب الحاجة منهم.

[١٤٥] (هم أولو العقول):

لأنَّ العاقل إن تمكن من قضاء الحاجة فعل، وإن لم يتمكن اعتذر بما يليق ولا يريق ماء وجه الطالب ثم لا يَمُنّ، ولعلّه يضمر في نفسه إيصال خير آخر فلئن عجز عن قضاء الحاجة فإنَّه لا يعجز عن الإكرام.

[١٤٦] (مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح):

لتأثر الإنسان بأصحابه، قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١).

[١٤٧] (آداب العلماء):

أي التأدب بآدابهم، وزيادة العقل كما مرّ بالعلم والعمل.

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

تَمَامُ الْعِزِّ[١٤٨]، وَاسْتِثْمَارُ الْمَالِ تَمَامُ الْمُرُوءَةِ[١٤٩]، وَإِرْشَادُ الْمُسْتَشِيرِ قَضَاءٌ لِحَقِّ النِّعْمَةِ[١٥٠]، وَكَفُّ الْأَذَى مِنْ كَمَالِ الْعَقْلِ، وَفِيهِ رَاحَةُ الْبَدَنِ عَاجِلاً وَآجِلاً[١٥١].

يَا هِشَامُ: إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يُحَدِّثُ مَنْ يَخَافُ تَكْذِيبَهُ[١٥٢]، وَلَا يَسْأَلُ مَنْ

---

[١٤٨] **(تمام العز):**

لما في إطاعتهم من خير الدنيا بنظم أمور المعاش، وخير الآخرة لأنَّ ولاة العدل يوردون الناس مسالك الحق والدِّين.

وولاة العدل هم الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام ومن سار على نهجهم، وأما ولاة الجور فإن يوردون الناس إلى مهاوي الضلال والتيه، فيُذّل من يتبعهم في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾(١).

[١٤٩] **(استثمار المال تمام المروءة):**

أي بتنمية المال تكمل المروءة، لأنَّ الإنسان يتمكن من حفظ ماء وجهه فلا تدعوه الحاجة إلى أن يريقه، كما أنَّه يتمكن من الإتيان بما يليق به.

[١٥٠] **(قضاء لحق النعمة):**

أي أداء حقها، والنعمة هي العقل وسداد الرأي وثقة الناس حيث استشاروه، وقضاء حق النعمة شكر عملي.

[١٥١] **(عاجلاً وآجلاً):**

أما العاجل فإنَّ من آذى غيره انتقم ذلك الغير منه، وأما الآجل فلأنَّ الإيذاء من المحرمات ـ في الجملة ـ وفيه العقاب، والإيذاء إما لخبث في الباطن أو لعدم النظر في العاقبة، وكلاهما من قلة العقل.

٣٢ ـ أمور يتركها العاقل

[١٥٢] **(لا يحدث من يخاف تكذيبه):**

لأنَّه عمل لغو، مضافاً إلى أضراره، وهذا في الأمور الاجتماعية ونحوها،

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

يَخَافُ مَنْعَهُ[١٥٣]، وَلَا يَعِدُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ[١٥٤]، وَلَا يَرْجُو مَا يُعَنَّفُ بِرَجَائِهِ[١٥٥]، وَلَا يُقْدِمُ عَلَى مَا يَخَافُ فَوْتَهُ بِالْعَجْزِ عَنْهُ[١٥٦].

وأما في أمور الدِّين فيجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والهداية والإرشاد حتى لو تمَّ تكذيبه.

[١٥٣] **(من يخاف منعه):**

حتى لا يريق ماء وجهه من غير فائدة.

[١٥٤] **(ولا يعد ما لا يقدر عليه):**

لأنَّه يجلب الأذى على نفسه، وإنَّ عدم الوعد ـ حتى لو تعرض للإلحاح والحرج ـ أهون من التعرض لسهام كلام الناس حينما لا يتمكن من الوفاء، فإنَّ الذي لا يعد قد يُعذر، والذي لا يفي بوعده لا يعذر.

[١٥٥] **(ما يعنّف برجائه):**

أي لا يطلب شيئاً يُوَبَّخ لذلك الطلب، كأن يطلب ما لا يستحقه.

بلى إذا كان حقاً له فله أن يطالب به حتى وإن منع عنه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لنا حق فإن إعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السرى»(١) أي واصلنا طلبه حتى لو طالت المدة.

[١٥٦] **(بالعجز عنه):**

في الوافي(٢): «أي لا يفعل فعلاً قبل أوانه مبادراً إليه، خوفاً من أن يفوته في وقته بسبب عجزه، بل يفوّض أمره إلى الله تعالى».

تتمة الحديث

ثم إنَّ لهذا الحديث الشريف تتمة رواها المحدث الجليل «ابن شعبة الحراني» رضوان الله عليه في كتاب تحف العقول، ورواها عنه العلامة المجلسي رضوان الله عليه مع تعليقات توضيحية في كتاب بحار الأنوار(٣).

---

(١) نهج البلاغة: ٤:٣.

(٢) الوافي: ج١، ص١٠٦.

(٣) بحار الأنوار: ج١ ص١٤٢ ـ ١٥٩.

١٣ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: الْعَقْلُ غِطَاءٌ سَتِيرٌ[١]، وَالْفَضْلُ جَمَالٌ ظَاهِرٌ[٢] فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِفَضْلِكَ[٣] وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ[٤]، تَسْلَمْ لَكَ الْمَوَدَّةُ، وَتَظْهَرْ لَكَ

وسيأتي بعض مقاطعها في الأحاديث اللاحقة وبإسناد أخرى، والحمد لله ربّ العالمين.

الحديث الثالث عشر:

[١] **(العقل غطاء ستير):**

أي غطاء ساتر على العيوب الباطنية.

[٢] **(الفضل جمال ظاهر):**

أي الأخلاق الحميدة والأعمال الحسنة، هي زينة ظاهرة، وذلك لكونها من المحسوسات، ولظهور آثارها فوراً.

[٣] **(خلل خلقك بفضلك):**

«الخُلق» بضم الخاء، أي استر مساوئ أخلاقك بفضلك أي بالأخلاق الحسنة ـ حتى وإن كانت تصنعاً ـ وبالأعمال الحميدة، وقد قيل «ولن تستطيع الحلم حتى تحلما».

وفي الوافي(١): (فإنَّ من الأخلاق الرذيلة ما لا يمكن إزالته بالكلية، لكونه معجوناً في جبلَّة صاحبه وخَلقه ـ بفتح الخاء ـ، فالمجبول على صفة الجبن ـ مثلاً ـ لا يصير شجاعاً مقداماً في الحروب، سيَّما إذا تأكدت في نفسه بالنشوء عليها مدة من العمر فغاية سعيه في معالجتها أن يمنعها عن الظهور. . .).

[٤] **(وقاتل هواك بعقلك):**

أي ادفع الرغبات النفسية غير اللائقة بالعقل، فإنَّ تلك الرغبات النفسانية لا تظهر بسبب غطاء العقل.

---

(١) الوافي: ج١ ص١٠٦.

الْمَحَبَّة[٥].

١٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَدِيدٍ، عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مَوَالِيهِ[١]، فَجَرَى ذِكْرُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ[٢]، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: اعْرِفُوا الْعَقْلَ وَجُنْدَهُ وَالْجَهْلَ وَجُنْدَهُ[٣] تَهْتَدُوا، قَالَ سَمَاعَةُ: فَقُلْتُ: جُعِلْتُ

---

[٥] **(وتظهر لك المحبة):**

لأنَّ الناس يحبون من لا يعلمون عيوبه الباطنية ويرون فضله الظاهر.

والفرق بين «تسلم لك المودة» وبين «تظهر لك المحبة» إما في أنَّ الناس يحبونه بقلوبهم ويظهرون له ذلك، أو إحداهما حب الناس له والأخرى حبه للناس، أو إحداهما حب الله له والأخرى حب الناس له، أو تأكيد لأهمية الموضوع.

الحديث الرابع عشر:

[١] **(جماعة من مواليه):**

أي محبيه وأتباعه.

[٢] **(ذكر العقل والجهل):**

«الجهل» هنا بمعنى عدم العقل، أو النفس الأمّارة بالسوء، أو الهوى.

ولأنَّ إبليس ينفذ إلى الناس عن طريق الجهل، فكل جنود الجهل جنود لإبليس أيضاً، وروىٰ في البحار(١) ما يدلُّ على أنَّ هذا الأمر كان بين آدم عليه السلام وبين إبليس فلعلَّ المراد بالجهل هنا إبليس وبالعقل آدم.

[٣] **(والجهل وجنده):**

المقصود أنَّ الله سبحانه أعطى ـ بحكمته الكاملة ـ كل مكلف قوتين داعيتين إلى الخير والشر، إحداهما العقل والأخرى الجهل، وخلق صفات حسنة تقوي العقل في دعائه إلى الخير، وخلق ضدّها من رذائل تقوي الجهل في دعائه إلى الشر(٢).

---

(١) البحار: ج١ ص١١٢.

(٢) كذا في المرآة ج١ ص ٦٦ـ.

فِدَاكَ لَا نَعْرِفُ إِلَّا مَا عَرَّفْتَنَا، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْعَقْلَ وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ[٤] عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ[٥] مِنْ نُورِهِ[٦] فَقَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ؛ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(١).

[٤] **(أول خلق من الروحانيين):**

«روحاني»: نسبة إلى الرُّوح ـ بالضم ـ والألف والنون مزيد للنسبة على غير قياس، مثل «رباني» منسوب إلى الربّ.

والروحانيون: أجسام لطيفة وهي لا تدرك بالبصر، وأما ادعاء أنَّها مجردة عن المادة، فهو ادعاء خال عن الدليل بل يظهر من بعض الروايات أن لا مجرد سوى الله تعالى.

أما أنَّ العقل أول ما خلق الله على الإطلاق، فقد قيل بأنّه لم يرد في رواياتنا، وقد مرّ بعض الكلام حول هذا البحث في الحديث الأول.

[٥] **(عن يمين العرش):**

هذا المقطع يدلُّ على أنَّ العرش كان مخلوقاً قبل العقل، وللعرش معانٍ متعددة ـ ستأتي إن شاء الله تعالى في باب العرش والكرسي ـ، ولكن الظاهر أنَّ المراد هنا هو الجسم المحيط بكل الأجسام الذي جعله الله مركزاً لصدور أوامره.

و«يمين العرش» أشرف الأمكنة التي خلقها الله تعالى، وفيه سدرة المنتهى وعندها جنة المأوى(٢).

[٦] **(من نوره):**

أي من نور نسبه إلى نفسه، لشرفه، فالنسبة تشريفية، كبيت الله وروح الله.

---

(١) سورة الشمس: الآيات ٧ ـ ١٠.

(٢) كما في التبيين: ص٥٤٠.

خَلَقْتُكَ خَلْقاً عَظِيماً وَكَرَّمْتُكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي[٧]، قَالَ: ثُمَّ خَلَقَ الْجَهْلَ مِنَ الْبَحْرِ الْأُجَاجِ ظُلْمَانِيّاً[٨] فَقَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَلَمْ يُقْبِلْ[٩] فَقَالَ لَهُ: اسْتَكْبَرْتَ؟ فَلَعَنَهُ[١٠]، ثُمَّ جَعَلَ لِلْعَقْلِ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ جُنْداً فَلَمَّا رَأَى

---

[٧] **(كرمتك على جميع خلقي):**

أي فضّلتك عليهم بأنّك أحسن الخلق وأحبهم إليَّ.

[٨] **(البحر الأجاج ظلمانياً):**

«الأجاج» شديد الملوحة، و«ظلماني» منسوب إلى الظلمة بمعنى الخالي من نور المعرفة كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾(١).

وذلك لأنَّ الله خلق الماء وخلق منه سائر الأشياء قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.

وفي الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ الله قبل أن يخلق الخلق، قال: كن ماءً عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي، وكن ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم أمرهما فامتزجا...» الحديث(٢).

وسيأتي شرح ذلك في أحاديث الطينة، إن شاء الله تعالى.

[٩] **(أقبل فلم يقبل):**

لعلَّ إطاعته لأمر الإدبار وعصيانه لأمر الإقبال، لأجل أنَّ الجهل وجنوده يأخذون من الشرع والعقل ما يتلاءم مع هواهم وشهواتهم، ويتركون ما خالف رغباتهم.

وقيل: معنى «الإدبار» النزول إلى عالم المادة، و«الإقبال» الصعود إلى الدرجات الرفيعة، فالجهل لم يصعد إلى الدرجات الرفيعة استكباراً على أمر الله تعالى.

[١٠] **(فلعنه):**

«اللعن» الطرد والإبعاد عن رحمته تعالى.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

(٢) الوافي: ج١ ص٦٣.

الْجَهْلُ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ الْعَقْلَ وَمَا أَعْطَاهُ أَضْمَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ[١١] فَقَالَ الْجَهْلُ: يَا رَبِّ هَذَا خَلْقٌ مِثْلِي خَلَقْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ وَقَوَّيْتَهُ، وَأَنَا ضِدُّهُ، وَلَا قُوَّةَ لِي بِهِ، فَأَعْطِنِي مِنَ الْجُنْدِ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَهُ فَقَالَ: نَعَمْ[١٢]، فَإِنْ عَصَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ أَخْرَجْتُكَ وَجُنْدَكَ مِنْ رَحْمَتِي[١٣]. قَالَ: قَدْ رَضِيتُ. فَأَعْطَاهُ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ جُنْداً فَكَانَ مِمَّا أَعْطَى الْعَقْلَ مِنَ الْخَمْسَةِ وَالسَّبْعِينَ الْجُنْدَ. الْخَيْرُ وَهُوَ وَزِيرُ الْعَقْلِ[١٤] وَجَعَلَ ضِدَّهُ الشَّرَّ وَهُوَ وَزِيرُ الْجَهْلِ؛ وَالْإِيمَانُ وَضِدَّهُ الْكُفْرَ[١٥]؛ وَالتَّصْدِيقُ

---

[١١] **(أضمر له العداوة):**
أي حمل العداوة في داخله، لأنَّه حينذاك لم يتمكن من إظهارها.

[١٢] **(فقال: نعم):**
ليتم الامتحان والابتلاء، ولولا الجهل وجنوده لبطل الامتحان والثواب والعقاب.

[١٣] **(من رحمتي):**
لعلَّ المعنى: لا أسمع لك دعاء ولا أستجيب لك نداء، وذلك لأنَّ الله رحمه لمَّا خلقه لكنَّه عصى أمر الإقبال، فاستحق العقاب، ثم استجاب الله تعالى طلبه، فأعطاه من الجند مثل ما أعطى للعقل، لكن حذَّره بأنَّه إن عصاه مرة أخرى فلا يستجيب له طلباً أبداً.

١ ـ الخير والشر

[١٤] **(وهو وزير العقل):**
«الخير» ما استحسنه العقل، وإنَّما كان وزيراً للعقل لرجوع كل جنود العقل إليه فهو المنشأ لجميعها، كدخول جنود الملك تحت إمرة الوزير.
و«الشرّ» كل ما استقبحه العقل، ويرجع إليه جميع جنود الجهل ولذا كان وزيره.

٢ ـ الإيمان والكفر

[١٥] **(الإيمان وضده الكفر):**
«الإيمان» هنا بمعنى الاعتقاد والإقرار بالله والأنبياء والآخرة، وهذا أول

وَضِدَّهُ الْجُحُودَ[١٦]؛ وَالرَّجَاءُ وَضِدَّهُ الْقُنُوطَ[١٧]، ....

مرحلة للإيمان، وكماله في العمل بمقتضاه، ولذا ورد (الإيمان عقد بالقلب وقول باللِّسان وعمل بالأركان)[١].

٣ ـ التصديق والجحود

[١٦] **(والتصديق وضده الجحود):**

«التصديق» هو إظهار صحة كلام مدّعي الحق بعد العلم بكونه حقاً.

و«الجحود» هو الإنكار عليه مع تيقن صدقه قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[٢]، واستعمل الجحود في القرآن بمعنى إنكار الآيات أو النعم.

والفرق بين «الإيمان» و«التصديق» أنَّ الإيمان في الأُصول، والتصديق في الفروع، أو الإيمان: الاعتقاد إجمالاً، والتصديق الاعتقاد التفصيلي، أو الإيمان في القلب والتصديق بالإقرار، كما أنَّهما قد يستعملان بمعنى واحد.

٤ ـ الرجاء والقنوط

[١٧] **(والرجاء وضده القنوط):**

«الرجاء» هو توقع رحمة الله في الدنيا والآخرة، مع تهيئة المقدمات لذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ﴾[٤].

«والقنوط» هو عدم توقع الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[٥].

وإنَّما كان الرجاء من الفضائل لأنَّه يحفِّز الإنسان على فعل الخيرات والإكثار منها، وأما القنوط فإنَّه يتسبب في الوقوع في مهاوي الرذائل، فما دام يرى

---

(١) البحار: ج٧٤، ص١٦٠.
(٢) سورة النمل: الآية ١٤.
(٣) سورة القصص: الآية ٨٦.
(٤) سورة العنكبوت: الآية ٣٦.
(٥) سورة الحجر: الآية ٥٦.

وَالْعَدْلُ وَضِدَّهُ الْجَوْرَ[١٨]؛ وَالرِّضَا وَضِدَّهُ السُّخْطَ[١٩]، وَالشُّكْرُ وَضِدَّهُ الْكُفْرَانَ[٢٠]؛

نفسه من أهل النار فلماذا يمنع نفسه من التمتع ولو بالمحظورات!!

٥ ـ العدل والجور

[١٨] **(والعدل وضده الجور):**

«العدل» هو التوسط في الأمور من غير إفراط أو تفريط ـ طبقاً للشريعة ـ، ويدخل في هذا المعنى: إعطاء كل ذي حق حقه وكفّ الظلم ورفعه.

و«الجور» هو تجاوز الحدّ ووضع الشيء في غير موضعه، ثم إنَّ الجور إذا قُرن بالظلم أريد منه ظلم الغير، وإن جيء به وحده أريد به المعنى الأعم، قال تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(١).

٦ ـ الرضا والسخط

[١٩] **(والرضا وضده السخط):**

«الرضا» بقضاء الله تعالى، وليس معناه عدم العمل والكسل، بل على الإنسان العمل حسب المستطاع فإذا جاء قضاء الله رضي به، ومنشأ الرضا هو الاعتقاد والمحبة، فمن اعتقد بحكمة الله وأنَّه لا يريد شراً بعباده علم بأنَّ قضاء الله فيه المصلحة والنفع فيرضى به، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾(٢) أي لكان خيراً لهم.

والراضي بالقضاء تهون عليه المشكلات، كما أنَّه لا ينهار أمامها فيشعر براحة البال، ويزداد إيماناً وعملاً.

٧ ـ الشكر والكفران

[٢٠] **(والشكر وضده الكفران):**

«الشكر» هو عرفان النعمة والثناء بها، وقد يكون بالقلب بأن يعرف بأنَّ النعم

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨.

(٢) سورة التوبة: الآية ٥٩.

وَالطَّمَعُ وَضِدَّهُ الْيَأْسَ[٢١]؛ ....

منه تعالى ويوطّن نفسه على الخضوع له، وقد يكون باللِّسان، وقد يكون بالعمل بأن يأتي الإنسان بما يليق بالنعم من فعل الطاعات واجتناب المحرمات، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾(١) أي اعملوا عملاً هو شكر له تعالى.

وبالشكر يزداد الإنسان قرباً منه تعالى لتذكره المتواصل للنعم وللمنعم، فلا يطغى ولا يبطر، كما أنَّه يتوقع النعم الأخرى فيزداد شكراً قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(٢).

ففائدة الشكر ترجع إلى الإنسان نفسه قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾(٣).

٨ ـ الطمع واليأس

[٢١] (الطمع وضده اليأس):

«الطمع» هو الأمل في غفران الذُّنوب، و«اليأس» هو من غفرانها.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾(٤) ولعلَّ الفرق بين الطمع والرجاء، هو أنَّ الرجاء لحصول نفع، والطمع لدفع ضرر، أو أنَّ الرجاء للرحمة والطمع للخير.

وكذا الفرق بين القنوط واليأس، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾(٥) أي يائس من الخير قانط من رحمته تعالى، أو يائس من زوال الضرر قانط من النفع بالرحمة.

وقد يستعمل الطمع والرجاء بمعنى واحد، كذا اليأس والقنوط.

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٣.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧.
(٣) سورة النمل: الآية ٤٠.
(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٢.
(٥) سورة فصلت: الآية ٤٩.

وَالتَّوَكُّلُ وَضِدَّهُ الْحِرْصَ[٢٢]، ....

٩ ـ التوكل والحرص

[٢٢] (والتوكل وضده الحرص):

«التوكل» هو السعي بما يقدر والاعتماد على الله تعالى فيما لا يقدر، وبعبارة أخرى أن يأتي الإنسان بالأسباب الظاهرية ويفوِّض أمره إلى الله في الأسباب الغيبيَّة.

قال تعالى: ﴿...نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝٥٨ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(١)، فهو عامل بالطاعات، صابر عن المعاصي والمصائب، متوكل على الله تعالى، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(٢).

وإن ترك الإنسان السعي والأسباب الظاهرة فهو «التواكل».

وإن كان طالباً للدنيا من غير أن ينتهي إلى حدّ معين لعدم اعتماده على الله ولجشعه فهذا هو «الحرص».

ثم إنَّ «الحرص» قد يرتبط بالعمل وقد يرتبط بالقلب، فإن كان حرصاً عملياً فهو ضد التوكل، وإن كان حرصاً قلبياً فهو ضد القنوع ـ كما سيأتي في المقطع الثلاثين ـ.

ثم إنَّ الحرص على إيصال الخير إلى الناس أمر محمود، فمن الفضل أن يتعب الإنسان نفسه من غير حدّ معين لهداية الناس قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

والمتوكل مرتاح البال دنيا مثاب في الآخرة، عكس الحريص على الدنيا فهو في قلق دائم وغير مأجور.

---

(١) سورة العنكبوت: الآيتان ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

وَالرَّأْفَةُ وَضِدَّهَا الْقَسْوَةَ[٢٣]؛ وَالرَّحْمَةُ وَضِدَّهَا الْغَضَبَ[٢٤]، ....

١٠ ـ الرأفة والقسوة

[٢٣] **(والرأفة وضدها القسوة):**

«الرأفة» رقة القلب ولينه فهي سبب الرحمة، وعكسها «القسوة» وموطنها القلب، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

والرأفة والرحمة معدن للخيرات، فبهما تتجمع الصلات وتتوحد البشرية، بهما يبرّ الولد أباه، ويصل المرء قريبه، ويألف الزوجان أحدهما الآخر، ويرشد العالم الجاهل.

وأما القسوة فهي مجمع الرذائل النفسية، وهي منشأ الظلم والطغيان وغيرهما.

١١ ـ الرحمة والغضب

[٢٤] **(الرحمة وضدها الغضب):**

هما نتيجة الرأفة والقسوة، فالرؤوف يكون رحيم القلب ويرحم في العمل، كما أنَّ قاسي القلب يكون غضوباً في أعماله، والمراد من «الغضب» هنا أن يكون الغضب صفة لازمة له، أو عدم ضبطه لأنَّه منبع الشرور، قال الصادق عليه السلام: «الغضب مفتاح كل شر»(٣) بمعنى أنَّ الغضب ينتهي إلى كل شرّ، والغضب إذا فُسح له المجال سيطر على جميع القوى فشلَّها حتى أنَّه لا يبقى معه سلطان للعقل، وفي الحديث «من لم يملك غضبه لم يملك عقله»(٤).

هذا حال الغضب للأمور الدنيوية، أما الغضب لله وحسب الموازين الشرعية فهو من الفضائل.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٣) الكافي: ج٢ ص٤٢٥ باب الغضب.

(٤) الكافي: ج٢ ص٤٢٨ باب الغضب.

وَالْعِلْمُ وَضِدَّهُ الْجَهْلَ[٢٥]**؛ وَالْفَهْمُ وَضِدَّهُ الْحُمْقَ**[٢٦]**؛ ....**

١٢ ـ العلم والجهل

[٢٥] **(العلم وضده الجهل):**

«العلم» إدراك الشيء على ما هو عليه من غير زيادة ونقصان، و«الجهل» هو عدم معرفة حقائق الأشياء لعدم التعلُّم، فإن كان لقلة العقل فهو الحمق.

والتعلُّم هو طريق العلم، ويكون عبر الدرس والمطالعة والسؤال والتفكر ونحوها.

ومن لطفه تعالى على العباد أن حباهم بوسائل التعلُّم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾(٣).

١٣ ـ الفهم والحمق

[٢٦] **(والفهم وضده الحمق):**

«الفهم» هو إدراك الأمور بسبب قوة العقل، و«الحمق» هو عدم إدراك الأمور بسبب قلة العقل.

وقد يكون الفهم بمعنى الفطنة فيكون ضده الغباء ـ كما سيأتي في المقطع الثالث والأربعين ـ.

والحمق إن كان ذاتياً فلا علاج له، لكنَّه قد يكون عرضياً فيمكن إزالته أو تخفيفه بتقوية العقل بالعلم والعمل وتجنب أسباب الحمق، كما أنَّ معرفة الأحمق وعلامات الحمق تساهم في تجنب الحمقى وأضرارهم.

---

(١) سورة النحل: الآية ٧٨.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧.

(٣) سورة البينة: الآية ٣.

وَالْعِفَّةُ وَضِدَّهَا التَّهَتُّكَ[٢٧]؛ وَالزُّهْدُ وَضِدَّهُ الرَّغْبَةَ[٢٨]؛ ....

١٤ ـ العفة والتهتك

[٢٧] **(العفة وضدها التهتك):**

«العفة» عدم الإفراط في الشهوات خاصة شهوة البطن والفرج، ومنعهما من المحرمات والشُّبهات، و«التهتك» هو هتك الستر بارتكاب المحرمات أو الشُّبهات المرتبطة بالبطن والفرج وغيرهما، فالعفة هي أحد طرفي الاعتدال بعدم الإفراط، فإنَّ الإفراط يوجب أمراض الجسم والنفس كما يوجب مشاكل عائلية واجتماعية كتفكك الأسرة وسوء الظن والأخلاق ونحوها، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾(١).

كما أنَّ «العفة» تطلق على عدم أكل مال الغير وعدم التكفف وعدم مساءلة الغير. قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾(٢) أي لا يأكل من أموال اليتيم، وقال سبحانه: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾(٣)، أي من عدم المساءلة.

١٥ ـ الزهد والرغبة

[٢٨] **(الزهد وضده الرغبة):**

«الزهد» في الدنيا بمعنى أن لا تملكه الأمور المادية، فليس الزهد أن لا تملك شيئاً بل الزهد أن لا يملكك شيء، وأصله هو عدم الرغبة في الشيء كقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾(٤)، وفي الحقيقة فإنَّ الزهد هو الاعتدال في أمر الدنيا، فإنَّ الإنسان بطبعه يميل إلى الإفراط في الدنيا فلذلك كثرت الروايات حول الزهد ليصل الناس إلى حالة الاعتدال، كراكب الدابة الشموس الجامحة حيث يسحب زمامها بقوة لتعتدل في السير، وعلامة

(١) سورة النور: الآية ٣٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٣.

(٤) سورة يوسف: الآية ٢٠.

وَالرِّفْقُ وَضِدَّهُ الْخُرْقَ[٢٩]؛ وَالرَّهْبَةُ وَضِدَّهُ الْجُرْأَةَ[٣٠]؛ ....

الزهد هو عدم الانغماس في الملّذات وعدم الحزن على فوتها قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «الزاهد في الدنيا من لم يغلب الحرام صبره ولم يشغل الحلال شكره»(٢).

وأما «الرغبة» فهي بمعنى الإفراط في ملذات الدنيا.

١٦ ـ الرفق والخرق

[٢٩] **(والرفق وضده الخرق):**

«الرفق» هو معالجة الأمور بلين ولطف ومداراة، و«الخرق» هو معالجتها بشدة وعنف وخشونة.

وبالرفق ينجح الإنسان من غير أن يثير المشاكل، فلا هو يستعدي الآخرين، ولا هو يجبرهم على عمل، بل بالخلق الحسن والإقناع والتودد يتمكن من الوصول إلى مبتغاه.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من كان رفيقاً في أمره، نال ما يريده من الناس»(٤).

١٧ ـ الرهبة والجرأة

[٣٠] **(والرهبة وضدها الجرأة):**

«الرهبة» من الله تعالى، وهي الخوف المتضمن للتهيّب، مثل ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾(٥) أي خوفاً مع هيبة منكم، فإنَّ الخوف والوجل

(١) سورة الحديد: الآية ٢٣.
(٢) البحار: ج٧٥ ص٣٧.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٤) الكافي: ج٢ ص١٧٦ باب الرفق.
(٥) سورة الحشر: الآية ١٣.

وَالتَّوَاضُعُ وَضِدَّهُ الْكِبْرَ[٣١]؛ وَالتُّؤَدَةُ وَضِدَّهَا التَّسَرُّعَ[٣٢]؛ ....

والرهبة والخشية والخشوع بمعنى واحد، والفرق ببعض الاعتبارات، أو بِظِلال الكلمات، وهكذا مترادفات اللغة ـ عادة ـ فإنَّ بعض المعاني لها لفظ عام يشمل جميع الحالات، ولها ألفاظ مترادفة أخرى وضعت لتستعمل في بعض الحالات فهي أنواع لذلك المعنى العام.

و«الجرأة» على الله تعالى هي عدم الخوف منه، والتجرؤ على ارتكاب المعاصي.

والرهبة تسبب التزام الإنسان عملاً، كما أنَّ الجرأة توجب الانفلات والسقوط في مهاوي المعاصي والرذائل، قال تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾(١).

١٨ ـ التواضع والكبر

[٣١] **(والتواضع وضده الكبر)**:

«التواضع» هو عدم التعالي على أحد، و«الكبر» هو التعالي واعتبار الإنسان نفسه فوق الآخرين، وهو ما كان في النفس كامناً، قال تعالى: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾(٢).

وأما الاستكبار فهو ما ظهر وترتبت عليه الآثار ـ كما سيأتي في المقطع الثاني والعشرين.

والتواضع إنَّما يكون مع عزة النفس أي عدم التعالي على الآخرين مع حفظ عزة النفس، فإن لم يكن فيه بقاء للعزة فهو ابتذال لا تواضع.

فعلى الإنسان أن يكون عزيزاً من غير تكبر، ومتواضعاً من غير ابتذال، فالفضائل هي حدّ الاعتدال بين الإفراط والتفريط.

١٩ ـ التُؤَدة والتسرع

[٣٢] **(والتؤدة وضدها التسرع)**:

«التُؤَدة» ـ بضم التاء وفتح أو سكون الواو ـ هي التثبت في الأمور وعدم

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٤.

(٢) سورة غافر: الآية ٥٦.

وَالْحِلْمُ وَضِدَّهُ السَّفَهَ[٣٣]، وَالصَّمْتُ وَضِدَّهُ الْهَذَرَ[٣٤]؛ ....

المبادرة من غير تفكّر.

وبالتأني يرى الإنسان طريقه ويهتدي لصالحه ويكتشف الطرق التي سلوكها أنفع، أما المتسرع من غير تفكير فكثيراً ما ينزلق في مهاوي لا يتمكن من التخلص منها.

ثم إنَّ الإنسان بعد التفكر والتثبت حينما عرف الصحيح عليه أن يبادر إليه فوراً ولو لم يبادر كان متكاسلاً، والكسل من الرذائل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾(١).

٢٠ ـ الحلم والسفه

[٣٣] **(والحلم وضده السفه):**

«الحلم» هو ضبط النفس عند الغضب على الجهَّال من غير ذل، و«السفه» هو عدم ضبطها والانقياد لثورة الغضب، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾(٢).

والحلم سبب للتصرف بحكمة وعقلانية وعدم الانسياق وراء الغرائز الحيوانية، كما أنَّه يكشف عن شرف النفس وعلو الهمة بالترفع على الجهال من غير ذلّ، والاستهانة بالمسيء من غير كبر.

ولشدة ارتباط هذه الفضيلة بالعقل، فقد وضعوا اسمها عليه، فالحلم من أسامي العقل أيضاً.

٢١ ـ الصمت والهذر

[٣٤] **(والصمت وضده الهذر):**

«الصمت» هو السكوت عن اللغو وفضول الكلام والباطل، فإنَّ العاقل يفكّر قبل أن يتكلّم، وكما مرّ فإنَّ علامة التفكُّر الصمت، ولذا فإنَّه يرى كثيراً من الكلام مضراً فيعرض عنه، وكثيراً منه لغو فيترفّع عنه، وقد جمع أحد العلماء

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.

(٢) سورة هود: الآية ٧٥.

وَالِاسْتِسْلَامُ وَضِدَّهُ الِاسْتِكْبَارَ[٣٥]؛ ....

معاصي اللّسان فبلغت أكثر من مئة وثلاثين معصية، والكلام بالباطل عُدّ من أسباب دخول سقر جهنم ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾(١).

والخوض مع الخائضين هو الدخول في باطلهم بكلام ونحوه، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾(٣).

و«الهذر» كثرة التكلّم بالباطل، والكثير الرديء أو السقط من الكلام.

٢٢ ـ الاستسلام والاستكبار

[٣٥] (الاستسلام وضده الاستكبار):

«الاستسلام» هو الانقياد العملي للحق، و«الاستكبار» هو عدم الانقياد وعدم إطاعة الحق.

قال تعالى: ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾(٤) أي منقادون لا يظهرون مخالفة، وقال سبحانه: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾(٥).

ولعلَّ من الفروق بين التكبّر والاستكبار: أنَّ التكبر هو التعالي على الغير، والاستكبار هو عدم الانقياد للحق.

والحق هو منشأ كل الخيرات، فالانقياد له سبب للوصول إلى الكمالات، كما أنَّ الاستكبار منشأ السقوط في مهاوي الباطل والحرمان من الخيرات والوقوع في الرذائل.

---

(١) سورة المدثر: الآيات ٤٢ ـ ٤٦.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٣.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٢.
(٤) سورة الصافات: الآية ٢٦.
(٥) سورة البقرة: الآية ٨٧.

وَالتَّسْلِيمُ وَضِدَّهُ الشَّكَّ[٣٦]؛ وَالصَّبْرُ وَضِدَّهُ الْجَزَعَ[٣٧]؛ ....

٢٣ ـ التسليم والشك

[٣٦] (والتسليم وضده الشك):

«التسليم» هو التصديق في القلب، فيرى أنَّ الأمور كلها بيد الله تعالى.

وفي المرآة(١): وقال بعض الفضلاء: الاستسلام هو الانقياد ويشتمل على أمرين: الخضوع والتصديق، وكذا التسليم، فباعتبار الأول عبّر عنه بالاستسلام وجعل مقابله الاستكبار، وباعتبار الثاني عبّر عنه بالتسليم وجعل مقابله الشك. انتهى.

واليقين هو منشأ العمل كما أنَّه يوجب الراحة النفسية، وكذلك عدم الإصغاء للوساوس الشيطانية، وانقطاع القلب عن غير الله وأما الشك فيقود إلى الجحود والنكران ثم السقوط في مستنقع الكفر والرذائل، وهو يبدأ بوسوسة ثم شك ثم جحود، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا ترتابوا فتشكوا، ولا تشكوا فتكفروا»(٢).

وطريق اليقين: النظر في آيات الله تعالى، والاعتبار بها، وعمل الطاعات، والابتعاد عن المعاصي.

٢٤ ـ الصبر والجزع

[٣٧] (الصبر وضده الجزع):

«الصبر» هو منع النفس عمَّا تحبه من الرذائل، وترك الجزع عمَّا تكرهه من المصائب والمصاعب.

فالصبر هو عدم الانهيار أمام المغريات والمشاكل والصعوبات، فلذا كان صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عند المصيبة.

فالعاقل هو من يتحمل الصعوبات ثم يفكر في كيفية تجاوزها.

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾(٤).

---

(١) المرآة: ج١ ص٧٠.

(٢) الكافي ج٢ ص٥٩.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٧.

(٤) سورة الإنسان: الآية ٢٤.

وَالصَّفْحُ وَضِدَّهُ الِانْتِقَامَ[٣٨]؛ وَالْغِنَى وَضِدَّهُ الْفَقْرَ[٣٩]؛ ....

والصبر يوجب التقدم في الحياة، والغلبة على المشاكل، والثواب الأخروي الجزيل.

٢٥ ـ الصفح والانتقام

[٣٨] **(الصفح وضده الانتقام):**

«الصفح» هو ترك التوبيخ، فهو فوق العفو، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١) فالعفو هو ترك العقاب، والصفح ترك التوبيخ، والغفران هو تناسي ما بدر منهم وإرجاع الأمر إلى الحالة الطبيعية.

و«الانتقام» هو أن يصنع الإنسان بالآخرين مثل ما صنعوا به أو أكثر، والمنتقم غالباً ما يكون متجاوزاً لحدود الشرع.

والانتقام نتيجة الغضب، وإذا سلَّم الإنسان زمام نفسه للغضب فإنَّه يصنع ما يندم عليه، في حين أنَّ التعقل يقتضي التروي والانسياق إلى أوامر العقل والشرع.

نعم يحقّ للإنسان أخذ حقه ضمن الضوابط الشرعية، ولكن العفو أقرب للتقوى كما قال سبحانه: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(٢) لعدم تعدي الحدود في العفو، مع أنَّ الانتقام كثيراً ما يكون فيه تعدي الحدود.

٢٦ ـ الغنى والفقر

[٣٩] **(الغنى وضده الفقر):**

«الغِنى» هو غنى النفس والاستغناء عن الخلق، و«الفقر» فقرها، وليس المراد الثروة وفقر المال.

فعن رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العروض، إنَّما الغنى غنى النفس»(٣) وعن الإمام الصادق عليه السلام: «شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغنائه عن الناس»(٤).

---

(١) سورة التغابن: الآية ١٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.
(٣) الفضيلة الإسلامية: ص١٥٧.
(٤) الفضيلة: ص١٥٨ عن البحار ج٧٥ ص١٠٨.

وَالتَّذَكُّرُ وَضِدَّهُ السَّهْوَ[٤٠]؛ وَالْحِفْظُ وَضِدَّهُ النِّسْيَانَ[٤١]؛ ....

وغنيّ النفس يترفع عن الصغار والمذلَّة، ويعمل لتنمية نفسه، فيرث عزة، عكس فقيرها.

٢٧ ـ التذكر والسهو

[٤٠] **(التذكر وضده السهو):**

«التذكر»: عدم الغفلة عن الله سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(١).

و«السهو» هو الغفلة عن الله تعالى، قال سبحانه: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾(٢) أي الكذابون يغمرهم جهل يغفلون به عن الجزاء.

والذي يتذكر الله سبحانه وثوابه وعقابه يحاول السير في مسالك الرقي والتقدم عكس الغافل.

٢٨ ـ الحفظ والنسيان

[٤١] **(الحفظ وضده النسيان):**

«الحفظ» هو مراعاة حدود الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾(٣).

و«النسيان» هو نسيان الله واليوم الآخر بعدم حفظ تلك الحدود قال تعالى: ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾(٤).

وحيث إنَّ حدود الله فيها كمال المصلحة لعباده، فإنَّ مراعاتهم لها جلب للمنفعة ودفع للمضرة.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠١.
(٢) سورة الذاريات: الآيتان ١٠ ـ ١١.
(٣) سورة التوبة: الآية ١١٢.
(٤) سورة الجاثية: الآية ٣٤.

وَالتَّعَطُّفُ وَضِدَّهُ الْقَطِيعَةَ[٤٢]؛ وَالْقُنُوعُ وَضِدَّهُ الْحِرْصَ[٤٣]؛ وَالْمُؤَاسَاةُ وَضِدَّهَا الْمَنْعَ[٤٤]؛ ....

٢٩ ـ التعطف والقطيعة

[٤٢] **(التعطف وضده القطيعة):**

«التعطف» من العاطفة بمعنى الميل والشفقة وخاصة نحو الأرحام، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾(١)، وعكسه «القطيعة» قال تعالى: ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(٢)، فإنَّ الله أمر بوصل الرسل والمؤمنين والأقرباء ونهى عن القطيعة معهم.

٣٠ ـ القنوع والحرص

[٤٣] **(القنوع وضده الحرص):**

«القناعة» هي الرضا بالكفاف من أمور الدنيا، والحرص ـ هنا ـ بمعنى عدم الرضا القلبي بالكفاف، (كما أنَّ الحرص الذي هو ضد التوكل ـ وقد مرّ في المقطع ٩ ـ كان بمعناه العملي بطلب الدنيا من غير الانتهاء إلى حد معين).

والقناعة تكشف عن غنى النفس، كما أنَّ الحرص يكشف عن فقرها، والقنوع لا يحاول الوصول إلى الدنيا بأي طريق كان ولو على حساب الدِّين والحق وبظلم الآخرين.

وليس معنى القناعة عدم السعي والعمل، بل هي كبر النفس والترفّع عن الصِّغار.

٣١ ـ المواساة والمنع

[٤٤] **(والمواساة وضدها المنع):**

«المواساة» هي أن يجعل إخوانه مشاركين في معاشه ورزقه، ويدخل فيها

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢١.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٥.

وَالْمَوَدَّةُ وَضِدَّهَا الْعَدَاوَةَ[٤٥]؛ وَالْوَفَاءُ وَضِدَّهُ الْغَدْرَ[٤٦]؛ ....

الصلة والهبة والصدقة ونحوها، وقد يدخل في المواساة: مشاركة الآخرين في صعوبة المعاش أو الرزق، فيمتنع عن بعض الملذات لأنَّه يرى إخوانه ممنوعين عنها.

وهي تسبِّب شعور الإنسان بمشاكل الآخرين فلعلَّه يساهم في حلها، كما أنّها تُوجب قوة الترابط الاجتماعي، وحلّ كثير من المشاكل.

٣٢ ـ المودة والعداوة

[٤٥] **(والمودة وضدها العداوة):**

«المودة» هي إظهار المحبة، و«العداوة» هي إظهار البغض، فالحب والبغض قلبيان، والمودة والعداوة ظاهران على الجوارح والأعمال.

والأصل هو المودة والمحبة لدلالتهما على سموّ النفس، نعم أعداء الله تعالى وأعداء أوليائه تلزم عداوتهم وبغضهم، لخطورة التأثر بهم، وقوة شوكتهم لو وادَّهم المؤمنون أو أحبوهم.

٣٣ ـ الوفاء والغدر

[٤٦] **(والوفاء وضده الغدر):**

«الوفاء» هو حفظ العهد وأداء الحق مع الله ومع الناس، وخاصة لمن صنع الجميل معه، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾(٢) وفي الوفاء حفظ للكرامة وحسن العمل وراحة الضمير، في حين أنَّ الغدر ينطوي على مجموعة من الرذائل من المكر والخديعة والكذب والرياء والنفاق والغش ونحوها.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ١.

وَالطَّاعَةُ وَضِدَّهَا الْمَعْصِيَةَ[٤٧]؛ وَالْخُضُوعُ وَضِدَّهُ التَّطَاوُلَ[٤٨]؛ ....

٣٤ ـ الطاعة والمعصية

[٤٧] **(الطاعة وضدها المعصية):**

«الطاعة» هي الانقياد ومتابعة من ينبغي متابعته، و«المعصية» هي مخالفة أمره أو نهيه، قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

وحيث إنَّ أوامر الله تعالى وكذا الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام فيها المصلحة، والنواهي إنَّما هي عمَّا فيها المضرة، فإنَّ إطاعتهم فيها خير الدنيا والآخرة، وعصيانهم فيه ضررهما، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾(٣).

٣٥ ـ الخضوع والتطاول

[٤٨] **(الخضوع وضده التطاول):**

«الخضوع» هو الانقياد مع تذلل لله سبحانه وتعالى، كقوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾(٤)، وأما الخشوع فهو الخوف الدائم التي تظهر آثاره على الأعضاء قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٥) وقال سبحانه: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾(٦)، وقال عز من قائل: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾(٧)، فالخشوع من أفعال القلب والخضوع من أفعال الجوارح.

وأما «التطاول» فهو عدم الانقياد والترفع عن أوامره ونواهيه سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥.
(٣) سورة النساء: الآية ٦٦.
(٤) سورة الشعراء: الآية ٤.
(٥) سورة الحديد: الآية ١٦.
(٦) سورة طه: الآية ١٠٨.
(٧) سورة القمر: الآية ٧.

وَالسَّلَامَةُ وَضِدَّهَا الْبَلَاءَ[٤٩]؛ وَالْحُبُّ وَضِدَّهُ الْبُغْضَ[٥٠]؛ ....

---

٣٦ ـ السلامة والبلاء

[٤٩] (السلامة وضدها البلاء):

«السلامة» هي البراءة من العيوب النفسية والآفات العملية.

و«البلاء» ـ هنا ـ هو الابتلاء بتلك العيوب والآفات، ثم إنَّ للبلاء معنىً آخر وهو: المصيبة في الدين، ويقابله العافية وهذا ما سيأتي في المقطع الثالث والستين.

وعن الشيخ البهائي تفسير «السلامة والبلاء» بسلامة الناس منه وابتلاء الناس به، وتفسير «العافية والبلاء» بسلامته من الناس وابتلائه بهم(١).

والعاقل من يتعرف على عيوب نفسه ثم يحاول التخلص منها، وأما الجاهل فإنَّه يختارها من حيث يعلم أو لا يعلم.

٣٧ ـ الحب والبغض

[٥٠] (الحب وضده البغض):

أي الحب في الله، وقد مرّ ـ في المقطع الثاني والثلاثين ـ أنَّهما أمران قلبيان فإن ظهرا فهما المودة والعداوة، والحب هو الميل النفساني، وكل شيء مرتبط بالله فهو الحق وحبّه يقرب الإنسان إلى الأعمال الصالحة، وأما بغضه فهو رذيلة تبعد الإنسان عن الكمالات، نعم كل ما لم يرتبط بالله فهو الباطل، وبغضه يبعد الإنسان من الافتتان به.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾(٣)، وعلامة الحب الاتباع، وإيثار المحبوب على من سواه، وأن يلهج بذكره ولا ينساه أبداً.

---

(١) نقل هذا المضمون الوافي ج١ ص٦٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٣) سورة التوبة: ٢٣.

وَالصِّدْقُ وَضِدَّهُ الْكَذِبَ[٥١]؛ وَالْحَقُّ وَضِدَّهُ الْبَاطِلَ[٥٢]؛ ....

٣٨ ـ الصدق والكذب

[٥١] **(الصدق وضده الكذب):**

«الصدق» هو القول المطابق للواقع، و«الكذب» هو الإخبار بما لا يتطابق مع الواقع.

والكذب هو التواء في الكلام، وهو أم كثير من الخبائث، فمن ولائد الكذب: النفاق والافتراء والبهتان وشهادة الزور ونحوها من الكبائر، والإسلام يريد للإنسان أن يكون مستقيماً في كل حياته في قوله وعمله، فإذا كان كذلك فأية حاجة له إلى الكذب؟

أما غير المستقيم، ومن ظاهره يخالف باطنه، ومن ترك الواجبات وأتى بالمحرمات، فإنَّه يريد بالكذب التغطية على هذا الوضع المقيت الذي يعيشه. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾(٣).

٣٩ ـ الحق والباطل

[٥٢] **(الحق وضده الباطل):**

أي اختبار الحق، وضده اختيار الباطل.

و«الحق» هو الواقع أو الأمر المطابق للواقع ـ من قول أو فعل ـ، فالله حق لأنَّه واقع موجود، وكلمة التوحيد حق، والصلاة حق.

والعاقل يختار الحق، لأنَّه الشيء الثابت الباقي، وهو منبع كل الفضائل، قال تعالى: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(٤) وقال سبحانه:

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧٧.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٧٢.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٨١.

وَالْأَمَانَةُ وَضِدَّهَا الْخِيَانَةَ[٥٣]؛ وَالْإِخْلَاصُ وَضِدَّهُ الشَّوْبَ[٥٤]؛ ....

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾(١).

٤٠ ـ الأمانة والخيانة

[٥٣] (الأمانة وضدها الخيانة):

«الأمانة» هي المحافظة على الحقوق التي أمر الله تعالى بها، وهي تشمل حفظ كل شيء ائتمن عليه الإنسان من مال أو قول أو غيرهما.

و«الخيانة» هي عدم المحافظة على تلك الحقوق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

والأمانة والخيانة إنَّما هما انعكاس لصفات نفسية، فالأمين سليم نفسياً، بينما الخائن مريض القلب قبل أن يكون محتاجاً.

٤١ ـ الإخلاص والشوب

[٥٤] (الإخلاص وضده الشوب):

«الإخلاص» هو تجريد القصد من الشوائب كلها، وأما «الشوب» فهو اختلاط القصد بأغراض فاسدة وهذان يرتبطان بالنية، وأما ما يأتي في المقطع الواحد والخمسين من (الحقيقة والرياء) فذاك مرتبط بالعمل أي كون السِّر والعلانية واحداً أو مختلفاً ـ كما سيأتي ـ.

والمخلص يهتم بجوهر العمل وحقيقته، في حين أنَّ شوب النية بأمور أخرى تسبِّب الاهتمام بتلك الأمور، والإتيان بالعمل بما يتطابق معها ولو كانت فاسدة، فيفقد العمل قيمته بل قد يتحول إلى مضرة عظيمة.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٤.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٧.

وَالشَّهَامَةُ وَضِدَّهَا الْبَلَادَةَ[٥٥]؛ وَالْفَهْمُ وَضِدَّهُ الْغَبَاوَةَ[٥٦]؛ ....

وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾(١).

٤٢ ـ الشهامة والبلادة

[٥٥] (الشهامة وضدها البلادة):

«الشهامة» هي: ذكاء الفؤاد وتوقده، وعسكها «البلادة».

والفرق بين البلادة والغباوة، هو أنَّ الغباوة بطء وصعوبة في الفهم، بينما البلادة درجة خفيفة من الحمق أي عدم فهم الأمور بسبب ضعف في العقل.

والشهامة توجب شعور الإنسان بخطر الكفر والعصيان والعقوبة المترتبة عليها، وبأهمية الإيمان والطاعة واستوجابهما للمنافع ـ دنيوية وأخروية ـ، وأما البليد فإنَّه لا يرى إلا اللذائذ الدنيوية الفانية ويرجّحها على النعيم الأخروي الدائم.

٤٣ ـ الفهم والغباوة

[٥٦] (الفهم وضدها الغباوة):

المراد من الفهم ـ هنا ـ: «الفطنة» وهي مرتبة عالية من الفهم، ومعناها إدراك حقائق الأمور بسرعة، وأما الغباء فهو بطء في إدراك الأمور.

ولا يخفى الفرق بين ما ورد في ثلاثة مقاطع:

ففي المقطع الثالث عشر «الفهم والحمق»، وفي المقطع السابق «الشهامة والبلادة» وفي هذا المقطع «الفهم والغباوة».

«فالفهم والحمق» إشارة إلى إدراك أو عدم إدراك الأمور بسبب قوة أو ضعف العقل.

و«الشهامة والبلادة» إشارة إلى قوة الفهم أو ضعفه.

و«الفطنة والغباوة» إشارة إلى سرعة الفهم أو بطئه.

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٢)، فكلما كان

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٩.

(٢) سورة الملك: الآية ١٠.

وَالْمَعْرِفَةُ وَضِدَّهَا الْإِنْكَارَ[٥٧]؛ وَالْمُدَارَاةُ وَضِدَّهَا الْمُكَاشَفَةَ[٥٨]؛ ....

العقل أقوى بالفهم والفطنة والشهامة ونحوها كان احتمال النجاة من الجحيم أقوى.

٤٤ ـ المعرفة والإنكار

[٥٧] **(المعرفة وضدها الإنكار):**

«المعرفة» هي تطبيق الصورة الذهنية على الواقع الخارجي، فبهذا تفترق عن العلم، حيث إنَّ العلم هو إدراك الأشياء في الذهن، فلو علمنا بوجود زيد ثم رأينا شخصاً وأدركنا أنَّه زيد، فهذا الإدراك هو المعرفة.

ولذا قيل في تعريف المعرفة ـ كما في المرآة[١] ـ: «إدراك الشيء بصفاته وآثاره بحيث لو وصل إليه عرف أنَّه هو» وبعبارة أخرى ـ كما في الوافي[٢] ـ: «إدراك الشيء ثانياً، وتصديقه بأنَّ هذا ذاك الذي قد أدركه أولاً» قال تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[٣].

ولعلَّ المُراد هنا هو خصوص معرفة الله والأنبياء والأئمة وما يرتبط بهم، وكلمة «المعرفة» في الروايات تُستعمل في ذلك ـ عادة ـ، قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[٤].

٤٥ ـ المداراة والمكاشفة

[٥٨] **(المداراة وضدها المكاشفة):**

«المداراة»: اللين مع الناس بحسن صحبتهم وتحمل آذاهم وعدم مجابهتهم بما يكرهون.

وفرقها عن المداهنة المذمومة هو أنَّ المداهنة إنَّما تكون على حساب الحق والتنازل عنه، وأما المداراة فهي الرفق مع الناس، وهي من أهم الطرق لهدايتهم

(١) المرآة: ج١ ص٧٢.
(٢) الوافي: ج١ ص٧١.
(٣) سورة يوسف: الآية ٥٨.
(٤) سورة النحل: الآية ٨٣.

وَسَلامَةُ الْغَيْبِ وَضِدَّهَا الْمُمَاكَرَةَ[٥٩]؛ وَالْكِتْمَانُ وَضِدَّهُ الْإِفْشَاءَ[٦٠]؛ ....

إلى الحق، عبر تقريبهم إليه بالأخلاق الفاضلة، لكي لا ينفروا من الهادي، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ﴾(١) وعن رسول الله ﷺ: «أمرني ربِّي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض»(٢).

٤٦ ـ سلامة الغيب والمماكرة

[٥٩] (سلامة الغيب وضدها المماكرة):

«سلامة الغيب» هو أن يكون الناس سالمين عنه في حين غيابهم، وفي القرآن الكريم ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾(٣).

و«المماكرة» أن يكون ذا وجهين ولسانين، فيتملق في الحضور لأجل الخديعة ويكون في مقام الضرر في الغياب.

والمماكرة تقتضي الرياء والنفاق والكذب والخدعة والغش والحيلة ونحوها فلذا كانت من الرذائل، في حين أنَّ الإسلام يريد للإنسان أن يكون مستقيماً في كل أموره.

ثم إنَّ المماكرة ترجع بالضرر البليغ بأهلها لأنَّ الحقائق ستنكشف للناس ـ ولو بعد حين ـ وحينها سيفقد الناس ثقتهم بالمماكر ويفتضح من حيث أراد مصلحة نفسه.

٤٧ ـ الكتمان والإفشاء

[٦٠] (الكتمان وضده الإفشاء):

«الكتمان» بمعنى ستر عيوب الناس وأسرارهم، بلى من جاهر بالفسق ولم يفد فيه الوعظ جاز فضحه لعلّه يرعوي أو لاعتبار الآخرين بفضحه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) الفضيلة ص٦٦ عن البحار ج٧٥ ص٤٤٠.

(٣) سورة يوسف: الآية ٥٢.

وَالصَّلَاةُ وَضِدَّهَا الْإِضَاعَةَ[٦١]؛ وَالصَّوْمُ وَضِدَّهُ الْإِفْطَارَ[٦٢]؛ وَالْجِهَادُ وَضِدَّهُ النُّكُولَ[٦٣]؛ ....

﴿ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾(١).

وإفشاء عيوب الناس لا يفيد في الإصلاح، بل قد يوجب العناء أو المقابلة بالمثل، فيفضح من عابه أو يختلق له عيوباً، كما أنَّ أسرار الآخرين يجب حفظها لتأذيهم من كشفها أو لمآرب أخرى لهم في عدم إفشائها.

٤٨ ـ العبادات وأضدادها

إنَّ الغاية من خلق الجن والإنس هي العبادة ـ التي توصلهم إلى الكمال، فبها تكون حقيقتهم وفوزهم وفلاحهم ـ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾(٢)، وأما تفسير العبادة بالمعرفة فهو تفسير بخلاف الظاهر من غير دليل من القرآن أو السُّنَّة، نعم إنَّ لصحة العبادة أو قبولها شروطاً ومنها المعرفة، لكن ليس ذلك تفسير «يعبدون» بـ«يعرفون».

[٦١] **(الصلاة وضدها الإضاعة):**

للإضاعة مراتب أشدّها ترك الصلاة، ومن الإضاعة عدم الاهتمام بوقتها أو آدابها ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾(٤).

[٦٢] **(الصوم وضده الإفطار):**

للصوم مراتب، منها الإمساك عن المفطرات المعروفة كالأكل والشرب ونحوهما، ومن مراتبه الإمساك عن الذُّنوب والمعاصي، وكذا للإفطار مراتب.

[٦٣] **(والجهاد وضده النكول):**

للجهاد مصاديق مختلفة، منها الجهاد العسكري، ومنها الجهاد باليد واللِّسان

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٣.
(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٣) سورة مريم: الآية ٥٩.
(٤) سورة التوبة: الآية ٥٤.

وَالْحَجُّ وَضِدَّهُ نَبْذَ الْمِيثَاقِ[٦٤]؛ وَصَوْنُ الْحَدِيثِ وَضِدَّهُ النَّمِيمَةَ[٦٥]؛ ....

والقلب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾(١)، فجهاد كل طائفة بحسبها، وروي أنَّ أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر(٢).
و«النكول» هو الامتناع وترك الإقدام، وله مراتب أيضاً، فأشدّها ترك الجهاد بالمرّة، ومنها عدم الإخلاص وشوب النية بالغنائم والمنافع ونحوها.

[٦٤] **(الحج وضده نبذ الميثاق):**
«نبذ الميثاق» هو تركه، فإنَّ الله تعالى أودع الحجر الأسود مواثيق العباد، ومن علل الحج هو تجديد الميثاق عند الحجر فيشهد يوم القيامة لكل من وافاه، وقد استفاضت الروايات في ذلك، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ الله عز وجل حيث أخذ ميثاق بني آدم دعا الحجر فأمره فالتقم الميثاق فهو يشهد لمن وافاه بالموافاة»(٣).
ثم اعلم أنَّ عدّ هذه العبادات الأربع كلها في مقطع واحد لأجل أن يتمّ عدد الجنود إلى خمسة وسبعين، وقد قيل في كيفية العدّ أمراً آخر وهو اعتبار بعض هذه المقاطع المتشابهة من المكررات التي كرّرها الإمام عليه السلام للتأكيد أو للأهمية، وقيل غير ذلك.

٤٩ ـ صون الحديث والنميمة

[٦٥] **(وصون الحديث وضده النميمة):**
«النميمة» هي: نقل قول أو فعل من شخص إلى شخص على جهة الشر والإفساد، وكشف ما يكره أحدهما ـ المنقول إليه أو المنقول عنه ـ كشفه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾(٤).
والنميمة تسبّب العداوة والبغضاء بين الناس وهتك أعراضهم، ولا ترتبط

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧٣.
(٢) البحار: ج٩٧ ص٩٣.
(٣) الوسائل: ج١٣ ص٣١٧.
(٤) سورة القلم: الآيتان ١٠ ـ ١١.

وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَضِدَّهُ الْعُقُوقَ[٦٦]؛ وَالْحَقِيقَةُ وَضِدَّهَا الرِّيَاءَ[٦٧]؛ ....

بالنصيحة أصلاً فإنَّ النصيحة هي لصون المجتمع، أما النميمة فهي إفساد للعلاقات الاجتماعية.

٥٠ ـ بر الوالدين والعقوق

[٦٦] **(وبر الوالدين وضده العقوق)**:

«العقوق» هو الإساءة إلى الوالدين وتضييع حقوقهما، و«بِرّهما» هو الإحسان إليهما وحفظ حقوقهما ـ حيّين كانا أم ميتين ـ.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[١].

٥١ ـ الحقيقة والرياء

[٦٧] **(الحقيقة وضدها الرياء)**:

أي يكون العمل في السر والعلن واحداً، وقد مرّ في المقطع الواحد والأربعين الفرق بين الحقيقة والإخلاص وبين الرياء والشوب.

فالعاقل من يتّصف بالحقيقة فيعمل العمل لأجل أنّه صواب، ويترك العمل لأجل أنّه خطأ، سواء في السر أم العلن، في حين أنَّ المرائي إنَّما يعمل لتحصيل السمعة فلذلك يترك العمل الصالح حينما لا يراه أحداً.

ومنشأ الرياء التواء في القلب، وبناء الأمر على الكذب والخداع وحب المدح فيما ليس فيه من الحق والحقيقة!!

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[٣].

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

وَالْمَعْرُوفُ وَضِدَّهُ الْمُنْكَرَ[٦٨]؛ وَالسَّتْرُ وَضِدَّهُ التَّبَرُّجَ[٦٩]؛ وَالتَّقِيَّةُ وَضِدَّهَا الْإِذَاعَةَ[٧٠]؛ ....

---

٥٢ ـ المعروف والمنكر

[٦٨] **(المعروف وضده المنكر):**

«المعروف» هو كل ما عُرف حسنه بالعقل أو الشرع.

و«المنكر» كل ما أنكره العقل والشرع فحكما بقبحه.

والمراد هنا اختيار المعروف والأمر به والعمل به وكذلك صنع المعروف إلى الغير بإحسان وإعانة ونحوهما، وعكسه في المنكر، قال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾(٢)، وقال عز من قائل: ﴿ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(٣).

٥٣ ـ الستر والتبرج

[٦٩] **(الستر وضده التبرج):**

«الستر» هو تغطية ما يقبح إظهاره شرعاً أو عرفاً، و«التبرج» هو عدم التغطية، ويستعمل ـ عادة في إظهار الزينة ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾(٥) ويمكن تخصيص هذه الفقرة بالنساء.

٥٤ ـ التقية والإذاعة

[٧٠] **(التقية وضدها الإذاعة):**

«التقية» هي المسايرة مع من يخشى منه وقاية وحفظاً، قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ

---

(١) سورة النساء: الآية ١٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ١١٢.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٥) سورة النور: الآية ٦٠.

وَالْإِنْصَافُ وَضِدَّهُ الْحَمِيَّةَ[٧١]؛ ....

ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾(٢).

والتقية هي إبطان الإيمان وإظهار خلافه.

وأما النفاق فهو إبطان الكفر أو الباطل وإظهار الإيمان أو الحق، فلذا كانت التقية مأموراً بها، والنفاق منهياً عنه.

ثم إنَّ التقية لها شروطها وأحكامها مذكورة بالتفصيل في كتب الفقه، وهي من مصاديق المحافظة على النفس وما يتعلق بها مقابل ظلم الظالمين وكيد الكائدين، فهي في الحقيقة مقاومة للظلم والظالم لصون الحق والعدل.

٥٥ ـ الإنصاف والحميَّة

[٧١] **(والإنصاف وضده الحميَّة):**

«الإنصاف» هو العدل بين نفسه وغيره، وبين الأقارب والأباعد، وأصله من النَّصَف بمعنى التسوية.

و«الحمية» هي تجاوز العدل غيرةً وتعصّباً لما يرتبط بالنفس، وهي توجب تقديم النفس على الغير، والقريب على البعيد، وإن كان الحق مع الغير والبعيد، قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾(٣).

وفي التبيين(٤): (الحمية: العصبية، حمية الجاهلية حيث قالوا كيف يدخل محمد ﷺ مكة بلدنا وقد قتل في أُحد آباءنا وإخواننا، والحال أنَّ الحج والعمرة لا يرتبطان بالمنازعات ـ حتى في عرف الكفار ـ).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٨.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٦.

(٤) التبيين: ص٥٢٧.

وَالتَّهْيِئَةُ وَضِدَّهَا الْبَغْيَ[٧٢]؛ ....

والإنصاف من أهم الصفات النفسانية، التي تكشف عن أن المتصف بها طالب حق وحقيقة، وأنّه يرجّح الحق حتى على نفسه وأهله وأقربائه، وعدم الإنصاف يكشف عن أنَّ الملاك عنده هو نفسه لا الحق، فهو مستعد للتضحية بالحق مهما تعارض مع مصالحه.

وفي الفضيلة الإسلامية[١] والإنسان كثيراً ما يحاول أن لا يدين نفسه، لكنَّه يرجع بعكس ما يتوخاه، فيبوء بالضعة عوض ما كان يترقبه من الرفعة، أما إذا أنصف وقال ما له وما عليه وأدان ذاته كما يدين غيره، فلا تذهب أيام وليال إلا ويأخذ في السمو ويكون موضع ثقة الناس، وأيّ مقصد أنبل من هذا؟.

٥٦ ـ التهيئة والبغي

[٧٢] **(التهيئة وضدها البغي):**

«التهيئة» هي الموافقة والمصالحة بين الجماعة وإمامهم الحق، بأن يكونوا متهيئين ومستعدين للانقياد له، و«البغي» هو الخروج على أئمة الحق وعدم إطاعتهم.

وهذا المقطع يرتبط بالإطاعة في مجال القتال ـ عادة ـ، كما أنَّ المقطع الرابع والثلاثين ـ وهو الطاعة والمعصية ـ أعم من ذلك، قال تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[٢].

وأصل البغي هو التعدي على الغير ولو بالاستطالة والتكبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٤].

(١) الفضيلة الإسلامية: ص١٠٠.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.
(٣) سورة القصص: الآية ٧٦.
(٤) سورة ص: الآية ٢٢.

وَالنَّظَافَةُ وَضِدَّهَا الْقَذَرَ[٧٣]؛ وَالْحَيَاءُ وَضِدَّهَا الْجَلَعَ[٧٤]؛ وَالْقَصْدُ وَضِدَّهُ الْعُدْوَانَ[٧٥]؛ ....

---

٥٧ ـ النظافة والقذر

[٧٣] **(النظافة وضدها القذر):**

«النظافة» أي الطهارة في الرُّوح والجسم وكل ما يتعلق بالإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾(٢)، وقال عز من قائل: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾(٣)، والنظافة توجب راحة الجسد والرُّوح وحب الله وحب الناس وعدم إيذاء الناس وغير ذلك.

٥٨ ـ الحياء والجلع

[٧٤] **(الحياء وضده الجلع):**

«الحياء» هو الخوف من الظهور بمظاهر النقص، والتحفظ عن قبيح الصفات والكلام والأفعال ـ في العلن أو الخلوة ـ، و«الجلع» هو قلّة الحياء، وفي بعض النسخ «الخلع» وهو الوقاحة، ومن لم يستح فكأنَّه خلع عن نفسه لباس الحياء، وقولهم: فلان خليع العذار، بمعنى أنَّه يفعل ما يشتهي كالدابة التي لا عذار لها ـ أي لا لجام لها ـ.

وأعلى درجات الحياء هو من الله تعالى، بأن لا يقول ولا يعمل عملاً يعلم عدم رضى الله تعالى عنه.

٥٩ ـ القصد والعدوان

[٧٥] **(القصد وضده العدوان):**

«القصد» هو التوسط في الأمور، و«العدوان» هو تجاوز الحدّ بإفراط أو تفريط،

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٢) سورة المدثر: الآية ٤.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٨.

وَالرَّاحَةُ وَضِدَّهَا التَّعَبَ[٧٦]؛ وَالسُّهُولَةُ وَضِدَّهَا الصُّعُوبَةَ[٧٧]؛ ....

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾(١)، أي على الله بيان الطريق المستقيم ومن الطرق ما هو مائل عن القصد، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(٢) أي ليس في طريقكم إفراط أو تفريط كما في سائر الأديان والمذاهب، وعلَّة ذلك لتكونوا شهداء على الناس فإنَّ الإنسان المعتدل يتمكن من أن يشهد على المنحرف يميناً أو شمالاً.

٦٠ ـ الراحة والتعب

[٧٦] **(الراحة وضدها التعب):**

«الراحة» أي اختيار ما يوجب الراحة في الدارين ـ الدنيا والآخرة ـ معاً، وذلك بالإيمان والعمل الصالح والورع عن المحرمات، ومن اشتغل فيما فيه مرضاة الله سبحانه فإنَّه في راحة نفسية، لابتعاده عن الرذائل النفسانية والوساوس الشيطانية، ولاجتنابه عن الأفعال المضرَّة والعادات السيئة، فهو ذو قلب سليم مطمئن وعمل صحيح، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾(٣)، فإنَّ خوفهم وحزنهم بالنسبة إلى غيرهم ليس بشيء يذكر، فيبشرهم الله بالمستقبل الزاهر في الدنيا، وفي الآخرة بالجنة.

وعكس ذلك الجاهل فإنَّه في تعب دائم في الدنيا والآخرة، فنفسه مريضة وفكره مشوش وعمله سيِّىء.

٦١ ـ السهولة والصعوبة

[٧٧] **(السهولة وضدها الصعوبة):**

لعل المراد من «السهولة» هو امتلاك نفسية غير معقدة والتعامل بسماح ولين،

---

(١) سورة النحل: الآية ٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٣) سورة يونس: الآيات: ٦٢ ـ ٦٤.

وَالْبَرَكَةُ وَضِدَّهَا الْمَحْقَ[٧٨]؛ وَالْعَافِيَةُ وَضِدَّهَا الْبَلَاءَ[٧٩]؛ ....

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾(١)، فالقلب والأخلاق والعمل كلها ابتنت على السهولة، فهو ﷺ لين في قلبه وأخلاقه، وعمله بالتسامح أي العفو عن تقصيرهم، بل الدعاء ليعفو الله عنهم، ثم تطييب خاطرهم بالمشورة.

٦٢ ـ البركة والمحق

[٧٨] **(البركة وضدها المحق):**

«البركة» الخير الثابت، ولعلَّ المراد: هو الثبات على الحق وزيادة أعمال الخير، وفي المرآة(٢): ويحتمل أن يكون المراد البركة في المال وغيره من الأمور الدنيوية فإن العاقل يحصل من الوجه الذي يصلح له ويصرف فيما ينبغي الصرف فيه فينمو ويزيد ويبقى ويدوم له بخلاف الجاهل. انتهى، قال تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ﴾(٣) وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾(٤).

و«المحق» هو النقص والإبطال، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾(٥)، والمراد هنا فعل ما يوجب المحق.

٦٣ ـ العافية والبلاء

[٧٩] **(العافية وضدها البلاء):**

«العافية» هنا بمعنى السلامة في الدِّين، و«البلاء» هنا بمعنى المصيبة فيه، وقد مرّ الفرق بين هذا المقطع وبين المقطع السادس والثلاثين وهو (السلامة والبلاء).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٢) المرآة: ج١ ص٧٤.
(٣) سورة هود: الآية ٧٣.
(٤) سورة مريم: الآية ٣١.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٧٦.

وَالْقَوَامُ وَضِدَّهُ الْمُكَاثَرَةَ[٨٠]؛ وَالْحِكْمَةُ وَضِدَّهَا الْهَوَاءَ[٨١]؛ ....

---

٦٤ ـ القوام والمكاثرة

[٨٠] (القوام وضده المكاثرة):

«القوام» عدم المباهاة بالكثرة في المال والولد وسائر أمور الدنيا.

و«المكاثرة» هي المباهاة بالكثرة فيها، قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾(٢).

والكثرة لا قيمة لها في حدِّ ذاتها ـ كما مرّ سابقاً في حديث هشام ـ وخاصة في أمور الدنيا، وإنَّما الفكر الصحيح والعمل الصالح هما الواقع الذي ينبغي السعي لأجله.

ويمكن أن يكون معنى القوام هو مراعاة الوسط بين الإسراف والتقتير، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾(٣)، والمكاثرة هي الحرص على التكاثر والإسراف بتحصيل متاع الحياة الدنيا زيادة على الحاجة لغرض المباهاة!!

٦٥ ـ الحكمة والهواء

[٨١] (الحكمة وضدها الهواء):

وفي الوافي (الهوى)، و«الحكمة» هي وضع الشيء في موضعه، ولا يكون ذلك إلا بالعلم النافع والعمل الصالح. فعن الإمام الصادق عليه السلام: «الحكمة: المعرفة والتفقه في الدِّين»، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أوَّل الحكمة ترك اللذات وآخرها مقت الفانيات»، قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(٤).

وأما «الهوى» فهو الرأي الفاسد وشهوات النفس الباطلة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ

---

(١) سورة التكاثر: الآيتان ١ ـ ٢.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٠.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

وَالْوَقَارُ وَضِدَّهُ الْخِفَّةَ[٨٢]؛ وَالسَّعَادَةُ وَضِدَّهَا الشَّقَاوَةَ[٨٣]؛ ....

﴿ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٢) وذلك لأنَّ هوى النفس يتعارض مع الحق كثيراً فاتباعه يوجب الفساد والإفساد قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾(٣)، وأما اتباع الحكمة فهو عين الحق لأنَّ وضع الأشياء في مواضعها هو الحق بعينه.

٦٦ ـ الوقار والخفة

[٨٢] **(الوقار وضده الخفة):**

«الوقار» الرزانة وترك المبادرة إلى ما لا يحمد، فالعاقل لا يحرّكه إلا العقل فيتخذ قراراته بعيداً عن الأهواء، فلذا يحفظ اتزانه في أقواله وأعماله وحركاته وسكونه، وأصله من الوقر، بمعنى الثقل والثبوت كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾(٤). أي لا تعتقدون بثبوته فتنكرونه، وقال سبحانه: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾(٥) أي تعظموه.

٦٧ ـ السعادة والشقاوة

[٨٣] **(السعادة وضدها الشقاوة):**

«السعادة» أي اختيار ما يوجب حسن العاقبة، و«الشقاوة» اختيار ما يوجب سوء العاقبة، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾(٦) وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾(٧).

---

(١) سورة ص: الآية ٢٦.
(٢) سورة القصص: الآية ٥٠.
(٣) سورة المؤمنون: الآية ٧١.
(٤) سورة نوح: الآية ١٣.
(٥) سورة الفتح: الآية ٩.
(٦) سورة هود، الآيتان: ١٠٥، ١٠٦.
(٧) سورة هود: الآية ١٠٨.

وَالتَّوْبَةُ وَضِدَّهَا الْإِصْرَارَ[٨٤]؛ وَالِاسْتِغْفَارُ وَضِدَّهُ الِاغْتِرَارَ[٨٥]؛ ....

والسعادة في الأصل هي نيل المراد مع الشعور به، والشقاوة فقد المراد مع الشعور به، والسعادة الحقيقية هي في نيل الآخرة، وكذلك نيل الدنيا إذا لم تضرّ بالآخرة.

٦٨ ـ التوبة والإصرار

[٨٤] **(التوبة وضدها الإصرار)**:

«التوبة» هي الرجوع من الذنب إلى الطاعة، وأما الاستغفار فهو من مقدمات التوبة وهو طلب المغفرة، وأما مقدمات التوبة فهي الندم والعزم على عدم العود وهما بالقلب، والاستغفار وهو باللِّسان، وإصلاح ما أفسده وهو بالجوارح، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «التوبة على أربع دعائم: ندم بالقلب، واستغفار باللِّسان، وعمل بالجوارح، وعزم على أن لا يعود»(١) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾(٢)، والإنسان كثيراً ما يخطئ فيقع في الذنب في حين غفلة أو ضعف نفسي أو اغترار بالشيطان، لكن من أهم الفضائل هو الرجوع عن الخطأ، وأن لا تأخذه العزة بالإثم، ولذا فتح الله تعالى باب التوبة كي لا يقنط الناس من رحمته وكما مرّ فإنَّ القانط اليائس يواصل الخطيئة ويزداد عتواً، بينما الراجي يمكن أن يصلح ما أفسده.

وأما «الإصرار» فهو الإقامة على الذنب والاستمرار عليه، قال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٣).

٦٩ ـ الاستغفار والاغترار

[٨٥] **(الاستغفار وضده الاغترار)**:

«الاستغفار» هو طلب المغفرة من الله تعالى عن الذُّنوب، بل حتى عن

---

(١) البحار: ج٧٨ ص؟

(٢) سورة التحريم: الآية ٨.

(٣) سورة الجاثية: الآيتان ٧ ـ ٨.

وَالْمُحَافَظَةُ وَضِدَّهَا التَّهَاوُنَ[٨٦]؛ وَالدُّعَاءُ وَضِدَّهُ الِاسْتِنْكَافَ[٨٧]؛ ....

العجز، ولذا فإنَّ أولياء الله تعالى حينما كانوا يدركون عجزهم عن أداء حق الله تعالى كانوا يستغفرون، لا لأجل ذنب ارتكبوه، بل لشعورهم بالقصور أمام عظمته تعالى، مثلهم كمثل من يعجز عن احترام ضيف بما يليق به، فإنَّه يكرر الاعتذار، لا لتقصير منه بل لقصور وعجز.

وأما «الاغترار» فهو الانخداع بالهوى، ممَّا يوجب الغفلة عن التقصير، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾(١).

٧٠ ـ المحافظة والتهاون

[٨٦] **(المحافظة وضدها التهاون):**

«المحافظة» أي مراعاة الواجبات وخاصة الصلاة، و«التهاون» هو استصغار شأنها ممَّا يؤدِّي إلى عدم مراعاتها وإضاعتها، قال تعالى: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾(٣)، ولا يخفى أنَّ التهاون هو مقدمة الإضاعة، ولذا افترق التهاون عن الإضاعة المذكورة في المقطع الثامن والأربعين.

٧١ ـ الدعاء والاستنكاف

[٨٧] **(الدعاء وضده الاستنكاف):**

«الدعاء» هو مخاطبة الله تعالى بتذلل وخشوع، و«الاستنكاف» الأنفة، قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٢.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٢.

وَالنَّشَاطُ وَضِدَّهُ الْكَسَلَ[٨٨]؛ وَالْفَرَحُ وَضِدَّهُ الْحَزَنَ[٨٩]؛ ....

﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(١)، ولعلَّ الفرق بين الاستنكاف والاستكبار، هو أنَّ الاستنكاف هو الأنفة وهو أمر نفسي يظهر في العمل، والاستكبار هو أمر عملي منشؤه نفسي.

٧٢ ـ النشاط والكسل

[٨٨] **(النشاط وضده الكسل):**

«النشاط» هو الانجذاب بيسر وسهولة لما ينبغي أن ينهض له، و«الكسل» هو التثاقل والفتور عمَّا لا ينبغي أن يتثاقل عنه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾(٣).

والكسل هو سبب التخلف، فإنَّ الكسول يتوانى حتى يضيّع الحقوق أو الفرص، فإذا ضيّع الحقوق استحق العذاب، وإذا ضيّع الفرص فشل في حياته.

٧٣ ـ الفرح والحزن

[٨٩] **(الفرح وضده الحزن):**

أي الفرح بفضل الله تعالى ورحمته وبما أنزل على رسول الله ﷺ، أو بمعنى إدخال السرور في قلوب المؤمنين، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٤).

وأما «الحزن» فالمذموم منه ما كان لأمور الدنيا قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾(٥)، أو إدخال الحزن في قلوب المؤمنين.

---

(١) سورة النساء: الآيتان ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٢.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٦١.

(٤) سورة يونس: الآية ٥٨.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٥٣.

وَالْأُلْفَةُ وَضِدَّهَا الْفُرْقَةَ[٩٠]؛ وَالسَّخَاءُ وَضِدَّهُ الْبُخْلَ[٩١]. فَلَا تَجْتَمِعُ هَذِهِ الْخِصَالُ كُلُّهَا مِنْ أَجْنَادِ الْعَقْلِ إِلَّا فِي نَبِيٍّ أَوْ وَصِيِّ نَبِيٍّ، أَوْ مُؤْمِنٍ قَدِ

نعم إذا أوجب الفرح البطر كان مذموماً، وإذا كان الحزن لأمر الآخرة أو في مصيبة ـ وضمن دائرة الشرع ـ وخاصة لموت أولياء الله تعالى، كان ذلك ممدوحاً.

٧٤ ـ الألفة والفرقة

[٩٠] **(الألفة وضدها الفرقة):**

«الألفة» هي ائتلاف القلوب واجتماعها وتعارفها، و«الفرقة» هي تنافر القلوب، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[١]، وهذا دليل على أنَّ تأليف القلوب إنَّما يكون بالمعنويات لا بالماديات، وقد جعل الله تعالى تلك المعنويات سبباً للألفة فهو الذي يؤلف بين القلوب لمن سلك أسبابها، والألفة توجب سعادة المجتمع وخلوه من المشكلات وهي من أسباب الرقي والتطور.

٧٥ ـ السخاء والبخل

[٩١] **(السخاء وضده البخل):**

«السخاء» هو الجود والكرم ـ حيث ينبغي الجود والكرم ـ، وهو الحالة الوسطى بين الإسراف والبخل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾[٢] وأما «البخل» فهو الإمساك حيث ينبغي البذل.

وضرر البخل يرجع إلى البخيل نفسه قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[٣]، والسخاء يصبّ في التكافل الاجتماعي، ويوطّد الروابط والأصر ويعود نفعه إلى السخي قبل غيره، عكس البخل.

---

(١) سورة الأنفال: الآيتان ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٩.

(٣) سورة محمد: الآية ٣٨.

امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ[٩٢]، وَأَمَّا سَائِرُ ذَلِكَ مِنْ مَوَالِينَا[٩٣]، فَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ بَعْضُ هَذِهِ الْجُنُودِ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ وَيَنْقَى مِنْ جُنُودِ الْجَهْلِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ فِي الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ[٩٤]، وَإِنَّمَا يُدْرَكُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ الْعَقْلِ وَجُنُودِهِ[٩٥]، وَبِمُجَانَبَةِ الْجَهْلِ وَجُنُودِهِ[٩٦]

الخاتمة

[٩٢] **(امتحن الله قلبه للإيمان):**

أي اختبره الله، فوجده أهلاً للإيمان، فلذا منحه هذا الإيمان، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾(١).

[٩٣] **(سائر ذلك من موالينا):**

أي بقية الناس ـ غير الأنبياء والأوصياء ومن امتحن الله قلوبهم ـ، وقوله: (من موالينا) بيان لقوله (ذلك).

[٩٤] **(مع الأنبياء والأوصياء):**

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾(٢).

[٩٥] **(بمعرفة العقل وجنوده):**

هذا إشارة إلى العلم، وهو مقدمة العمل، وإذا عرف العقل وجنوده فإنَّه يعرف الجهل وجنوده، لأنَّ كل ما ضاد جنود العقل كان من جنود الجهل، وتُعرف الأشياء بأضدادها.

[٩٦] **(ومجانبة الجهل وجنوده):**

هذا إشارة إلى العمل، وإذا جانب الجهل وجنوده فقد حصل العقل وعمل بجنوده، لأنَّ ترك أحد النقيضين يعني فعل النقيض الآخر.

والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٩.

وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِطَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ.

١٥ ـ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْعِبَادَ بِكُنْهِ عَقْلِهِ قَطُّ[١]؛ وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ[٢]».

وقد استفدت لشرح هذا الحديث الشريف ـ مضافاً إلى الكتب المذكورة في أول الكتاب ـ من كتاب (الفضيلة الإسلامية) للسيد الوالد رضوان الله عليه، وكتاب (الأخلاق والآداب الإسلامية).

ولا يخفى أنَّ بعض هذه الجنود معناها اللغوي أعمّ من خصوص الفضيلة أو الرذيلة، ولكن لما أراد الإمام عليه السلام منها الخصوص كان شرحنا لمعانيها بما ينطبق مع مراده عليه السلام.

الحديث الخامس عشر:

[١] **(بكنه عقله قطّ):**

أي لم يكلمهم بنهاية ما يدركه بعقله، وذلك للغوية التكلم مع الناس بما لا يفهمون.

والمراد بالعباد عامة الناس، فلا يشمل أهل البيت عليهم السلام الذين هم شجرة النبوة وعيبة علم الرسول صلى الله عليه وآله.

[٢] **(على قدر عقولهم):**

أي نخاطب كل واحد منهم بقدر فهمه، نعم ربما خاطبوا الناس جميعاً بخطاب عام يفهم كل واحد منهم بحسب قابليته وفهمه، كما أنَّ القرآن الكريم أنزل لعامة الناس لكن يفهم منه الناس بمقدار قابلياتهم.

١٦ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّ قُلُوبَ الْجُهَّالِ[١] تَسْتَفِزُّهَا الْأَطْمَاعُ[٢]، وَتَرْتَهِنُهَا الْمُنَى[٣]، وَتَسْتَعْلِقُهَا الْخَدَائِعُ[٤].

الحديث السادس عشر:

[١] **(إنَّ قلوب الجهَّال):**

أي ذوي العقول الناقصة، أو من لا يستعملون عقولهم.

[٢] **(تستفزها الأطماع):**

«الاستفزاز» هو الخفة وخروج الإنسان عن طوره، والمراد أنَّ الأطماع الدنيوية تخرجها عن رزانتها وثقلها إلى المسارعة في متاع الحياة الزائلة، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾(١).

[٣] **(ترتهنها المنى):**

أي تقيّدها الأمنيات، فإن العاقل لا يترك العمل لأجل الأماني، أما الجاهل فإنَّه لا يعمل اعتماداً على أمانيه الزائفة، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(٣)، ويدخل في ذلك طول الأمل.

[٤] **(تستعلقها الخدائع):**

أي توقعها الخدعُ الشيطانية في شراكها ومصيدتها، قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾(٤)، أي يعدهم الشيطان بالوعود الكاذبة ويمنيهم بالأماني الباطلة، وليس ذلك إلا خداع بإيهام النفع، مع أنَّه ضرر وخسران.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٤.
(٢) سورة النساء: الآية ١٢٣.
(٣) سورة الحديد: الآية ١٤.
(٤) سورة النساء: الآية ١٢٠.

١٧ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ الدِّهْقَانِ، عَنْ دُرُسْتَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلاً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً[١].

١٨ ـ عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الرِّضَا عليه السلام فَتَذَاكَرْنَا الْعَقْلَ وَالْأَدَبَ فَقَالَ: يَا أَبَا هَاشِمٍ، الْعَقْلُ حِبَاءٌ مِنَ اللَّهِ[١] وَالْأَدَبُ

وفي الحديث ترتيب لطيف، فإنَّ الجاهل يطمع، ثم يعيش في أحلام وردية، ثم يعمل بالباطل، مع أنَّه مخدوع في أمره.

الحديث السابع عشر:

[١] **(أحسنهم خلقاً):**
«الخُلق» ـ بالضم ـ هو الصورة الباطنة للإنسان، ومظهره وأقواله وأفعاله تدلُّ عليها.
ومجموع تلك الصفات تشكِّل الصورة الباطنية للإنسان، وهي تدلُّ على العقل أو على ضعفه، وكلما كانت تلك الصورة حسنة ظهرت محاسنها في الأعمال والأقوال فكشفت عن قوة العقل، وكذلك في العكس، وقمة الأخلاق هو رسول الله صلى الله عليه وآله ولذا قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١).
كما أنَّ الخَلق ـ بالفتح ـ هو الصورة الظاهرة للإنسان.

الحديث الثامن عشر:

[١] **(العقل حِباء من الله):**
«الحِباء» ـ بكسر الحاء ـ: العطية، والمراد أنَّ أصل العقل موهبة إلهية، فمن كان ذا عقل مطبوع يمكنه تطويره، وأما من كان فاقداً لهذه الموهبة فإنَّه لا يتمكن من تطويرها، وكلما حاول أن يضاهي العقلاء ظهر جهله أكثر.

---

(١) سورة القلم: الآية ٤.

كُلْفَةٌ[٢]، فَمَنْ تَكَلَّفَ الْأَدَبَ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَكَلَّفَ الْعَقْلَ لَمْ يَزْدَدْ بِذَلِكَ إِلَّا جَهْلاً[٣].

ومثل ذلك كالذي له ملكة إنشاء الشعر فإنَّه يتمكن من تطويرها بالقراءة والكتابة وغيرهما، أما الفاقد للملكة فإنَّه لو أراد أن ينشىء شعراً أتعب نفسه مع عدم تمكنه من مراعاة الأوزان وسائر أمور الشعر، فيظهر جهله لأنَّه تصنّع أمراً هو فاقد له.

[٢] **(الأدب كلفة):**

أي الآداب الاجتماعية في الأقوال والأفعال والكتابات هي أمور يكتسبها الإنسان بالتعلم والمشقة.

[٣] **(لم يزدد بذلك إلا جهلاً):**

في المرآة(١) تكلُّفه بأن يتعرض لفهم أمور لا يصل إليها عقله، أو لتحقيق مباحث هي فوق طاقته، أو لسياسات مدنية لا يمكنه القيام بها. انتهى.

وازدياد جهله لأجل أنَّه يفهم الشيء بالمغلوط، وحينئذٍ يكون جاهلاً مركباً بعد أن كان جاهلاً بسيطاً، ففي البداية لم يكن يعلم، والآن هو نفس الجاهل مع تصوره أنَّه يعلم، فأضاف جهلاً إلى جهله، قال تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٢)، ومع أنَّ القرآن الكريم يحثّ على العلم لكنَّه استثنى هؤلاء الأعراب لأنَّهم لا يعقلون، وضرر تعلمهم أكثر من ضرر جهلهم، لأنَّ بقاءهم على الجهل مضر، لكن تعلمهم يسبب فهمهم المغلوط للدين ـ لقلة عقلهم ـ فيوجب المشاكل الجمَّة، كالخوارج والتكفيريين الذين كانوا أعراباً يزعمون أنَّهم عرفوا الإسلام، فكانوا سبب ضرر المسلمين بشدَّة.

---

(١) المرآة: ج١ ص٧٧/الهامش.

(٢) سورة التوبة: الآية ٩٧.

١٩ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبَلَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ لِي جَاراً كَثِيرَ الصَّلَاةِ، كَثِيرَ الصَّدَقَةِ، كَثِيرَ الْحَجِّ لَا بَأْسَ بِهِ[١] قَالَ: فَقَالَ: يَا إِسْحَاقُ كَيْفَ عَقْلُهُ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ[٢]، قَالَ: فَقَالَ: لَا يَرْتَفِعُ بِذَلِكَ مِنْهُ[٣].

٢٠ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّيَّارِيِّ، عَنْ أَبِي يَعْقُوبَ الْبَغْدَادِيِّ قَالَ: قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ[١] لِأَبِي

الحديث التاسع عشر:

[١] (لا بأس به):
أي لا يرتكب المعاصي.

[٢] (ليس له عقل):
المراد نقصان عقله.

[٣] (لا يرتفع بذلك منه):
أي لا يرتفع هذا العمل من هذا الجار بسبب قلة عقله، لأنَّ العمل الصادر عن غير العاقل لا بدَّ من أن يكون فيه خلل يسقطه عن كونه عملاً صالحاً ـ كما مرّ سابقاً ـ، والمرفوع هو العمل الصالح كما قال تعالى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾(١).

الحديث العشرون:

[١] (قال ابن السكيت):
هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت كان ثقة صدوقاً من أفاضل الإمامية، ومن كبار الأدباء، كان معلماً لابني المتوكل ـ المعتز والمؤيد ـ،

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٠.

الْحَسَنِ عليه السلام[٢] لِمَاذَا بَعَثَ اللَّهُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عليه السلام بِالْعَصَا وَيَدِهِ الْبَيْضَاءِ وَآلَةِ السِّحْرِ[٣]؟ وَبَعَثَ عِيسَى بِآلَةِ الطِّبِّ[٤]؟ وَبَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وكان ذات يوم حاضراً عند المتوكل إذ أقبلا، فقال له المتوكل: يا يعقوب أيهما أحب إليك ولداي هذان أم الحسن والحسين؟ فقال: «والله إن قنبراً غلام علي بن أبي طالب عليه السلام خير منهما ومن أبيهما» فأمر المتوكل لعنه الله بأن يسلّوا لسانه من قفاه فمات رضوان الله عليه.

[٢] **(لأبي الحسن عليه السلام):**

المراد الإمام الرضا عليه السلام كما صرّح بذلك الصدوق رضوان الله عليه في عيون أخبار الرضا، كذلك الطبرسي رحمه الله في الاحتجاج، على ما في الوافي(١).

[٣] **(آلة السحر):**

أي آلة إبطال السحر، وعطف الآلة على العصا من عطف العام على الخاص تأكيداً، أو لأنَّ مهام العصا كانت متعددة كتفجير الماء من الحجر، وفلق البحر، وانقلابها حية تسعى، ولكن أهم مهامها كان لقف حبال وعصيّ السحرة، حيث كان الموقف للتحدي، فلما أكلت العصا ما كانوا يأفكون علموا بأنَّها ليست من السحر، بل هي أمر غيبي وآية منه تعالى، فلذلك عرفوا الحق وآمنوا رغم تهديد فرعون بصلبهم في جذوع النخل، وأما «السحر» فهو ما دقّ وخفي سببه، معتمداً على خداع العين، قال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾(٢)، وقد ذكرنا بعض المطالب حول السحر في تفسير آية هاروت وماروت من كتاب (التفكّر في القرآن) فراجع.

[٤] **(آلة الطب):**

أي وسيلة تعجز الطب، أو «الآلة» بمعنى الحالة، أي حالة تشبه حالة الطب من علاج الأمراض.

---

(١) الوافي: ج١ ص١١٢.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١١٦.

وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْكَلَامِ وَالْخُطَبِ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ لَمَّا بَعَثَ مُوسَى عليه السلام كَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ السِّحْرَ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وُسْعِهِمْ مِثْلُهُ، وَمَا أَبْطَلَ بِهِ سِحْرَهُمْ وَأَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ[٥]، وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ عِيسَى عليه السلام فِي وَقْتٍ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهِ الزَّمَانَاتُ[٦] وَاحْتَاجَ النَّاسُ إِلَى الطِّبِّ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِثْلُهُ، وَبِمَا أَحْيَا لَهُمُ الْمَوْتَى، وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ[٧] وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ[٨]، وَأَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ.

---

[٥] **(أثبت به الحجة عليهم):**

لأنَّ الغالب على أهل العصر يكثر تداوله، ويعلّم عامّة الناس به، فيعرفون نهاية المقدور فيه، فإذا جاء بما هو أقوى منهم يحصل لهم العلم بأنّه ليس من فعل أشباههم، أما إذا جاء بما لا يعرفونه فربما لا تتم الحجة عليهم، إذ يمكن أن يتصوروا إمكان ذلك لهم لو سعوا فيه واكتسبوه.

[٦] **(ظهرت فيه الزمانات):**

أي الأمراض المستعصية التي يطول زمان الابتلاء بها.

[٧] **(وأبرأ الأكمه):**

أي الأعمى بالولادة، وقد ثبت في الطب الحديث استحالة علاج الأكمه، لأنّهم يقولون إنَّ خلايا الدماغ المرتبطة بالبصر تكتمل بعد الولادة وتنمو إلى حدود السنة فتأخذ شكلها النهائي، فإذا لم يبصر الإنسان خلال تلك السنة فإنَّ تلك الخلايا لا تنمو ولا تكتمل وتقف عند ما هي عليه ممَّا يستحيل الرؤية بعد ذلك، وعلاج الأكمه بلمسة يد لا يمكن إلا بالإعجاز بإذن الله تعالى.

[٨] **(بإذن الله):**

تكرار هذه الكلمة في معاجز عيسى عليه السلام هو ردّ للغلاة من النصارى حيث ألّهوا عيسى عليه السلام لما رأوا هذه المعجزات، كما فيها ردّ على من زعم أنَّ الأنبياء لا دور لهم في المعاجز بل هم مجرد آلة، والصحيح أنَّ الله تعالى أعطاهم من القدرة أكثر ممَّا أعطى غيرهم، فكما أنَّ سائر الناس يقومون

وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ فِي وَقْتٍ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ الْخُطَبَ وَالْكَلَامَ - وَأَظُنُّهُ قَالَ: الشِّعْرَ - فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ مَوَاعِظِهِ وَحِكَمِهِ مَا أَبْطَلَ بِهِ قَوْلَهُمْ[٩]، وَأَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ، فَمَا الْحُجَّةُ عَلَى الْخَلْقِ الْيَوْمَ[١٠]؟ قَالَ: فَقَالَ عليه السلام: الْعَقْلُ يُعْرَفُ بِهِ الصَّادِقُ عَلَى اللَّهِ فَيُصَدِّقُهُ، وَالْكَاذِبُ عَلَى اللَّهِ فَيُكَذِّبُهُ؛ قَالَ: فَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: هَذَا وَاللَّهِ هُوَ الْجَوَابُ.

بأعمالهم بأنفسهم من غير جبر ولكن بقدرة أعطاها الله تعالى إياهم، كذلك الأنبياء - في بعض معاجزهم - يقومون بتلك المعجزة بأنفسهم ولكن بقدرة أعطاها الله إياهم.

[٩] **(ما أبطل به قولهم)**:
وقد نقل أنَّه لما نزلت آيات من القرآن الكريم، أزاحوا المعلّقات من الكعبة، لأنَّهم علموا أنَّ لا مقارنة بينها وبين القرآن الكريم، ولمَّا عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن قالوا إنَّه سحر يؤثر.
وأيضاً كانت المعلقات وغيرها تتضمن مواعظ وحكم وأحكام، وجاء القرآن بما هو أعلى منها ممَّا لم يكن لهم قِبل بها.

[١٠] **(ما الحجة على الخلق اليوم؟)**:
العبارة تحتمل معنيين:
الأول: المعجزة هي دليل صدق الأنبياء، فما هي الحجة في هذا العصر حتى نعلم من يجب اتباعه حيث انقطعت المعاجز الظاهرة، والأئمة عليهم السلام وإن كانت لهم معاجز كثيرة لكنَّها لم تكن ظاهرة للتقية - كما في المرآة - أو لمصالح أخرى؟؟
والجواب: هو أنَّ الحجة اليوم هي: العقل، فإنَّ الصادق على الله عالم بالكتاب والسُّنة حافظ لهما، أعماله تصدق أقواله، وأما الكاذب على الله تارك للكتاب والسُّنة جاهل بهما، أعماله تخالف أقواله وغير ذلك من القرائن التي تميِّز الكاذب من الصادق.

٢١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنِ الْمُثَنَّى الْحَنَّاطِ، عَنْ قُتَيْبَةَ الْأَعْشَى، عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ مَوْلًى لِبَنِي شَيْبَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِذَا قَامَ قَائِمُنَا[١] وَضَعَ اللَّهُ يَدَهُ[٢] عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ

الثاني: إنَّ أغلب الناس في هذا العصر لا يعرفون البلاغة، بل الكثير ليسوا من أهل اللغة العربية، فلا يمكنهم التمييز بين القرآن وغيره فما هو الحجة عليهم؟

والجواب: هو إمكان معرفتهم بإعجاز القرآن بتتبع القرائن والتواريخ وسائر جهات إعجاز القرآن ـ غير البلاغة ـ، وذلك بعقولهم التي حباها الله إياهم، مثلاً عدم وجود الاختلاف في القرآن ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(١)، وكذلك عدم تمكن أحد طوال التاريخ من الإتيان بمثل القرآن، أو سورة منه، أو عشر آيات، مع تحديهم لذلك ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾(٢) ولو أتى أحد بمعارض للقرآن لاشتهر وذاع ولاستغنوا عن المعارضة بالسيف، ولم يعهد عجز جميع الناس عن معارضة قليل من الكلام والشعر، بل ربما أتى الشاعر الأضعف والمتكلم الأنقص بقطعة من الكلام والشعر أحسن من مثل امرىء القيس والنابغة وأفصح الخطباء، كذا في حاشية الوافي(٣) وبذلك عرفنا صدق رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وعرفنا كذب أدعياء النبوة أمثال مسيلمة وأضرابه.

الحديث الواحد والعشرون:

[١] **(قام قائمنا)**:

أي نهض بالأمر وخرج.

[٢] **(وضع الله يده)**:

ضمير «يده» يرجع إلى «الله» لأنَّه الأقرب لفظاً، و«يد الله» قدرته وملكه واستيلاؤه، وهو ـ هنا ـ كناية عن رحمته وفضله، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣.

(٣) الوافي: ج١ ص١١١.

فَجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُمْ[٣] وَكَمَلَتْ بِهِ أَحْلَامُهُمْ[٤].

٢٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ[١]: حُجَّةُ

بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾(٢).

وهذا الوضع إما غيبي، بمعنى أنَّ الله تعالى يكمل العقول بإرادته من غير أسباب ظاهرة.

وإما بمعنى أنَّ النظام لما كان عادلاً، والإمام معصوماً، والعدل سائراً، والجور معدوماً، فإنَّه تتفتق القابليات وتزداد العلوم وتصلح الأعمال، وحينئذٍ يتطور الناس من كل الجهات ويزدادون عقلاً حتى يصل الأمر بكل أحد إلى نهاية قابليته من العقل.

[٣] **(فجمع بها عقولهم):**

أي جمع بيده عقول العباد، والمعنى أنَّه يجعل عقولهم مجتمعة على الحق بعد أن كانت متفرقة بين السبل المختلفة.

[٤] **(كملت به أحلامهم):**

أي كملت بالقائم عجّل الله تعالى فرجه عقولهم، والأحلام جمع حِلم ـ بالكسر ـ وهو العقل.

والفرق بين الفقرتين أنَّ جمع العقل بمعنى عدم الاختلاف عن الحق، وكماله بمعنى تطوره إلى مقدار قابلية كل إنسان.

الحديث الثاني والعشرون:

[١] **(عن أبي عبد الله عليه السلام قال):**

حاصل الحديث أنَّ الدليل على وجود الله تعالى هو العقل، ثم الدليل على تفاصيل المعارف والأحكام هو الشرع أي ما بيَّنه النبي صلى الله عليه وآله.

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٩.

(٢) سورة يس: الآية ٨٣.

اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّبِيُّ[٢]، وَالْحُجَّةُ فِيمَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ الْعَقْلُ[٣].

٢٣ - عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ مُرْسَلاً قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١]:

---

[٢] **(حجة الله على العباد النبي):**

أي بعد اعتقادهم بالله تعالى، جعل الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله واسطة لتلقي التكاليف وتفاصيل المعارف، فالله تعالى يحتجّ على عباده بما أنزله إلى النبي، ولا حجة لهم في مخالفة كلامه صلى الله عليه وآله.

[٣] **(والحجّة فيما بين العباد وبين الله العقل):**

أي أصل الاعتقاد بوجود الله تعالى لا يمكن إلا عبر العقل، فقد جعله الله الحجة بين الناس وبينه، فمن كان له عقل يحتج الله عليه، ومن لم يكن له عقل كالأطفال الصغار والمجانين وكذلك القاصرون فإنَّه لم تكتمل الحجة عليهم، وكما ورد في بعض الأحاديث فإنَّ الله يمتحنهم يوم القيامة مرَّة أخرى(١)، ولذا قال عليه السلام: «الحجة بين العباد وبين الله»، فقد تكون الحجة عليهم وقد تكون لهم، أما من عَقِل وأذعن بوجود الله فإنَّ النبي حجة عليه دائماً ولذا قال عليه السلام: «حجة الله على العباد النبي».

الحديث الثالث والعشرون:

[١] **(قال أبو عبد الله):**

خلاصة الحديث: أولاً: بيان أهمية العقل وبعض جنوده، وثانياً: كمال الإنسان بالعقل، وثالثاً: العقل دليل للإنسان، ورابعاً: عدم كفاية العقل لوحده بل يحتاج إلى تأييد من الله تعالى، وخامساً: عدم تحيّر العاقل، بل يجد الأسئلة للأسئلة، وسادساً: يعرف العاقل من يتبع، وسابعاً: نتيجة كل

---

(١) البحار: ج٥ ص٢٩٠ (في حديث طويل عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام «...فيبعث الله تعالى إليهم ملكاً من الملائكة ويؤجج ناراً فيقول: إنَّ ربّكم يأمركم أن تثبوا فيها، فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً، ومَن عصاه سيق إلى النار»).

دِعَامَةُ الْإِنْسَانِ الْعَقْلُ[٢]، وَالْعَقْلُ مِنْهُ الْفِطْنَةُ وَالْفَهْمُ وَالْحِفْظُ وَالْعِلْمُ[٣]، وَبِالْعَقْلِ يَكْمُلُ[٤]، وَهُوَ دَلِيلُهُ وَمُبْصِرُهُ وَمِفْتَاحُ أَمْرِهِ[٥]، فَإِذَا كَانَ تَأْيِيدُ عَقْلِهِ مِنَ

ذلك صحة الاعتقاد، وإطاعة الله، والتوبة، والتهيؤ للمستقبل، ومعرفة الإنسان وجوده وما يرتبط به من الرزق والمصير ونحو ذلك.

١ ـ أهمية العقل وبعض جنوده

[٢] **(دعامة الإنسان العقل):**
«الدِعامة» ـ بالكسر ـ هي العماد والأساس، والمعنى: أنَّ قيام أمر الإنسان ونظام حاله بالعقل، وكلما كان العقل أكمل كان القيام والنظام أحسن.

[٣] **(والحفظ والعلم):**
«الفطنة» هي إدراك حقائق الأمور بسرعة وضدها الغباء و«الفهم» هو أصل إدراك الأمور بسبب العقل وضده الحمق والبلادة، و«الحفظ» هو حفظ حدود الله تعالى أو بمعنى تذكر الأمور وعدم نسيانها، و«العلم» هو إدراك الشي من غير زيادة ونقصان، وهذه كلها من جنود العقل كما مرّ في الحديث الرابع عشر في المقاطع ٤٣ و٢٨ و١٢ فراجع.

٢ ـ الكمال بالعقل

[٤] **(وبالعقل يكمل):**
«يكمل» من الثلاثي المجرد، أي وبالعقل يصل الإنسان إلى الكمال، أو من باب التفعيل أي تكميل الإنسان بالعقل.

٣ ـ دلالة العقل

[٥] **(مفتاح أمره):**
أي والعقل دليل الإنسان إلى الحق، و«مبصره» اسم فاعل من باب الأفعال أو التفعيل، أي جاعله بصيراً، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾(١) أي

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٩.

النُّورِ[٦] كَانَ عَالِماً، حَافِظاً، ذَاكِراً فَطِناً، فَهِماً، فَعَلِمَ بِذَلِكَ كَيْفَ وَلِمَ وَحَيْثُ[٧]، وَعَرَفَ مَنْ نَصَحَهُ وَمَنْ غَشَّهُ[٨]، فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ عَرَفَ مَجْرَاهُ وَمَوْصُولَهُ

سبباً للبصيرة، و«مفتاح الأمر» بمعنى أنّه بالعقل يفتح ما أغلق عليه من غوامض الأمور ـ دينية أم دنيوية ـ.

٤ ـ احتياج العقل إلى التأييد

[٦] **(فإذا كان تأييد عقله من النور):**

«التأييد»: التقوية، و«النور»: كل ما كان حقاً، فالله تعالى نور والأنبياء والأئمة عليهم السلام أنوار، والعلم نور، وهكذا، وإنّما شبّه الحق بالنور لأنَّ النور ظاهر بنفسه مظهر لغيره، وهكذا كل حق هو ظاهر مظهر.

٥ ـ عدم تحير العاقل

[٧] **(كيف ولِمَ وحيث):**

أي عرف جواب الأسئلة التي تدور في باله، وعلم طريقة التعامل مع الحوادث ممّا يرتبط بكيفية الأشياء وعللها وأماكنها ونحو ذلك، فلا يبقى متحيراً في أموره وعقائده.

٦ ـ من يتبع؟

[٨] **(من نصحه ومن غشه):**

أي يميّز بين النصح والغش وبذلك يتمكن من التمييز بين الناصح والغاش، أما غير العاقل فلا يقبل من الناصح وقد يقبل من غيره، قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾(١) وقال تعالى: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٧٩.

(٢) سورة فاطر: الآية ٤٠.

وَمَفْصُولَهُ[٩]، وَأَخْلَصَ الْوَحْدَانِيَّةَ لِلَّهِ[١٠]، وَالْإِقْرَارَ بِالطَّاعَةِ[١١] فَإِذَا فَعَلَ ذٰلِكَ[١٢] كَانَ مُسْتَدْرِكاً لِمَا فَاتَ[١٣]، وَوَارِداً عَلَى مَا هُوَ آتٍ[١٤]، يَعْرِفُ مَا هُوَ فِيهِ[١٥]،

٧ ـ نتيجة ما سبق

[٩] **(مجراه وموصوله ومفصوله):**

«مجراه» أي الطريق الذي يسلك فيه هل هو الصراط المستقيم أم السبل التي تفرق عن سبيله تعالى، و«موصوله» أي الأشخاص أو الأخلاق والأعمال التي ينبغي أن يتصل بها، و«مفصوله» أي ما ينبغي أن ينفصل عنه من الأشخاص والأعمال أو الأخلاق.

[١٠] **(أخلص الوحدانية لله):**

وهذا نتيجة طبيعية لما سبق، فإنَّ مَن يُعْمِل عقله وعرف الناصحين ـ وعلى رأسهم الأنبياء والأوصياء ـ، كما عرف المخادعين الغاشين ـ إبليس وجنوده ـ، فإنَّه يوحّد الله تعالى توحيداً خالصاً لا شرك فيه، وهذا في جانب الاعتقاد.

[١١] **(والإقرار بالطاعة):**

أي يقرّ بأنَّ عليه إطاعة الله تعالى ومَن أمر الله بطاعتهم، وهذا في الجانب العملي، والحاصل أنَّه يكون اعتقاده وعمله سليماً تابعاً لما أراده الله تعالى.

[١٢] **(فإذا فعل ذلك):**

أي الإخلاص في التوحيد والإقرار بالطاعة.

[١٣] **(مستدركاً لما فات):**

بالتوبة والإنابة، فما فاته من الطاعات يدركه بالتوبة والعمل الصالح، وما ارتكبه من المعاصي يتداركه بالتوبة والتلافي.

[١٤] **(ووارداً على ما هو آت):**

أي متهيئاً للأعمال الآتية، وكذلك للموت والنشور.

[١٥] **(يعرف ما هو فيه):**

أي الحالة التي هو فيها يعرف أنَّها حق صحيح، فهو على يقين من أمره، وليس شاكاً لا في معتقداته ولا في أعماله.

وَلأَيِّ شَيْءٍ هُوَ هَاهُنَا[١٦]، وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ[١٧]، وَإِلَى مَا هُوَ صَائِرٌ[١٨]؛ وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ تَأْيِيدِ الْعَقْلِ.

٢٤ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْعَقْلُ دَلِيلُ الْمُؤْمِنِ[١].

---

[١٦] (ولأي شيء هو هٰهنا):

أي يعرف أنَّ خلقه كان لأجل أن يعبد الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)، أو بمعنى أنَّه يعلم أنَّ هبوطه إلى الأرض كان بسبب أنَّ الشيطان أزلَّ أبويه من قبل، فينتبه لكي لا يخدعه، فيُحْرَم الدرجات العليا ويستحق النيران.

[١٧] (من أين يأتيه):

ضمير «يأتي» يرجع إلى «ما هو فيه»، أي يعرف من أين يأتيه ما هو فيه، فإن كان في نعمة يعلم أنَّها من الله تعالى فيشكره، وإن كان في بلاء يعرف أنَّ ذلك البلاء إما عقوبة له لتقصيره، أو امتحان له فيصبر ويستغفر، ونحو ذلك.

[١٨] (وإلى ما هو صائر):

من الموت والقبر والبرزخ والحساب والجنة أو النار والحاصل أنَّه يعلم بأحوال المبدأ والمعاد وما بينهما وما يرتبط بها فيعمل لينجو، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «رحم الله امرءاً أعدَّ لنفسه، واستعدّ لرمسه، وعلم من أين، وفي أين، وإلى أين»(٢).

الحديث الرابع والعشرون:

[١] (العقل دليل المؤمن):

أي يهديه إلى الحق، والمعنى أنَّ المؤمن إنَّما اهتدى لأنَّه أعمل عقله، أو

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) الوافي: ج١ ص١١٦.

٢٥ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنِ السَّرِيِّ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «يَا عَلِيُّ لَا فَقْرَ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ[١]، وَلَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ[٢]».

٢٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحْسَنَ مِنْكَ[١] إِيَّاكَ آمُرُ وَإِيَّاكَ أَنْهَى، وَإِيَّاكَ أُثِيبُ وَإِيَّاكَ أُعَاقِبُ.

بمعنى أنَّ المؤمن يتبع هدي العقل لأنَّه حجة الله الباطنة، والحاصل أنَّ من أعمل عقله فهو مؤمن، وكذلك المؤمن هو من يعمل عقله.

الحديث الخامس والعشرون:

[١] (لا فقر أشد من الجهل):

الجهل هنا بمعنى عدم العقل لأنَّ الفقر هو فقدان الشيء مع الاحتياج إليه، والعقل هو أكثر ما يحتاج إليه الإنسان، فقدانه أشد أنواع الفقر.

[٢] (أعود من العقل):

أي أنفع من «العائدة» بمعنى المنفعة، وذلك لأنَّ الإنسان ينال بالعقل من المنافع الدنيوية والأخروية ما لا يناله بأي شيء آخر.

الحديث السادس والعشرون:

[١] (خلقاً أحسن منك):

مرّ هذا الحديث في الحديث الأول بألفاظ متقاربة، واللفظ هنا (أحسن منك) وهناك (أحب إليَّ منك)، وذلك لأنَّ ما كان أحب الأشياء إليه تعالى فلا بدَّ أن يكون أحسن الأشياء. وفي أحاديث أخرى (أكرم عليّ منك) و(أعزّ عليّ منك)(١)

---

(١) راجع البحار: ج١ ص٩٧ ـ ٩٨ ـ

٢٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ أَبِي مَسْرُوقٍ النَّهْدِيِّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الرَّجُلُ آتِيهِ وَأُكَلِّمُهُ بِبَعْضِ كَلَامِي فَيَعْرِفُهُ كُلَّهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ آتِيهِ فَأُكَلِّمُهُ بِالْكَلَامِ فَيَسْتَوْفِي كَلَامِي كُلَّهُ ثُمَّ يَرُدُّهُ عَلَيَّ كَمَا كَلَّمْتُهُ[١]، وَمِنْهُمْ مَنْ آتِيهِ فَأُكَلِّمُهُ فَيَقُولُ: أَعِدْ عَلَيَّ؟ فَقَالَ: يَا إِسْحَاقُ وَمَا تَدْرِي لِمَ هَذَا[٢]؟ قُلْتُ: لَا؛ قَالَ: الَّذِي تُكَلِّمُهُ[٣] بِبَعْضِ كَلَامِكَ فَيَعْرِفُهُ كُلَّهُ فَذَاكَ مَنْ عُجِنَتْ نُطْفَتُهُ بِعَقْلِهِ،

وكان من دأب المحدثين هو تكرار نقل الحديث إذا كانت الألفاظ مختلفة، وأما إذا اختلف السند من غير اختلاف في الألفاظ فكانوا بعد ذكر السند الأول يذكرون سائر الإسناد فقط. ثم إنَّ من علل اختلاف الألفاظ مع تعدد الإسناد هو أنَّ المعصوم عليه السلام كرّر الكلام في مجالس مختلفة وبألفاظ متقاربة، كما أنَّ القرآن ذكر قصة آدم وموسى عليهما السلام وقصصاً أخرى وكذلك بعض الأحكام مرات متعددة في سور مختلفة وبألفاظ متعددة، وقد أشرت إلى ذلك في كتاب (التفكّر في القرآن).

الحديث السابع والعشرون:

[١] **(ثم يرده عليَّ كما كلَّمته):**

أي حينما يجيب يكون جوابه مطابقاً للكلام.

[٢] **(وما تدري لِمَ هذا):**

إما تكميل لكلام السائل، أي قال الإمام كلامه تتمة لسؤال الراوي، كما في بعض الأحيان يكمّل المستمع كلام الخطيب.

وإما يقول له الإمام: ومع هذا التقسيم فإنَّك لا تعلم السبب؟ مع أنَّ من يتأمل في هذا التقسيم يكتشف السبب وهو تفاوت عقولهم.

[٣] **(قال الذي تكلِّمه...):**

إما يراد به أنَّ الحالات البدنية لها تأثير على العقل، فالنطفة وموادها، وحالات الوالدين، لها تأثير في كيفية تكوين الإنسان في خصائصه البدنية

وَأَمَّا الَّذِي تُكَلِّمُهُ فَيَسْتَوْفِي كَلامَكَ، ثُمَّ يُجِيبُكَ عَلَى كَلَامِكَ فَذَاكَ الَّذِي رُكِّبَ عَقْلُهُ فِيهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَأَمَّا الَّذِي تُكَلِّمُهُ بِالْكَلَامِ فَيَقُولُ: أَعِدْ عَلَيَّ، فَذَاكَ الَّذِي رُكِّبَ عَقْلُهُ فِيهِ بَعْدَ مَا كَبِرَ، فَهُوَ يَقُولُ لَكَ: أَعِدْ عَلَيَّ.

٢٨ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَعْضِ مَنْ رَفَعَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ كَثِيرَ الصِّيَامِ فَلَا تُبَاهُوا بِهِ[١] حَتَّى تَنْظُرُوا كَيْفَ عَقْلُهُ؟».

٢٩ ـ بَعْضُ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ، عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام

والعقلية، وكذلك حالات الأم وطعامها وأعمالها وما يجري عليها، لها تأثير بالغ على الجنين.

وإما يراد به المعنى المجازي، أي يشير إلى اختلاف الاستعدادات النفسانية فكأنَّ أحدهم عاقل وهو نطفة أو حمل أو غير ذلك مجازاً.

وإما إشارة إلى أمر غيبي وهو وقت إفاضة العقل على الإنسان.

الحديث الثامن والعشرون:

[١] **(فلا تباهوا به):**

يُحتمل فيه معنيان:

١ ـ من المباهاة بمعنى المفاخرة.

٢ ـ من البهاء (بَهَأَ، بَهِىءَ)، (بهاءً، بهواً)، الأنس، أي لا تأنسوا به.

فإن كان الأول فالمعنى: فلا تفتخروا به، فإنَّه قد يخجلكم أو يحرجكم بقلة عقله.

وإن كان الثاني فالمعنى، لا تصادقوه ولا تأنسوا به، فإنَّ مصادقة قليل العقل فيها ضرر كثير، إمّا بتأثر من يجالسه فيقل عقله أو يتصرف تصرف قليلي العقل، وإمّا لأنَّ الأحمق يريد أن ينفع فيضر.

الحديث التاسع والعشرون:

الحديث في بيان سبب العقل وهو العلم، وبعض المصاديق العملية لاستعمال العقل.

قَالَ: يَا مُفَضَّلُ لَا يُفْلِحُ[١] مَنْ لَا يَعْقِلُ[٢]، وَلَا يَعْقِلُ مَنْ لَا يَعْلَمُ[٣]، وَسَوْفَ يَنْجُبُ[٤] مَنْ يَفْهَمُ، وَيَظْفَرُ[٥] مَنْ يَحْلُمُ، وَالْعِلْمُ جُنَّةٌ[٦]، وَالصِّدْقُ

---

[١] **(لا يفلح):**
الفلاح هو الفوز والنجاة.

[٢] **(من لا يعقل):**
أي لا يستعمل عقله، فلا يكون عقله مستولياً على هواه والشيطان وغيرهما من المُرديات.

[٣] **(من لا يعلم):**
لأنَّ العلم عكازة العقل، فالعقل كالنور الذي يُري الطريق، والعلم «كالعين» وسيلة لرؤية ذلك النور، أو العكس، فالجاهل قد يرتكب مخالفات كثيرة لجهله فلا يستفيد من العقل.

[٤] **(ينجب):**
النجيب: الجيد والنفيس في نوعه، فلذا يقال لبعض أنواع الفَرَس أو الناقة: النجائب، ويقال لمن تلد: أنجبت، أي ولدت نجيباً.
والمعنى أنَّه يتحوّل إلى جيد ونفيس بين البشر، بسبب فهمه.

[٥] **(يظفر):**
الظفر: الوصول إلى المقصود.
أي من يحلم عن سفه الجاهل أو تسويل النفس والشيطان، فإنَّه يصل إلى ما يقصده من المعالي، بل وحتى اللّذات المشروعة.

[٦] **(جنة):** وقاية.
أي يحفظ العلمُ الإنسانَ من الوقوع في المهالك التي منشؤها الجهل ـ عادة ـ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(١)، والمهالك قد تكون بسبب الشهوات، أو الشُّبهات التي يقع فيها الجهّال عادة دون العلماء، أو

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

عِزٌّ[٧]، وَالْجَهْلُ ذُلٌّ، وَالْفَهْمُ مَجْدٌ[٨]، وَالْجُودُ نُجْحٌ[٩]، وَحُسْنُ الْخُلُقِ مَجْلَبَةٌ[١٠] لِلْمَوَدَّةِ، وَالْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ[١١]، وَالْحَزْمُ مَسَاءَةُ

بمعنى أنّه يحفظه من الأعداء، فبعلمه يدفع شرورهم وكثيراً ما ينجو الإنسان من أعدائه بسبب فقهه وعلمه.

[٧] **(والصدق عز):**

«العزّ»: (الشرف) أو (الغلبة)، ولعلَّ المعنى الأول يرجع إلى الثاني لأنَّ الشرف موجب للغلبة والقوة.

و«الصدق» أما بمعنى (مطابقة الواقع) في العقيدة والعمل، فذلك يوجب العزة للإنسان، وكذلك العلم نوع صدق لأنَّه مطابقة الواقع، ولذا قابله بالجهل في قوله (والجهل ذلّ).

[٨] **(الفهم مجد):**

«المجد»: نيل الشرف والوصول إليه.

فالفهم نيل للشرف ولا يكون ذلك إلا عبر استعمال العقل، أو بمعنى أنَّ الفهم يوجب المجد، ويمكن أن يراد كلاهما أي الفهم هو نيل للشرف كما أنَّه يكون سبباً لنيله أيضاً.

[٩] **(الجود نجح):**

«النجح»: الظفر بالحوائج.

لأنَّ الجود يوجب السيادة كما عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من جاد ساد»، كما أنَّ من يقضي حوائج الناس تُقضى حوائجه عادةً، لأنَّ من طبع الإنسان أن يردّ الحسنة بمثلها، ومن طبعه إرادة الخروج عن المِنّة بأن يقابل الحسنة بمثلها!.

[١٠] **(مجلبة):**

مصدر ميمي بمعنى جلب المحبة، ويُراد من المصدر فـ(حُسن) و(مجلبة) معنى الفاعل، أي الإنسان حَسَن الأخلاق يكون جالباً للمحبة.

[١١] **(لا تهجم عليه اللوابس):**

«الهجوم»: الدخول بغتة، يُقال هجمت عليه الهموم، أو هجم عليهم العدوّ.

الظَّنِّ[١٢]، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَالْحِكْمَةِ نِعْمَةُ: الْعَالِمِ، وَالْجَاهِلُ شَقِيٌّ

«اللوابس»: الأمور المشتبهة، أي الباطل الذي يلبس ثوب الحق.
والمعنى: أنَّ الذي يعرف الزمان فإنَّه يعرف الناس، فيميز بين محققهم ومبطلهم، ويعرف الأفعال والغرض منها، فلا تشتبه عليه الأمور، وإذا ابتلي بأمر بغتة فحينما يريد أن يقرر يكون قراره صائباً، لوجود خلفية مناسبة من المعلومات لديه.

[١٢] **(الحزم مساءة الظن)**:
«الحزم»: إحكام الأمر وضبطه.
«المساءة»: مصدر ميمي.
وهذا تأكيد للفقرة السابقة، فإنَّ من يعرف أهل زمانه يكتشف أمورهم وخفاياهم فلا يثق فيهم. أو المراد الحزم يوجب سوء الظن.
سؤال: ورد في الروايات لزوم حسن الظن بالإخوان ولزوم حمل أفعالهم على المحامل الصحيحة كما في رواية (فصدقه وكذبهم)(١).
الجواب: هنا أمران:
أحدهما: الاعتماد على الناس، وهذا لا يكون إلا فيمن اختبر ومحَّص وثبتت وثاقته، ولا يصحّ الاعتماد على من لا يعرفه الإنسان أو لم يختبره، فلذا لا تصحّ الصلاة خلفه، ولا الأخذ بشهادته، وغير ذلك، لأنَّها أنيطت بالعادل أو الثقة.
الأمر الثاني: هو أن يحمل أفعالهم على المحامل الصحيحة فيما لا يحتاج إلى الوثوق بهم. فمثلاً لا ينبغي سوء الظن بالشباب في المدينة، لكن إذا جاء أحدهم خاطباً فينبغي التحقيق عن دينه وأخلاقه لا من باب أنَّه متهم بل من باب أنَّ الأمر يحتاج إلى ثبوت التوثيق في الدِّين والأخلاق.
فالمتحصل: أنَّ على الإنسان أن يحسن الظن بالجميع حينما لا يرتبط عملهم به، وفيما لا يحتاج إلى التوثق منهم، أما إذا احتاج إلى أمر لا يصحّ فعله أو قوله إلا للثقة أو من الثقة فإنَّ عليه التحقيق والتثبت.

(١) البحار: ج٧٢ ص٢١٥.

بَيْنَهُمَا[١٣]، وَاللَّهُ وَلِيُّ مَنْ عَرَفَهُ[١٤] وَعَدُوُّ مَنْ تَكَلَّفَهُ[١٥]، وَالْعَاقِلُ غَفُورٌ

ويحتمل أن تحمل أخبار حُسن الظن على من ثبت إيمانه وتقواه، وأخبار سوء الظن على من لم يثبت أنَّه من المؤمنين.

[١٣] **(وبين المرء والحكمة نعمة العالم والجاهل شقي بينهما):**

لعلَّ المُراد : أنَّ وصول المرء إلى الحكمة يقتضي أن يتعلّم من العالم، وأما الجاهل فإنَّه الشقي بين العالم وبين المرء المتعلِّم.

فهنا ثلاثة: عالم ومتعلّم وجاهل، الأولان سعيدان بسبب العلم، والثالث شقي بسبب جهله.

فمعنى (بين المرء والحكمة) هو الموصل للمرء إلى الحكمة، كما في قوله عليه السلام: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»[١] أي الموصل للمرء إلى الكفر هو ترك الصلاة.

[١٤] **(ولي من عرفه):**

أي المتولّي لأموره، فلا يدعه يسقط في المهالك، ويبيّن له طريق الحق، أو بمعنى المحب والناصر بقرينة (العدو) في مقابله.

[١٥] **(عدوّ من تكلّفه):**

«تكلّفه»: أي طلب الله من غير الطريق التي أرادها الله تعالى، فيقع في التكلفة الشديدة الموجبة للضلال والإضلال، كمن يأخذ فيما يحتاج إلى النقل من العقول الناقصة، أو فيما يحتاج إلى العقل يأخذ من النقل الباطل أو الضعيف، أو لا يأخذ من النقل الصحيح ويذهب إلى غير العترة عليهم السلام.

أو طلب المعرفة التي ليس في وسعه وطاقته، كالتفكّر في ذات الله المنهي عنه مثلاً، فإنَّ العقل النظري يكتشف بعض الأمور وبشكل مبهم أو كلّي، والنصوص الثابتة دلّت على مقدار يستوعبه الناس لا أكثر ـ لاستحالة إحاطة الممكن بالواجب ـ، فمن كلّف نفسه خلاف ذلك فقد ضلَّ الطريق، فصار عدواً لله تعالى.

---

(١) البحار: ج٧٩ ص٢٠٢.

وَالْجَاهِلُ خَتُورٌ[١٦]، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُكْرَمَ فَلِنْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُهَانَ[١٧] فَاخْشُنْ، وَمَنْ كَرُمَ أَصْلُهُ[١٨] لَانَ قَلْبُهُ، وَمَنْ خَشُنَ عُنْصُرُهُ[١٩] غَلُظَ

---

[١٦] **(العاقل غفور، والجاهل ختور):**

«الغفور» من الغفران، بمعنى الستر.

و«الختور» من الختر، بمعنى الغدر والخديعة.

فالعاقل يدفع الضرر عن الناس بالستر عليهم، والجاهل يضرهم بالغدر بهم وخديعتهم.

فالعاقل يغفر للناس زلاتهم، وذلك يؤدي به إلى غفران الله كما قال تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾(١)، وكذلك يوجب محبة الناس له، لأنَّ من تغاضى عن أخطاء الناس وخطيئاتهم وسترها فإنَّ الناس يحبونه.

وأما الجاهل فإنَّه يغدر بالناس ويخدعهم، ممَّا يؤدي إلى بغض الناس له وابتعادهم عنه، أو مقابلتهم له بمثل ما عمل.

[١٧] **(وإن شئت أن تهان):**

في بعض النسخ (تهان) من الإهانة، وهذا أقرب للمقابلة.

وفي بعضها (تهن) من الوهن والضعف.

[١٨] **(كرم أصله):**

لعلَّ المراد بالأصل: النفس، أو المنبت كالآباء والأجداد، أو البيئة التي نشأ فيها وتعلَّم.

فعلى الأول: ينبغي للإنسان أن يهذب نفسه لتكرم.

وعلى الثاني: ينبغي للإنسان أن يختار لنطفته، كما ورد في الحديث الشريف «اختاروا لنطفكم فإنَّ العرق دسّاس»(٢).

وعلى الثالث: يلزم الاهتمام بتربية الأبناء واختيار البيئة المناسبة.

[١٩] **(خشن عنصره):**

لعلَّ العنصر بنفس معنى الأصل، جاء به بدل الأصل للبلاغة والتفنن في العبارة.

---

(١) سورة النور: الآية ٢٢.

(٢) السرائر: ج٢ ص٥٥٩.

كَبِدُهُ[٢٠] وَمَنْ فَرَّطَ تَوَرَّطَ[٢١]، وَمَنْ خَافَ الْعَاقِبَةَ تَثَبَّتَ عَنِ التَّوَغُّلِ[٢٢] فِيمَا لَا

---

[٢٠] **(لان قلبه) (غلظ كبده):**

لعلَّه استعمل القلب في الأول والكبد في الثاني لجهات:

١ ـ التفنن في العبارة، لأنَّ القلب أريد به معناه المجازي وليس الحقيقي، كذلك الكبد.

٢ ـ لأنَّ المراد بالقلب هو الفكر الواعي، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾(١)، وهذا القلب لا يوجد للجاهل فلذا غير العبارة فيه إلى الكبد.

٣ ـ أثبت العلم الحديث أنَّ بعض الحالات النفسية نتيجة إفرازات هورمونية ونحوها، وكذلك العكس فبعض الإفرازات توجب بعض الحالات النفسية، ولعلَّ الكبد هو منشأ لبعضها حقيقة، أو يراد بالكبد المعنى المجازي أي بعض الغدد القريبة من الكبد التي تفرز الهرمونات، الله العالم.

[٢١] **(فرط تورط):**

إن كان «فرط» من باب التفعيل ـ بتشديد عين الفعل ـ فمعناه: الذي قصَّر في العمل فإنَّه يقع في الهلاك أو في المشاكل ـ دنيوية أو أخروية ـ.

وإن كان من باب الثلاثي المجرد ـ بتخفيف عين الفعل ـ فمعناه من استعجل في الأمور التي لا بدّ فيها من التأني والتفكّر، فإنَّه يقع في الهلاك أو المشاكل.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إنِّي فرطكم على الحوض»(٢) أي سابقكم.

[٢٢] **(التوغُّل):**

بمعنى الدخول في الأمر بالاستعجال من غير تفكّر.

---

(١) سورة ق: الآية ٣٧.

(٢) الكافي: ج١ ص٣٣١.

يَعْلَمُ؛ وَمَنْ هَجَمَ عَلَى أَمْرٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ جَدَعَ أَنْفَ نَفْسِهِ[٢٣]، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ لَمْ يَفْهَمْ، وَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ لَمْ يَسْلَمْ[٢٤]، وَمَنْ لَمْ يَسْلَمْ لَمْ يُكْرَمْ، وَمَنْ لَمْ يُكْرَمْ يُهْضَمْ[٢٥]، وَمَنْ يُهْضَمْ كَانَ أَلْوَمَ[٢٦]، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ أَحْرَى أَنْ يَنْدَمَ.

---

[٢٣] **(جدع أنف نفسه):**

أي أذلّ نفسه، سواء في الأمور الدنيوية، لأنَّ الجاهل بجهله يوقع نفسه في الذلّ والمهانة، أو الأمور الأخروية، لأنَّه يرتكب المعاصي بلا علم، تقصيراً منه ممَّا يستوجب العذاب والمهانة الأخروية، والأنف يكنى بها عن العزة أو الكبرياء.

و«الجدع» بمعنى قطع الأنف، كما أنَّ الصلم بمعنى قطع الأذن، والفقء بمعنى قلع العين، وهذا من دقة وبلاغة اللغة العربية، حيث المعنى العام الواحد قد يوضع لمصاديقه ألفاظ مختلفة.

[٢٤] **(لم يسلم):**

الجاهل لا يسلم من النقائص والمعاصي، ومن كان شأنه كذلك لا يُكرم لأنَّ الذي يُكرم إنما يُكرم لفضيلته، وخاصة في الآخرة.

[٢٥] **(يهضم):**

أي يُكسر عزّه وبهاؤه، وقد تستعمل كلمة الهضم ويراد بها الظلم، ويعرف ذلك من الإضافة أو النسبة إلى المفعول به أو القرائن، ولعلَّه باعتبار كسر عزّة المظلوم وزوال بهائه.

[٢٦] **(ألوم):**

أي أكثر ملامة لنفسه، بقرينة الفقرة اللاحقة، لأنَّ من يلوم نفسه في أمر إنّما يفعل ذلك لأنّه ندم على ما فعله، أو بمعنى أنَّ العقل والشرع والناس يلومونه على أفعاله.

٣٠ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَنِ اسْتَحْكَمَتْ لِي[١] فِيهِ خَصْلَةٌ[٢] مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، احْتَمَلْتُهُ[٣] عَلَيْهَا، وَاغْتَفَرْتُ[٤]

الحديث الثلاثون:

[١] **(من استحكمت لي):**

الاستحكام بمعنى صيرورتها محكمة ثابتة قوية، وقوله «لي» فيه وجوه:

١ ـ أن يكون الاستحكام متضمناً معنى الثبوت، بمعنى إذا ثبت لي هذا الأمر فيه.

٢ ـ أن يكون بمعنى لأجلي، أي كان ثبوت هذه الصفة فيه لأجلي، إما على المعنى الحقيقي لأنَّه كان حاكماً وفي كثير من الأحيان الرعية ترغب في جلب رضا الحاكم فتتخلق بما يحب وتتجنب عمَّا يبغض.

وإما على المعنى المجازي باعتبار أنَّ رضا الله رضا أهل البيت عليهم السلام، فالاستحكام لأجل أمير المؤمنين إنَّما هو لأنَّ في ذلك رضا الله تعالى.

[٢] **(خصلة):**

بمعنى الصفة وأكثر ما تُستعمل في الصفات الحميدة.

[٣] **(احتملته):**

بمعنى قبلته حال كونه كائناً على هذه الخصلة، أي قبلته وتجاوزت عن نقائصه لأجل اتصافه بهذه الصفة الحسنة فإنَّ ﴿ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(١).

[٤] **(واغتفرت):**

أي تجاوزت عن فقده لسائر الصفات، فمن كان فيه خصلة خير فإنَّ هذه النقطة الإيجابية تغطي على نقاطه السلبية الأخرى، باستثناء فقد العقل أو الدِّين فإن من فقدهما فإنَّه لا تنفعه خصال الخير أبداً.

---

(١) سورة هود: الآية ١١٤.

فَقْدَ مَا سِوَاهَا، وَلَا أَغْتَفِرُ[٥] فَقْدَ عَقْلٍ وَلَا دِينٍ، لِأَنَّ مُفَارَقَةَ الدِّينِ مُفَارَقَةُ الْأَمْنِ[٦] فَلَا يَتَهَنَّأُ بِحَيَاةٍ[٧] مَعَ مَخَافَةٍ، وَفَقْدُ الْعَقْلِ فَقْدُ الْحَيَاةِ[٨]، وَلَا يُقَاسُ إِلَّا بِالْأَمْوَاتِ.

٣١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُحَارِبِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى، عَنْ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ[١] دَلِيلٌ عَلَى

---

[٥] **(ولا أغتفر):**

أي من فقد أحدهما لا يمكن احتماله ولا الاطمئنان به، ولا يمكن لأية خصلة أن تعوض عن هذين أو عن أحدهما.

[٦] **(مفارقة الدين مفارقة الأمن):**

لأنَّ من لا دين له لا يُؤمن منه الغدر أو الخيانة ونحوهما، حيث لا مانع بينه وبين الغدر والخيانة وأمثالها، فلا يُؤمن جانبه، فإنَّ المانع عن هذه الأمور الدِّين، وكذلك لا يأمن جانبه في أن يُزيّن للإنسان فعل السوء فيُردي صاحبه، كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١).

[٧] **(فلا يتهنأ بحياة):**

لأنَّ فاقد الأمن فكره مشغول عن المباحات من الملذات والزينة وأمثالها، ولا يهنأ الإنسان بحياته مع فقد الأمن.

[٨] **(فَقْدُ العقل فَقْدُ الحياة):**

لأنَّ حياة النفس بالعقل والمعرفة، ومن لا عقل له فلا حياة لنفسه.

الحديث الواحد والثلاثون:

[١] **(إعجاب المرء بنفسه):**

«العجب»: أن يرى الإنسان لنفسه كمالاً ـ من غير فرق بين أن يكون متخيله حاصلاً له أم مجرد خيال(٢).

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

(٢) الفضيلة الإسلامية: ص٧٨.

ضَعْفِ عَقْلِهِ[٢].

٣٢ ـ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَاصِمِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَهُ أَصْحَابُنَا وَذُكِرَ الْعَقْلُ قَالَ: فَقَالَ عليه السلام: لَا يُعْبَأُ[١] بِأَهْلِ الدِّينِ مِمَّنْ لَا عَقْلَ لَهُ، قُلْتُ:

ومنه إعظام النفس لنعمة حاصلة له والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم.

والعجب يدعو إلى:

١ ـ عدم السعي إلى الكمال، لأنَّ الإسلام يرغب في أن يرى الإنسان نفسه دون الكمال المنشود، حتى يجاهد ويجتهد ويكدّ ويعمل طوال حياته للوصول إلى الكمال الذي هو أمر فطري، والعجب يخالف هذه الفطرة.

٢ ـ نسيان الذُّنوب وإهمالها أو تصغيرها، فيتوقف الإنسان عن إصلاح نفسه وترويضها بالتقوى، فيظن أنَّه مغفور له.

[٢] **(دليل على ضعف عقله)**:

لأنَّ العجب يحصل بسبب قلة التمييز والمعرفة، وعدم معرفة قبائح النفس ونقائصها.

وقلة التمييز منشؤها قلّة العقل، لأنَّه كلَّما ازداد العقل قويت ملكة التمييز في الإنسان، وهو حينئذٍ يعرف كثرة قبائحه وكثرة نقائصه ولا يطمئن بعمله بعد ذاك، فهو بين الخوف والرجاء، والعجب باب يدخل منه الشيطان فيزين للنفس عملها ويمنّيها وذلك يوجب الهلاك ـ والعياذ بالله ـ.

الحديث الثاني والثلاثون:

[١] **(لا يعبأ)**:

أي لا يُبالى ولا يُهتم بهم، لعلَّه بمعنى أنَّه ليس لهم منزلة رفيعة.

جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ مِمَّنْ يَصِفُ هَذَا الْأَمْرَ[٢] قَوْماً لَا بَأْسَ بِهِمْ عِنْدَنَا[٣] وَلَيْسَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْعُقُولُ[٤]، فَقَالَ: لَيْسَ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ خَاطَبَ[٥] اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَقْلَ فَقَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ، وَقَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْكَ أَوْ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ بِكَ آخُذُ[٦] وَبِكَ أُعْطِي[٧].

---

[٢] **(يصف هذا الأمر):**

أي يعتقد بالإمامة، فهو صحيح العقيدة.

[٣] **(لا بأس بهم عندنا):**

أي عملهم جيد، وعندنا إما إشارة إلى بلادنا أو بمعنى في اعتقادنا.

فهؤلاء عقيدتهم سليمة وعملهم جيد، ولكن مع ذلك لا عقل لهم، فهل هؤلاء ممَّن لا يُعبأ بهم؟

[٤] **(تلك العقول):**

لعلَّ السائل يعني، ما يريده الإمام عليه السلام من العقول الكاملة، وإلَّا فإنَّهم لهم عقول حسب نظر الناس، لكن العقل الذي يريده الإمام لا يوجد فيهم.

[٥] **(ليس هؤلاء ممَّن خاطب):**

أي هؤلاء لا يُراد منهم الوصول إلى الدرجات العالية، ولا كُلّفوا بالتكاليف الصعبة، وذلك لقصورهم وضعف عقولهم، نعم هم من أهل النجاة لصحة اعتقادهم وعملهم.

[٦] **(بك آخذ):**

أي المؤاخذة على المعاصي بالعقل، فمن لا عقل له لا يؤاخذ بها، وكلَّما كثر العقل قويت المؤاخذة، ولذا قيل (حسنات الأبرار سيئات المقربين)، فكما أنَّ بعض الأعمال من الأطفال تُعتبر حسنة، ونفس تلك الأعمال من الراشدين تُعتبر سيئة، للفرق بين عقل الصغار والكبار، كذلك في المعاصي فما لا يُعتبر معصية من قليل العقل قد يُعتبر معصية من العاقل الكامل.

[٧] **(بك أعطي):**

أي الدرجات العالية تُعطى للمطيع بمقدار عقله، حتى يكون سنخية بين

٣٣ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَيْسَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ[١] إِلَّا قِلَّةُ الْعَقْلِ، قِيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ يَرْفَعُ[٢]

الشخص وبين الدرجة.

فكما لا يؤتى بالحيوانات على مائدة الضيافة بل يوضع لهم العلف في الإسطبل أو المربض ـ وحتى حينما يُراد إكرام الحيوان إكراماً لصاحبه ـ، كذلك قليل العقل أو عديمه لا يُرفع إلى الدرجات العليا التي أكرم بها العاقل الكامل.

الحديث الثالث والثلاثون:

[١] **(ليس بين الإيمان والكفر):**

أي الأمر الذي يُخرج الإنسان من الإيمان ويُدخله في الكفر هو قلَّة العقل، كما في قوله: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»(١) فكأنَّه فرض أنَّ هنالك طريقاً بينهما يوصل من أحدهما إلى الآخر.

[٢] **(إنَّ العبد يرفع):**

لعلَّ المقصود هو ترك التوكل على الله تعالى، والاعتماد بشكل مطلق على المخلوقين ونسيان الخالق.

أما التوسل بمن أمر الله التوسل بهم فهو في الحقيقة اعتماد على الله تعالى وتنفيذ لأوامره.

وكذلك التمسك بالأسباب الظاهرية لا تنافي التوكل، بل تركها من التواكل المذموم لا التوكل المحمود.

وقد ورد في الحديث: عن أبي عبد الله عليه السلام: «قول الرجل لولا فلان لهلكت، ولولا فلان. . . . لو قال لولا أن منَّ الله عليَّ بفلان لهلكت؟ قال: لا باس»(٢).

---

(١) تذكرة الفقهاء: ج٢ ص٣٩٤.

(٢) البحار: ج٧٦ ص٢١٣.

رَغْبَتَهُ إِلَى مَخْلُوقٍ، فَلَوْ أَخْلَصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ، لَأَتَاهُ الَّذِي يُرِيدُ فِي أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ[٣].

٣٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ الدِّهْقَانِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَبِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عِمْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: بِالْعَقْلِ اسْتُخْرِجَ[١] غَوْرُ[٢]

---

[٣] **(أسرع من ذلك)**:

أي قبل رفعه لذلك المخلوق، أو قبل الوقت الذي يتوقع حصوله عند المخلوق.

الحديث الرابع والثلاثون:

[١] **(بالعقل استخرج)**:

لعلَّ المراد: أنَّ كلاً من العقل والحكمة قابلان للزيادة، فمن له عقل يمكنه أن يصل إلى أعماق الحكمة الممكن الوصول إليها ـ عقليةً كانت أم نقلية ـ، وكلَّما ازدادت حكمة الإنسان ازداد عقله أيضاً لأنَّه زيادة العقل بزيادة العلم.

فهنالك تفاعل بين العقل والحكمة، زيادة أحدهما توجب زيادة الآخر.

وإنَّما قدّم العقل، لأنَّ العقل أصله موهبة وزيادته بالاكتساب، أما الحكمة فإنَّها كلّها بالكسب، قال تعالى: ﴿أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾(١)، فالسمع والبصر طريق لوصول المعلومات إلى الفؤاد الذي يتلقى العلوم عبرها.

[٢] **(غور)**:

«الغور» هو قعر الشيء والبالغ نهاية الخفاء.

وفي بعض النسخ (عوز) ولعلَّه بمعنى أنَّ النقص يكمّل العقل والحكمة، فتأمل.

---

(١) سورة النحل: الآية ٧٨.

الْحِكْمَةِ[٣]، وَبِالْحِكْمَةِ اسْتُخْرِجَ غَوْرُ الْعَقْلِ، وَبِحُسْنِ السِّيَاسَةِ[٤] يَكُونُ الْأَدَبُ الصَّالِحُ. قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: التَّفَكُّرُ[٥] حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ[٦]، كَمَا

---

[٣] **(الحكمة):**

هي العلوم الحقّة والمعارف اليقينية، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(١).

[٤] **(بحسن السياسة):**

أي حسن السلوك ينتج الأدب الصالح، أي الأخلاق والأعمال الحميدة.

و«السياسة» هي: حسن إدارة المخلوقين، من «ساس الفَرَس» إذا أصلح شأنه، بمعنى أنَّه يكون الأدب بحسن الأمر والنهي أو بحسن التأديب من الوالد والمعلم وغيرهما.

ويمكن أن يشمل الكلام تهذيب النفس أيضاً، أي بحسن تهذيب النفس تكون الآداب الصالحة.

[٥] **(التفكّر):**

«التفكّر» هو استعمال الفكر، والفكر هو قوة نفسانية في الذهن يبحث بها الإنسان عن مجهولاته ليصل إلى المطلوب، أو يربط معلوماته بعضها بالبعض ليصل إلى النتائج.

وأبرز مصداق للتفكّر ما ورد في الآيات والروايات من التفكرات التي توصل إلى معرفة الله تعالى وإلى تحصيل الآخرة والزهد في الدنيا.

[٦] **(حياة قلب البصير):**

أما أعمى القلب فهو ذو قلب ميت لا يُرجى خيره.

وأما البصير فإن قلبه بحاجة إلى وقود وغذاء مستمر ليبقى حياً، كما أنَّ الجسم بحاجة إلى طعام، وغذاء القلب هو التفكّر فإنَّه ينير الطريق للإنسان فلا يقع في المهلكات المرديات.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٩.

يَمْشِي الْمَاشِي[٧] فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ بِحُسْنِ التَّخَلُّصِ وَقِلَّةِ التَّرَبُّصِ.

٣٥ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْبَزَّازِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: إِنَّ أَوَّلَ الْأُمُورِ[١] وَمَبْدَأَهَا[٢] وَقُوَّتَهَا[٣]

---

[٧] **(كما يمشي الماشي):**
تقريب بمثال محسوس، فالذي يمشي في طريق مُضاء بالنور فإنّه يجتنب العثرات ويتخلص منها، ويقلّ من يتربص به في الطريق لعدم إمكان اختبائه.
عكس من يمشي في الظلمات فإنّه يتعرض للعثرات ويكثر من يتربص به في طوال مشيه.
فحيّ القلب بالتفكّر لا يعثر هو، ولا يمكن لشياطين الإنس والجن التربص به.

الحديث الخامس والثلاثون:

يوجد هذا الحديث في بعض النسخ، ولا يوجد في بعضها، لكن رواه الصدوق عن الكليني في بعض كتبه، فلا يضير عدم وجودها في بعض نسخ الكافي، وهكذا الحديث اللاحق.

[١] **(أول الأمور):**
لعلّه لأنّ إنسانية الإنسان بالعقل دون غيره.

[٢] **(ومبدأها):**
لعلّ الفرق بين (أول الأمور) وبين (مبدأ الأمور):
أنّ (الأول) بمعنى ما لا سابق له، سواء كان له لاحقٌ أم لا.
وأما (المبدأ) بمعنى ما له لاحق، فيكون هو سابق لذلك اللاحق.
فالمعنى أنّ العقل هو الأول بمعنى أنّ إنسانية الإنسان به، كما أنّ سائر الأمور المتعلقة بالإنسانية مسبوقة بالعقل.

[٣] **(قوتها):**
لأنّ العاقل يحكم الأمور بعقله.

وَعِمَارَتَهَا[٤] الَّتِي لَا يُنْتَفَعُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِهِ، الْعَقْلُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ زِينَةً لِخَلْقِهِ وَنُوراً لَهُمْ[٥] فَبِالْعَقْلِ عَرَفَ الْعِبَادُ خَالِقَهُمْ، وَأَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ، وَأَنَّهُ الْمُدَبِّرُ لَهُمْ، وَأَنَّهُمُ الْمُدَبَّرُونَ وَأَنَّهُ الْبَاقِي وَهُمُ الْفَانُونَ؛ وَاسْتَدَلُّوا[٦] بِعُقُولِهِمْ عَلَى مَا رَأَوْا مِنْ خَلْقِهِ، مِنْ سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ، وَشَمْسِهِ وَقَمَرِهِ وَلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَبِأَنَّ لَهُ وَلَهُمْ[٧] خَالِقاً وَمُدَبِّراً لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ، وَعَرَفُوا بِهِ الْحَسَنَ[٨] مِنَ الْقَبِيحِ، وَأَنَّ الظُّلْمَةَ فِي الْجَهْلِ، وَأَنَّ النُّورَ فِي الْعِلْمِ، فَهَذَا مَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ الْعَقْلُ.

---

[٤] **(عمارتها):**

لأنَّ العَمَار متوقف على البناء بشكل سليم، وهو لا يمكن إلا بواسطة العقل.

[٥] **(زينة لخلقه، ونوراً لهم):**

فالعقل بنفسه زينة، كما أنَّه واسطة للوصول إلى سائر الكمالات لأنَّه نور.

[٦] **(عرف العباد) و(استدلوا):**

١ ـ لعلَّ الفرق بينهما: هو أنَّ الإنسان قد يعلم بالشيء مع عدم تمكنه من الاستدلال عليه، فكثيراً ما يكون الإنسان مقتنع بشيء من غير مقدرته على البرهان.

وأما الاستدلال فهو المقدرة على إقامة البرهان.

٢ ـ أو أنَّ الأول: هو معرفة خالقهم، والثاني: خالق غيرهم فلا يعبدوا سائر المخلوقات من الشمس والقمر والصنم وغيرها كما فعله قليلو العقل.

[٧] **(له ولهم):**

له أي لما رأوا بأنَّ له ولهم، وإفراد الضمير باعتبار الموصول.

[٨] **(عرفوا به الحسن):**

لأنَّ مراتب المعرفة هكذا، أولاً: معرفة الخالق والاستدلال عليه، وثانياً: معرفة الحسن والقبح، وثالثاً: سائر العلوم والمعارف.

قِيلَ لَهُ: فَهَلْ يَكْتَفِي الْعِبَادُ بِالْعَقْلِ دُونَ غَيْرِهِ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَاقِلَ، لِدَلَالَةِ عَقْلِهِ[٩] الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ قِوَامَهُ وَزِينَتَهُ وَهِدَايَتَهُ[١٠]، عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّهُ، وَعَلِمَ أَنَّ لِخَالِقِهِ مَحَبَّةً، وَأَنَّ لَهُ كَرَاهِيَةً، وَأَنَّ لَهُ طَاعَةً، وَأَنَّ لَهُ مَعْصِيَةً، فَلَمْ يَجِدْ عَقْلَهُ يَدُلُّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَطَلَبِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِعَقْلِهِ، إِنْ لَمْ يُصِبْ ذَلِكَ بِعِلْمِهِ، فَوَجَبَ عَلَى الْعَاقِلِ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ[١١] الَّذِي لَا قِوَامَ لَهُ إِلَّا بِهِ.

٣٦ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ حُمْرَانَ وَصَفْوَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْجَمَّالِ قَالَا: سَمِعْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: لَا غِنَى أَخْصَبُ[١] مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا

---

[٩] **(إنَّ العاقل لدلالة عقله):**
هنا عدة مراحل يكتشفها العقل:
١ ـ وجود الله، وأنَّه حق، وأنّه الرب.
٢ ـ إنَّ الله يكره بعض الأمور ـ، كالقبائح ـ ويحب بعض الأمور ـ كالخير ـ.
٣ ـ وإنَّ الله أمر فتجب إطاعته، ونهى فتحرم معصيته.
ثم يكتشف العقل بأنَّه لا يمكنه أن يهتدي إليها من دون تحصيل العلم، فيلتفت إلى أنَّه لا بدّ له من تحصيل العلم.

[١٠] **(قوامه وزينته وهدايته):**
«القوام» الأساس، أي ما يقوم به الإنسان، بمعنى توقف إنسانيته عليه، و«زينته»: جماله، وهذان في مرحلة قبل العمل، ثم في مرحلة العمل يكون العقل «هدايته».

[١١] **(العلم والأدب):** لعلَّ الأول نظري، والثاني عملي.

الحديث السادس والثلاثون:

[١] **(أخصب):**
أي أكثر فائدة ونفعاً وإنتاجاً من (الخصب) بمعنى.

فَقْرَ أَحَطُّ[٢] مِنَ الْحُمْقِ، وَلَا اسْتِظْهَارَ[٣] فِي أَمْرٍ بِأَكْثَرَ مِنَ الْمَشُورَةِ فِيهِ.

وَهَذَا آخِرُ كِتَابِ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

---

[٢] **(أحط):**
أي يُنزّل الدرجة إلى الحضيض كأنَّه يحطّه على الأرض والفقر يقلّل المنزلة الاجتماعية ـ عادة ـ، ولا فقر كفقر العقل فإنَّه يحطّ بصاحبه إلى الحضيض.

[٣] **(استظهار):**
أصله من طلب الظهور أي الغلبة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾(١) وقوله سبحانه: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾(٢)، فالمعنى: أنَّه لا يمكن ـ عادة ـ الغلبة في أمر إلا عبر المشورة.
ويحتمل أن يكون بمعنى الظهور المقابل للخفاء، كقوله تعالى: ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾(٣)، فالمعنى حينئذٍ أنَّه لا تظهر الأمور المخفية ـ عادة ـ إلَّا بالمشورة حيث ينكشف للإنسان المستور.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٢٠.
(٢) سورة التوبة: الآية ٣٣.
(٣) سورة التحريم: الآية ٣.

كتاب فضل العلم

بَابُ فَرْضِ الْعِلْمِ وَوُجُوبِ طَلَبِهِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ

١ ـ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْفَارِسِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «طَلَبُ الْعِلْمِ[١] فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ[٢] أَلَا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ بُغَاةَ الْعِلْمِ[٣]».

الحديث الأول:

[١] **(طلب العلم):**
المراد العلم المتضمن لمعرفة الله وسائر أُصول الدِّين، وكذلك ما يتوقف عليه دين الإنسان من الفروع ونحوها.
١ ـ ومعرفة أُصول الدِّين: تجب بحيث أن يجزم الإنسان ويقطع بها، وهذا واجب على الجميع، وأما حَلّ الشُّبهات ونحوها فوجوبه كفائي.
ولا يكتفى في أُصول الدِّين بالتقليد، أما التقليد في الحق إذا أوجب الجزم واليقين، ففيه قولان، ذكرهما الشيخ في التنبيه الخامس من تنبيهات الانسداد في الرسائل.
٢ ـ أما في الفروع الفرعية، فيجب على كل إنسان ـ بالوجوب العيني ـ أن يتعلّم المسائل التي يبتلى بها عادة.
ويجب كفاية الاجتهاد، وهو التعلُّم للأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية.

[٢] **(كل مسلم):**
وفي عدة الداعي وغيره رواية (كل مسلم ومسلمة)(١).

[٣] **(الله يحب بغاة العلم):**
إما هذا تكميل لما سبق، فإنَّ من يلتزم بما فرضه الله عليه فإنَّه سبحانه يحبه.

---

(١) عدّة الداعي: ج١ ص٤١.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: سُئِلَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: هَلْ يَسَعُ النَّاسَ تَرْكُ الْمَسْأَلَةِ عَمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ[١]؟ فَقَالَ: لَا.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَغَيْرُهُ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى جَمِيعاً، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ عَمَّنْ حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنَّ كَمَالَ الدِّينِ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلُ بِهِ[١]، أَلَا وَإِنَّ

وإما إنَّه بيان الرتبة الكفائية، أي الله تعالى يحب من يطلب العلم، وهذا الاحتمال أقرب لأنَّ الظاهر من «بغاة العلم» هو من شغله ذلك.

الحديث الثالث:

[١] **(عمَّا يحتاجون إليه):**

أي من أمور دينهم الواجبة.

الحديث الرابع:

[١] **(طلب العلم والعمل به):**

لأنَّ كل علم يقتضي عملاً أو يستتبع عملاً، حتى ما هو مطلوب بذاته كمعرفة الله فإنَّها تستتبع الإطاعة والعمل بأوامره والانتهاء عن نواهيه سبحانه وتعالى.

طَلَبَ الْعِلْمِ أَوْجَبُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِ الْمَالِ، إِنَّ الْمَالَ مَقْسُومٌ مَضْمُونٌ[٢] لَكُمْ، قَدْ قَسَمَهُ عَادِلٌ بَيْنَكُمْ، وَضَمِنَهُ وَسَيَفِي لَكُمْ، وَالْعِلْمُ مَخْزُونٌ عِنْدَ أَهْلِهِ[٣]، وَقَدْ أُمِرْتُمْ بِطَلَبِهِ مِنْ أَهْلِهِ[٤] فَاطْلُبُوهُ.

---

[٢] (مقسوم مضمون):

المقسوم إشارة إلى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾(١)، والمضمون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾(٢).

وكونه مقسوماً مضموناً لا ينافي طلب ذلك، بل الطلب مرغوب فيه، وذلك كمثل أن يُقسّم ويُضمن مال لشخص ويوضع في حسابه في البنك وما عليه سوى الذهاب إلى البنك وسحب ذلك المال.

وأما العلم فإنّه ليس كذلك فمن طلبه حصل على بعضه، وإلّا فلا، فلم نسمع ولم نر شخصاً حصل على العلم بدون تعب وجد، ولكن ما أكثر ما سمعناه من حصول أُناس على أموال طائلة صدفة من دون طلب، وكذلك عدم حصول كثيرين ممّن كدّوا وتعبوا لتحصيل المال فلم يصلوا إلّا إلى القليل.

[٣] (عند أهله):

المراد علم الدِّين وما يرتبط به وأهله هم الرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣)، فعلى الإنسان الأخذ منهم وممّن يأخذ منهم.

[٤] (أمرتم بطلبه من أهله):

كما في الآية السابقة، وقوله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي»(٤).

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٢.

(٢) سورة هود: الآية ٦.

(٣) سورة النحل: الآية ٤٣.

(٤) البحار: ج٣٦ ص٣٣٨.

٥ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ بُغَاةَ الْعِلْمِ».

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «تَفَقَّهُوا[١] فِي الدِّينِ[٢] فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ فَهُوَ أَعْرَابِيٌّ[٣] إِنَّ اللَّهَ

الحديث السادس:

[١] **(تفقهوا):**

الفقه في اللغة الفهم، كقوله تعالى حكاية عن قوم شعيب: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾(١) وقوله: ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾(٢) وقوله: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾(٣).

والتفقه في الدِّين: تحصيل البصيرة في علم الدِّين، وهو من مصاديق المعنى اللغوي العام، وهذا المراد غالباً ممَّا ورد في الروايات.

ثم اصطلح في العلم بأحكام الشرع، وهو من اصطلاح المتشرعة، ولا تحمل عليه الروايات.

[٢] **(في الدِّين):**

أي ما يرتبط بالدِّين سواء من الأُصول أو الفروع أو الآداب والأخلاق ونحوها.

[٣] **(أعرابيّ):**

أي كالأعراب المذمومين في قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا

---

(١) سورة هود: الآية ٩١.

(٢) سورة طه: الآية ٣٨.

(٣) سورة النساء: الآية ٧٨.

يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]».

٧ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «عَلَيْكُمْ بِالتَّفَقُّهِ فِي دِينِ اللَّهِ وَلَا تَكُونُوا أَعْرَاباً، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي دِينِ اللَّهِ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ[١] يَوْمَ

وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾(١)، والأعراب لا مفرد له، ومفرده أعرابي ـ بالنسبة ـ، وهم سكان البوادي من العرب خاصة المعبّر عنهم اليوم (بالبدو).

وهؤلاء أكثر الناس جهلاً لبعدهم عن الحضارة والمدنية، وخشونة فكرهم بسبب تأثر الفكر بخشونة العيش، وسبب أجدرية بقائهم جهلة، هو أنَّهم بسبب بُعدهم عن حواضر العلم وخشونة فكرهم، يُستبعد أن يفهموا مقاصد الشرع، ممَّا يوجب توهمهم ما ليس بمقصود، وضرر هذا أكثر من ضرر بقائهم على الجهل، ولا يمكنهم التخلص من هذه الحالة إلا نادراً، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾(٢)، وإلَّا بالهجرة إلى حواضر العلم المدن، ولذا عُدّ من المحرمات التعرّب بعد الهجرة.

والأعراب غير العرب بل هم بعض منهم.

الحديث السابع:

[١] **(لم ينظر الله إليه):**

لم ينظر إليه: أي بعين العطف والرحمة واللطف، وذلك لأنَّه لا يكون مستحقاً لها وغير قابل لها، قال تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣).

---

(١) سورة التوبة: الآية ٩٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٩٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٧.

الْقِيَامَةِ، وَلَمْ يُزَكِّ لَهُ[٢] عَمَلاً».

٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «لَوَدِدْتُ أَنَّ أَصْحَابِي ضُرِبَتْ رُؤُوسُهُمْ[١] بِالسِّيَاطِ حَتَّى يَتَفَقَّهُوا».

٩ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَمَّنْ رَوَاهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ لَهُ رَجُلٌ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، رَجُلٌ عَرَفَ هَذَا الْأَمْرَ[١] لَزِمَ بَيْتَهُ وَلَمْ يَتَعَرَّفْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ؟ قَالَ: فَقَالَ: كَيْفَ يَتَفَقَّهُ[٢] هَذَا فِي دِينِهِ!؟

---

[٢] (ولم يزك له):
الزكاة النمو، والجاهل لا ينمو عمله أي لا يستحق به درجات الآخرة، لأنَّ العمل من غير علم ـ عادة ـ يؤدي إلى خلاف المقصود المأمور به، فلا يزداد بالعمل إلّا بُعداً، كمن ضلّ الطريق فلا يزداد بالسير إلا بعداً عن الجادة.

الحديث الثامن:

[١] (ضربت رؤوسهم):
لعلَّه يستفاد منه جواز الإكراه لتعلم مسائل الدِّين.
ومنه يستفاد جواز الإكراه على الواجبات، وكذلك ترك المحرمات.
ومنه يستفاد جواز استعمال القوة في الأمر بالمعروف فتأمل.

الحديث التاسع:

[١] (عرف هذا الأمر):
أي ولاية أهل البيت عليهم السلام، ولعلّه تشيّع جديداً.

[٢] (كيف يتفقه):
يدل على عدم جواز الاعتزال المؤدي إلى عدم تعلُّم ما يجب تعلّمه.

بَابُ صِفَةِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ وَفَضْلِ الْعُلَمَاءِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الدِّهْقَانِ، عَنْ دُرُسْتَ الْوَاسِطِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْمَسْجِدَ فَإِذَا جَمَاعَةٌ قَدْ أَطَافُوا بِرَجُلٍ فَقَالَ مَا هَذَا[١]؟ فَقِيلَ: عَلَّامَةٌ[٢] فَقَالَ: وَمَا الْعَلَّامَةُ[٣]؟ فَقَالُوا لَهُ: أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَنْسَابِ الْعَرَبِ وَوَقَائِعِهَا وَأَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ

الحديث الأول:

[١] **(ما هذا):**

إما بمعنى: ما هذا العمل، حيث اجتمعتم حول هذا الرجل المجهول.
أو بمعنى: ما هذا الرجل، ولم يقل من هذا إما تحقيراً أو تأديباً.

[٢] **(علّامة):**

بمعنى كثير العلّم، وهو صيغة مبالغة، والتاء لزيادة المبالغة، وصيغة المبالغة معناها في الصرف يختلف عن معنى المبالغة اللغوي، فالأول: بمعنى الكثير من الشيء، والثاني: بمعنى تكثير الشيء من غير أن يكون له واقع، وهو قد يكون كذباً، وقد يكون من محسنات الكلام فيما لو أريد التهويل أو التعظيم مع علم السامع بذلك، كما يقال: قد فعلت ذلك ألف مرَّة، في حين أنَّه لم يفعله إلَّا مرات متعددة.

[٣] **(وما العلّامة):**

أي علمه في أي مجال، وفي أي علم من العلوم.
وقد يكون السؤال عن الشيء، ولكن يُراد به السؤال عن تفاصيل ذلك الشي لا أصله، فمعنى العلّامة معلوم، لكنه سؤال عن تفاصيل ما يزعمون له من العلم.

وَالْأَشْعَارِ الْعَرَبِيَّةِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ذَاكَ عِلْمٌ لَا يَضُرُّ مَنْ جَهِلَهُ[٤]، وَلَا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ»؛ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ[٥] ثَلَاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ[٦]، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ[٧]، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ[٨]، وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ[٩]».

---

[٤] **(لا يضر من جهله):**
لعلَّ المراد الضرر والنفع الأخروي، فإنَّ العلم الحقيقي هو الذي يُنجي الإنسان من النار، ويوجب له السعادة الأبدية.
ويمكن أن يكون المراد إذا لم يُستفد منه في أمر الدِّين والدنيا، فيكون مجرد أقاصيص وحكايات تملأ الوقت من دون نفع ولا ضرر.

[٥] **(إنَّما العلم):**
أي العلم الحقيقي النافع للآخرة، وجهله يضرّ بها، إنما هو ثلاثة.

[٦] **(آية محكمة):**
لعلَّ المراد منها: الاعتقادات، لأنَّ أدلتها الآيات المحكمات.
وهذا القسم يرتبط بالعقل والفكر.

[٧] **(فريضة عادلة):**
لعلَّ المراد: الأحكام الشرعية، وعدلها لأنَّها أحكام ملائمة لخلق الإنسان، فلا إفراط فيها ولا تفريط، عكس كثير من القوانين البشرية التي فيها جور أو نقص.
وهذا القسم يرتبط بالبدن.

[٨] **(سنَّة قائمة):**
لعلَّ المراد منها: الآداب والأخلاق، التي قوام الحياة بها، أو أنَّها ليست بمنسوخة.
وهذا يرتبط بالنفس عادة وبالبدن أحياناً.

[٩] **(فهو فضل):**
أي زيادة، فمن حصّل تلك العلوم الثلاثة وفاض وقته لتعلُّم غيرها فإنَّها زيادة في الخير ـ إن استفاد منها بالشكل الصحيح ـ.
وتفسير الفضل بالباطل الزائد بعيد.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ[١]، وَذَاكَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا دِرْهَماً[٢] وَلَا دِينَاراً، وَإِنَّمَا أَوْرَثُوا[٣]

الحديث الثاني:

[١] **(ورثة الأنبياء):**

أي العلوم التي جاء بها الأنبياء يرثها من بعدهم العلماء، لأنَّ العلماء أبناء الأنبياء لا بالنسب بل بالطريقة والأسلوب، فلذا ورثوا العلم منهم إرثاً معنوياً. كما أنَّ أبناء الأنبياء جسماً يرثون أموالهم الماديَّة، كما في: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾(١).

[٢] **(وذاك أنَّ الأنبياء لم يورثوا درهماً...):**

كأنَّه جواب عن سؤال وهو: ما هو الذي يورثه الأنبياء للعلماء؟ فيكون الجواب إنَّ العلماء ليسوا أبناء الأنبياء جسماً حتى يرثوا أموالهم، بل هم أبناؤهم روحاً فيرثون منهم ما يرتبط بالجانب المعنوي وهو العلم.

وقد توهّم بعض العامة أنَّ هذا الحديث يؤيد ما تقوّلوه على النبي صلى الله عليه وآله بأنه قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث».

وهو توهم باطل، للفرق بين (لا) و(لم)، فما تقوّلوه أراد منه تشريع حكم بعدم إرث أبناء الأنبياء منهم ليغصب فدكاً، ولذا قال «لا نورث» وهو نفي، في حين أنَّ هذا الحديث ـ بلفظة «لم» ـ وهو جحد، وهو إخبار عن الماضي وليس تشريع حكم، كما نقول «زيد لم يورث شيئاً لورثته» لفقره وهذا تعبير صحيح، أما إذا قلنا «بأنَّ زيداً لا يورث» فهو كلام باطل، فدقّق النظر.

[٣] **(وإنما أورثوا...):**

لعلَّ المراد أنَّ الإرث الحقيقي للأنبياء هو علمهم، فلذا كانوا يهتمون به

---

(١) سورة مريم: الآيتان ٥ ـ ٦.

أَحَادِيثَ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ[٤]، فَمَنْ أَخَذَ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَخَذَ حَظّاً وَافِراً[٥]، فَانْظُرُوا عِلْمَكُمْ هَذَا عَمَّنْ تَأْخُذُونَهُ[٦]؟ فَإِنَّ فِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ[٧] فِي كُلِّ

ليصل إلى من بعدهم، أما أموالهم المادية فلم تكن مهمة لهم ولم يقصدوا بها إثراء أبنائهم ـ عكس عادة كثير من الناس ـ.

[٤] **(أحاديث من أحاديثهم):**

لعلَّه إشارة إلى أنَّ علومهم لم تصل إلى جميع العلماء، بل بعض علومهم، وكلٌّ يأخذ منها بمقدار قابليته وجهده.

[٥] **(حظاً وافراً):**

أي قسماً وخيراً كثيراً كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(١).

[٦] **(عمَّن تأخذونه):**

لأنَّ هنالك ناساً يبثون أباطيلهم على أنَّها علوم الأنبياء، كما كثر الكذب على رسول الله ﷺ حتى قال: «فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(٢).

فهنالك غلاة، ومبطلون، وجاهلون، ينسبون غلوهم وباطلهم وجهلهم إلى الأنبياء، فعليكم اجتنابهم، وأخذ علوم الأنبياء عن المنبع الصافي، وهم أهل البيت عليهم السلام والعلماء من أتباعهم.

[٧] **(فينا أهل البيت):**

يمكن أن يريد الأئمة عليهم السلام حصراً، ففي كل عصر يوجد واحد من الأئمة، لأنَّ الأرض لا تخلو من حجَّة، ويكون في عصر الغيبة إشارة إلى فيوضات الإمام المهدي «عجَّل الله فرجه» الخفية لبعض خواص الشيعة، أو تدخلاته الغيبية بالتصرف عبر الولاية التكوينية ـ بإذن الله ـ.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

(٢) البحار: ج٢ ص ١٦٠.

خَلَفٍ[٨] عُدُولاً يَنْفُونَ عَنْهُ[٩] تَحْرِيفَ الْغَالِينَ[١٠]، وَانْتِحَالَ

ويمكن أن يُراد من يسير على منهج أهل البيت ﷺ من العلماء، فإنَّ الله قيَّضهم في كل عصر، فيكون معنى «فينا» أي في أتباعنا وجماعتنا أو في مذهبنا، أو تكون «في» بمعنى «اللام».

[٨] **(في كل خَلَف):**

أي كل جيل ونسل، ولا داعي لتفسيره بالقرن الذي يراد منه مئة عام، ليكون إشارة إلى ما روي من تجديد الدِّين على رأس كل مئة سنة، فإنَّه أمر آخر لا يرتبط بهذا الحديث، لأنَّ القرن الواحد قد يكون فيه ثلاثة أخلاف أو أكثر، نعم لو كان المراد بالقرن عشرين سنة لتطابق المعنى فإنَّ القرن قد يطلق على أربعين سنة وعلى ثمانين سنة وعلى مئة سنة كما قاله العلامة المجلسي رَحِمَهُ اللهُ في المرآة وذلك لأن القرن بمعنى الجماعة المقترنين من حيث الزمان كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾[١].

والخلف كل من يجيء من بعد من مضى، وبتحريك اللام في الخير، وبسكونها في الشر، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟﴾[٢].

[٩] **(ينفون عنه):**

لأنَّ هنالك من يلصق هذه بعلوم الأنبياء، وهؤلاء العدول يبينون بطلان النسبة بنفي تلك الأباطيل.

[١٠] **(تحريف الغالين):**

التحريف: صرف الكلام عن وجهه ـ معنًى أو لفظاً ـ، والغالي: هو المجاوز للحد، قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾[٣] لأنَّهم تجاوزوا الحدّ برفع عيسى من مرتبة المخلوق إلى مرتبة الإله، فهؤلاء يعتبرون غلوهم من علوم الأنبياء.

---

(١) سورة مريم: الآية ٩٨.

(٢) سورة مريم: الآية ٥٩.

(٣) سورة النساء: الآية ١٧١.

الْمُبْطِلِينَ[١١]، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ[١٢].

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ[١].

---

[١١] **(انتحال المبطلين):**
الانتحال هو ادعاء ما لغيره، كادعاء مناصب أهل البيت عليهم السلام لأعدائهم، وهؤلاء ليسوا غلاة اصطلاحاً، لكنّهم أهل باطل يدّعون لأنفسهم العلم ويلبسون الحق بالباطل.

[١٢] **(تأويل الجاهلين):**
التأويل بيان مرجع الكلام على غير ما يظهر من ظاهر الكلام، وهذا أمر خاص بالله وبالراسخين في العلم، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾(١)، لكن الجاهل يأوّل من غير بيِّنة ولا هدى، فلزيغ في قلبه يرجع المتشابهات إلى غير المقصود منها.
وفي دعائم الإسلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يحمل هذا العلم من كل خلف، عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»(٢).

الحديث الثالث:

[١] **(فقهه في الدِّين):**
بمعنى بصَّره في ما يتعلق بأمور دينه.
وإرادة الله تعالى بسبب أنَّ العبد كان مستحقاً للطف الله تعالى عليه، لصالح أعماله أو لحسن نيته، أو مكافأةً لصالح آبائه، أو لغير ذلك، فحينئذٍ يريد الله خيره، فيفقهه في الدين، أي يهيىء له أسباب البصيرة في الدين، فيفوز بخير الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.
(٢) دعائم الإسلام: ج١ ص٩٢.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ: الْكَمَالُ كُلُّ الْكَمَالِ[١] التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ. وَالصَّبْرُ عَلَى النَّائِبَةِ[٢]، وَتَقْدِيرُ الْمَعِيشَةِ[٣].

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ[١]،

الحديث الرابع:

[١] (كل الكمال):
لأنَّ أمور الحياة أو التكاليف الشاقة مجتمعة في هذه الأمور الثلاث:
فهم الدِّين ليعمل به، والصبر على مشاكل الحياة، وتقدير المعايش ليعيش حياة هانئة هادئة.

[٢] (النائبة):
حوادث الدهر ومصائبه التي تنزل على الإنسان.

[٣] (تقدير المعيشة):
قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾(١) والتقتير هو التضييق في النفقة.

الحديث الخامس:

[١] (العلماء أمناء):
أمناء الله لأنَّهم ائتمنوا على علم الأنبياء والأوصياء، فهم حملة الكتاب وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام.
كما أنهم أمناء على دين الناس وعلى عرضهم ومالهم وأنفسهم.
والأمين هو الذي يحفظ الشيء ثم يوصله إلى أهله وهكذا يكون العلماء.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٧.

وَالْأَتْقِيَاءُ حُصُونٌ[٢]، وَالْأَوْصِيَاءُ سَادَةٌ[٣].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: الْعُلَمَاءُ مَنَارٌ[٤]، وَالْأَتْقِيَاءُ حُصُونٌ، وَالْأَوْصِيَاءُ سَادَةٌ.

٦ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْكِنْدِيِّ، عَنْ بَشِيرٍ الدَّهَّانِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَتَفَقَّهُ مِنْ أَصْحَابِنَا، يَا بَشِيرُ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ[١] إِذَا لَمْ

---

[٢] **(الأتقياء حصون):**

أي حصن للأُمَّة من جهات:

١ ـ بتقواهم، يمنعون المفسدين ويعارضونهم.

٢ ـ عملهم يهدي الكثيرين، ويمنع الكثيرين عن الانحراف، فإنَّ وجود متقي في مجتمع ـ حتى لو كان صامتاً ـ له تأثير بليغ عليهم، وهذا ما قيل في علَّة اختيار أنبياء غير مرسلين.

٣ ـ يدفع الله بهم العذاب عن الأمة.

[٣] **(والأوصياء سادة):**

إذا كان المراد بالأوصياء الأئمَّة عليهم السلام، فإنَّهم سادة الخلق أجمعين من الأولين والآخرين ما خلا رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

والسيِّد: هو الذي ترأس قومه بسبب جلالته وعظمته وفضله على غيره، فيُطاع في أوامره ونواهيه.

[٤] **(منار):**

اسم مكان بمعنى موضع النور الذي يهتدي به الناس في ظلمات الليل.

ومعناه هنا الذي يُهتدى بهم من الضلال.

الحديث السادس:

[١] **(الرجل منهم):**

أي من أصحابنا.

يَسْتَغْنِ بِفِقْهِهِ[٢] احْتَاجَ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِمْ أَدْخَلُوهُ فِي بَابِ ضَلَالَتِهِمْ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ.

٧ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ آبَائِهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ[١] إِلَّا لِرَجُلَيْنِ عَالِمٍ مُطَاعٍ[٢] أَوْ مُسْتَمِعٍ وَاعٍ[٣]».

---

[٢] **(إذا لم يستغن بفقهه):**

أي إذا احتاج إليهم، فإنَّهم يضلّوه، لأنَّهم يوردونه مواردهم، وفي الحديث «احتج إلى من شئت تكن أسيره»(١).

فإنَّ المُوالي إذا سألهم أجابوه طبق مذهبهم، أو قالوا له ما يخالف الحق، وحيث إنَّه غير فقيه فإنَّه يتبعهم ممَّا يوجب ضلالته.

الحديث السابع:

[١] **(لا خير في العيش):**

لأنَّ سواهما في مشاكل دنيوية أو أخروية.

[٢] **(عالم مطاع):**

فإنَّه هادي ومهدي، فهو عالم، والناس يستفيدون من علمه، فحياته روح وريحان، أما العالم غير المطاع ـ كالذي ضاع بين جهّال ـ فإنَّه في ألم دائم، لما يراه من جهل الناس ومخالفتهم.

[٣] **(مستمع واع):**

فإنَّه باتباعه العالم يعيش حياة كريمة، فحياته خير من موته، وظهر الأرض أفضل له من بطنها، لأنَّه يزيد في حسناته.

---

(١) بحار: ج٧٤ ص ٤٢١.

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: عَالِمٌ يُنْتَفَعُ[١] بِعِلْمِهِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفَ عَابِدٍ.

٩ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعْدَانَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: رَجُلٌ رَاوِيَةٌ[١] لِحَدِيثِكُمْ

الحديث الثامن:

[١] (ينتفع):

يَنتفع بالمعلوم، أو يُنتفع بالمجهول.

فإن قرأناه بالمعلوم فالمعنى: عالم يَنتفع هو بعلمه، ولا يكون ممَّن يقول ولا يعمل، فهذا أفضل من العباد.

وكذلك لو قرىء بالمجهول أي عالم ينتفع الناس بعلمه.

ـ وعلى الأول: فإنَّ فضيلته على هذا الكم الهائل من العباد، لأنَّ العبادة بلا علم لا فائدة فيها، بل قد تكون باطلة، فيكون السبعون ألفاً من باب المثال للتكثير، وإلا فالمليارات من العبّاد الجهلة لا قيمة لهم.

ـ وعلى الثاني: إنَّ العابد ـ حتى الذي يعبد صحيحاً لسلامة عقيدته وعمله ـ فإنَّه ينجو هو بنفسه فقط، في حين أنَّ العالم الذي ينتفع الناس بعلمه ينقذهم، وفي الحديث «لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك ممَّا طلعت عليه الشمس»(١) وكذلك هداية الضالّ خير من العبادة المستحبة.

الحديث التاسع:

[١] (راوية):

التاء فيه للمبالغة، أي كثير الرواية، كالعلّامة والنسّابة.

---

(١) الكافي: ج٥ ص ٤٢.

يَبُثُّ[٢] ذَلِكَ فِي النَّاسِ وَيُشَدِّدُهُ[٣] فِي قُلُوبِهِمْ وَقُلُوبِ شِيعَتِكُمْ، وَلَعَلَّ عَابِداً مِنْ شِيعَتِكُمْ لَيْسَتْ لَهُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ قَالَ: الرَّاوِيَةُ لِحَدِيثِنَا يَشُدُّ بِهِ قُلُوبَ شِيعَتِنَا[٤] أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ[٥].

---

[٢] (يبث):

أي ينشر ويوصله إلى الناس.

[٣] (يشدّده):

وفي بعض النسخ يسدّده ـ بالسين ـ، وعلى الأول يكون المعنى: يشدّد الحديث في قلوبهم، أي يقويه ويجعله مستحكماً في قلوبهم، وذلك بالتكرار فإنَّ التكرار يؤكد المطلب ويثبته. ولذا ورد استحباب الذكر الدائم مع أنَّ أكثره مكرر.

أو بكيفية بيانه يجعل الحديث مقبولاً لهم، فإنَّ في طريقة البيان تأثيراً للقبول أو الرفض.

ويمكن أن يكون المراد يشدد قلوبهم بهذه الأحاديث، أي يحفظ عقيدتهم ويربط على قلوبهم، فيكون في العبارة قلب أي يشدّد قلوبهم فيه.

وعلى الثاني يكون المعنى: يسدّد الحديث في قلوبهم، أي يجعله في قلبهم سديداً غير منكر.

[٤] (قلوب شيعتنا):

كلام الراوي كان عاماً حول الناس فقال: «يبث ذلك في الناس ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم» لكن جواب الإمام عليه السلام كان «قلوب شيعتنا».

ولعلَّ ذلك للإشعار بأنَّ المهم هو ربط قلوب الشيعة لا غيرهم، لأنَّ الغير لا ينتفع بذلك كثيراً، أو لا فائدة في شدّ قلبه.

ويمكن أن يكون الجواب إشارة إلى قضية خارجية لوجود تقية أو نحوها.

[٥] (أفضل من ألف عابد):

في الرواية السابقة قال عليه السلام: «أفضل من سبعين ألف عابد» وهنا قال عليه السلام: «أفضل من ألف عابد» ولعلَّ ذلك لجهات:

١ ـ هنالك «عالم ينتفع بعلمه»، وهنا (راوية)، وكثيراً ما يكون الراوية مجرد حافظ للحديث من دون أن يكون عالماً، فرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، فعلى هذا يكون العالم الذي ينتفع بعلمه أفضل من سبعين راوية يبث أحاديثهم.
٢ ـ لعله من اختلاف درجات العلماء والعُبّاد، فيكون التفاوت بينهما مختلفاً باختلاف درجاتهما.
٣ ـ لعله لذكر المثال للتكثير وليس للعدد الخاص، فالمراد ـ في الحديثين ـ أن العالم أفضل من العالم بدرجات كثيرة.
٤ ـ كما أنه لا منافاة بين «الأفضل من ألف» و«الأفضل من سبعين ألفاً»، لأنَّ الأفضل من سبعين ألفاً أيضاً أفضل من ألف، فقد يكون كلام الإمام عليه السلام حسب اختلاف تحمل السامع، لأنَّ الأفضلية في الثواب بيد الله تعالى وهو يضاعف لمن يشاء.

بَابُ أَصْنَافِ النَّاسِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى جَمِيعاً، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ عَمَّنْ حَدَّثَهُ مِمَّنْ يُوثَقُ بِهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ آلُوا[١] بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَى ثَلَاثَةٍ: آلُوا إِلَى عَالِمٍ عَلَى هُدًى[٢] مِنَ اللَّهِ قَدْ أَغْنَاهُ اللَّهُ[٣] بِمَا

الحديث الأول:

[١] **(آلوا):**
من آل يؤول. أي رجعوا، ومنه التأويل، الشيء الذي هو المرجع الأساسي يقال له الأوّل.

[٢] **(على هدًى):**
أي متمكن من الهدى، فكأنَّه راكب عليها، كالمتمكن من الفرس حال كونه راكبه.

[٣] **(قد أغناه الله):**
فيه إشارة إلى أنَّه علمه من الله تعالى، من دون حاجة إلى أخذه من الغير، كالأئمة عليهم السلام.
ولا ينافي ذلك تعلُّم الإمام عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنَّه بطريقة إعجازية، وهو من الله تعالى أيضاً، قال علي عليه السلام: «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم ففتح لي كل باب ألف مسألة»(١).

---

(١) البحار: ج ٤١ ص ٣٢٨.

عَلِمَ، عَنْ عِلْمِ غَيْرِهِ، وَجَاهِلٍ مُدَّعٍ[٤] لِلْعِلْمِ لَا عِلْمَ لَهُ مُعْجَبٍ بِمَا عِنْدَهُ قَدْ فَتَنَتْهُ الدُّنْيَا[٥] وَفَتَنَ غَيْرَهُ[٦]. وَمُتَعَلِّمٍ مِنْ عَالِمٍ[٧] عَلَى سَبِيلِ

أي بعد الرسول ﷺ هذا الصنف لم يكن يحتاج إلى أي أحد من الناس.

ويمكن أن يكون (بما عُلّم) من باب التفعيل بصيغة المجهول، أي بما علّمه رسول الله ﷺ وهذا الاحتمال أقرب.

[٤] **(وجاهل مدع):**

وهؤلاء أعداء الإمام عليه السلام والغاصبين لحقه.

وهم لا علم لهم، وكل ما عندهم إنما هو من الباطل الشبيه بالحق، والمغالطات، والأكاذيب، ولذا ورد «كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل»(١).

والمراد أنّ العلوم المرتبطة بالمبدأ والمعاد والدِّين ـ بشكل عام ـ يجب أن تؤخذ حصراً من أهل البيت عليهم السلام الذين هم عدل القرآن ومفسروه.

لأنَّ كل ما لغيرهم فهو جهل وفتنة للدنيا.

[٥] **(فتنته الدنيا):**

الفتنة هنا بمعنى الضلال، أي أضلته الدنيا، فأحب الرئاسة والجاه والمال، فهو ضال ومُضلّ لغيره.

[٦] **(وفتن غيره):**

أدخل الإمام عليه السلام اتباع الجاهل المدعي في نفس قسم هذا الجاهل، لعدم الفرق بينهما في الجهل سوى أنَّ أحدهما متبوع والآخر تابع.

[٧] **(متعلّم من عالم):**

وهو القسم الثالث أي أتباع الأئمّة عليهم السلام الذين يأخذون علومهم ويعملون بها.

---

(١) البحار: ج٢ ص ٩٤.

هُدًى[٨] مِنَ اللَّهِ وَنَجَاةٍ[٩]. ثُمَّ هَلَكَ[١٠] مَنِ ادَّعَى وَخَابَ مَنِ افْتَرَى.

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ، عَنْ أَبِي خَدِيجَةَ سَالِمِ بْنِ مُكْرَمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ[١] وَغُثَاءٌ[٢].

---

[٨] **(على سبيل هدى)**:

أي الطريق التي أمامه طريق هدى.

فهنا فرّق الإمام عليه السلام بين الأئمة وبين أتباعهم فالأئمة هم (على هدى) وأتباعهم (على سبيل هدى)، وهذا من الدقة في التعبير، فالأئمة عليهم السلام هادون مهديون بأنفسهم ـ بإذن الله ـ، وأتباع الأئمة عليهم السلام قد سلكوا طريق الهدى ويمكن أن لا يكونوا مهديين بالفعل وقد ينحرفون.

[٩] **(ونجاة)**:

لما بيّن الإمام عليه السلام الأقسام الثلاثة شرع في بيان النتيجة ومصير كل قسم فقوله: (على سبيل هدى من الله ونجاة) بيان لمصير القسم الثالث وهو (المتعلم من العالم)، وإذا كان التابع ناجٍ، فمن المعلوم أنَّ المتبوع الذي هو «عالم على هدى من الله» ناجٍ بطريق أولى.

[١٠] **(ثم هلك)**:

أي القسم الثاني هالك، وهو الجاهل المدعي ومن افتتن به، فهم هالكون خائبون.

أما هلاكهم فإنَّهم باعوا آخرتهم بالدنيا الفانية فاشتروا نار جهنم.

وأما خيبتهم فلأنَّهم يظنون أنَّهم ناجون فإذا هلكوا خاب ظنهم.

الحديث الثاني:

[١] **(عالم ومتعلّم)**:

الأول هو المعصوم، لأنَّ علمه ليس من الناس، بل من الله تعالى بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله. والثاني من أخذ علومهم وتعلمها منهم.

[٢] **(غثاء)**:

هو ما يكون فوق السيل من الأوساخ والفقاعات ونحوها.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: اغْدُ[١] عَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً[٢] أَوْ أَحِبَّ أَهْلَ الْعِلْمِ[٣]، وَلَا تَكُنْ

وجهات كونهم غثاءً ـ كما في المرآة ـ:

١ ـ عدم الانتفاع والاعتناء، كالغثاء الذي لا يعتنى به ولا ينتفع به.

٢ ـ عدم علمهم بما يؤول أمرهم، كالغثاء فوق الماء يتحرك بحركته.

٣ ـ إنَّه وجوده بالعرض وليس مقصوداً بالذات، كالغثاء الذي وجوده بالعرض لا بالذات وإنَّما المقصود هو الماء.

وغير ذلك من الاحتمالات.

الحديث الثالث:

[١] **(اغدُ):**

يراد به «صِر»، وهو في الأصل من الغُدوّ، كقوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾[١] أي الذهاب في الغدوّ وهو السير في أول الصباح، ثم استعمل في الكينونة والصيرورة.

[٢] **(متعلماً):**

الظاهر منه اتخاذ طلب العلم شغلاً، أي يصرف عامة وقته في طلب العلم.

وفي الحديث تدرج من الأفضل إلى الفاضل، فأن يكون الإنسان عالماً خير له، ثم أن يكون متعلماً، ثم محباً لأهل العلم.

[٣] **(أحب أهل العلم):**

لأنَّ المحب لمن أحب مطيع، فيقوده حبه إلى مجالستهم والأخذ منهم والتأسي بهم والتأثر بهم.

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٢.

رَابِعاً فَتَهْلِكَ[٤] بِبُغْضِهِمْ[٥].

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ جَمِيلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَغْدُو النَّاسُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: عَالِمٍ وَمُتَعَلِّمٍ[١] وَغُثَاءٍ، فَنَحْنُ الْعُلَمَاءُ وَشِيعَتُنَا الْمُتَعَلِّمُونَ وَسَائِرُ النَّاسِ غُثَاءٌ.

---

[٤] (فتهلك):
سبب الهلاك أنَّ الجاهل المبغض للعلماء لا يجالسهم ولا يقتدي بهم ولا يستمع إليهم، فيؤدي ذلك إلى بقائه على الجهل، فيهلك لمخالفته أحكام الله وشرائعه حيث إنه جاهل بها فيخالفها لجهله.

[٥] (ببغضهم):
فيه دلالة على أنَّ الذي لا يكون عالماً، ولا متعلماً، ولا محباً لأهل العلم، يكون مآله إلى بغض العلماء، وفيه إشارة إلى قوله عليه السلام: «الناس أعداء ما جهلوا»(١).
والبغض من الإضافة إلى المفعول، بمعنى بغضك إياهم سبب لهلاكك، ومن البعيد الإضافة إلى الفاعل بمعنى (بغضهم إياك)، إلا إذا كان من باب المقابلة، أي تهلك ببغضهم إياك بسبب بغضك إياهم.

الحديث الرابع:

[١] (متعلم):
المراد به ما يشمل المحب للعلماء ـ الوارد في الحديث السابق ـ، لأنَّه متعلِّم بالمعنى الأعم.

---

(١) البحار: ج١ ص ٢١٩.

بَابُ ثَوَابِ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، جَمِيعاً، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحِ وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْقَدَّاحِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً[١] يَطْلُبُ فِيهِ عِلْماً[٢] سَلَكَ

الحديث الأول:

[١] **(سلك طريقاً)**:

١ ـ إما يراد به معناه الحقيقي، أي سار في طريق ليصل إلى العلم، كما فعل الصدوق رضوان الله عليه ـ مثلاً ـ حيث أكثر من الأسفار للوصول إلى الحديث ورواته.

٢ ـ أو يُراد به وسيلة الوصول إلى العلم، كالقراءة والدراسة والتعلُّم ونحو ذلك، كما يقال الطريق إلى الله هو العبادة والإخلاص ـ مثلاً ـ، والطريق إلى العلم الدراسة، وهكذا.

[٢] **(يطلب فيه علماً)**:

المراد به العلم الحقيقي، وهي المعارف الإلهية الحقة، أو ما يوصل إليها.

وتنكير «علماً»:

١ ـ إما لأجل بيان أنَّ هذا الثواب يناله حتى من سلك الطريق لتحصيل قليل من العلم.

٢ ـ أو لأجل تعظيمه.

اللَّهُ بِهِ[٣] طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا[٤] لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضاً

---

٣ ـ أو لإخراج العلوم الدنيوية، لأنَّ الجنس في «العلم» يشمل الجميع.

وضمير «فيه»:

١ ـ راجع إلى السلوك المستفاد من الكلام، كقوله تعالى: ﴿اَعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ﴾(١) أي العدل، وكقوله سبحانه: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾(٢) أي الميت المستفاد من الكلام لأنَّ الآية حول الإرث.

٢ ـ ويمكن إرجاع الضمير إلى «الطريق» إن قيل بجواز تذكيره، لأنَّ المعروف أنَّ «الطريق» مؤنث، وقيل فيها يجوز الوجهين التذكير والتأنيث، والأول أقرب.

و«يطلب»، فيه وجوه:

١ ـ حال، أي حال كون هذا الإنسان يطلب علماً، لا أنَّه سلك الطريق لغرضٍ واتفق تحصيل العلم فيه.

٢ ـ ويمكن أن يكون صفة للطريق ـ بناءً على جواز التذكير فيه ـ أي: طريق صفته أنَّ ذلك الطريق يطلب فيه العلم، فيكون من الوصف بحال المتعلق.

٣ ـ ويمكن أن يكون صفة للموصول، وهذا بعيد.

[٣] **(سلك الله به):**

١ ـ أي هيأ الله له أسباب دخول الجنة، بمعنى أنَّ الله يوفِّقه للإيمان والعمل الصالح، ممَّا يؤدي به إلى دخول الجنة، ومن مصاديق المعنى أنَّ الذي يريد العلم ويسلك طريقه فإنَّ الله يوفِّقه إلى العلم النافع الذي يؤدي به إلى الجنة.

٢ ـ ويمكن أن يكون المعنى أنَّه في الآخرة يأخذ الله بيده إلى الجنة، لأنَّه ما من إنسان إلا ويحتاج إلى فضل الله تعالى ليدخله إلى الجنة بفضله لا عن استحقاق.

[٤] **(لتضع أجنحتها):**

في معنى هذه الكلمة وجوه:

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١.

بِهِ[٥]، وَإِنَّهُ يَسْتَغْفِرُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ[٦] حَتَّى

---

١ ـ أن يراد المعنى الحقيقي، أي تضع الملائكة أجنحتها تحت قدم طالب العلم ليطأ أجنحتها برجله، وفي المرآة عن الغوالي عن الرسول ﷺ: «إنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم حتى يطأ عليها رضىً به» وذلك لأهمية طلب العلم وفضل طالبه.

٢ ـ أن يراد أنَّها تتواضع لطالب العلم، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾(١). ويمكن أن يستفاد من بعض الأحاديث أنَّ طالب العلم العامل بعلمه أفضل من الملائكة أو من بعض الملائكة.

٣ ـ أن يراد أنَّها تلطف به وتتعطف عليه، كما في قوله سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

٤ ـ أن يراد أنَّها تُعينه للوصول إلى مبتغاه، كمن يركب جناح طائر ليصل إلى أماكن بعيدة، فلما كان كثيراً من المعارف صعبة المنال أعانته الملائكة للوصول إليها، وقد نشاهد انقداح بعض الأفكار فجأة بعد طول عناء بحيث يصل الإنسان إلى ما يريده.

وقيل غير ذلك، ولا مانع من إرادة الجميع.

[٥] **(رضاً به):**

مفعول لأجله أي وضع الأجنحة لأجل الرضا بالطالب، وإنَّما قال (به) ولم يقل (عنه) لأنَّ الرضا المتعدي بالباء يُراد الرضا لأجل نفسه، والمتعدي بعن يراد به الرضا عن الشخص لأجل الفعل ـ عادة ـ.

أو لأنَّ (الرضا به) بمعنى قبوله و(الرضا عنه) السرور به أو إثابته فتأمل.

[٦] **(من في السماء، ومن في الأرض):**

يحتمل وجوهاً:

١ ـ أن يكون على المعنى الحقيقي، فيكون الاستغفار تكويني كما في قوله

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٤.

(٢) سورة الحجر: الآية ٨٨.

الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ[٧] عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ النُّجُومِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً وَلَكِنْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».

تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾(١) بأن يكون الله تعالى جعلها تستغفر تكويناً حتى وإن كانت لا تشعر ولا حياة فيها.

٢ ـ أن يُراد به الشأنية، أي إنَّ طالب العلم من الأهمية بمكان بحيث إنَّه من شأنه أن يستغفر له هؤلاء، أو من شأن هؤلاء الاستغفار له ـ لو كانوا قادرين عليه ـ، كما نقول مصيبة عظيمة يبكي عليها الحجر أي من شأنها أو من شأنه ذلك، ولا يُراد بالفعل.

٣ ـ أن يُراد بهم الملائكة، أي ملائكة السماء والأرض، و(حتى) يكون كالاستثناء المنقطع للإشارة إلى كثرتهم، كما يقال بكى عليه الناس حتى السماء والأرض.

٤ ـ أن يكون كل ذلك استعارة تمثيلية لبيان عظمة طالب العالم فيقال إنَّه عظيم فكأنَّه يستغفر له جميع الموجودات.

[٧] **(فضل العالم):**

للإشارة إلى أنَّ العابد المؤمن له فضل كالنُّجوم، لكن النجم هو ذو نور لنفسه ولا ينير غيره، والعالم كالبدر له نور وينير لغيره، فإنَّ الليالي المقمرة كالنهار يظهر فيها كل شيء، والعالم منور بنورها.

وهنا التشبيه من جهة النور فقط لا من جهات أخرى، وإلَّا فإنَّه شبه أهل البيت عليهم السلام بالنُّجوم من جهة الاهتداء بها في الليالي الظلماء قال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٢) سورة النحل: الآية ١٦.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الَّذِي يُعَلِّمُ الْعِلْمَ مِنْكُمْ[١] لَهُ أَجْرٌ مِثْلُ[٢] أَجْرِ الْمُتَعَلِّمِ وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهِ[٣]، فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ[٤]، وَعَلِّمُوهُ إِخْوَانَكُمْ كَمَا عَلَّمَكُمُوهُ الْعُلَمَاءُ[٥].

الحديث الثاني:

[١] **(منكم):**

أي من الموالين، فإنَّ غيرهم يحبط عمله ولا أجر له.

[٢] **(مثل):**

أي بمقداره لأنَّه كما في التعلُّم أجر، كذلك في التعليم أجر أيضاً، وفي الوافي (مثلاً) ـ بالتثنية ـ يحتمل أن يكون (مثل) لبيان أصل الأجر لا مقداره، فيكون المعنى كما أنَّ المتعلِّم له أجر كذلك المعلِّم له أجر أيضاً ـ بدون تحديد المقدار ـ.

[٣] **(الفضل عليه):**

١ ـ إما بمعنى: له الفضل في الأجر على المتعلِّم، أي أجره أكثر، لأنَّه جمع بين التعلُّم والتعليم.

٢ ـ أو لأنَّه سبب، فله أجره وأجر العامل المتعلم نظيره: «من سنَّ سنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»(١).

٣ ـ وإما بمعنى أنَّ المعلِّم له حق على المتعلّم، وفي حديث آخر (وأب علَّمك)(٢).

[٤] **(حملة العلم):**

لا من حملة الجهل الذي يصورونه علماً.

[٥] **(كما علمكموه العلماء):**

«العلماء» بدل عن واو الجمع، من باب (أكلوني البراغيث).

---

(١) الكافي: ج٥، ص٩، ح١، باب وجوب الجهاد.

(٢) الغدير: ج١، ص ٣٦٩.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: مَنْ عَلَّمَ خَيْراً فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ[١] مَنْ عَمِلَ بِهِ، قُلْتُ: فَإِنْ عَلَّمَهُ غَيْرَهُ[٢] يَجْرِي ذَلِكَ لَهُ؟ قَالَ: إِنْ عَلَّمَهُ النَّاسَ كُلَّهُمْ جَرَى لَهُ، قُلْتُ: فَإِنْ مَاتَ؟ قَالَ: وَإِنْ مَاتَ[٣].

والمعنى: علِّموا الآخرين كما تعلمتم من غير زيادة ولا نقيصة، رعاية للأمانة، وذلك بعدم إدخال الأهواء والميول.

أو بنفس الآداب والطريقة التي تعلمتم من السابقين، فإنَّ طريقتهم مأخوذة عن الرسول وآله (عليهم الصلاة والسلام).

الحديث الثالث:

[١] **(فله مثل أجر...)**:

ولا ينافي ذلك زيادة الثواب والفضل، كما في الحديث السابق، لأنَّ إثبات الشيء لا ينفي ما عداه.

[٢] **(فإن علَّمه غيره)**:

أي المتعلِّم علَّم ثالثاً، فهل للمعلِّم الأول مثل أجر الثالث أيضاً؟

ويمكن أن يكون المراد: المعلِّم إذا علَّم شخصاً آخر فهل يتضاعف له الأجر؟ بأن علَّم شخصاً ثم شخصاً ثانياً ثم ثالثاً وهكذا، فأجاب الإمام عليه السلام: بأنَّ للمعلِّم أجر مثل أجر كل متعلِّم ولو كانوا الناس أجمع.

[٣] **(وإن مات)**:

أي حتى إذا مات المعلِّم، فما دام هنالك عامل بما علَّم ولو بالوسائط، فإنَّه ينال مثل أجر العاملين، ونظيره (من سنَّ سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة).

٤ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: مَنْ عَلَّمَ بَابَ هُدًى[١] فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهِ وَلَا يُنْقَصُ أُولَئِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً. وَمَنْ عَلَّمَ بَابَ ضَلَالٍ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ عَمِلَ بِهِ وَلَا يُنْقَصُ أُولَئِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً.

٥ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ رَفَعَهُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ[١] لَطَلَبُوهُ وَلَوْ بِسَفْكِ الْمُهَجِ[٢] وَخَوْضِ اللُّجَجِ[٣]. إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى

الحديث الرابع:

[١] **(باب هدى):**
أي طريق يسلكه الناس، فيكون من قبيل من سنَّ سُنَّة حسنة، وكذلك في باب الضلال. فإن (من سنّ سنّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة).

الحديث الخامس:

[١] **(ما في طلب العلم):**
من السعادة الدنيوية والأخروية، وذلك بالثواب الأخروي الجزيل، وبالآثار الدنيوية الموجبة لعدم الضنك في العيش، فإنَّ العلم يوجب وصول الإنسان إلى درجات الآخرة بالعمل به، كما أنَّه يوجب السعادة الدنيوية أيضاً نفسياً وبدنياً.

[٢] **(سفك المهج):**
أي ركوب المخاطر، فكأنَّه سَفك الإنسان لمهجته، و«المهجة» هي الدم الجاري في القلب والذي فيه حياة الإنسان.
أو بمعنى: لتقاتلوا عليه.

[٣] **(خوض اللجج):**
«اللجّة» معظم الماء ـ أي المياه العميقة في البحار ـ و«الخوض» الدخول

دَانِيَالَ أَنَّ أَمْقَتَ[٤] عَبِيدِي إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُسْتَخِفُّ[٥] بِحَقِّ أَهْلِ الْعِلْمِ، التَّارِكُ لِلاقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَأَنَّ أَحَبَّ عَبِيدِي إِلَيَّ التَّقِيُّ[٦] الطَّالِبُ لِلثَّوَابِ

في الماء، ثم استعمل في الدخول في الأشياء كما في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَآئِضِينَ﴾[١].

والدخول في الماء العظيم مظنة للخطر الكبير. وهذا أيضاً كناية عن ركوب المخاطر.

[٤] **(أمقت):**

«أمقت» أي أكثر الناس بغضاً إليَّ.

والمراد به ترتيب آثار البغض لا نفسه، لأنَّ الله تعالى ليس محلاً للحوادث، إذ البغض بمعناه الحقيقي انفعال نفساني، تعالى الله عنه وهكذا يقال في حبه وغضبه ونحوهما وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب التوحيد ـ إن شاء الله تعالى ـ.

[٥] **(المستخف بحق أهل العلم):**

قيد احترازي، لأنَّ هذا الجاهل قليل العقل، ودليل قلة عقله: استخفافه بهم وعدم اقتدائه بهم ممَّا يوجب سقوطه في الهاوية، حيث إن الاستخفاف يوجب ترك الاقتداء.

أما الجاهل المعظِّم لهم المقتدي بهم، فهو متعلّم على سبيل نجاة، ويوشك أن يخرج من جهله بذلك.

(حق أهل العلم): كالتعظيم والتوقير والتعلُّم منهم والاقتداء بهم...الخ.

و«أهل العلم» بمعنى أصحاب العلم وحملته.

[٦] **(التقي):**

التقابل بين الجاهل وبين التقيّ. بسبب أنَّ الجهل من قلة العقل، والتقوى من العقل.

أو لأنَّ التقوى منشؤها العلم فكأنَّه قال (العالم العامل بعلمه) وهذا يقابله الجاهل.

---

(١) سورة المدثر: الآية ٤٥.

الْجَزِيلِ[٧]، اللَّازِمُ لِلْعُلَمَاءِ[٨]، التَّابِعُ لِلْحُلَمَاءِ[٩]، الْقَابِلُ عَنِ

[٧] **(الطالب للثواب الجزيل):**

١ ـ إما بمعنى العامل بالطاعات مما يوجب له الثواب الجزيل.

٢ ـ أو بمعنى الطالب للقرب إلى الله تعالى، لأنَّ ذلك هو الغاية القصوى والثواب الأوفى.

٣ ـ أو لأنَّ طلب المؤمنين للثواب لا ينافي الكمال في عبادتهم، وأما العبادة من غير خوف من نار ولا طمع في جنة فلا يمكن ـ عملاً ـ إلَّا للمعصومين عليهم السلام فتأمل.

[٨] **(اللازم للعلماء... الخ):**

لعلَّ العلماء هم نفس الحلماء الحكماء، فهذا العبد لازم وتابع لهم، وقابل عنهم، وإنَّما جيء بالعبارة هكذا بلاغةً ولإيجاد وقع للكلام أكثر.

أو لبيان جهة الفعل، فيلزمهم لأنَّهم علماء، ويتبعهم لأنَّهم حلماء ويقبل منهم لأنَّهم حكماء.

ولذا قيل إنَّ المراد بهم الأنبياء والأوصياء، والأحسن هو التعميم لتشمل العبارة من كان على نهج الأنبياء والأوصياء ـ كالفقهاء ـ.

(اللازم للعلماء):

بكثرة مجالستهم وقد ورد (زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثوا على الرُّكب)[١] لأنَّ من يكثر مجالستهم يستفيد منهم ومن نورهم، ولذا ورد (النظر إلى وجه العالم عبادة)[٢] ولعلَّ ذلك ـ إضافة إلى الجانب المعنوي ـ يوجب التعلُّم منهم والاقتداء بهم.

[٩] **(التابع للحلماء):**

من الحِلم بمعنى العقل، أي يتبع العقلاء، وقد مرّ في كتاب العقل الحديث ٢٤ عن الصادق عليه السلام: «العقل دليل المؤمن»، فإنَّ التابع للعقلاء إنَّما يتبعهم

---

(١) بحار الأنوار: ج١، ص ١٤٦، ح ١٧، باب ٢١ مواعظ عيسى عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٦، ص ٦٥، ح ٤٦، باب ٥ الكعبة وكيفية بنائها.

الْحُكَمَاءِ[١٠].

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَمِلَ بِهِ وَعَلَّمَ لِلَّهِ[١]، دُعِيَ فِي مَلَكُوتِ[٢]

لعقلهم، فيكون اتباعه لهم طريق لوصوله إلى الحق، حيث يدلّونه إلى ما يكمل به إيمانه وينمو، وقد مرّ في الحديث ٢٩: «لا يفلح من لا يعقل».

[١٠] (القابل عن الحكماء):

و«القابل» أي يقبل عنهم ما قالوا، لأنَّهم بحكمتهم يضعون الأشياء في مواضعها، فلا يوجد في كلامهم زيغ عن الحق والصواب، والقبول هو الاعتقاد والعمل بذلك.

وفي نسخة الوافي (القائل) بمعنى أنَّه ينقل كلام الحكماء، فإنَّ في ذلك فائدة للمستمع، وفائدة له لأنَّه يشغله ذلك عن اللغو في الكلام.

الحديث السادس:

[١] (لله):

متعلق بالأفعال الثلاثة: (التعلُّم)، (العمل)، (التعليم) بقرينة ما بعده، ولوضوح ذلك.

[٢] (ملكوت):

صيغة مبالغة في الملك، أي أعلى درجات الملك، وهو ما كان جامعاً للوازم الملك وتوابعه، ككثرة الجنود والأتباع وإطلاق عنان التصرف ونحو ذلك.

وقيل: قد يُراد به (عزّ الملك وسلطانه) وكذلك (آيات العظمة والجلالة وآثار الملك والسلطنة)، أقول: هذه من مصاديق المعنى العام.

وملكوت السماوات: آيات الله، وعلائم ملكه فيها، ولعلَّه يراد بالملكوت ـ هنا ـ: سكَّان السماوات كالملائكة.

السَّمَاوَاتِ عَظِيماً[٣]. فَقِيلَ: تَعَلَّمَ[٤] لِلَّهِ وَعَمِلَ لِلَّهِ وَعَلَّمَ لِلَّهِ.

---

[٣] **(دعي.... عظيماً):**
أي ذُكر بالعظمة.

[٤] **(فقيل: تعلَّم...):**
هذا بيان وجه ذكره بالعظمة، وذلك لأنَّه انتسب إلى الله، وكل ما انتسب إلى الله صار عظيماً، لأنَّ الملك الحقيقي لله الواحد القهار، وكل حبل متصل بغيره فليس له عظمة حقيقية، بل قد تكون متوهمة.

بَابُ صِفَةِ الْعُلَمَاءِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: اطْلُبُوا الْعِلْمَ[١]، وَتَزَيَّنُوا مَعَهُ بِالْحِلْمِ وَالْوَقَارِ[٢]، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَهُ الْعِلْمَ[٣]،

الحديث الأول:

[١] **(اطلبوا العلم):**

قد مرّ في باب فرض العلم الحديث ٤ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «والعلم مخزون عند أهله وقد أُمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه».

[٢] **(تزينوا معه بالحلم والوقار):**

تخصيص هذين بالذكر لأنَّ طالب العلم يبتلى كثيراً بالجهال أو لأنَّه يخرج من الجهل فيلتفت إلى جهل الآخرين، فيحتاج إلى الحلم ليتزين به.

وكذلك ترتفع درجته فيحتاج إلى حفظها بالوقار.

وقوله عليه السلام: (تزينوا) إما بمعنى أضيفوا هذين الزينتين إلى زينة العلم.

وإما بمعنى أنَّ العلم أصل، وهذين كالزينة له.

[٣] **(تواضعوا لمن تعلّمونه العلم):**

إذ يتكبر الناس على من يحتاج إليهم ـ عادة ـ، وخاصة فيما يكون الاحتياج مستمراً، ولذا أمرنا بالتواضع للمتعلّم.

ومن فوائد ذلك: اتخاذه معلّمه أسوة، ولأنَّه يفتح الباب له للنقاش فلعلَّ المعلِّم استفاد منه وكذلك يفيده، ولأنَّ التلقي في الأجواء

وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ طَلَبْتُمْ مِنْهُ الْعِلْمَ[٤]، وَلَا تَكُونُوا عُلَمَاءَ جَبَّارِينَ[٥] فَيَذْهَبَ بَاطِلُكُمْ بِحَقِّكُمْ[٦].

الأخويَّة أفضل، ولأنَّ المتواضع يرفعه الله كما ورد في بعض الأحاديث(١) فيعظم المعلِّم في عين المتعلِّم، وغير ذلك من الفوائد.

[٤] **(لمن طلبتم منه العلم):**

سواء حين التعلم أم بعده، إذ في كثير من الأحيان يرتقي المتعلِّم إلى مراتب أعلى درجة ـ من جهة العلم أو المناصب ـ من المعلِّم، وقد يستنكف عن إعطاء معلِّمه حقّه.

وفي قوله: (تعلمونه) ـ بصيغة المضارع ـ، وقوله: (طلبتم) ـ بالماضي ـ، إشارة إلى أهم مواضع التواضع، فإنَّ تواضع المعلِّم يكون أهم حين تعليمه، وتواضع المتعلِّم يكون أهم بعد انتهاء التعلُّم.

[٥] **(جبارين):**

التجبر هو الدرجة العالية من التكبر فيكون الجبَّار أكثر تكبراً من المتكبّر ولذا يطلق عادة على الملوك ونحوهم لامتلاكهم أدوات التكبر وإظهاره أكثر من غيرهم. وفي العالِم قد تبرز هذه الصفة ـ إن لم يكن متقياً ـ لأنَّه بعلمه يتفوّق على الآخرين، فيمكنه التجبر بنفسه، أو بواسطة من يقربونه من الملوك ونحوهم.

[٦] **(باطلكم بحقّكم):**

«باطلكم» أي: تجبركم.

«بحقّكم»: أي بعلمكم، أو بحقوقكم، لأنَّ للعالم حقوقاً على الناس، فيذهب تجبُّره بحقوقه، أو بثوابكم لأنَّ الله تعالى جعل للعالم ثواباً ويبطله التكبر.

---

(١) الكافي: ج٢، ص ١٢٢، ح٣، باب التواضع.

٢ - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ النَّصْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ[١] مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] قَالَ: يَعْنِي بِالْعُلَمَاءِ[٢] مَنْ صَدَّقَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ[٣]، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ فِعْلُهُ قَوْلَهُ فَلَيْسَ

الحديث الثاني:

[١] **(إنما يخشى الله):**

الآية تدلُّ على أنَّ الخشية لا تصدر من غير العالم، بل حسب السياق وبمعونة الأخبار يُستفاد التلازم بين العلم والخشية.

فالعالم الذي لا يخشى ليس بعالم حقيقةً بل جامع معلومات العلم عنده مُستعار، فليس بمستقر في قلبه، وإلا لغلب هواه، كما يظهر من أخبار أُخر، لأنَّ المعرفة المستقرة كما تدعو إلى الإقرار باللِّسان تدعو إلى العمل بالأركان.

[٢] **(يعني بالعلماء):**

وهذا المعنى هو المراد عادة من كلمة العلماء في الأخبار.

[٣] **(صدَّق فعلُه قولَه):**

لأنَّ القول يكشف عن اعتقاد، فإذا لم يكن القول مطابقاً للاعتقاد فإنَّه كذب، وطريقة معرفة صدق القول ومطابقته للاعتقاد هو الفعل، فإنَّ الفعل يشهد على الصدق أو الكذب.

ولذا فمع أنَّه لا يحتمل في الإنشاء الصدق والكذب، لكن قد يُكَذَّب قائله، لأنَّه قد يكون لازم الإنشاء خبر، والتكذيب يرجع إلى ذلك الخبر كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾(١) فالشهادة هي إنشاء لكنَّها تكشف عن اعتقاد فهم يخبرون عن اعتقادهم لذا كذَّبهم تعالى.

---

(١) سورة المنافقون: الآية ١.

بِعَالِمٍ[٤].

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْقَمَّاطِ، عَنِ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقِّ الْفَقِيهِ[١]؟ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ

---

[٤] **(فليس بعالم):**

وإنَّما جامع معلومات وحافظها، وذاك ليس بالعالم الحقيقي، حتى وإن أُطلق عليه العالم في العرف.

الحديث الثالث:

[١] **(حق الفقيه):**

أي الجدير بأن يُسمّى فقيهاً، من إضافة الصفة إلى الموصوف أي (الفقيه الحق).

وهو إما بدل، أو منصوب بتقدير أعني، أو مبتدأ خبره الموصول في (من لم يقنط...).

وذلك لأنَّ الفاقد لبعض الأوصاف المذكورة ليس له فهم في الدِّين، فإنَّ الدِّين كامل متكامل، بعضه يكمل البعض، وبعضه يفسّر البعض، وفهم بعضه متوقف على فهم البعض الآخر، فإنَّ فيه العام والخاص، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والمحكم والمتشابه... إلى غير ذلك.

فلذا ردَّ الإمام الصادق عليه السلام على بعض العامة بأنَّه لا يعرف حرفاً من القرآن(١) لجهله بما سبق.

وإنَّما ذكر الإمام عليه السلام هذه الأوصاف الأربعة لأنَّ أكثر من تسمّى بالفقيه ـ كفقهاء العامة ـ فاقدون لهذه الأوصاف أو لبعضها، فكأنَّه تعريض بهم.

---

(١) قال عليه السلام: (وما ورثك الله من كتابه حرفاً) الوسائل ج ٢٧، ص ٤٨.

رَحْمَةِ اللَّهِ[٢]، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ[٣]، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ[٤]،

---

[٢] (لم يُقنط الناس من رحمة الله):

لأنَّ اليأس من روح الله من الكبائر، بل من أكبرها، ومن يفعل ذلك فإنَّما يفتح أبواب المعاصي، لأنَّ اليائس يفعل كل مخالفة لعدم رجائه الفوز أو النجاة.

عكس الخوارج حيث ضيّقوا الدين، وعكس المعتزلة حيث اعتبروا الوفاء بالوعيد واجباً وفاعل الكبيرة مخلَّد في النار.

[٣] (لم يؤمنهم من عذاب الله):

بأن يغريهم بالمعاصي، كالمرجئة الذين استهانوا بالمعاصي، وكذلك من يغري الناس بالمعاصي عبر إغرائهم بالشفاعة من غير أن يوضِّح لهم معنى الشفاعة وأنَّها لا تشمل إلَّا من ارتضاه الله تعالى، وأنَّ الأعمال السيئة قد توجب الكفر حين الموت كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾(١)، وأنَّ الشفاعة قد لا تشمل العاصي إلا بعد أن يعذب في البرزخ أو في نار جهنم أحقاباً وغير ذلك.

وأما الدعاء (وآمن سخطه عند كل شرّ) فالمعنى هو بيان حالة العاصي وأنَّه حين المعصية آمِن في نفسه وإلَّا لما عصى، أو أنَّ الشر ـ في هذا الدعاء ـ ليس بمعنى المعصية، أو الأمان من تعجيل العقوبة لا من أصلها.

[٤] (لم يرخص لهم في معاصي الله):

بالإفتاء بغير ما أنزل الله، أو الاستعجال في الإفتاء، أو الإفتاء حسب الأهواء، ونحو ذلك، كبعض المتصوفة الذين تركوا فروع الدين بزعمهم أنَّهم وصلوا إلى الدرجات العالية بحيث لا يحتاجون إلى العبادة! وكأنَّهم أفضل من النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام الذين لا تضاهي عبادة الناس عبادتهم، وواصلوها إلى حين وفاتهم.

---

(١) سورة الروم: الآية ١٠.

وَلَمْ يَتْرُكِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ[٥]، أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ[٦]، أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ[٧]، أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَكُّرٌ[٨].

---

[٥] **(لم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره):**

كالذي يستقي معارفه من كتب اليونان تاركاً القرآن، وكلَّما تعارض كلامهم مع القرآن قام بتأويل القرآن من غير هدى ولا كتاب منير، لأنَّه راغب عن القرآن.

وكبعض أدعياء الثقافة حيث يأخذون بما جاء من الشرق والغرب حتى إذا كان متعارضاً مع القرآن.

وكبعض من ينتسب إلى أهل العلم لا يعرف القرآن ويحصر نفسه في بعض البحوث العقلية أو غيرها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا﴾(١).

[٦] **(وليس فيه تفهم):**

أي يكون مجرد حفظ للأقوال من دون دراية وفهم، أو ليس بعلم حقيقي بل اتباع للوهم فليس فيه فهم حقيقي.

[٧] **(ليس فيها تدبر):**

التدبر هو الوصول إلى عمق الشيء، فقد يقرأ الإنسان وتكون قراءته مجرد لقلقة لسان، وقد يقرأ مع تفكُّر قد يوصله إلى حقائق.

[٨] **(ليس فيها تفكُّر):**

لأنَّ ذلك روح العبادة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبۡحَـٰنَكَ﴾(٢) وإلَّا تحوَّلت إلى طقوس لا تفيد كالخوارج لهم عبادات كثيرة باطلة.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾(٣) فإذا لم تنه فإنَّها ليست بالعبادة المطلوبة.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ، أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ، أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا فِقْهَ فِيهَا[٩]، أَلَا لَا خَيْرَ فِي نُسُكٍ لَا وَرَعَ فِيهِ[١٠].

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ النَّيْسَابُورِيِّ جَمِيعاً، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: إِنَّ مِنْ عَلَامَاتِ الْفِقْهِ[١] الْحِلْمَ[٢] وَالصَّمْتَ[٣].

---

[٩] (لا فقه فيها):
«الفقه» الفهم وعبادة بلا فهم لا فائدة فيها، أو الفقه بمعنى معرفة مسائل الشرع لأنَّ تلك العبادة تكون باطلة لخلل في أجزائها أو شرائطها أو وجود موانع وقواطع.

[١٠] (نسك لا ورع فيه):
النسك هو العبادة، ولعلَّ فرقه عن ما سبقه، أنَّ هذا ناظر إلى العامل بحيث يكون ورعاً، وذاك ناظر إلى نفس العمل حيث يكون واجداً للأجزاء والشرائط فاقداً للموانع والقواطع.

الحديث الرابع:

[١] (من علامات الفقه):
«الفقه» إما بمعنى (الفهم)، وإما بالمعنى المصطلح أي معرفة الحلال والحرام من الشرع، والأول أظهر، وعلى الثاني فإنَّ معرفة الحلال والحرام تسوق الإنسان إلى الحِلم والصمت لكي لا يقع في المحرمات.

[٢] (الحلم):
لأنَّه أحمد عاقبة فيكون علامة على الفهم، وكذلك لأنَّ عدم الحلم يسبّب الوقوع في المعاصي.

[٣] (الصمت):
أي كفّ اللِّسان عمَّا لا علم له به، وعن ما لا يعلم عاقبته ونتيجته، أو أنَّ

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لَا يَكُونُ السَّفَهُ[١] وَالْغِرَّةُ[٢] فِي قَلْبِ الْعَالِمِ.

٦ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام: يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ[١] لِي إِلَيْكُمْ حَاجَةٌ[٢] اقْضُوهَا

الإنسان الفَهِم لا يستعجل في الكلام بل يفكّر أولاً، ونتيجة ذلك الصمت كثيراً، إما لأنَّه يريد التفكُّر، أو لأنَّه لا يرى في التكلم صلاحاً، أو لغير ذلك.

الحديث الخامس:

[١] **(السفه):**

«السفه» لغة قلة العقل، ولعلَّ المراد به ـ هنا ـ الخفة والطيش بعدم الحلم.

[٢] **(الغِرَّة):**

بمعنى الغفلة، ولعلَّ المراد بها هنا عدم التفطن للشرور، كالانخداع بالآراء والأعمال الباطلة وكذلك الانخداع بالنفس والشيطان.

وخلاصة الحديث أنَّ العالم لا يكون طائشاً غير حليم، كما أنَّه لا ينخدع، ومن كان غير حليم أو يُخْدَع فهو ليس بعالم حقيقة.

الحديث السادس:

[١] **(الحواريين):**

أصله من «التحوير» أي التبييض، قيل: سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بإرشادهم، وقيل: لأنَّهم أُخلصوا ونُقُّوا من كل عيب فاستحقوا بأن يكونوا ملازمين لعيسى عليه السلام.

[٢] **(لي إليكم حاجة):**

وهذا من بديع الأسلوب، حيث إنَّه لو كان يطلب حاجته منهم ابتداءً فلعلَّهم

لِي، قَالُوا: قُضِيَتْ[٣] حَاجَتُكَ يَا رُوحَ اللَّهِ[٤] فَقَامَ فَغَسَلَ أَقْدَامَهُمْ[٥] فَقَالُوا: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا يَا رُوحَ اللَّهِ! فَقَالَ: إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْخِدْمَةِ الْعَالِمُ[٦]، إِنَّمَا

ما كانوا يقبلون، مع أنَّ الكمال كل الكمال هو إطاعة أولياء الله تعالى فيما أرادوا.

ولذا أخذ منهم وعداً بقضاء حاجته فلما أقرّوا ألزمهم بما لا يتمكنون من ردّه.

[٣] **(قُضيت):**

على المجهول، وذلك للتأدُّب، أو هو دعاء أي قضى الله حاجتك، وهذا الدعاء يتضمن قبول طلبه أيضاً، أو لأنَّه متحقق الوقوع فكأنَّهم قالوا الحاجة مقضية قطعاً.

[٤] **(روح الله):**

أي روح شرفت بأن نسبها الله إليه كما يقال بيت الله،ونحوه.

وستأتي في آخر كتاب التوحيد (باب الروح) الأحاديث في هذا المعنى.

[٥] **(فغسل أقدامهم):**

أي سكب الماء عليها، وفيه إشارة إلى أنَّ التواضع يلزم أن يكون في محلّه، وهنا المتواضع له: أولياء الله تعالى، وطريقة التواضع هي غسل الأقدام وذلك تنظيف محبوب لله تعالى.

أما التواضع المستلزم للكذب أو بالكذب، فهذا ليس تواضعاً حقيقة بل هو مبغوض.

وما فعله عيسى عليه السلام هو غاية في التواضع فقد جعل ذلك حاجة له واستأذن فيه وقال: إنَّه أحق به.

[٦] **(أحق الناس بالخدمة العالم):**

لأنَّه أعرف بحُسن الخدمة ومطلوبيتها، والعالم أحق الناس بالعمل بالمكارم لأنَّها أوجب عليه.

وقد يكون إضافة إلى ذلك فوائد أخرى تترتب على تواضع العالم.

تَوَاضَعْتُ هَكَذَا[٧] لِكَيْمَا تَتَوَاضَعُوا[٨] بَعْدِي فِي النَّاسِ كَتَوَاضُعِي لَكُمْ، ثُمَّ قَالَ عِيسَى عليه السلام: بِالتَّوَاضُعِ تُعْمَرُ الْحِكْمَةُ[٩] لَا بِالتَّكَبُّرِ، وَكَذَلِكَ فِي السَّهْلِ يَنْبُتُ الزَّرْعُ لَا فِي الْجَبَلِ.

منها: اقتداء الناس به وتعلّمهم منه.

ومنها: أنَّ دواعي التكبر في العالم أكثر، واحتياجه إلى التواضع أكثر.

ومنها: أنَّ وظيفة العالم الإرشاد والوعظ، والإرشاد العملي أكثر تأثيراً من القول كما عن الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم»[١].

ومنها: أنَّ العالم كالراعي فكما أنَّ أفضل الرعاة أكثرهم اهتماماً بالقطيع، كذلك العلماء يلزمهم خدمة الناس أكثر شفقة بهم، ومن مصاديق الخدمة وعظهم وإرشادهم وكذلك قضاء حوائجهم.

[٧] **(إنَّما تواضعت هكذا)**:

بيان لجهة تواضعه أنَّه أراد تعليمهم عملاً، وإلا فهو أحق بخدمتهم له من سائر الجهات.

[٨] **(لكيما تتواضعوا)**:

أي فَعَل مصداقاً جلياً من التواضع، حتى لا يستنكفوا من أي تواضع آخر، فإنَّ كل تواضع يمكن أن يصدر منهم فهو دون هذا التواضع.

[٩] **(تعمر الحكمة)**:

لأنَّ الحكمة لا تؤثر في القلوب القاسية عادة بل تبقى مجرد كلام، فبالتواضع تلين القلوب، فتستعد لقبول كلام العالم، وحينذاك يكون قبولهم للإرشاد أسهل.

وأيضاً كثيراً ما تكون الحكمة في أماكن قد يستنكف الإنسان من الذهاب إليها وتعلمها، لبعض القيود الاجتماعية أو التوهمات النفسية، فبالتواضع يتمكن الإنسان من الوصول إلى الحكمة ومصادرها وتعلمها وذلك إعمارها.

---

(١) الكافي: ج٢، ص ٧٨، ح ١٤، باب الورع.

٧ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبَدٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: يَا طَالِبَ الْعِلْمِ إِنَّ لِلْعَالِمِ[١] ثَلَاثَ عَلَامَاتٍ: الْعِلْمَ[٢] وَالْحِلْمَ وَالصَّمْتَ، وَلِلْمُتَكَلِّفِ ثَلَاثَ عَلَامَاتٍ: يُنَازِعُ مَنْ فَوْقَهُ[٣] بِالْمَعْصِيَةِ[٤]، وَيَظْلِمُ مَنْ دُونَهُ

يمكن أن يكون المراد: تعمر القلوب بالحكمة فحذف القلوب، لأنَّ التمثيل بالزرع دليل عليه.

الحديث السابع:

[١] **(العالم) (المتكلف):**

«العالم» هو العالم الحق الذي استقر العلم في قلبه.

و«المتكلف» هو جامع المعلومات والذي لم يستقر العلم في قلبه.

ويُعلم كل واحد منهما بعمله، لأنَّ العمل يكشف عمَّا في القلب، والصفات النفسانية لا يمكن معرفتها إلا عبر ظواهرها، مثلاً العدالة هي ملكة نفسانية والدال عليها حسن الظاهر.

[٢] **(العلم):**

أي تعرف أنَّه عالم عن طريق علمه، لا عن طريق الإشاعات والأجواء والشياع الكاذب.

[٣] **(من فوقه):**

منهم من تجب إطاعته شرعاً، كالأنبياء والأوصياء والعلماء.

ومنهم من يلزم احترامه وتوقيره، كالأب والمعلِّم.

[٤] **(بالمعصية):**

لأنَّ المعصية وعدم الإطاعة هي نوع نزاع، فإذا قال من فوقه شيئاً خالفه هذا، كما في المنازعات حيث يخالف أحدهم الآخر.

بِالْغَلَبَةِ[٥]، وَيُظَاهِرُ[٦] الظَّلَمَة.

---

[٥] **(بالغلبة):**
أي ظلمه عبر غلبته واستيلائه عليه.
ومثاله أن لا يقبل كلام من دونه إذا كان حقاً، وذلك لأنَّ من دونه ضعيف عدداً أو عدة أي أضعف حسب الموازين الدنيوية.

[٦] **(يُظاهر):**
أي يعاونهم وينصرهم وينتصر لهم، فيكون ظهراً لهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَظَٰهَرُوا عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾(١).

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ٩.

بَابُ حَقِّ الْعَالِمِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَعْفَرِيِّ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ أَنْ لَا تُكْثِرَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ[١]، وَلَا تَأْخُذَ بِثَوْبِهِ[٢]، وَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً وَخُصَّهُ

الحديث الأول:

[١] **(لا تكثر عليه السؤال):**

أي تنتظر حتى هو يفيض عليك من العلم، لأنَّه حينئذٍ يكون النفع أكثر، إذ ما يقوله العالم ابتداءً يكون عادة عن مراجعة وتحضير وتفكير فيكون كلامه أنفع، مضافاً إلى أنَّ العالم يقول ما يفيد المستمع وما يقتضي الحال لأنَّه أكثر التفاتاً من السائل ـ عادة ـ.

ويدلُّ على هذا المعنى تتمة الحديث حيث قال عليه السلام: فإنَّما مثل العالم مثل النخلة. . .الخ.

ذُكرت تأويلات أخرى:

منها: الإكثار من السؤال بقصد الإضرار ليظهر خطأه أو عجزه.

ومنها: السؤال أكثر ممَّا يحتاج السائل إليه فلا يعمل به ولا يحفظه ولا يضبطه.

[٢] **(ولا تأخذ بثوبه):**

كناية عن الإلحاح في الطلب.

أو بمعنى أنَّه إذا أراد النهوض يأخذ بثوبه التماساً لبقائه أكثر.

بِالتَّحِيَّةِ دُونَهُمْ[٣]، وَاجْلِسْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا تَجْلِسْ خَلْفَهُ[٤] وَلَا تَغْمِزْ بِعَيْنِكَ[٥] وَلَا تُشِرْ بِيَدِكَ[٦]، وَلَا تُكْثِرْ مِنَ الْقَوْلِ: قَالَ فُلَانٌ وَقَالَ فُلَانٌ خِلَافاً لِقَوْلِهِ، وَلَا تَضْجَرْ بِطُولِ صُحْبَتِهِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الْعَالِمِ[٧] مَثَلُ النَّخْلَةِ تَنْتَظِرُهَا حَتَّى

---

[٣] **(خصّه بالتحية دونهم):**

لعلَّ المراد هو جعل ميزة له عليهم إكراماً له وليتبين فضله عليهم.

وقيل إنَّه بمعنى لا يكون ثناؤك على غيره كثنائك عليه، بل تزيده ثناءً.

[٤] **(ولا تجلس خلفه):**

حتى لا يحتاج إلى الالتفات بوجهه أكثر من المتعارف، فإنَّ في ذلك كلفة ومشقة عليه وينافي الاحترام.

وأما الجلوس بين يديه فهو تواضع له، ولا يوجب كلفة عليه في الخطاب.

[٥] **(ولا تغمر بعينك):**

الغمز: هو الإشارة بالعين.

لم يذكر المغموز إليه، ليفيد العموم، فلم يقل لا تغمز إليه أو إلى غيره أو إلى شيء، فيدخل كل ذلك في المنهي عنه، إذ الإشارة بالعين في حضوره خلاف الأدب.

[٦] **(ولا تشر بيدك):**

كذلك عام ـ لحذف المتعلق ـ أي لا تشر إليه سواء في كلامك مع غيره لتعيينه، أو عند المباحثة معه، أو لغير ذلك من الجهات، فإنَّه خلاف الاحترام.

[٧] **(فإنَّما مثل العالم):**

يحتمل أن يكون تعليل للفقرة الأخيرة أي لا تضجر من طول صحبته، فإنَّه في كل لحظة يمكن أن يفيض عليك علماً.

ويمكن أن يكون تعليل لكل ما سبق، أي كما يعتني الإنسان بالنخلة لينال ثمرتها كذلك ينبغي احترام العالم للاستفادة من علمه.

يَسْقُطَ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ، وَالْعَالِمُ أَعْظَمُ أَجْراً[٨] مِنَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

---

[٨] **(أعظم أجراً)**:

لأنَّ الصائم القائم يُنقذ نفسه، والعالم ينقذ نفسه وينقذ غيره ما دام علمه جارياً في اللاحقين، ثم الغازي ـ ما دام حياً ـ يدفع عدو الأبدان، والعالم ـ حياً وميتاً ـ يدفع إبليس ومردته في شبهاتهم حول الدِّين.

بَابُ فَقْدِ الْعُلَمَاءِ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبَّ[١] إِلَى إِبْلِيسَ[٢] مِنْ مَوْتِ فَقِيهٍ.

الحديث الأول:

[١] **(أحب)**:

دلَّ على أنَّ موت أي مؤمن محبوب لإبليس، لكن موت العالم الفقيه أحبّ إليه.

[٢] **(إبليس)**:

في القرآن الكريم كلما ذكر إبليس أمام الله تعالى جاء بهذا الاسم لأنَّ إبليس من الإبلاس أي القنوط والشقاوة.

وكلما ذكر أمام الناس جيء بلفظ الشيطان من الشيطنة ومحاولة التخريب والإضلال.

وهنا بعد موت المؤمن لا معنى للشيطنة فلذا جيء بلفظ إبليس.

وإنَّما يحب إبليس موت المؤمن ـ مع أنَّ الموت راحة للمؤمن وانتقاله إلى النعيم ـ لأنَّ إبليس أخذ على عاتقه إغواء الناس، فوجود المؤمن دليل على فشل إبليس في إغوائه مضافاً إلى أنَّ إبليس عدو المؤمنين.

وأما الفقيه فإنَّه مضافاً إلى إيمانه يتسبب في نشر الفضيلة والإيمان في صفوف الناس.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ الْفَقِيهُ، ثُلِمَ فِي الْإِسْلَامِ ثُلْمَةٌ[١] لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ[٢].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ[١] بَكَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ[٢] وَبِقَاعُ الْأَرْضِ[٣] الَّتِي كَانَ يَعْبُدُ

الحديث الثاني:

[١] **(ثلمة):**
الفرجة في الحائط والسور.
فالإسلام له حصن هم الفقهاء، فموت فقيه كأنّه انهدام جزء من السور.

[٢] **(لا يسدّها شيء):**
لأنَّ كل فقيه يكون في موقعه لا في موقع غيره، فإذا مات أحدهم لا يمكن للآخر سدّ موقع الميت، لأنَّ الآخر يسدّ موقع نفسه.
وقيل إنَّ في بعض الأحاديث استثناء (إلا خلف منه)(١) فيكون بمعنى من يأتي من بعده، ويخلفه في عمله وموقعه.

الحديث الثالث:

[١] **(المؤمن):**
المراد به الفقيه كما يُستظهر من آخر الحديث.

[٢] **(بكت عليه الملائكة):**
ظاهره جميع الملائكة، لا خصوص الموكلين بأعماله.
وبكاؤهم قد يُراد به معناه الحقيقي، أو بمعنى الحزن، أو بمعنى آثار الحزن.

[٣] **(بقاع الأرض):**
بكاؤها، وكذلك بكاء أبواب السماء، كناية عن هول المصيبة وشدتها.

---

(١) الإرشاد: ج١، ص ٢٣٠.

اللَّهَ عَلَيْهَا[٤]، وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ الَّتِي كَانَ يُصْعَدُ فِيهَا بِأَعْمَالِهِ[٥]، وَثُلِمَ فِي الْإِسْلَامِ ثُلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَهَاءَ حُصُونُ الْإِسْلَامِ كَحِصْنِ سُورِ الْمَدِينَةِ لَهَا.

٤ ـ وَعَنْهُ، عَنْ أَحْمَدَ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبَّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنْ مَوْتِ فَقِيهٍ.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ عَمِّهِ يَعْقُوبَ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ أَبِي كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ[١]

أو بحذف المضاف أي أهل البقاع والأبواب، كما روي أنَّه لم يبك على الحسين البصرة ودمشق(١) أي أهلهما، وأهل البقاع والأبواب هم الملائكة والمؤمنون من الجن والإنس والأرواح وغيرهم.

[٤] **(يعبد الله عليها):**

بصيغة المعلوم أي البقاع التي كان يَعبد فيها هذا المؤمن.

ويمكن أن يكون بصيغة المجهول، أي جميع البقاع التي يُعبد فيها الله تعالى، ولكن يبعِّد هذا الاحتمال لفظه (كان).

[٥] **(يصعد فيها بأعماله):**

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٢).

الحديث الخامس:

[١] **(لا يقبض العلم):**

لأنَّ النفس القابلة للعلم الحق، هي نفس متكاملة، استحقت بأن يفيض الله

---

(١) كامل الزيارات، ص ١٦٦.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

بَعْدَ مَا يُهْبِطُهُ[٢]، وَلَكِنْ يَمُوتُ الْعَالِمُ فَيَذْهَبُ بِمَا يَعْلَمُ[٣]، فَتَلِيهِمُ[٤] الْجُفَاةُ[٥] فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ[٦] وَلَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ[٧].

العلم عليها، فلذا لا يسلب الله العلم من العالم الحقيقي.

نعم قد يزول العلم بزوال محله وهو موت العالم.

[٢] **(يهبطه):**

فيه دلالة على أنَّ العلم الحقيقي ينزله الله تعالى كما قيل: (ليس العلم بكثرة التعليم والتعلُّم ولكنَّه نور يقذفه الله في قلب من يشاء)، ولا يشاء الله تعالى إلَّا إذا كان صاحب القلب قابلاً بأن يعطي كل وقته للعلم، ويكون متقياً وتابعاً للعلماء الحقيقيين.

[٣] **(فيذهب بما يعلم):**

فيه دلالة على أنَّ الموت لا يسبب زوال علم العالم بل يبقى العلم معه، ويمكن أن يكون كناية.

[٤] **(فتليهم):**

من الولاية أي بعد موت العالم يلي الأمر الجفاة، وذلك لأنَّه في كثير من الأحيان يحلّ محل العالم من لا قابلية له ولا أهلية، ولكن حلَّ محلّه لبعض الاعتبارات كالنسب أو تدخل أهل النفوذ والسلطة، فتأمل.

[٥] **(الجفاة):**

جمع جافي من الجفاء بمعنى البُعد، والمقصود بالجفاة: البعداء عن العلم والآداب الحسنة، أصحاب القلوب القاسية.

[٦] **(فيَضِلّون ويُضلّون):**

ضلالهم لبعدهم عن العلم، وإضلالهم لأنَّ الناس أتباع من يلي أمورهم، ولذا قيل (الناس على دين ملوكهم).

[٧] **(ليس له أصل):**

الأصل الجذر، وكأنَّه إشارة إلى أنَّ هؤلاء الجفاة ليس لهم جذور فلا خير فيهم.

ويمكن أن يكون المراد بالأصل: العلم، فلا خير في ولاية لا علم فيها، لأنَّها سبب الضلال والإضلال.

٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّهُ يُسَخِّي[١] نَفْسِي فِي سُرْعَةِ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ فِينَا قَوْلُ اللَّهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا[٢] مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١] وَهُوَ ذَهَابُ الْعُلَمَاءِ.

الحديث السادس:

[١] (يسخّي):

فيها نسختان:

١ ـ يُسخّي ـ من باب التفعيل ـ.

فـ(نفسي) مفعول، وفاعله (قول الله).

أي قول الله تعالى يجعل نفسي سخيَّة في سرعة الموت والقتل فينا، وذلك لأنَّ نقصان الأرض من أطرافها هي التحاقهم بالرفيق الأعلى ولقاء الله تعالى، بل هو المتولي لقبض أرواحهم عليهم السلام، والآية أوّلت بموت العلماء الحق(١).

٢ ـ تَسخىٰ ـ من الثلاثي المجرد ـ.

فتكون (نفسي) فاعل من غير حاجة لمفعول لأنَّ الفعل لازم، و(فينا) خبر لمبتدأ هو (قول الله).

فالمعنى إنِّي لا أخاف من الموت ولا من القتل، وذلك لنزول هذه الآية فينا فتكون جملة (فينا قول الله) علَّة للسخاء.

[٢] (ننقصها):

في الوافي (أطراف الأرض): الأشراف والعلماء.

ويمكن أن يكون المراد أنَّ الأئمة عليهم السلام هم الواسطة بين الأرض والسماء فكأنَّهم أطراف الأرض أي الطرف المتصل بالسماء.

---

(١) راجع تفسير البرهان، ج٥، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

بَابُ مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ وَصُحْبَتِهِمْ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ اخْتَرِ الْمَجَالِسَ عَلَى عَيْنِكَ[١] فَإِنْ رَأَيْتَ قَوْماً يَذْكُرُونَ اللَّهَ[٢] جَلَّ وَعَزَّ فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، فَإِنْ تَكُنْ عَالِماً نَفَعَكَ عِلْمُكَ[٣]، وَإِنْ تَكُنْ جَاهِلاً عَلَّمُوكَ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُظِلَّهُمْ[٤] بِرَحْمَتِهِ

الحديث الأول:

[١] **(على عينك):**
المراد بالعين (البصيرة)، أي اخترها على بصيرة، كمن يختار الجيد والرديء من الماديات برؤيتها بعينه.
أو بمعنى رجّحها على عينك.

[٢] **(يذكرون الله):**
«يذكرون» إما حال فالمعنى يذكرون كل ما هو في طريق الله ويؤتى به حسب أمره حيث إنه ذكر لله تعالى.
وإما «يذكرون» صفة للقوم، أي قوم صفتهم أنَّهم غير ناسين لله بل ذاكرين له، فيكون المراد قوم مؤمنين.

[٣] **(نفعك علمك):**
لأنَّك ستشاركهم في ذكر الله تعالى فتُعلِّمهم، أو يتركز علمك في قلبك بالمذاكرة، أو تستفيد علماً ـ لأنه قد يجري كلام لا يفهمه أهل العلم ـ.

[٤] **(يظلّهم):**
مجاز، بمعنى ينزل رحمته عليهم، كالمظلة التي تقي الحرّ ـ مثلاً ـ.

فَيَعُمَّكَ مَعَهُمْ، وَإِذَا رَأَيْتَ قَوْماً لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُمْ، فَإِنْ تَكُنْ عَالِماً لَمْ يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ[٥]، وَإِنْ كُنْتَ جَاهِلاً يَزِيدُوكَ جَهْلاً[٦]، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُظِلَّهُمْ بِعُقُوبَةٍ فَيَعُمَّكَ مَعَهُمْ[٧].

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى جَمِيعاً، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ دُرُسْتَ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: مُحَادَثَةُ الْعَالِمِ عَلَى الْمَزَابِلِ خَيْرٌ مِنْ مُحَادَثَةِ الْجَاهِلِ عَلَى الزَّرَابِيِّ[١].

ويقال: أظلّه، أي دنا منه كأنّه ألقى بظلاله عليه.

[٥] **(لم ينفعك علمك):**
لأنّك تكون عالماً ضاع بين جهّال.

[٦] **(يزيدوك جهلاً):**
لأنّهم يقولون من جهلهم أموراً كنت غافلاً عنها، فيضيفون جهلهم إلى جهلك.

[٧] **(فيعمّك معهم):**
لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾(١).

الحديث الثاني:

[١] **(الزرابي):**
جمع زُرَب، وهو نوع من الثياب الفاخرة، ثم استعير لما يتكأ عليه، وقيل جمع زُربى أو زُربيّة، كل ما بُسط واتكيء عليه من الوسادة والبساط، وعادة تكون فاخرة.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٥.

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ شَرِيفِ بْنِ سَابِقٍ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ أَبِي قُرَّةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «قَالَتِ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى: يَا رُوحَ اللَّهِ! مَنْ نُجَالِسُ؟ قَالَ: مَنْ يُذَكِّرُكُمُ[١] اللَّهَ رُؤْيَتُهُ[٢]، وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَيُرَغِّبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ».

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «مُجَالَسَةُ أَهْلِ الدِّينِ[١]

الحديث الثالث:

[١] **(من يذكركم):**
هذه صفات العالم العامل بعلمه وهي مرتبة.
١ ـ الرؤية. ٢ ـ الكلام. ٣ ـ العمل.

[٢] **(رؤيته):**
التذكير إما بأثر غيبي لوجود نور الإيمان في وجهه، ولذا روي النظر إلى وجه العالم عبادة(١).
وإما بأثر طبيعي لأنَّ نفسية الإنسان تنعكس في وجناته، فلذا يمكن بسهولة تمييز المحزون من المسرور، ولذا قال تعالى: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾(٢)، وفي الحديث (ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)(٣).

الحديث الرابع:

[١] **(أهل الدين):**
يشمل جميع المتدينين، ومصداقهم الأبرز العلماء، وإنما جعله في هذا الباب للتلازم بين الدين والعلم ـ عادة ـ.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٩٦، ص ١٤٦، ح ١٧، باب ٢١.
(٢) سورة المطففين: الآية: ٢٤.
(٣) نهج البلاغة: ج٤، ص ٧، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام، ح ٢٦.

شَرَفُ[٢] الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ مِسْعَرِ بْنِ كِدَامٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: لَمَجْلِسٌ[١] أَجْلِسُهُ إِلَى[٢] مَنْ أَثِقُ بِهِ[٣]، أَوْثَقُ فِي نَفْسِي[٤] مِنْ عَمَلِ سَنَةٍ.

---

[٢] **(شرف):**

بمعنى الرفعة، ولذا يقال لعالي النسب: شريف، أما الرفعة في الدنيا: فلمكانة العلماء عند الناس ـ حتى وإن كانوا من أصول عادية ـ، وأما الرفعة في الآخرة فلأن العلم يدعو إلى العمل وذلك يوجب نيل الدرجات الرفيعة.

الحديث الخامس:

[١] **(لمجلس):**

«مجلس» إما مصدر ميمي بمعنى جلوس أجلسه، والضمير في أجلسه في موضع المفعول المطلق. أي أجلس جلوساً.

وإما اسم مكان، أي الموضع الذي أجلس فيه.

[٢] **(إلى):**

بمعنى (مع) أي أجلس مع من أثق به، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾(١).

[٣] **(أثق به):**

بأن لا يفشي الأسرار، ويكون محلاً للاطمئنان من غير حاجة إلى التقيّة.

[٤] **(أوثق في نفسي):**

لعلَّ المراد أنَّ الجلوس مع من لا يُتقى منه يتسبب في أن يعلِّمه الإمام عليه السلام

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦.

أحكام الشرع والمعارف من غير تقية، في حين أنَّ عمل سنة مع تقية ليس فيه ذلك التعليم.
وعليه يكون معنى (أوثق) أحب أي هذا المجلس أحب إليَّ من عمل سنة.

بَابُ سُؤَالِ الْعَالِمِ وَتَذَاكُرِهِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ، عَنْ مَجْدُورٍ[١] أَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ فَغَسَّلُوهُ فَمَاتَ. قَالَ: قَتَلُوهُ[٢]، أَلَّا سَأَلُوا[٣] فَإِنَّ دَوَاءَ الْعِيِّ[٤] السُّؤَالُ[٥].

الحديث الأول:

[١] **(مجدور):**

الذي به الجُدَري، والماء كالسم القاتل لهذا الداء، ووظيفة من ابتلي به: التيمم.

[٢] **(قتلوه):**

أي أعان على قتله من أفتى بوجوب الغسل عليه، أو من غسله.

[٣] **(ألا سألوا):**

«ألا» بتخفيف اللام، للتوبيخ أي لماذا لم يسألوا؟

وقُرئت بتشديد اللام وهي حرف تحضيض مثل (هلّا)، وإن دخلت على الماضي أفادت معنى التوبيخ.

[٤] **(العِي):**

العجز، ويُراد به هنا الجهل وعدم الاهتداء للحكم الشرعي.

[٥] **(السؤال):**

أي يسأل الإنسان عمّا لا يعلم، هذا في العلوم الاكتسابيّة.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ زُرَارَةَ وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ وَبُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالُوا: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لِحُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ فِي شَيْءٍ سَأَلَهُ: إِنَّمَا يَهْلِكُ النَّاسُ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْأَلُونَ[١].

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ عَلَيْهِ قُفْلٌ وَمِفْتَاحُهُ الْمَسْأَلَةُ.

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مِثْلَهُ.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْأَحْوَلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَا يَسَعُ النَّاسَ[١]

الحديث الثاني:

[١] **(لا يسألون):**
فيه ردّ على مَن يتصور أنَّه يحصل على العلوم عبر الرياضات الروحية والأذكار ونحوها، فإنَّ الطريق منحصر في طلب العلم، وهو يتوقف على السؤال عادة.
والمسؤول عنه لا بدَّ أن يكون حجَّة الله، أو من ينتهي علمه إلى الحجَّة، أو الثقة المخبر عن الحجَّة.
وإنما يهلكون بعدم السؤال، لأن الجاهل المقصّر لا يُعذَر في جهله، فلذا هو العالم غير العامل سواء.

الحديث الرابع:

[١] **(لا يسع الناس):**
أي ليس لهم عذر في ذلك، لأنَّ الذي في سعة ويقبل عذره كما في قوله: (الناس في سعة ما لم يعلموا)(١).

---

(١) عوالي اللآلي: ج١، ص ٤٢٤.

حَتَّى يَسْأَلُوا وَيَتَفَقَّهُوا وَيَعْرِفُوا إِمَامَهُمْ[٢]. وَيَسَعُهُمْ أَنْ[٣] يَأْخُذُوا بِمَا يَقُولُ وَإِنْ كَانَ تَقِيَّةً.

٥ ـ عَلِيٌّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «أُفٍّ[١] لِرَجُلٍ لَا يُفَرِّغُ

---

[٢] (يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا إمامهم):

الأمور الثلاثة مرتبة:

أي في المرحلة الأولى عليهم السؤال عن الإمام عليه السلام ليعرفوه.

ثم لا يأخذوا الجواب إلا بعد أن يفهموه فهماً صحيحاً.

ونتيجة ذلك هو أنَّهم يعرفوا إمامهم عليه السلام.

فإنَّه في تلك الأزمنة كانوا كثيراً ما لا يعرفون الإمام اللاحق، وخاصة في فترات التقية، ولمن كانوا في الأماكن البعيدة، وغير الخواص، فلذا بعد موت إمام كان عليهم معرفة الإمام اللاحق عبر السؤال والفهم ليعرفوه.

ويمكن أن يكون (يعرفوا إمامهم) بمعنى (يعرفوه عن إمامهم) فيكون المعنى: ولا يسعهم ولا يكفيهم أن يأخذوا بما لم يتفقهوا فيه ولم يعرفوه عن إمامهم وإن وافق الحق الصريح الذي لا تقية فيه، ـ كذا في المرآة ـ، ولعلَّه لأنَّ الأخذ عن الإمام له موضوعية فلا يكفي مجرد العلم بالصحيح، فيكون العلم موضوعياً لا طريقياً، أو لعلَّه لأنَّ وظيفة الإنسان العمل بما يقوله الإمام فإن كان زمان التقية فلا يجوز له تركها.

[٣] (ويسعهم أن...):

أي إذا كان كلام الإمام عليه السلام تقية ولم يتنبهوا لها، أو تنبهوا لها لكنَّه كان يبيّن لهم تكليفهم، فإنَّه يسعهم الأخذ بما يقول حتى وإن كان خلاف الحق وذلك لأنَّ التقية رافعة للتكاليف الأولية.

الحديث الخامس:

[١] (أُف):

كلمة تضجُّر وتكرّه، فالمعنى أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله يكره هذا الرجل أو يكره عمله،

نَفْسَهُ[٢] فِي كُلِّ جُمُعَةٍ[٣] لِأَمْرِ دِينِهِ فَيَتَعَاهَدُهُ[٤]، وَيَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ». وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: لِكُلِّ مُسْلِمٍ.

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: تَذَاكُرُ الْعِلْمِ[١] بَيْنَ

ويجوز في الفاء الضم والفتح والكسر مع التنوين وبدونه، والأكثر الكسر مع التنوين، كقوله تعالى: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(١) وقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾(٢)، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾(٣).

[٢] **(لا يفرغ نفسه):**

يفرِّغ من باب التفعيل.

والتفريغ هو ترك الأمور الدنيوية التي تشغله عن أمر الآخرة.

[٣] **(في كل جمعة):**

إمَّا المراد اليوم المعهود الذي يسبق يوم السبت.

وإما يُراد به يوماً من الأسبوع فيكون المعنى (في كل أسبوع يوماً).

[٤] **(فيتعاهده):**

الضمير راجع إلى (أمر الدين)، أي يتعاهد أمر الدين، والتعاهد هو تجديد العهد، بمعنى أن يجدّد عهده بما يعرفه من مسائل وأمور حتى لا ينساها بالبُعد، وأما ما لا يعرفه فقد ذكره صلى الله عليه وآله في قوله: «ويسأل عن دينه».

الحديث السادس:

[١] **(تذاكر العلم):**

من التفاعل، بأن يذكر كل واحد منهم للآخرين شيئاً من العلم فيتشاركون فيه.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٦٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٧.

عِبَادِي مِمَّا تُحْيَى عَلَيْهِ[٢] الْقُلُوبُ الْمَيْتَةُ إِذَا هُمُ انْتَهَوْا فِيهِ إِلَى أَمْرِي[٣].

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً أَحْيَا الْعِلْمَ[١]. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا إِحْيَاؤُهُ؟ قَالَ: أَنْ يُذَاكِرَ بِهِ أَهْلَ الدِّينِ وَأَهْلَ الْوَرَعِ[٢].

---

[٢] **(تُحيى عليه):**
من باب الإفعال بالمجهول.
أي تذاكر العلم سبب لحياة القلوب الميتة. و(عليه) بمعنى الباء أي تحيىٰ بسببه، بمعنى الاستعلاء فيكون التذاكر كالأرضية التي تكون الحياة عليها.

[٣] **(إلى أمري):**
الأمر بمعنى الشأن.
أي نتيجة التذاكر هو ما كان من أمر الله تعالى، فيكون المعنى أنَّهم خلصوا إلى ما يرضي الله تعالى من العلم وثم العمل.

الحديث السابع:

[١] **(أحيا العلم):**
لأنَّه كالميت إذا انحصر في بطون الكتب أو في قلب العالم فقط، فيكون إخراجه إلى النور إحياء له كالأرض الميتة التي لها قابلية، فينزل عليها الماء فتنبت، فيكون إنباتها إحياء لها.

[٢] **(أهل الدين وأهل الورع):**
لأنَّ غيرهم يحرّفون الكلم عن مواضعه فلا يكون فائدة في مذاكرتهم، بل قد يكون ضرره أكثر من نفعه، فقلوب هؤلاء كالمزبلة إذا نزل عليها المطر تصاعدت الرائحة الكريهة.
أما أهل الدين وأهل الورع فإنَّهم الأرض الخصبة القابلة.
و«أهل الورع» من عطف الخاص على العام.

٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَجَّالِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَذَاكَرُوا وَتَلَاقَوْا وَتَحَدَّثُوا[١] فَإِنَّ الْحَدِيثَ جِلَاءٌ لِلْقُلُوبِ[٢]، إِنَّ الْقُلُوبَ لَتَرِينُ[٣] كَمَا يَرِينُ السَّيْفُ[٤]، جِلَاؤُهَا الْحَدِيثُ».

٩ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبَانٍ، عَنْ مَنْصُورٍ الصَّيْقَلِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: تَذَاكُرُ الْعِلْمِ، دِرَاسَةٌ[١].

الحديث الثامن:

[١] **(تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا):**
لعله مرتب حسب التعليم والتعلُّم.
فأولاً: تذاكروا بمعنى تعلّموا، بالمذاكرة مع العلماء.
وثانياً: تلاقوا مع إخوانكم المؤمنين.
وثالثاً: علّموهم ممَّا تعلَّمتم.

[٢] **(جلاء للقلوب):**
أي صقل لها، والمراد أنَّ الحديث آلة الصقل، وجيء بالمصدر بدل اسم الفاعل للمبالغة، كما في (زيد عدل).

[٣] **(ترين):**
أي يتعلق بها (الرين) وهو الوسخ.

[٤] **(يرين السيف):**
أي يصدأ، والصدأ وسخ الحديد يُزال بالصقل.

الحديث التاسع:

[١] **(دراسة):**
الدراسة هي تعهد الشيء كيلا ينساه، كما روي.

وَالدِّرَاسَةُ صَلَاةٌ حَسَنَةٌ[٢].

(تدارسوا القرآن) أي: اقرؤوه وتعهدوه لئلا تنسوه[١].
وأصله من الاندراس لأن مراجعة الكتاب كثيراً يجعله معرّضاً للاندراس.
وهنا تذاكر العلم يمنع من نسيانه، فيثبت المطلب في البال والذهن عبر الدراسة.

[٢] **(صلاة حسنة):**
أي ثوابها ثواب الصلاة الحسنة التي روعيت شرائطها وأجزائها وروعيت عدم موانعها وقواطعها.
ويمكن أن تكون الصلاة بمعناها اللغوي أي الدعاء، فيكون المراد أنَّ الدراسة دعاء حسن لأنَّه يترتب عليها من الفوائد ما يترتب على الدعاء.

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ج٢، ص ١١٣.

بَابُ بَذْلِ الْعِلْمِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَرَأْتُ فِي كِتَابِ عَلِيٍّ[١] عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ عَلَى الْجُهَّالِ عَهْداً بِطَلَبِ الْعِلْمِ، حَتَّى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ عَهْداً بِبَذْلِ الْعِلْمِ لِلْجُهَّالِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ كَانَ قَبْلَ الْجَهْلِ[٢].

الحديث الأول:

[١] **(قرأت في كتاب علي):**

وهو موجود عند الأئمة عليهم السلام وفيه الأحكام والأخبار بما كان وما يكون وما هو كائن وغيرها.

وقد اشتهر ذلك حتى أنَّ العامة روته أنَّه كان له في غلالة سيفه[١] لكنَّهم حاولوا تقليل شأنه.

[٢] **(لأنَّ العلم كان قبل الجهل):**

فالعالم إذاً قبل الجاهل فأخذ العهد منه يكون أسبق.

وكون العلم قبل الجهل يحتمل وجوهاً:

١ ـ إنَّ آدم عليه السلام كان قبل ولده، وقد علَّمه الله تعالى الأسماء كلها.

٢ ـ إنَّ العلم أشرف فله التقدم الرتبي على الجهل.

٣ ـ الجهل أمر عدمي وهو عدم العلم، فكان العلم مبيناً وموجوداً في بطون الكتب، قبل أن يولد الجاهل.

---

(١) بصائر الدرجات: ص ١٦٩، الحديث ١٥.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَمُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ[١] لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨] قَالَ: لِيَكُنِ النَّاسُ عِنْدَكَ فِي الْعِلْمِ سَوَاءً[٢].

---

٤ ـ أو بمعنى أن تقدير العلم ـ في اللوح ـ كان قبل تقدير الجهل، ولذا تقدم العلم وأحكامه، على الجهل وما يتفرع عليه.

أو لغير ذلك.

الحديث الثاني:

[١] **(ولا تُصعِّر خدَّك):**

التصعير هو إمالة الخد تكبراً. فالمعنى لا تُعرض بوجهك عن الناس تكبراً.

ومن أجلى مصاديق هذه الآية هو عدم التكبر على طلبة العلم ولمن يريد تعليمك أو لمن تريد تعليمه.

وفي الوافي: إن العالم إذا التفت إلى بعض تلاميذه دون بعض، أو استنكف عن تعليم البعض أو نصحه، فكأنه مال بوجهه عنه أو تكبّر، ويؤيد هذا التأويل صدور الخطاب من لقمان الحكيم إلى ابنه، وأصحابه ـ أي أصحاب الابن ـ لم يكونوا إلا طلاب العلوم فكأنَّه نصحه بأن يسوي بينهم في الإفادة والإرشاد[١].

[٢] **(في العلم سواء):**

يحتمل وجوهاً:

منها: ما مرّ عن الوافي من التسوية في الإفادة والإرشاد.

ومنها: ـ وهو الأقرب ـ أي لا تستنكف من تعلُّم العلم من أي أحد كان.

ومنها: التسوية بين العلماء وعدم تمييز بعضهم على البعض الآخر بالاعتبارات الدنيويّة، ونحوها.

---

(١) الوافي: ج١، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

٣ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ النَّضْرِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: زَكَاةُ الْعِلْمِ[١] أَنْ تُعَلِّمَهُ عِبَادَ اللَّهِ.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَامَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام خَطِيباً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تُحَدِّثُوا الْجُهَّالَ[١] بِالْحِكْمَةِ

الحديث الثالث:

[١] (زكاة العلم):

إن حملنا الزكاة على معناها اللغوي فالمعنى هو نموّ العلم بالتعلُّم.

وإن قلنا بالحقيقة المتشرعية فالزكاة هنا مجاز ووجه التشبيه:

١ ـ لكل نعمة زكاة، كما أنَّ للأنعام الثلاث والنقدين والغلات الأربع زكاة.

٢ ـ الزكاة توجب حفظ المال عن التلف، كذلك التعليم يركز العلم في ذهن العالم.

٣ ـ الزكاة توجب طهارة المال عن الشبهات، فكذلك نشر العلم يوجب طهارته عن الشكوك، إما بفضل من الله وإما بسبب الاستفادة من ردود الأفعال والمباحثات والمناقشات.

الحديث الرابع:

[١] (الجهّال):

أي قليلو العقل لأنَّهم لا يستفيدون منها بل قد يسيئون فهمها أو يسيئون الاستفادة منها. كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾(١).

---

(١) سورة التوبة: الآية: ٩٧.

فَتَظْلِمُوهَا[٢]، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُم.

---

[٢] **(فتظلموها)**:
لأنَّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه وعدم إعطائه حقه، وعكسه في قوله: (ومن يشابه أباه فما ظلم) أي أعطى أباه حقه، أو أعطى الكرم حقه، أو أعطى الشباهة حقها.

بَابُ النَّهْيِ، عَنِ الْقَوْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنَيْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَنْهَاكَ عَنْ خَصْلَتَيْنِ فِيهِمَا هَلَاكُ الرِّجَالِ[١]: أَنْهَاكَ أَنْ تَدِينَ اللَّهَ بِالْبَاطِلِ[٢]، وَتُفْتِيَ النَّاسَ بِمَا لَا تَعْلَمُ[٣].

الحديث الأوّل:

[١] **(الرجال):**

قد يُراد بهم هنا الكبراء والعظماء.

[٢] **(تدين الله بالباطل):**

بأن تتخذ الباطل ديناً بينك وبين الله، وبعبارة أخرى طريقاً إلى الله، أي تسلك طريقاً إلى الله عبر الباطل، ولا فرق في ذلك بين الأمور الاعتقادية أو في العمل.

و(الباطل): كل أمر ديني لم يؤخذ من منبعه وهو القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

[٣] **(تفتي بالناس بما لا تعلم):**

١ ـ إما بمعنى ما لا تعلم أنَّه من الله، كما لو لم يؤخذ من الكتاب والسُّنَّة وما يرجع إليهما، ومنه الجواب من غير مراجعة المصادر.

٢ ـ وإما بمعنى أن تتصدى للإفتاء وأنت غير أهل لذلك.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِيَّاكَ وَخَصْلَتَيْنِ فَفِيهِمَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ: إِيَّاكَ أَنْ تُفْتِيَ النَّاسَ بِرَأْيِكَ[١] أَوْ تَدِينَ بِمَا لَا تَعْلَمُ[٢].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: مَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى[١] لَعَنَتْهُ مَلَائِكَةُ

الحديث الثاني:

[١] **(برأيك):**

وهو الأخذ بالقياس والاستحسان ونحوها ممّا لا دليل عليها في الشرع بل هو منهج أسّسه رجال من غير أخذ من كتاب أو سُنّة وفي الدعاء: (الرأي المخترع)(١).

وأما الاستنباط من الكتاب والسُّنَّة لمن هو أهل له فليس من الرأي ـ بهذا المعنى المذموم ـ بل هو تطبيق الكتاب والسُّنة على الجزئيات.

[٢] **(تدين بما لا تعلم):**

يحتمل وجوهاً، منها:

١ ـ تتخذ ما لا تعلم ديناً بينك وبين الله وفرقه حينئذٍ عن الرواية السابقة أنَّ ذلك معلوم البطلان وهذا مجهول وقد يصيب لكنَّه حرام. وفي الحديث (من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)(٢).

٢ ـ أن يكون الدين بمعنى العبادة، فالمعنى أن تعبد الله بطريقة غير ثابتة من الشرع كما يفعل بعض المتصوفة.

الحديث الثالث:

[١] **(بغير علم ولا هدى):**

١ ـ لعلَّ «العلم» هنا بمعنى العلم من الله كعلم الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام،

---

(١) الصحيفة السجادية: الدعاء رقم ٥٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٠، ص ٥١٢، باب ٢٢.

الرَّحْمَةِ[٢]، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ[٣]، وَلَحِقَهُ وِزْرُ[٤] مَنْ عَمِلَ بِفُتْيَاهُ.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَبَانٍ الْأَحْمَرِ، عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي رَجَاءٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: مَا عَلِمْتُمْ[١] فَقُولُوا، وَمَا لَمْ تَعْلَمُوا فَقُولُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْتَزِعُ

و«الهدى» تعلّم من ذي علم، كعلم العلماء الربانيين، أخذوه من الرسول صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام.

٢ ـ ويمكن أن يكون «العلم» هنا مطلق العلم النقلي، و«الهدى» الدلالة العقلية القطعية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾(١).

[٢] **(لعنته ملائكة الرحمة):**

لعلَّه لأنَّه منع الناس من وصول الرحمة إليهم.

[٣] **(وملائكة العذاب):**

لعلَّه لأنَّه جعل الناس مستحقين للعذاب.

[٤] **(ولحقه وزر):**

بلا أن ينقص من أوزارهم شيء كما يستفاد من أحاديث أخرى.

ولا فرق في ذلك بين أن يكون العامل بفتواه معذوراً أم لا.

الحديث الرابع:

[١] **(ما علمتم):**

من المجرد المعلوم، أو باب التفعيل المجهول، والمخاطب أعمّ من الفقهاء وغيرهم، فتشمل عامة الناس، لأنَّ العامي إذا علم بمسألة جاز له نقلها ونشرها، ولكن بقرينة الخبر الآتي، وكذلك سياق الحديث، وخاصة تعليله بقوله: (إنَّ الرجل . . . .) يقرب أن يكون المراد الفقهاء ونحوهم ممَّن تصدى للفتوى أو نقلها.

---

(١) سورة الحج: الآية ٨، ومثله سورة لقمان: الآية ٢٠.

الْآيَةَ[٢] مِنَ الْقُرْآنِ يَخِرُّ فِيهَا أَبْعَدَ[٣] مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ رِبْعِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لِلْعَالِمِ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ وَهُوَ لَا يَعْلَمُهُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، وَلَيْسَ لِغَيْرِ الْعَالِمِ[١] أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ.

---

[٢] (لينتزع الآية):

أي يفصل الآية عن سياقها والمراد منها.

[٣] (يخرُّ فيها أبعد):

أي لخطئه فيها فكأنَّه سقط من أكثر من هذه المسافة، ومعلوم أنَّ من يسقط من مرتفع كلما كان الارتفاع أكثر كان ارتطامه بالأرض أقوى وضرره أكثر، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾(١).

و«فيها» بمعنى بها أي بسببها.

الحديث الخامس:

[١] (وليس لغير العالم أن يقول ذلك):

١ ـ لعلَّه إشارة إلى قضية خارجية.

٢ ـ أو لتعارف هذه الكلمة بين العلماء، فغير العالم إذا قالها كأنَّه وضع نفسه في غير موضعه.

٣ ـ أو لأنَّ قول (الله أعلم) وهو أفعل التفضيل معناه أنَّ هذا القائل أيضاً له علم في مسائل أخرى ـ وإن جهل في هذه المسألة ـ.

---

(١) سورة الحج: الآية ٣١.

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ حَرِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِذَا سُئِلَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَمَّا لَا يَعْلَمُ فَلْيَقُلْ: لَا أَدْرِي. وَلَا يَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ[١]، فَيُوقِعَ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ شَكّاً[٢]. وَإِذَا قَالَ الْمَسْؤُولُ: لَا أَدْرِي[٣]، فَلَا

الحديث السادس:

[١] **(ولا يقل الله أعلم):**
جمعه مع الحديث السابق من وجوه ـ حتى لا يقع التنافي بينهما ـ منها:
١ ـ المسؤول هنا غير العالم وهناك العالم، فيكون هذا الحديث توضيح لما قاله في الحديث السابق (وليس لغير العالم أن يقول ذلك)، بل عليه أن يقول لا أدري.
٢ ـ هنا النهي معلل بإيقاع الشك في قلب صاحبه، فيكون المعنى إذا كانت كلمة (الله أعلم) توقع شكاً فقولها منهي عنه.

[٢] **(فيوقع في قلب صاحبه شكاً):**
لعلّ معناها:
١ ـ هذه الكلمة من شأن العلماء، فإذا قالها غيرهم أوهم السامع بأنَّه عالم، وهذا مبغوض.
٢ ـ أو أنَّه يوقع في قلب السائل شبهة، وخاصة إذا كان السؤال في المسائل الاعتقادية، فقد يتوهم السائل أنَّ هنالك أمراً يريد العالم إخفاءه، كما في هذا العصر حيث غلب سوء الظن بالعالم وكثرت الشُّبهات فكثر الشك بالمبدأ والمعاد والعلم والعلماء.

[٣] **(لا أدري):**
أما ما قيل (لا أدري نصف العلم) فوجهه أنَّ في كلّ مسألة علمين، علمه بالمسألة وعلمه بأنَّه يعلمها، فهو علم مركب ـ وعكسه الجهل المركب حيث إنَّه جهلان ـ، فإذا جهل المسألة ولكنَّه كان عالماً بجهله وقال: لا أدري، فقد بيّن علمه بأحد العلمين.

يَتَّهِمُهُ السَّائِلُ[٤].

٧ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سَمَاعَةَ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ[١]؟ قَالَ: أَنْ يَقُولُوا مَا يَعْلَمُونَ وَيَقِفُوا عِنْدَ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي يَعْقُوبَ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَصَّ[١]

---

[٤] (فلا يتهمه السائل):
أي لا يظن به سوءاً بأنَّه يريد كتمان العلم، أو أنَّه يريد التخلُّص منه، وأنه جاهل بسائر المسائل أو نحوها من الظنون السيئة.

الحديث السابع:

[١] (ما حق الله على العباد):
في معناه وجوه، منها:
١ ـ حقه فيما آتاهم من العلم، فكل نعمة توجب حقاً، ونعمة العلم أوجبت هذين الحقين.
٢ ـ إذا فسرنا (يقولوا) بالأعم من القول والعمل، فيكون الجواب جامعاً لجميع حقوقه تعالى، فما علمه من الفرائض ونحوها يقول بها ويعمل بها، وأن يتوقف في ما جهله منها.

الحديث الثامن:

[١] (خصّ عباده):
لأنَّ هذين يجمعان كل الأمور، حيث إن قبول الحق وعدم تكذيب ما لا يعلمون يشملان جميع الأحكام والأخبار ونحوها ممَّا في القرآن الكريم.
وفي بعض النسخ (حضّ) بمعنى الحثّ والترغيب، بمعنى حثّهم على هذين الأمرين.

عِبَادَهُ[٢] بِآيَتَيْنِ[٣] مِنْ كِتَابِهِ: أَنْ لَا يَقُولُوا[٤] حَتَّى يَعْلَمُوا، وَلَا يَرُدُّوا[٥] مَا لَمْ يَعْلَمُوا، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ[٦] ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

---

[٢] **(عباده):**

لأنَّ من يدين الله بالعبودية هو الذي ينتفع بهاتين الآيتين ويعمل بهما، هذا على نسخة (خصّ)، وأما على نسخة (حضّ) ـ بمعنى الحث ـ فالمراد هو الأعم.

[٣] **(بآيتين):**

أي مضمون هاتين الآيتين، أما الآيات الدالة على هذا المضمون أكثر، كقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾(١).

[٤] **(أن لا يقولوا):**

بدل «آيتين» وهذا يقرب أنَّ المراد هو مضمون الآيتين.

[٥] **(ولا يردّوا):**

أي لا يكذبوا ما لم يعلموا.

أما الرد بمعنى التوقف وإرجاع الأمر إلى أهل البيت عليهم السلام فهو مطلوب مأمور به في بعض الروايات.

[٦] **(ألم يؤخذ عليهم ميثاق):**

من تبيين القرآن(٢):

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ بعد أولئك الأقوام ﴿خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ﴾ أي حطام ﴿هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ يعني الدنيا، مقابل الآخرة التي هي أبعد ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ أي لا بأس بما نفعله من الحرام فإنَّ الله يغفر لنا ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي مثل هذا العرض الأول ﴿يَأْخُذُوهُ﴾ أيضاً، والمعنى أنَّهم

---

(١) سورة الانعام: الآية٢١.

(٢) تبيين القرآن: ص١٨٤.

وَقَالَ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا[٧] بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩].

٩ - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ قَالَ: مَا ذَكَرْتُ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام إِلَّا كَادَ أَنْ يَتَصَدَّعَ قَلْبِي[١]، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ

مصرّون على الذنب والعصيان ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ أي العهد المذكور في الكتاب ﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ فكيف يقولون سيغفر لنا وهم مرتكبون للمعاصي ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ أي قرؤوا ما في الكتاب ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ممَّا يأخذه اليهود من عرض هذا الأدنى ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١).

[٧] (بل كذَّبوا بما لم يُحيطوا):

في تبيين القرآن أيضاً(٢):

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ بالقرآن قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي بعد لم يفهموا معانيه وحقائقه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ بدون تدبر ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أنبياءهم وكتبهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ حيث نزل بهم العذاب.

الحديث التاسع:

[١] (يتصدع قلبي):

أي ينشق ويتفطر كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾(٣).

ولعلَّ سبب تصدع قلبه أنَّه كان يعمل بهذه الأمور حيث كان قاضياً عن المنصور، ترجيحاً للدنيا على الآخرة.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٦٩.

(٢) تبيين القرآن: ص٢٢٥.

(٣) سورة الحشر: الآية ٢١.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ: وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا كَذَبَ أَبُوهُ عَلَى جَدِّهِ وَلَا جَدُّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ بِالْمَقَايِيسِ[٢] فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ، وَمَنْ أَفْتَى النَّاسَ[٣] بِغَيْرِ عِلْمٍ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ[٤] النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ وَالْمُحْكَمَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ[٥] فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ.

---

[٢] (عمل بالمقاييس):

«عمل» بمعنى اتخاذه دليلاً شرعياً يعتمد عليه.

و«المقاييس» جمع مقياس، وهو اسم آلة أي وسيلة قياس الأشياء كالمكاييل والموازين ونحوها، ويُراد به هنا القياس الذي يعبر عنه بالتمثيل في المنطق، وهو تشبيه فرع لا يعلم حكمه بفرع آخر معلوم الحكم لظن علّة مشتركة بينهما.

وهذا وسيلة لمحق الدين لأنَّ علل الأحكام غالباً مخفيَّة علينا، وما يُتوهم علّة قد لا يكون علّة أو كان جزء العلة، أي ما يعبر عنها بالحكمة ـ حكمة الحكم ـ.

نعم لو علمنا علماً قطعياً بالعلة فإنَّ ذلك لا يُسمّى قياساً ـ شرعاً ـ بل يعبّر عنه في الفقه بتنقيح المناط أو الملاك وحتى هذا خالف فيه المرتضى رحمه الله ـ على ما قيل ـ.

[٣] (ومن أفتى الناس):

العمل والإفتاء هنا بمعنى واحد، إلّا أنَّ المتعلق اختلف فاختلف اللفظ، فلما كان المتعلق (المقاييس) كان الأفصح استعمال (العمل)، ولما كان (بغير علم) كان الأفصح (أفتى).

[٤] (وهو لا يعلم):

عطف تفسيري لبيان معنى (بغير علم).

أو عطف الخاص على العام لمكان أهمية هذا الخاص.

[٥] (والمحكم من المتشابه):

(المحكم) ما لا يحتمل غير المعنى المقصود منه، فهو ظاهر الدلالة.

و(المتشابه) ما يحتمله، وإنَّما سمي متشابهاً لأنَّه يشتبه المراد منه.
ومن الطبيعي أن يقع المتشابه في الكلام البليغ، لأنَّ مراعاة الجهات البلاغية قد تستدعي ذلك.
وفي التبيين(١):
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ﴾ أي من الكتاب ﴿ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ ظاهرة الدلالة ﴿هُنَّ﴾ تلك الآيات المحكمات ﴿أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أصل الكتاب، أي المرجع للناس، كما أنَّ الأم مرجع الطفل ﴿وَ﴾ منه آيات ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ يشتبه المراد منها لكونها مجملة، وهذا طبيعي أن يقع التشابه في كلام بليغ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ أي ميل إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ أي يتعلقون بالمتشابه لقصد الميل عن الحق أو لانحراف في نفوسهم، مثلاً المؤمن يتبع ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾(٢) والزائع يتبع ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾(٣)، وإنَّما يتبع المتشابه لأجل ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ وطلب ﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ والإضلال ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾ بما يوافق رأيه ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ أي تأويل المتشابه ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ الذين هم ثابتو القدم لكثرة علمهم ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي المتشابه على ما يريده الله تعالى ﴿كُلّٞ﴾ من المتشابه والمحكم ﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ بعدم التسرع في تفسير المتشابه ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾(٤) أصحاب العقول.

(١) التبيين: ص٦١.
(٢) سورة الأعراف: الآية: ١٤٣.
(٣) سورة القيامة: الآية: ٢٣.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٧.

بَابُ مَنْ عَمِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ[١] كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، لَا يَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ[٢] إِلَّا بُعْداً.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ حُسَيْنٍ الصَّيْقَلِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلاً إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ[١] وَلَا مَعْرِفَةَ إِلَّا

الحديث الأول:

[١] (غير بصيرة):
أي على غير معرفة، فإن البصيرة في المعنويات كالبصر في الماديات.

[٢] (سرعة السير):
في الوافي: وفي بعض النسخ «كثرة السير» بدل «سرعة السير»، والنتيجة واحدة. فالمعنى كلّما كثر عمله بَعُدَ عن الهدف، لأنَّ تلك الأعمال ليست مقربة بل مبغوضة، فكلّما عمل بها أكثر بَعُدَ أكثر، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(١) لأنَّهم لا بصيرة لهم حيث إنَّهم كفار وذاك يبطل العمل.

الحديث الثاني:

[١] (إلا بمعرفة):
أي عقيدة سليمة في أُصول الدِّين، فلا يقبل عمل الكفار كذا أصحاب

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٣.

بِعَمَلٍ[٢] فَمَنْ عَرَفَ[٣] دَلَّتْهُ الْمَعْرِفَةُ عَلَى الْعَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ، أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ[٤] بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ.

٣ ـ عَنْهُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَمَّنْ رَوَاهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «مَنْ عَمِلَ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ[١] أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ».

العقائد الفاسدة من المسلمين، كالمجبرة والمشبهة ونحوهم.

[٢] **(ولا معرفة إلا بعمل):**
«الواو» لعطف الجملة، و«لا» لنفي الجنس.
أي لا توجد معرفة إلا ولحقها عمل، ويدلُّ على هذا المعنى تعليل الإمام عليه السلام في قوله: «فمن. . .»الخ.

[٣] **(فمن عرف. . .):**
لأنَّ العقيدة السليمة المبنية على اليقين توجب عملاً ـ لا محالة ـ، لأنَّ العاقل إذا تيقن فإنه يعمل حسب يقينه، كالذي يعلم بوجود حيوان مفترس فإنَّه يرتب أثراً عليه، كالوقاية والاحتياط، فإن لم يرتب أثراً فإما لا يقين له وإما لا عقل له.

[٤] **(ألا إنَّ الإيمان. . . .):**
كالتعليل، وحاصله أنَّ الإيمان له جزءان عقيدة وعمل ـ مع إدراج القول في العمل ـ وكل واحد منهما يكمل الآخر كما عن الإمام الرضا عليه السلام: «الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللِّسان وعمل بالأركان»(١).

الحديث الثالث:

[١] **(كان ما يفسد أكثر. . .):**
لجهتين:

---

(١) الخصال: ص ١٧٩، ح ٢٤١.

١ ـ لأنَّه لا يعرف شرائط العمل وأجزائه وقواطعه وموانعه، فكثيراً ما يبطل عمله بسبب جهله فيكون من الأخسرين أعمالاً.

٢ ـ ولأنَّه قد يكون منشأ للضلال، لاتّباع الناس له، فهو قد يريد إصلاحهم لكنَّه يفسد أمرهم.

بَابُ اسْتِعْمَالِ الْعِلْمِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ أَبَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ الْهِلَالِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُحَدِّثُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ فِي كَلَامٍ لَهُ: الْعُلَمَاءُ رَجُلَانِ[١]: رَجُلٌ عَالِمٌ آخِذٌ بِعِلْمِهِ[٢] فَهَذَا نَاجٍ، وَعَالِمٌ تَارِكٌ لِعِلْمِهِ[٣] فَهَذَا هَالِكٌ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَتَأَذَّوْنَ مِنْ رِيحِ[٤] الْعَالِمِ التَّارِكِ لِعِلْمِهِ، وَإِنَّ أَشَدَّ أَهْلِ النَّارِ نَدَامَةً وَحَسْرَةً رَجُلٌ دَعَا عَبْداً إِلَى اللَّهِ

الحديث الأول:

[١] **(رجلان):**

أي صنفان.

[٢] **(آخذ بعلمه):**

أي عامل بعلمه.

[٣] **(تارك لعلمه):**

أي لا يعمل به.

[٤] **(ليتأذون من ريح):**

وفي ذلك عذابان: عذاب الريح المنتن ـ وهو من العذاب في جهنم ـ، وعذاب إيذاء الآخرين، لأنَّ من يؤذي الآخرين بريحه يُعَذَّب نفسياً من ذلك، ويمكن كون ذلك علامة عليه فيعرفه الآخرون بذلك فيشعر بالخزي، فتأمل.

فَاسْتَجَابَ لَهُ وَقَبِلَ مِنْهُ فَأَطَاعَ اللَّهَ فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَأَدْخَلَ الدَّاعِيَ النَّارَ بِتَرْكِهِ عِلْمَهُ، وَاتِّبَاعِهِ الْهَوَى وَطُولِ الْأَمَلِ، أَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى[٥] فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ[٦] وَطُولُ الْأَمَلِ[٧] يُنْسِي الْآخِرَةَ[٨].

---

[٥] (اتباع الهوى):

الشهوات المحرّمة، وذلك لأنّها تشتهي المحرمات كثيراً، فاتباعها إطاعتها في كل ذلك، أما لو اتبع العقل والشرع ثمّ أباحا له شهوة فلا يسمى ذلك اتباع الهوى.

[٦] (يصد عن الحق):

لأنّ الحق في كثير من الأحيان خلاف الهوى قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾(٢) فإنّ من اتبع هواه كان الهوى قائده فلا ينظر إلى الحق.

[٧] (طول الأمل):

اعتقاد البقاء إلى مدة طويلة بما يلهيه عن الآخرة، قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(٣). بعبارة أخرى: يؤخر أمر الآخرة ويقدم أمر الدنيا، فهذا من طول الأمل المذموم.

[٨] (ينسي الآخرة):

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾(٤)، وذلك لأنّ من يعتقد بقاءه مدة طويلة فإنّه يسوّف الأعمال إلى أن يأتيه الموت بغتة.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٧١.

(٢) سورة القمر: الآية ٣.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٩.

(٤) سورة الروم: الآية ٧.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْعِلْمُ مَقْرُونٌ إِلَى الْعَمَلِ[١]، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَمَنْ عَمِلَ عَلِمَ[٢]، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ[٣]، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ[٤] عَنْهُ.

الحديث الثاني:

[١] **(مقرون بالعمل):**

تشريعاً وتكويناً.

أما تشريعاً: فإنَّ الإنسان مأمور بهما جميعاً.

وأما تكويناً: فلما أشار إليه هذا الحديث الشريف.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾(١) وقد وردا في القرآن الكريم مقرونين في حدود سبعين موضعاً.

[٢] **(فمن علم عمل، ومن عمل علم):**

إنشاء بصيغة الإخبار، فهو أمر لكل عالم بوجوب العمل بعد العلم، ولكل عامل بوجوب العلم قبل العمل.

[٣] **(يهتف بالعمل):**

ينادي بالعمل، والمنادىٰ هو حامل العلم، فالعلم ينادي صاحبه بالعمل به.

[٤] **(وإلا ارتحل):**

العامل يستقر العلم عنده.

وأما غير العامل فإنَّ العلم يرتحل عنه: إما بنسيان ـ وهذا أمر طبيعي ـ، أو بدخول شك وشبهة لأنَّه لا يرى فائدة للعلم، أو بتأثير غيبي ـ عقوبة له ـ.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٣.

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَاسَانِيِّ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ الْجَعْفَرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ، زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ[١]، عَنِ الْقُلُوبِ[٢] كَمَا يَزِلُّ الْمَطَرُ عَنِ الصَّفَا[٣].

الحديث الثالث:

[١] **(زلّت موعظته):**

أي لم تنفذ في القلوب، على الغالب ـ حتى يجمع مع الحديث الأول ـ.

أو أنَّ الداعي في الحديث الأول يعمل من غير نفاذ في قلبه ـ رجاءً أو لجهات أخرى ـ فتأمل.

أو أنّه كان عاملاً وقت الدعوة فأثّر كلامه في غيره ثم ترك العمل.

[٢] **(عن القلوب):**

وذلك لجهات:

١ ـ جهة طبيعية، لأنَّ السامع لا يتأثر بكلام غير العامل، ولعلَّه يقول ـ من حيث لا يشعر أو يشعر ـ لو كان ما يقوله حقاً لعمل هو به.

٢ ـ جهة معنوية، لأنَّ الحالات المعنوية والنفسية للإنسان تؤثر في جسمه وفي ما يصدر منه، فمثلاً الخائف يتبيّن الخوف في وجهه وكلامه وسائر ما يصدر منه، وكذلك من كان مطمئناً مسروراً ونحوه.

وقيل إنَّه يمكن من خط الكاتب معرفة حالته النفسية حين الكتابة ـ في علم النفس الحديث ـ.

ومن لا يعمل بعلمه فإنَّ حالته النفسية تنعكس على موعظته فيفقد الكلام أثره.

٣ ـ جهة غيبية.

[٣] **(عن الصفا):**

«الصفا» جمع الصفاة، وهي الحجارة الملساء الصلد الذي لا يدخلها المطر ولا ينبت عليها شيء.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ هَاشِمِ بْنِ الْبَرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَسَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَ. ثُمَّ عَادَ لِيَسْأَلَ، عَنْ مِثْلِهَا فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ: لَا تَطْلُبُوا عِلْمَ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَمَّا تَعْمَلُوا بِمَا عَلِمْتُمْ[١]، فَإِنَّ الْعِلْمَ إِذَا لَمْ يُعْمَلْ بِهِ لَمْ يَزْدَدْ صَاحِبُهُ إِلَّا كُفْراً، وَلَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْداً[٢].

الحديث الرابع:

[١] **(لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولمَّا تعملوا بما علّمتم):**

وذلك من جهات:

١ ـ إذا كان تحصيل العلم الثاني يشغل الإنسان عن العمل بالعلم الأول، كمن علم بوجوب الصلاة في آخر وقتها فبدل أن يؤديها يذهب إلى طلب علم آخر.

٢ ـ الذي يعلم بأنَّه لا يعمل بالعلم، فالأجدر به أن يبقى جاهلاً، حتى لا تزداد عقوبته بترك ما يعلم أو بالجحود والإنكار، قال تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾(١) لأنَّهم بكفرهم أو نفاقهم يحرِّفون الحدود أو لا يعملون بها فتزداد عقوبتهم.

٣ ـ لعل ما كان في الإنجيل بمعنى أن ما عُلّمتم هي وظيفتكم لا أكثر، فسؤالكم عمَّا سواها لغو أو موجب للمساءلة، كما قال تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ أي تحزنكم ثم قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾(٢) أي لا يؤاخذكم على عدم علمها.

٤ ـ تعبير مجازي، يُراد به الحثّ والحضّ على العمل بالعلم، لا ترك العلم، لأنَّ طلب العلم واجب والعمل به واجب آخر.

[٢] **(لم يزدد صاحبه . . .):**

لأنَّه يتحول إلى الجحود والإنكار، فإنَّ العالم غير العامل أشد ذنباً وأشد معصية، فكلَّما علم وترك العمل فإنَّه يقترب إلى الكفر ويبتعد عن الله تعالى.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٩٧.

(٢) في سورة المائدة: الآية ١٠١.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بِمَ يُعْرَفُ النَّاجِي؟ قَالَ: مَنْ كَانَ فِعْلُهُ لِقَوْلِهِ مُوَافِقاً فَأَثْبَتَ[١] لَهُ الشَّهَادَةَ[٢]، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِعْلُهُ لِقَوْلِهِ مُوَافِقاً فَإِنَّمَا ذَلِكَ مُسْتَوْدَعٌ[٣].

الحديث الخامس:

[١] **(فأثبت له):**

يمكن قراءتها بصيغة الماضي المعلوم، والمضارع المعلوم، والأمر.
١ ـ أثبت هو لنفسه شهادته، أي كان فعله شاهداً على استقرار إيمانه، فإيمانه مستقر وليس معار حتى يُسلب منه. وهذا المعنى أظهر.
٢ ـ أثبت أنا له الشهادة، أي أحكم على أنَّ إيمانه مستقر.
٣ ـ أثبت أنت الشهادة له.
وفي بعض النسخ (أبُتُّ) بمعنى أعلن أنا صدقه.
وفي بعض النسخ (أبُتُّ) من البت بمعنى القطع، أي أقطع أنا له الشهادة، بمعنى أشهد له بأنَّ إيمانه مستقر.

[٢] **(الشهادة):**

أي الشهادة بالنجاة.

[٣] **(مستودع):**

أي إيمانه غير ثابت فهو كالوديعة التي تُسترجع من الودعي، وفي بعض الروايات تأويل قوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾(١) بذلك، أي إيمان مستقر، وإيمان هو وديعة.
وعدم ثبوت الإيمان:
١ ـ إما لأنَّه يزول بأدنى شبهة، حيث إنَّ عدم العمل يكشف عن ضعف الإيمان وقابليته للزوال.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٨.

٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: فِي كَلَامٍ لَهُ خَطَبَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ: أَيُّهَا النَّاسُ! إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا بِمَا عَلِمْتُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ[١]، إِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِهِ[٢] كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ[٣] الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ[٤] عَنْ جَهْلِهِ، بَلْ قَدْ رَأَيْتُ أَنَّ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ

---

٢ ـ وإما لأنَّه لا ينفعه في الآخرة كثيراً كالمنافق الذي يحكم بإيمانه ظاهراً مع كفره باطناً.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «وأعار قوماً إيماناً، فإن شاء تمّمه لهم وإن شاء سلبهم إياه، قال وفيهم جرت ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ وقال لي: إنَّ فلاناً مستودعاً إيمانه، فلما كذب علينا سُلب إيمانه ذلك»[١].

الحديث السادس:

[١] **(لعلكم تهتدون):**

لا يوجد هنالك ضمانة، ولذا فالمؤمن العامل بين الخوف والرجاء دائماً، وذلك ممَّا يعطيه دفعاً قوياً لمواصلة العمل.

ولذا كثرت كلمة (لعلَّ) في القرآن، لهذه الجهة.

[٢] **(العالم العامل بغيره):**

أي بغير العلم.

[٣] **(الحائر):**

الذي لا يهتدي لجهة أمره.

[٤] **(لا يستفيق):**

الاستفاقة هي الرجوع إلى الحالة الطبيعية التي شُغل عنها.

فلذا يقال استفاق من النوم، ومن المرض، ومن السكر ونحوها، وفيه إشعار بأنَّ الجهل هو حالة غير طبيعية فهو كالمرض ونحوه.

---

(١) الكافي ج٢ ص٤١٧.

أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ أَدْوَمُ[٥] عَلَى هَذَا الْعَالِمِ الْمُنْسَلِخِ مِنْ عِلْمِهِ، مِنْهَا عَلَى هَذَا[٦] الْجَاهِلِ الْمُتَحَيِّرِ فِي جَهْلِهِ، وَكِلَاهُمَا حَائِرٌ بَائِرٌ[٧] لَا تَرْتَابُوا[٨]

---

[٥] **(والحسرة أدوم):**
لأنَّه كان أقرب من الجاهل للوصول إلى الدرجات العليا.

[٦] **(منها على هذا):**
أي من الحجة والحسرة على الجاهل، فالمعنى الحجة على هذا العالم أعظم من الحجة على الجاهل، وكذلك الحسرة أدوم عليه من الحسرة على الجاهل.
١ ـ و(منها) تنازع فيها الفعلان (أعظم) و(أدوم).
٢ ـ أو يكون الضمير في (منها) راجع إلى كل واحد وتأنيثه باعتبار أنَّهما ـ الحجة، الحسرة ـ مؤنثان، فتأمل.
٣ ـ أو يكون الضمير في (منها) راجع إلى (الحسرة)، استغناءً بها عن رجوعه إلى (الحجة) لأنَّه يفهم من السياق أنَّ المراد كلاهما، فتأمل.

[٧] **(بائر):**
بمعنى الهالك من (ب و ر) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾(١) أي دار الهلاك.
وقوله: (كلاهما حائر بائر) حتى لا يتوهم أحد أنَّ الهلاك خاص بالعالم غير العامل بعلمه بل هو والجاهل كلاهما هالك والحجة تامة عليهما، لكن العالم غير العامل أسوأ وضعاً وأشدّ حسرة.

[٨] **(لا ترتابوا):**
هذا في مقام العلم، وأما مقام العمل ففي قوله: «ولا ترخّصوا. . .الخ».
و«الريبة» قلق النفس واضطرابها. و«الارتياب» الوقوع في الريبة.
وبما أنَّ تلك من الصفات النفسية غير اختيارية، فمعنى (لا ترتابوا) هو: لا ترتكبوا المقدّمات التي تؤدي إلى الريبة، وبعبارة أخرى: لا تمكّنوا الريب

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٨.

فَتَشُكُّوا[٩]، وَلَا تَشُكُّوا فَتَكْفُرُوا[١٠]، وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ[١١] فَتُدْهِنُوا[١٢] وَلَا تُدْهِنُوا فِي الْحَقِّ فَتَخْسَرُوا، وَإِنَّ مِنَ الْحَقِّ[١٣] أَنْ تَفَقَّهُوا، وَمِنَ الْفِقْهِ أَنْ لَا

في قلوبكم، وذلك عبر كثرة التفكُّر في الشُّبهات وكثرة الجلوس مع أصحابها، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾(١).

ومن لوازم الريبة: الشك والتهمة، كما في النظر إلى الأجنبية بريبة أي بطريقة تثير الشك في دواعيه أو تورث التهمة في مقاصده، وهذه اللوازم هنا غير مُرادة من قوله: (لا ترتابوا) لأنَّها ذكرت بعد ذلك حيث قال (فتشكوا).

[٩] **(فتشكوا):**

الريبة ـ وهي اضطراب النفس وقلقها ـ توجب الشك في النفس.

[١٠] **(فتكفروا):**

نتيجة الشك هو الكفر، إذ بعد زوال اليقين وحلول الشك فإنه يمكن أن ينجرّ إلى الكفر.

[١١] **(ولا ترخّصوا لأنفسكم):**

هذا في مقام العمل، أي تتساهلوا في الطاعات والمعاصي، لأنَّ من يتساهل فيها سيؤول أمره إلى ترك الواجبات والعمل بالمعاصي.

[١٢] **(فتدهنوا):**

من المداهنة، وهي المداراة على حساب الحق، وهي مذمومة، قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾(٢) أي تلين لهم في دينك فيلينوا لك.

[١٣] **(وإن من الحق):**

أي من الحقوق الواجبة وهي من حقوق الله تعالى.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٠.

(٢) سورة القلم: الآية ٩.

تَغْتَرُّوا[١٤]، وَإِنَّ أَنْصَحَكُمْ[١٥] لِنَفْسِهِ أَطْوَعُكُمْ لِرَبِّهِ، وَأَغَشَّكُمْ[١٦] لِنَفْسِهِ أَعْصَاكُمْ لِرَبِّهِ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ يَأْمَنْ وَيَسْتَبْشِرْ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ يَخِبْ[١٧] وَيَنْدَمْ.

٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمُ الْعِلْمَ[١] فَاسْتَعْمِلُوهُ، وَلْتَتَّسِعْ

---

[١٤] **(ومن الفقه أن لا تغتروا):**
أي لا يصبكم الغرور من علمكم أو عملكم، و(غرّ) بمعنى خدع، ولذا سمي الشيطان بـ(الغرور) صيغة مبالغة كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(١).

[١٥] **(أنصحكم):**
النصيحة هي الخلوص، ومنه إرادة الخير للمنصوح، كما في قول الأنبياء عليهم السلام كقوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾(٢).

[١٦] **(أغشكم):**
أي أكثركم غشاً لنفسه، والغَش ـ بالفتح ـ هو إظهار خلاف ما أضمر، والغِش ـ بالكسر ـ اسم المصدر.

[١٧] **(يخب):**
من الخيبة وهي الحرمان والخسران.

الحديث السابع:

خلاصة الحديث لزوم الاهتمام بالعمل، لا بكثرة السماع والحفظ من دون عمل.

[١] **(إذا سمعتم العلم):**
أي المعلومات التي سمعتموها.

---

(١) سورة لقمان: الآية ٣٣.

(٢) سورة هود: الآية ٣٤.

قُلُوبُكُمْ[٢]، فَإِنَّ الْعِلْمَ إِذَا كَثُرَ[٣] فِي قَلْبِ رَجُلٍ لَا يَحْتَمِلُهُ، قَدَرَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ، فَإِذَا خَاصَمَكُمُ الشَّيْطَانُ[٤] فَأَقْبِلُوا عَلَيْهِ بِمَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً، فَقُلْتُ: وَمَا الَّذِي نَعْرِفُهُ؟ قَالَ: خَاصِمُوهُ بِمَا ظَهَرَ لَكُمْ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

[٢] **(لتتسع قلوبكم):**
أي لتتحمل قلوبكم ذلك العلم الذي سمعتموه، فإنَّ بعض الناس لا يتحملون بعض العلم وتقصر عقولهم عن فهمه واستيعابه.
وهذا الأمر بمعنى النهي عن تحصيل ما لا يتسع القلب له، أو بمعنى توفير المقدمات وتهيئة الشروط التي تجعل القلب وسيعاً قابلاً لتحمل العلم.

[٣] **(فإنَّ العلم إذا كثر... الخ):**
أي لا تطلبوا ما لا يمكنكم استيعابه، فإنَّ ذلك يكون مدخلاً للشيطان، حيث يشككه في كل الأمور الأخرى، فإنَّ الشك إذا دخل في قلب الإنسان لعلَّه يستولي عليه حتى فيما وسعه وذلك عبر إلقاء الشُّبهات.

[٤] **(فإذا خاصمكم الشيطان):**
فيه وجهان:
١ ـ دفع لما يتوهم أنَّه إذا اكتفى الإنسان بما يسعه قلبه فإنَّه لا يتمكن من مخاصمة الشيطان وتضعف حجته.
فأجاب الإمام عليه السلام بأنَّ كيد الشيطان ضعيف ـ كما قال الله عزَّ وجلَّ ـ فيكفي في دحره المعلومات الأولية وهي ما ظهر لنا من قدرة الله.
٢ ـ إذا الإنسان علم بما لا يسعه قلبه، فلا يدع منفذاً للشيطان بل يستعين بما يعلم وظهر له من قدرة الله لتثبيت الإيمان في قلبه حتى لا يسبّب ما لا يتحمله في شكه فيما وسعه من الأمور الأخرى.
قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(١).

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٦.

بَابُ الْمُسْتَأْكِلِ بِعِلْمِهِ وَالْمُبَاهِي بِهِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ أَبَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْهُومَانِ[١] لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ دُنْيَا وَطَالِبُ عِلْمٍ، فَمَنِ اقْتَصَرَ

المستأكل: من يتخذ علمه رأس مال يأكل منه ويتوسع في رزقه.

الحديث الأول:

[١] (منهومان):

من النَّهمة أي أن يولع بالشيء ويحرص عليه.

و(نَهِم) و(نُهِم) بالمعلوم والمجهول، ويقال (نَهِمٌ) و(نَهيمٌ) و(منهومٌ) كلها بمعنى واحد.

والمراد أنَّ من ذاق طعم الدنيا أو طعم العلم فإنَّه لا يشبع منهما أبداً، وذلك قد يكون ممدوحاً وقد يكون مذموماً.

والممدوح من الدنيا ما كان من الحلال حتى إذا كثر، كما في وصية الإمام الحسن عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنَّك تعيش أبداً»[١].

والمذموم منها ما كان من الحرام حتى القليل منه.

والممدوح من العلم ما أُخذ من أهله ـ وإن كثر ـ ثم عمل به.

والمذموم منه من أراده للدنيا ـ وإن قل ـ.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١، ص ١٤٦، باب ٢٥، ح١.

مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ سَلِمَ، وَمَنْ تَنَاوَلَهَا مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا هَلَكَ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ أَوْ يُرَاجِعَ[٢]، وَمَنْ أَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ وَعَمِلَ بِعِلْمِهِ نَجَا، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ الدُّنْيَا فَهِيَ حَظُّهُ[٣].

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ، عَنْ أَبِي خَدِيجَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَنْ أَرَادَ الْحَدِيثَ لِمَنْفَعَةِ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ[١]، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرَ الْآخِرَةِ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

---

[٢] **(إلا أن يتوب أو يراجع):**

«التوبة» فيما هو من حق الله تعالى كأكل الميتة وشرب الخمر.

و«المراجعة» فيما هو من حقوق الناس، حيث يُرجع إليهم ما أخذه منهم بالحرام ولذا قال عليه السلام (أو).

ويمكن أن تكون (أو) بمعنى الواو، وذلك للزوم التوبة حتى في حقوق الناس، لأنَّ التصرف في أموالهم بالحرام معصية لله تعالى أيضاً، والاحتمال الأول أقرب.

[٣] **(فهي حظه):**

أي ليس له في الآخرة من نصيب، بل ينحصر نصيبه في الدنيا، والحظ هنا بمعنى النصيب، كما في حظوظ الإرث قال تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْآخِرَةِ﴾(٢).

الحديث الثاني:

[١] **(لم يكن له في الآخرة نصيب):**

لأنَّ الأعمال بالنيات، فلا يستحق شيئاً من الآخرة، لعمله هذا، أو لأنَّ هذا

---

(١) سورة النساء: الآية ١١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٦.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنِ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَنْ أَرَادَ الْحَدِيثَ لِمَنْفَعَةِ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنِ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَالِمَ مُحِبّاً لِدُنْيَاهُ فَاتَّهِمُوهُ[١] عَلَى دِينِكُمْ، فَإِنَّ كُلَّ مُحِبٍّ لِشَيْءٍ يَحُوطُ مَا أَحَبَّ[٢].

العمل محرَّم ـ في الجملة ـ ومن فعل حراماً استحق النار وهذا الاحتمال أرجح، لأنَّ تعبير (ما له في الآخرة نصيب) كناية عن العذاب كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾(١).

الحديث الرابع:

[١] **(فاتهموه):**

أي اجعلوه متهماً على دينكم، فكما أنَّ الإنسان يحتاط على نفسه وعلى ماله من المتهم بالقتل أو السرقة، كذلك عليه أن يحتاط ممَّن يتهم بالغش في الدِّين.

ومتعلق (اتهم) إن كان الذي يخاف عليه، يتعدى بـ(على) فيقال اتهمه على ماله أو على عرضه أو على دينه.

وإن كان ما يخاف منه يتعدى بـ(الباء) يقال اتهمته بالسرقة أو بالقتل.

[٢] **(يحوط ما أحب):**

(الحوط) و(الحياطة) بمعنى الحفظ، ولذا يقال للجدار حائط لأنَّه يحفظ الدار، وأصله من الاشتمال من كل جانب، والحفظ يسمى حوطاً وحياطة لأجل أن فيه مراقبة من كل جانب.

والتعليل لأجل أن من يحب الدنيا يريد حفظها بأية صورة كانت حتى وإن تعارضت مع الدين.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

وَقَالَ ﷺ: «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ عليه السلام: لَا تَجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ[٣] عَالِماً مَفْتُوناً بِالدُّنْيَا[٤] فَيَصُدَّكَ عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِي[٥]، فَإِنَّ أُولَئِكَ قُطَّاعُ طَرِيقِ عِبَادِيَ[٦] الْمُرِيدِينَ[٧]، إِنَّ أَدْنَى مَا أَنَا صَانِعٌ بِهِمْ أَنْ أَنْزِعَ حَلَاوَةَ مُنَاجَاتِي[٨] عَنْ قُلُوبِهِمْ».

---

[٣] **(لا تجعل بيني وبينك):**

بمعنى أرشد الناس إلى هذا، أي بلِّغ هذا الأمر لهم.

ومعنى (بيني وبينك) هو الواسطة التي تتلقى منها المعارف ومسائل الدين.

[٤] **(مفتوناً بالدنيا):**

أي معجب بها وهي فتنته.

[٥] **(عن طريق محبتي):**

لعدم إمكان الجمع بينهما، فإن من أحب الدنيا لا يحب الآخرة وما يوصل إليها.

[٦] **(قطاع طريق عبادي):**

كما أنَّ قطاع الطريق يسرقون من القوافل أمتعتهم وقد يمنعوهم من الوصول إلى مقصدهم. كذلك العالم المحب للدنيا يقطع طريق الآخرة على عامة الناس، فيسلبهم إيمانهم ويمنعهم من الوصول إلى محبة الله تعالى.

[٧] **(المريدين):**

أي الذين يريدون الوصول إلى محبة الله وكسب رضاه.

[٨] **(أنزع حلاوة مناجاتي):**

لعلَّه كناية عن سلبهم توفيق المناجاة، لأنَّ من أحسّ بحلاوة شيء سهلت دونه الصعاب، ومن لم يحسّ بالحلاوة تركها.

٥ ـ عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «الْفُقَهَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ[١] مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا[٢]. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا دُخُولُهُمْ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: اتِّبَاعُ السُّلْطَانِ[٣] فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَاحْذَرُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ[٤].

الحديث الخامس:

[١] **(أمناء الرسل):**

لأنَّهم مستودع علومهم، فاستأمنوهم على تلك العلوم ليؤدوها إلى الناس.

[٢] **(ما لم يدخلوا في الدنيا):**

فإذا دخلوا في الدنيا فليسوا أمناء فلا تأخذوا منهم.

[٣] **(اتباع السلطان):**

لعلَّ المراد بالاتباع هو أن يكونوا أتباع للسلطان فينفذون ما أراد ـ وإن كان حراماً ـ ومن مصاديقه استحسان ما حسَّنه، واستقباح ما قبحه.

وقيل: هو يشمل قبول الولاية منهم على القضاء ونحوه، والخلطة بهم، والمعاشرة معهم اختياراً، والرضا بها ـ كذا في الوافي والمرآة ـ.

[٤] **(فاحذروهم على دينكم):**

وذلك لأنَّهم ـ حينئذٍ ـ قد يرجّحون رضى السلطان على رضى الرحمن، وقد شاهدنا وسمعنا عن كثير من هؤلاء، فأحدهم رأى سلطاناً من بني عباس يلعب بالحمام، فتقوّل على رسول الله: «لا سبق إلا بخفٍّ أو حافر أو جناح»، فلَّما ولَّى قال السلطان: أشهد أن قفاه قفا كذاب(١)، لأنَّه أضاف «أو جناح» على الرواية، ليرضي السلطان.

---

(١) مجمع البحرين: ج، ص ٥١٦، مادة وضع.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ[١]، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ[٢]، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ[٣]، فَلْيَتَبَوَّأْ

الحديث السادس:

[١] **(ليباهي به العلماء):**
«المباهاة» هي المفاخرة، من البهاء، أي المغالبة فيما يُعدّ من المفاخر، و«العلماء» كما في المعاني عن الرضا عليه السلام «هم آل محمد الذين فرض الله طاعتهم وأوجب مودتهم» ولعلّه من باب ذكر المصداق الأجلى والأتم.

[٢] **(يماري به السفهاء):**
«المراء» الجدل لأجل الجدل، أو لأجل إثبات الذات، لا لإثبات الحق فإنّه ليس مراءً.
وإنَّما خصَّ المماراة بالسفهاء لأنَّ العلماء لا يمارون لعلمهم بقبحه.
و«السفهاء» في حديث المعاني عن الرضا عليه السلام «هم قُصّاص مخالفينا» ولعلَّهم أبرز المصاديق، حيث إنَّهم يخلطون الغثّ بالسمين، وباطلهم أكثر ولهم قوة في الجدل بالباطل لكثرة ممارستهم.
ومن الفضائل: ترك المراء وإن كان محقاً.

[٣] **(يصرف به وجوه الناس إليه):**
أي ليكون رئيساً عليهم حيث يُقبل إليه الوجهاء، وإنَّما قال «يصرف» لأنَّ غرض هذا الشخص صرف وجوه الناس من العالم الرباني إلى نفسه ولذا قال عليه السلام بعد ذلك: «إنَّ الرئاسة» الخ.
وفي حديث المعاني عن الرضا عليه السلام: «ادعاء الإمامة بغير حقها» وهو أبرز المصاديق.
ولنتبرك بذكر الحديث كاملاً ـ كما في المرآة والوافي ـ:
روى الصدوق في كتاب معاني الأخبار بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: «رحم الله عبداً أحيىٰ أمرنا، فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: «يتعلم علومنا ويعلّمه الناس،

مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ[٤]، إِنَّ الرِّئَاسَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِأَهْلِهَا[٥].

فإنَّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا» قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فقد روي لنا عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «من تعلَّم علماً يماري به السفهاء أو يباهي به العلماء أو ليقبل بوجوه الناس إليه فهو في النار» فقال عليه السلام صدق جدي، أفتدري من السفهاء؟ فقلت: لا يا ابن رسول الله، قال: هم قُصّاص مخالفينا، وتدري من العلماء؟ قلت: لا يا ابن رسول الله: قال هم آل محمد، الذين فرض الله طاعتهم وأوجب مودتهم، ثم قال: وتدري ما معنى قوله أو ليقبل بوجوه الناس إليه؟ قلت: لا قال: يعني بذلك والله ادعاء الإمامة بغير حقها، ومن فعل ذلك فهو في النار»(١).

[٤] **(فليتبوأ مقعده من النار):**

الأمر للاستهزاء به، أي ليتخذ محل قعود في النار.

و«التبوء» هو اتخاذ المنزل والسكن فيه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾(٢).

وأصله من باء بمعنى رجع، واستُعمل في اتخاذ السكن لأنَّ الإنسان يرجع إليه باستمرار.

ونظير هذا الاستعمال ما يقال ـ حالاً ـ حجز مقعده في الطائرة أو الباص، فالذي يفعل هذه المنكرات فكأنَّه بفعلها حجر مقعداً في نار جهنم.

[٥] **(إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها):**

هذا كالدليل لما قبله:

فإنَّ من يباهي ويماري ويصرف وجوه الناس إليه، يعمل ذلك طلباً للرئاسة، وهو بأفعاله هذه لا يصلح لها.

فإنَّ الرئاسة الحقيقية في الدِّين والدُّنيا للعالم الرباني العامل بعلمه، وكما يقال في تعريف الإمامة في الكلام «هي رئاسة الدِّين والدُّنيا» وأهلها الحق هم الأئمة عليهم السلام ونوابهم هم الذين ساروا على منهاجهم في كل الأمور.

---

(١) معاني الأخبار: ص ١٨٠، باب من تعلم علماً ليماري به، ح١.

(٢) سورة الحج: الآية ٢٦.

تتمة:

المستأكل بعلمه لا يشمل من يتعلم علوم أهل البيت عليهم السلام لغرض نشرها والعمل بها، وقد يناله الصلة من الموالين.

فقد روى الصدوق في المعاني - على ما في المرآة والوافي - بإسناده عن حمزة بن حمران قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من استأكل بعلمه افتقر، قلت له: جعلت فداك إنَّ في شيعتك ومواليك قوماً يتحملون علومكم ويبثونها في شيعتكم ولا يعدمون على ذلك منهم البر والصلة والإكرام، فقال عليه السلام: ليس أولئك المستأكلين، إنَّما المستأكل بعلمه الذي يفتي بغير علم ولا هدى من الله عز وجل ليبطل به الحقوق طمعاً في حطام الدُّنيا[1].

(١) معاني الأخبار: ص ١٨١، باب معنى الاستئكال بالعلم، ح١.

بَابُ لُزُومِ الْحُجَّةِ عَلَى الْعَالِمِ وَتَشْدِيدِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ: يَا حَفْصُ: يُغْفَرُ[١] لِلْجَاهِلِ سَبْعُونَ ذَنْباً[٢] قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لِلْعَالِمِ[٣] ذَنْبٌ وَاحِدٌ.

الحديث الأول:

[١] (يغفر):

«الغفران» هو الستر، فقد يكون بمعنى الإمحاء نحو قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾(١)، وقد يكون بمعنى عدم المؤاخذة وعدم العقاب فيكون كأنّه ستره.

[٢] (للجاهل سبعون ذنباً):

الجاهل والعالم هنا إضافيان فيمكن أن يكون عالماً بالنسبة إلى ما دونه وجاهلاً بالنسبة إلى ما فوقه، ولعلَّ السبعون للتكثير.

[٣] (قبل أن يغفر للعالم):

وذلك لأنَّ الحساب والثواب والعقاب حسب العلم والعمل، فإذا كان جاهلاً فقد يكون معذوراً في جهله، وحتى إذا لم يكن معذوراً فإنَّه لا يتصف بصفة التمرد والتجرؤ على مولاه، بعكس العالم.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

٢ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيْلٌ لِلْعُلَمَاءِ السَّوْءِ[١] كَيْفَ تَلَظَّى[٢] عَلَيْهِمُ النَّارُ؟!

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ جَمِيعاً، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ[١] هَاهُنَا ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ ـ لَمْ يَكُنْ لِلْعَالِمِ تَوْبَةٌ[٢]،

الحديث الثاني:

[١] **(للعلماء السوء):**
«السوء» ـ بفتح السين ـ مصدر: ساء، يسوء، وهو بمعنى الصفة، «العلماء» أضيف إلى السوء كما يقال (الضارب الرجل) بالإضافة، فالمعنى العلماء السيئون.
والسوء ـ بالضم ـ فهو اسم المصدر.

[٢] **(كيف تلظى):**
أي تشتعل فيهم نار جهنم، والمعنى كيف تشتعل فيهم جهنم مع أنَّه كان الأولى بهم أن لا يدخلوها لعلمهم، لكنَّهم لسوئهم دخلوها فتشتعل بهم وهم في حسرة دائمة على ما فرّطوا في جنب الله والاستفهام للاستنكار.

الحديث الثالث:

[١] **(بلغت النفس):**
المراد بالنفس هنا الرُّوح قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾(١).

[٢] **(لم يكن للعالم توبة):**
١ ـ «العالم» بمعنى العالم بأحوال الآخرة حينما ينكشف عنه الغطاء في لحظة الاحتضار قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(٢). وقال سبحانه: ﴿...حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٣.
(٢) سورة ق: الآية ٢٢.

ثُـمَّ قَـرَأَ[٣]: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ[٤] لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ[٥] ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ[٦] فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ﴾ [النِّساء: ١٧].

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(١).

٢ ـ وقد يكون المراد بالعالم هو مطلق العالم.

وإنما خصَّ بالذكر: إما لأنَّه كان محل حديث الإمام عليه السلام، أو لأنَّه هو الذي يحاول التوبة في تلك الحال أكثر من الجاهل ـ كما في فرعون ـ، أو يكون المراد من (توبة) توبة الله عليه، فالمعنى تأكيد لما ورد في الحديث السابق أي لا يغفر الله للعالم حينئذٍ مع أنَّه يمكن أن يغفر للجاهل.

وأقرب الاحتمالات هو الأخير.

[٣] **(ثم قرأ...)**:

الآيـــة ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾(٢).

[٤] **(التوبة على الله)**:

التوبة هي الرجوع، ومعنى «على الله» أي حق عليه لأنَّه وعد فيفي بوعده.

والتوبة إن نُسبت إلى الله تعدت بـ(على) فالمعنى رجوع الله على المذنب، ورجوع الله بالعطف والرحمة على عبده، وإن نُسبت إلى العبد تعدت بـ(إلى) فالمعنى رجوع العبد إلى الله تعالى رجوعه بالطاعة والاستغفار.

[٥] **(بجهالة)**:

بمعنى السفاهة كقوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾(٣) أي بسفاهة، لأنَّ منشأ عمل السوء هو السفاهة التي تعني قلة العقل.

[٦] **(من قريب)**:

أي قبل لحظة الاحتضار كما يدلُّ على هذا المعنى الآية التالية.

---

(١) سورة يونس: الآيتان ٩٠ ـ ٩١.

(٢) سورة النساء: الآيتان ١٧ ـ ١٨.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٦.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمُكَارِي، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكُبْكِبُوا[١] فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ[٢]﴾ [الشُّعَرَاء: ٩٤] قَالَ: هُمْ قَوْمٌ وَصَفُوا عَدْلاً بِأَلْسِنَتِهِمْ ثُمَّ خَالَفُوهُ إِلَى غَيْرِهِ.

ويمكن أن يكون معنى ﴿من قريب﴾ هو بعد إتيان الذنب مباشرة قبل أن يتعود عليه ويُشرب في قلبه الذنب كما في قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾(١) فإنَّ التوبة حينئذٍ تكون متعسرة إن لم تكن متعذرة ـ عادة ـ.

الحديث الرابع:

[١] (كبكبوا):
كبكبه بمعنى صرعه وألقاه على وجهه.
وتكرار (الكب) لعلّه لدلالة التكرار في المعنى، مثل (زلزل).

[٢] (هم والغاوون):
في أكثر التفاسير رجوع (هم) إلى الآلهة التي عُبدت من دون الله، والغاوون أتباع الآلهة، فقوله عليه السلام «هم قوم» تفسير للغاوين في قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ وهذا المعنى يؤيده السياق أيضاً ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٩٣.
(٢) سورة الشعراء: الآيات ٩١ ـ ٩٥.

بَابُ النَّوَادِرِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ رَفَعَهُ قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: رَوِّحُوا[١] أَنْفُسَكُمْ بِبَدِيعِ الْحِكْمَةِ[٢]، فَإِنَّهَا تَكِلُّ[٣] كَمَا تَكِلُّ الْأَبْدَانُ.

«النوادر»: أخبار متفرقة مناسبة للأبواب السابقة، ولا يمكن جمعها في باب ولا بحسن عقد باب لكل واحد منها.

الحديث الأول:

[١] (روّحوا):
من الرَّوْح أي الراحة، وأصله بمعنى الفَرَج والرحمة.

[٢] (ببديع الحكمة):
«البديع» من الابتداع أي الجديد غير المتكرر كما في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾(١) ومنه البدعة وهي استحداث أمر في الدين لم يكن من قبل.
و«بديع الحكمة» نفائسها.

[٣] (فإنّها تكلّ):
«الكلال»: الضعف والثقل، ومنه قولهم (كلَّ لساني)، وكلال النفس هو الفتور عن الطاعات وعدم الرغبة في الحق بسبب الانشغال بالشهوات، أو بسبب الكسل من كثرة الطاعات والعبادات.
ونفائس الحكمة تنشط النفس.

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٩.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ نُوحِ بْنِ شُعَيْبٍ النَّيْسَابُورِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الدِّهْقَانِ، عَنْ دُرُسْتَ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ، عَنْ عُرْوَةَ ابْنِ أَخِي شُعَيْبٍ الْعَقَرْقُوفِيِّ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: يَا طَالِبَ الْعِلْمِ إِنَّ الْعِلْمَ ذُو فَضَائِلَ كَثِيرَةٍ[١]: فَرَأْسُهُ التَّوَاضُعُ[٢]، وَعَيْنُهُ الْبَرَاءَةُ مِنَ الْحَسَدِ[٣]، وَأُذُنُهُ الْفَهْمُ[٤].

الحديث الثاني:

جعل في الوافي هذا الحديث في باب صفة العلماء، ولعلَّه الباب المناسب له.

[١] **(ذو فضائل كثيرة):**

شبَّه العلم بإنسان كامل الأعضاء والقوى، ومجهّز بما يحتاج إليه من مستقر ومركب وسلاح وزاد، وما إلى ذلك.

وكما أنَّ الإنسان إذا فقد بعض هذه الأمور مات أو كان ناقصاً أو مفتقراً محتاجاً، كذلك العلم إذا فقد بعض هذه الأمور.

[٢] **(فرأسه التواضع):**

بقطع الرأس يموت الإنسان، وبفقد التواضع ينتفي العلم، لأنَّ تحصيل العلم يحتاج إلى تواضع، فمن تكبَّر لا يحصِّل العلم خشية على كبره، لأنَّه كثيراً ما يكون تحصيل العلم عند الأدون اجتماعياً، أو لأنَّه يستعلي على أهل العلم فلا يأخذ منهم.

[٣] **(وعينه البراءة من الحسد):**

كما أنَّ الأعمى لا يبصر ما يريد، ويحتاج إلى غيره في أموره.

كذلك الحسد يعمي العلم، بمعنى أنَّ الحسد يتحول إلى غشاوة على بصر الحاسد فلا يبصر أهل العلم ليأخذ منهم.

[٤] **(وأُذنه الفهم):**

أي فهم المراد والمقصود، كما في قوله: (لا يكون الرجل فقيهاً حتى يعرف

وَلِسَانُهُ الصِّدْقُ[٥]، وَحِفْظُهُ الْفَحْصُ[٦]، وَقَلْبُهُ حُسْنُ النِّيَّةِ[٧]، وَعَقْلُهُ مَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ وَالْأُمُورِ[٨].

معاريض كلامنا)(١) وقال تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾(٢).

فإنَّ من لا يفهم يكون كمن لا يسمع قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾(٣).

[٥] **(ولسانه الصدق):**

كما أنَّ الأخرس لا ينتفع الناس بمنطقه، كذلك الكاذب لا ينتفع الناس بما عنده، لعدم اعتمادهم عليه.

[٦] **(وحفظه الفحص):**

العلم بلا فحص كإنسان بلا حفظ، فالغافل غير الحافظ ينسى الكثير ويغفل عن الكثير، كذلك العلم الذي لا فحص فيه، فإنَّه بالفحص تظهر كثير من الأمور.

[٧] **(قلبه حُسن النية):**

أي تكون نيته تحصيل مرضاة الله من العلم، والعلم الذي لا حُسن نية فيه كجسد ميت لا قلب فيه.

[٨] **(عقله معرفة الأشياء والأمور):**

«العقل» هو القوة المميزة بين الحسن والقبح.

وهكذا معرفة الأمور والأشياء هي القوة المميزة للعلم، فعلم بلا هذه القوة كجسم بلا عقل.

و«المعرفة» هي: معرفة ما لا بدَّ منه من أمور الدِّين والدُّنيا، وبه يتمكن الإنسان من التمييز.

ويمكن أن يكون المراد: معرفة زوال الدُّنيا، وما يوجب الرغبة عنها، والرغبة في الآخرة.

---

(١) معاني الأخبار: ص٢، باب معنى الاسم، ح٣.

(٢) سورة الحاقة: الآية ١٢.

(٣) سورة النمل: الآية ٨٠.

وَيَدُهُ الرَّحْمَةُ[٩]، وَرِجْلُهُ زِيَارَةُ الْعُلَمَاءِ[١٠]، وَهِمَّتُهُ السَّلَامَةُ[١١]، وَحِكْمَتُهُ الْوَرَعُ[١٢]، وَمُسْتَقَرُّهُ النَّجَاةُ[١٣]، وَقَائِدُهُ الْعَافِيَةُ[١٤].

---

[٩] **(يده الرحمة):**
كما أنَّ الإنسان بلا يد لا يتمكن من فعل الكثير من الأمور، كذلك علم بلا رحمة، والرحمة هنا إما للمتعلمين منه أو للأعم.

[١٠] **(رجله زيارة العلماء):**
كما أنَّ الإنسان بالرجل يذهب إلى حوائجه فيقضيها، كذلك زيارة العلماء توجب زيادة العلم وحلّ كثير من مشكلاته وقضاء حوائجه العلمية.

[١١] **(همته السلامة):**
كما أنَّ الإنسان يطير بهمته وتوصل الهمة صاحبها إلى الأعالي، كذلك السلامة من المعاصي أو سلامة الناس من شره توصله إلى القمة.

[١٢] **(حكمته الورع):**
«الحكمة» وضع الأشياء في موضعها، فكما أنَّ الإنسان بحاجة إلى حكمة حتى لا يزلّ، كذلك العلم بحاجة إلى الحكمة ووضعه في المكان المناسب وهو إطاعة الله باجتناب المحرمات والمعاصي.
ويمكن أن يكون (حَكَمَته) ـ بفتح الحاء والكاف ـ وهو جزء من اللجام يحيط بحنك الدابة.

[١٣] **(مستقره النجاة):**
كما البدن بحاجة إلى محل استقرار وسكن، كذلك العلم لا يستقر إلا فيما فيه النجاة وهي اليقينيات.
أو المراد بالنجاة الجنة أي لا يستقر العالم بل يسعى حتى يموت وفي موته الراحة والنجاة من المشاكل.

[١٤] **(قائده العافية):**
أي ما يقوده إلى النجاة هي العافية من المعاصي والشرور التي تسوق إلى النار.

وَمَرْكَبُهُ الْوَفَاءُ[١٥]، وَسِلَاحُهُ لِينُ الْكَلِمَةِ[١٦]، وَسَيْفُهُ الرِّضَا[١٧]، وَقَوْسُهُ الْمُدَارَاةُ[١٨]، وَجَيْشُهُ مُحَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ[١٩]، وَمَالُهُ الْأَدَبُ[٢٠]، وَذَخِيرَتُهُ اجْتِنَابُ الذُّنُوبِ[٢١]، وَزَادُهُ الْمَعْرُوفُ[٢٢].

---

[١٥] **(مركبه الوفاء):**

فإنَّ الوفاء يوصل العالم إلى مقاصده بسرعة كالدابة السريعة.

[١٦] **(سلاحه لين الكلمة):**

لأنَّه بها يتغلب على كل عدوّ، ويُرهب كل عدوّ أيضاً.

[١٧] **(سيفه الرضا):**

الرضا بالقضاء يمكّن الإنسان العالم من التغلب على أعدائه شياطين الجن والإنس، وكأنَّ الرضا لدفع العدوّ القريب لذا شبّه بالسيف وكذلك يدفع بالرضا المضرة العاجلة كالسيف.

[١٨] **(قوسه المداراة):**

المداراة تمكّن الإنسان العالم من التغلب على العدو البعيد من شياطين الإنس، وكذلك يدفع بالمداراة المضرة الآجلة.

[١٩] **(جيشه محاورة العلماء):**

فإنَّ محاورتهم تقويه في علمه كما أنَّ الجيش يقوي الملك.

[٢٠] **(ماله الأدب):**

«المال»: البضاعة التي يتّجر بها. فالأدب كالبضاعة للعلم حيث يكسب بالأدب.

[٢١] **(ذخيرته اجتناب الذُّنوب):**

«الذخيرة»: ما يُحفظ لوقت الحاجة. واجتناب الذُّنوب تفيد الإنسان يوم لا مال وبنون.

[٢٢] **(زاده المعروف):**

«الزاد»: ما يصرفه الإنسان لحاجاته اليومية. والمعروف زاد العلم فبالمعروف يتقوّى العلم.

وَمَاؤُهُ الْمُوَادَعَةُ[٢٣]، وَدَلِيلُهُ الْهُدَى[٢٤]، وَرَفِيقُهُ مَحَبَّةُ الْأَخْيَارِ[٢٥].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: نِعْمَ وَزِيرُ[١] الْإِيمَانِ الْعِلْمُ[٢]، وَنِعْمَ وَزِيرُ الْعِلْمِ الْحِلْمُ[٣]،

---

[٢٣] **(ماؤه الموادعة):**
«الموادعة»: المصالحة والسكون. فالجسم لا حياة له بلا ماء كذلك العلم لا يمكن أن يستمر إلا بالمصالحة وترك التعرُّض للآخرين.

[٢٤] **(دليله الهدى):**
أي هدى الله الواصل عبر الأنبياء عليهم السلام دليل الإنسان ومرشده ليصل إلى الحق.

[٢٥] **(رفيقه محبة الأخيار):**
فكما رفقة السفر توجب الأمن من قطّاع الطرق، كذلك محبة الأخيار فإنَّها توجب مصاحبتهم والأنس بهم والتأثر بهم.
وفي رواية تحف العقول (صحبة الأخيار).

الحديث الثالث:

[١] **(نعم وزير):**
«الوزير»: هو من يعين الحاكم بمشورة أو تدبير أو نحو ذلك.
وكل واحد من هذه الأوصاف يتقوّى بلاحقه كما سيتضح.

[٢] **(وزير الإيمان العلم):**
«الإيمان»: التصديق بالله ورسوله واليوم الآخر وما يلحق بها من المعارف، وهذا التصديق لا يتقوّى إلا بالعلم بأدلتها ودفع الشُّبهات ونحو ذلك.

[٣] **(وزير العلم الحلم):**
لأنَّه بالحلم يقوى العلم، حيث لا يستفزه الجهال، فمحركه العلم لا الغضب، حيث إنَّ العلم بلا حلم قد يؤدي بالإنسان إلى الهلكة.

وَنِعْمَ وَزِيرُ الْحِلْمِ الرِّفْقُ[٤]، وَنِعْمَ وَزِيرُ الرِّفْقِ الصَّبْرُ[٥].

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْعِلْمُ[١]؟ قَالَ: «الْإِنْصَاتُ[٢]»، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «الِاسْتِمَاعُ[٣]»، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ:

---

[٤] (وزير الحلم الرفق):
«الرفق»: التلطف وعدم الخرق والخشونة، وهو ممَّا يترتب على الحلم، فبعد أن لم يستفز الجهال الإنسان فإنَّ عليه التلطف.

[٥] (وزير الرفق الصبر):
لأنَّ الرفق يحتاج إلى طول بال وتحمّل ونحو ذلك.

الحديث الرابع:

[١] (ما العلم):
لعلَّه يسأل عن طريق حصول العلم.
أو لعلَّه سأل عن حقيقة العلم فأجابه الرسول صلى الله عليه وآله بأسبابه وغايته، فأما السبب لحصوله فالاستماع والإنصات، وأما سبب البقاء فهو الحفظ، وأما غايته فهي العمل به ونشره.

[٢] (الإنصات):
هو السكوت عند الاستماع كقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾(١) فالاستماع أن يعطيه قلبه وفكره، والإنصات السكوت في تلك الحال.
والسبب أنَّ كثرة مجادلة العلماء يحرمه عن تلقي العلوم منهم.

[٣] (الاستماع):
أي الالتفات والتركيز على ما يقال، ولذا فرّق بعض الفقهاء بين السماع والاستماع في بعض الموارد.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠٤.

«الْحِفْظُ[٤]»، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «الْعَمَلُ بِهِ»، قَالَ: ثُمَّ مَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَشْرُهُ[٥]».

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: طَلَبَةُ الْعِلْمِ ثَلَاثَةٌ فَاعْرِفْهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ[١]: ....

وإنَّما قدَّم الإنصات على الاستماع مع أنَّ الآية قدّمت الاستماع، لأنَّ طالب العلم في المرحلة الأولى عليه التلقي فقط بدون نقاش، ثم في المرحلة الثانية عليه الاستماع الذي قد يكون معه نقاش.

في حين أنَّه عند تلاوة القرآن عليه الاستماع أولاً ثم عدم النقاش بل التسليم المطلق فتأمل.

[٤] **(الحفظ)**:

لعلَّ المراد بالحفظ هنا أعمّ من الحفظ في الذهن، بل يشمل الكتابة ونحوها.

[٥] **(نشره)**:

قدّم العمل على النشر، لأنَّه بلا عمل لا يمكن النشر ـ عادة ـ، أو لأنَّ العمل أوجب من النشر، أو لأنَّ العمل مقدمة للنشر.

الحديث الخامس:

[١] **(اعرفهم بأعيانهم وصفاتهم)**:

«أعيانهم»: أي أشخاصهم (الحقيقية الجزئية). و«صفاتهم»: أي بالأوصاف التي تحلّوا بها فتشمل الأفعال ونحوها.

فالمعنى اعرفهم بأنفسهم وبصفاتهم.

أما معرفتهم بأعيانهم فلكي لا يخدع بالصنفين الأولين ولا يتبعهم، ولكي يتبع الصنف الأخير.

وأما معرفتهم بصفاتهم حتى يجتنب صفات الصنفين الأولين ويتحلى بصفات الصنف الأخير، ولدى اختلاط طلبة العلم يميِّز بين الصالح وغيره بهذه الصفات.

صِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْجَهْلِ وَالْمِرَاءِ[٢]، وَصِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلاسْتِطَالَةِ وَالْخَتْلِ[٣]، وَصِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْفِقْهِ وَالْعَقْلِ[٤]، فَصَاحِبُ الْجَهْلِ وَالْمِرَاءِ مُوذٍ[٥] مُمَارٍ، مُتَعَرِّضٌ لِلْمَقَالِ[٦] فِي أَنْدِيَةِ الرِّجَالِ بِتَذَاكُرِ الْعِلْمِ وَصِفَةِ الْحِلْمِ، قَدْ

---

[٢] **(للجهل والمراء):**
«الجهل» ضد العقل، ويُراد به الجهالة والجاهلية أو السفاهة فهذا طلبه ليس للعقل ـ عكس الصنف الأخير ـ.
وفرق هذا الصنف عن الصنف الثاني، أنَّ هذا يطلب العلم للأمور السفهية ومنها المراء، وذاك يطلبه للرئاسة والدُّنيا، فهذا أحمق وذاك خبيث.

[٣] **(للاستطالة والختل):**
«الاستطالة»: الترفع والتكبر، ومنه الرئاسة.
و«الختل»: الخداع، ويؤدي ذلك إلى جمع المال من الحرام.

[٤] **(للفقه والعقل):**
أي ليفهم الأمور وليكمل عقله.
أو المراد من الفقه: معرفة الأمور الدينية، ومن العقل: تعقّل الأمور الدنيوية ونحوها.

الصنف الأول

وهو من يطلب العلم للأمور السفهية.

[٥] **(مؤذٍ):**
لأنَّه ليس بطالب فقه وعقل حتى ينفكّ عن الإيذاء، وليس بطالب رئاسة حتى يترك الإيذاء طلباً لها، بل هو قليل العقل فيؤذي الناس بما حصّله من العلم.

[٦] **(متعرّض للمقال). . . الخ:**
أي قوله مخالف لفعله، فيصف العلم والحلم لكنَّه لا يتصف بهما، أو بمعنى أنَّه يمدح نفسه بأنَّه عالم حليم وليس بهما.

تَسَرْبَلَ[٧] بِالْخُشُوعِ[٨] وَتَخَلَّى مِنَ الْوَرَعِ، فَدَقَّ اللَّهُ مِنْ هَذَا خَيْشُومَهُ[٩]، وَقَطَعَ مِنْهُ حَيْزُومَهُ[١٠]. وَصَاحِبُ الإِسْتِطَالَةِ وَالْخَتْلِ، ذُو خِبٍّ[١١]

---

[٧] **(تسربل):**
من السربال وهو القميص، قال تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾(١).
فالمعنى قد تظاهر بالخشوع ولكن باطنه خلاف ذلك.

[٨] **(الخشوع):**
«الخشوع»: هو ظهور الخوف من الله على الأعضاء الظاهرة كما في قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾(٢)، وقد يقال لخوف القلب أيضاً خشوع لكن إذا ظهر على الأعضاء الظاهرة.

[٩] **(خيشومه):**
وهو أعلى الأنف وأقصاه ممَّا يلي الجبهة. ومعنى (دقّ الله خيشومه): أذلّه الله تعالى.

[١٠] **(الحيزوم):**
أي: وسط الصدر، ومعنى قطع الحيزوم: الهلاك، لأنَّ حياة الإنسان بما في وسط الصدر إذا قُطع مات الإنسان.
وفي المرآة: (الحيزوم: ما استدار بالظهر والبطن، أو الضلع الذي يلي القلب أو ما اكتنف بالحلقوم)، وقطع كل واحد منها يوجب الهلاك.

الصنف الثاني

وهو من يطلب العلم طلباً للرئاسة.

[١١] **(ذو خبّ):**
«الخِبّ»: هو الخدعة، ويقال للضب أساساً لكثرة خداعه لمن يريد صيده.

---

(١) سورة النحل: الآية ٨١.
(٢) سورة طه: الآية ١٠٨.

وَمَلَقٍ[١٢] يَسْتَطِيلُ عَلَى مِثْلِهِ مِنْ أَشْبَاهِهِ[١٣]، وَيَتَوَاضَعُ لِلْأَغْنِيَاءِ مِنْ دُونِهِ[١٤]، فَهُوَ لِحَلْوَائِهِمْ[١٥] هَاضِمٌ وَلِدِينِهِ حَاطِمٌ[١٦]، فَأَعْمَى اللَّهُ عَلَى هَذَا[١٧] خُبْرَهُ، وَقَطَعَ مِنْ آثَارِ الْعُلَمَاءِ[١٨] أَثَرَهُ، وَصَاحِبُ الْفِقْهِ وَالْعَقْلِ ذُو كَآبَةٍ وَحَزَنٍ

---

[١٢] **(ملق):**
التملق والملق هو الإعطاء باللِّسان ما ليس في القلب.

[١٣] **(يستطيل على مثله من أشباهه):**
وذلك لأنَّه طالب رئاسة، ولأنَّه يعلم بأنَّه لا يتمكن من الرئاسة على أمثاله فإنَّه يظهر وجهه الحقيقي لهم من التكبر عليهم ونحو التكبر.

[١٤] **(من دونه):**
لأنَّ العالم أعلى مرتبة من الغني، لكنَّه يريد الأخذ من أموالهم، فيرى نفسه مضطراً إلى التواضع لهم ـ ممَّا ليس في شأنه ـ.

[١٥] **(حلوائهم):**
أي الأموال التي يستحصلها منهم.
وفي بعض النسخ (حُلوانِهم) ـ بضم الحاء وبالنون ـ وهي الأجرة والرشوة، ووجه التشبيه أنَّ ما يعطونه من أموال كالرشوة مقابل تملقه لهم.

[١٦] **(حاطم):**
فهو يأخذ قليلاً من الحلواء ويعطي كثيراً من الدين بل يحطم دينه.

[١٧] **(فأعمى الله على هذا)... الخ:**
دعاء عليه بالهلاك، لأنَّ أمثال هؤلاء يذكرون ما داموا أحياء، لكن إذا ماتوا انقطع خبرهم.

[١٨] **(وقطع من آثار العلماء)... الخ:**
وهو دعاء ثان عليه، بأنَّه إذا ترك أثراً علمياً من كتاب ونحوه، فلا يُستفاد منه ويطويه النسيان.

وَسَهَرٍ[١٩]، قَدْ تَحَنَّكَ فِي بُرْنُسِهِ[٢٠]، وَقَامَ اللَّيْلَ فِي حِنْدِسِهِ[٢١]، يَعْمَلُ وَيَخْشَى[٢٢]

الصنف الثالث

وهو من يطلب العلم للفقه والعقل.

[١٩] **(ذو كآبة وحزن وسهر):**

«الكآبة»: الانكسار وسوء الحال من شدة الهم والحزن.

و«الحزن»: على أمر فائت، كما في قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾[١] ولعلَّ الفرق بينهما، أنَّ الكآبة ما يظهر على صفحات الوجه، والحزن في القلب.

ونتيجة الكآبة والحزن هو السهر.

هذه الأمور لصاحب الفقه والعقل، لأنَّه يفكر فيما فاته من الأعمال الصالحة أو الفرص أو الخوف من عدم حصول ما يتوقعه من الدرجات العالية عند الله تعالى، ونحو ذلك.

[٢٠] **(تحنّك في برنسه):**

«البرنس»: هو القلنسوة الطويلة، وقيل كان يلبسها النُّساك في صدر الإسلام.

ولعلَّ المراد تواضعه بفتح الحنك لأنَّه يناسب هيئة المتواضعين.

أو المراد أنَّه كثير الصلاة لأنَّ التحنّك مستحب في الصلاة ولذا ذكر هذا التشبيه، وهذا الاحتمال أقرب بقرينة ما بعده بل وما قبله أيضاً.

[٢١] **(حندسه):**

ظلمة الليل يقال لها (الحندس)، ولعل المراد قيامه لصلاة الليل، أو بمعنى يستفيد من أوقاته لطلب العلم والآخرة بتقليل النوم والراحة.

[٢٢] **(يعمل ويخشى):**

من الخشية أي الخوف، فإنَّه يخاف أن لا يُقبل منه عمله.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٣.

وَجِلاً[٢٣] دَاعِياً مُشْفِقاً[٢٤]، مُقْبِلاً عَلَى شَأْنِهِ[٢٥]، عَارِفاً بِأَهْلِ زَمَانِهِ[٢٦]، مُسْتَوْحِشاً مِنْ أَوْثَقِ إِخْوَانِهِ[٢٧]، فَشَدَّ اللَّهُ مِنْ هَذَا أَرْكَانَهُ[٢٨]، وَأَعْطَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَانَهُ.

وَحَدَّثَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقَزْوِينِيُّ، عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا مِنْهُمْ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّيْقَلِ بِقَزْوِينَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى الْعَلَوِيِّ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ صُهَيْبٍ الْبَصْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام .

---

[٢٣] **(وجلاً):**

«الوجل»: الخوف من سوء العاقبة.

[٢٤] **(داعياً مشفقاً):**

«الإشفاق»: هو الخوف بحذر وفيه معنى التعطف إذا كان على الناس، كقولهم: اشفق على الطفل، أي تعطف عليه وخاف عليه.
ويمكن أن يكون المراد أنَّه يدعو الناس إلى الهداية ويشفق عليهم بمعنى أنَّه يعطف عليهم.

[٢٥] **(مقبلاً على شأنه):**

أي على إصلاح نفسه وتهذيب باطنه.

[٢٦] **(عارفاً بأهل زمانه):**

فلا ينخدع بهم.

[٢٧] **(من أوثق إخوانه):**

لأنَّه يعلم أنَّه في يوم القيامة يكون الأخلّاء أعداء إلا المتقين.

[٢٨] **(أركانه):**

جوارحه، ويشمل القوى الأخرى أيضاً ـ مجازاً ـ كالعقل والدِّين والفهم وأمثالها.

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ رُوَاةَ الْكِتَابِ كَثِيرٌ[١]، وَإِنَّ رُعَاتَهُ قَلِيلٌ[٢]، وَكَمْ مِنْ مُسْتَنْصِحٍ لِلْحَدِيثِ مُسْتَغِشٌّ لِلْكِتَابِ[٣]، فَالْعُلَمَاءُ يَحْزُنُهُمْ تَرْكُ

الحديث السادس:

[١] **(رواة الكتاب كثير):**

الكتاب هو القرآن، فإنَّه يكثر قرّاءه، وخاصة في زمان الإمام عليه السلام، حيث كان عصر روايات القرآن، حتى قال الإمام الباقر عليه السلام: «القرآن واحد نزل من عند الواحد والاختلاف إنَّما يجيء من الرواة»(١).

والمعنى: إنَّ المهتمين بألفاظ القرآن كثيرون، لكن من يفهمه ويعمل به قليل.

وقيل: إنَّ المراد بالكتاب أعمّ، لكن لا ينسجم هذا مع السياق.

[٢] **(رعاته قليل):**

الرعاية: بفهمه وتدبره واستعلام معانيه من أهله ثم العمل به.

[٣] **(مستنصح للحديث مستغش للكتاب):**

أي يراعي معاني الحديث ولا يراعي معاني القرآن. وذلك حين تخالفهما فيترك القرآن ويأخذ بالرواية، مع أنَّ الرواية ـ حينئذٍ ـ موضوعة، وقد أُمرنا بترك ما خالف القرآن والضرب به عرض الجدار وأنَّه زخرف ونحو ذلك.

لكن هؤلاء يتركون القرآن ويتمسكون بالرواية، كما في تركهم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾(٢) وفي البخاري أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سُحر، سحره يهودي(٣)، فيقولون بصحة الرواية تاركين للقرآن ومدخلين أنفسهم في الظالمين الضّالين.

و«الاستنصاح»: هو عدّ الشيء خالصاً من الغش.

و«الاستغشاش»: عكس ذلك.

---

(١) الكافي: ج٢، ص ٦٣٠، باب النوادر، ح١٢.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٨.

(٣) البخاري: ج١٩، ص ٤٤٢، باب ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ح ٥٧٧٧.

الرِّعَايَةِ، وَالْجُهَّالُ يَحْزُنُهُمْ حِفْظُ الرِّوَايَةِ[٤]، فَرَاعٍ يَرْعَى حَيَاتَهُ[٥]، وَرَاعٍ يَرْعَى هَلَكَتَهُ[٦]، فَعِنْدَ ذَلِكَ[٧] اخْتَلَفَ الرَّاعِيَانِ، وَتَغَايَرَ الْفَرِيقَانِ[٨].

٧ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نَجْرَانَ عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي

---

[٤] **(يحزنهم حفظ الرواية):**
أي عدم قدرتهم على الحفظ.
ويمكن أن يكون المعنى أنَّ حفظهم للرواية وعدم عملهم يوجب حزنهم في الآخرة لترك العمل.
وقُرىء (يخزيهم) من الخزي، أي هذا الحفظ من غير عمل يوجب خزيهم في الدارين.

[٥] **(فراع يرعى حياته):**
أي حياته الأبدية في الآخرة في النعيم الأزل.

[٦] **(وراع يرعى هلكته):**
أي هلاكه الأبدي في الآخرة في نار جهنم.

[٧] **(فعند ذلك):**
أي عند تلك الحياة وتلك الهلكة ـ في الآخرة ـ، لأنَّه عادة لا يظهر الفرق في الدنيا بل قد يساوي الناس بينهما.

[٨] **(تغاير الفريقان):**
ففريق في الجنة وهم الراعون العاملون، وفريق في السعير وهم غير العاملين.

الحديث السابع:

مضمون هذا الحديث ورد مستفيضاً في روايات أخرى، فمنها ما في الوافي عن الصدوق في الخصال عن الإمام الكاظم عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ممَّا يحتاجون إليه في أمر دينهم، بعثه الله يوم

عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَنْ حَفِظَ[١] مِنْ أَحَادِيثِنَا[٢] أَرْبَعِينَ حَدِيثاً بَعَثَهُ

القيامة فقيهاً عالماً».

وفي رواية أخرى في الخصال «كنت شفيعاً له يوم القيامة».

وفي رواية أخرى «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى أمير المؤمنين عليه السلام فيما أوصى به أن قال له: يا علي: من حفظ من أمتي أربعين حديثاً ـ يطلب بذلك وجه الله عزَّ وجلَّ والدار الآخرة ـ حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصدِّيقين والشُّهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. فقال علي عليه السلام: يا رسول الله ما هذه الأحاديث فقال: ـ ثم عدد رسول الله صلى الله عليه وآله الأحاديث الأربعين ثم قال ـ: فهذه أربعون حديثاً، من استقام عليها وحفظها عنِّي من أمتي دخل الجنة برحمة الله، وكان من أفضل الناس وأحبهم إلى الله عزَّ وجلَّ بعد النبيين والصدِّيقين، وحشره الله يوم القيامة مع النبيين والصدِّيقين والشُّهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً»(١).

[١] (من حفظ):

«الحفظ»: هو المحافظة عن الاندراس والزوال، ويؤيده قوله في إحدى الروايات (على أمتي) أي لأجل أمتي.

وللحفظ مراتب، فمنها: حفظه عن ظهر القلب ونقله للآخرين كما كان يفعله الرواة الأوائل، ومنها: حفظه في الأوراق والكتب، ومنها: العمل بها ممَّا يوجب عمل الآخرين بها فلا تبقى متروكة ممَّا يوجب نسيانها، وهذا هو المراد من حديث الخصال التي ذكر فيه تفاصيل الأحاديث الأربعين.

[٢] (من أحاديثنا):

يخرج به أحاديث العامة لعدم اعتبارها، ولكثرة الكذب فيهم، ولعدم الحاجة إليها بعد ورود الصحيح منها في أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

(١) الوافي: ج١، ص١٣٦ ـ ١٣٩.
ورواية الخصال الأولى: ص٥٤١، ح١٥.
والثانية: ص٥٤٢، ح١٦.
والثالثة: ص٥٤٣، ح١٩.

اللَّهُ[٣] يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِماً فَقِيهاً[٤].

٨ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَمَّنْ

والحديث في اصطلاحنا: هو الكلام المروي عن المعصومين فقط، وفي كلام عامة المحدثين ما روي عن النبي ﷺ أو الإمام أو الصحابي أو التابعي أو من يحذو حذوهم ـ كذا في المرآة(١) ـ.

وقال العلامة المجلسي رحمه الله: وظاهر أكثر الأخبار تخصيص الأربعين بما يتعلق بأمور الدين من أُصول العقائد والعبادات القلبية والبدنية، لا ما يعمّها وسائر المسائل من المعاملات والأحكام.

بل يظهر من بعضها كون تلك الأربعين جامعة لأمهات العقائد والعبادات والخصال الكريمة والأفعال الحسنة(٢).

[٣] **(بعثه الله. . .) الخ:**

١ ـ إما لأجل أنَّ الإنسان بحفظ أربعين حديثاً وبالفهم والعمل يكون عالماً فقيهاً، إذ للعلم والفقه درجات، ولعلَّ هذا المقدار هو أدنى الدرجات، ومن كان عالماً فقيهاً في الدُّنيا حشر معهم في الآخرة.

٢ ـ أو لأجل أنَّ الله يتفضل عليه فيجعله في زمرة العلماء والفقهاء وإن لم يكن منهم، فيُثاب بثوابهم.

[٤] **(فقيهاً):**

ذكر الخاص بعد العام، لأنَّ الفقيه أخصّ من العالم، فالفقيه: العالم العامل الخبير بعيوب النفس التارك للدنيا الزاهد فيها الراغب إلى ما عنده تعالى.

الحديث الثامن:

الآية الشريفة في سورة عبس الآيات ٢٤ ـ ٣٢.

قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص ١٦٦.

(٢) المصدر نفسه.

ذَكَرَهُ، عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عَبَس: ٢٤] قَالَ: قُلْتُ: مَا طَعَامُهُ؟ قَالَ: عِلْمُهُ[١] الَّذِي يَأْخُذُهُ، عَمَّنْ يَأْخُذُهُ[٢].

فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

التفسير: لينظر الإنسان نظرة اعتبار وتفكّر ليرى آثار النعم، وصبّ الماء بالمطر، وشقّ الأرض بالنبات لأنَّه يشق التراب، والقضب: هو القت ويقال له بالفارسية (يونجة)، والحدائق الغلب: بمعنى كثيرة الأشجار تغلب بعضها بعضاً في الاستطالة، والأبّ هو المرعى.

[١] **(قال: علمه):**

هذا تأويل الآية، لأنَّ روح الإنسان ـ لبقاء حياتها المعنوية ـ بحاجة إلى طعام مستمر، وذلك هو العلم قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾(١) وكما أنَّ الطعام الذي يأكله الإنسان ينظر إلى كونه غير محظور بالتلوث والسم ونحوها، كذلك عليه أن ينظر إلى علمه ممَّن يأخذه.

وكما أنَّ الله تعالى هيّأ طعام البدن عبر إرسال الرياح اللواقح، وإهطال الأمطار، وتهيئة التراب ونحو ذلك.

كذلك بعث الأنبياء وأتبعهم بالأوصياء ثم العلماء الربانيين ليبينوا العلوم الحقّة للناس.

[٢] **(عمَّن يأخذه):**

فيجب أن يأخذه من منبعه الصافي وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام.

وبعد هذه الآيات المباركات ذكرت الآخرة، وأنَّ الناس صنفان، فصنف قال تعالى عنهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾(٢) المسفرة بمعنى المضيئة،

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

(٢) سورة عبس: الآية ٣٨.

٩ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: الْوُقُوفُ عِنْدَ الشُّبْهَةِ[١] خَيْرٌ مِنَ الاقْتِحَامِ فِي الْهَلَكَةِ[٢]، وَتَرْكُكَ حَدِيثاً لَمْ تُرْوَهُ[٣] خَيْرٌ مِنْ رِوَايَتِكَ حَدِيثاً لَمْ تُحْصِهِ[٤].

وصنف ثان قال تعالى عنهم: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾(١) وترهقها: أي تغشاها، والقترة: ظلة وسواد، وهؤلاء جامعون لسوء العقيدة بالكفر، وفساد العمل بالفجور.

ومن أخذ علمه ممَّن أمر الله وعمل به فهو من الصنف الأول، ومن لم يأخذ منهم فهو من الصنف الثاني.

الحديث التاسع:

[١] **(الوقوف عند الشُّبهة):**

أي عند اشتباه الحكم وعدم وضوحه على الإنسان، و«الوقوف» بمعنى الاحتياط وعدم الارتكاب.

[٢] **(الاقتحام في الهَلَكة):**

«الاقتحام»: هو رمي النفس في الشيء من غير تفكّر وتأمل، أو بمعنى الدخول الذي لا يؤمن عواقبه.

«الهلكة»: بمعنى الهلاك، وذلك بالوقوع في ما يسخط الله تعالى.

[٣] **(حديثاً لم ترْوه):**

أي حديثاً لم تعلم أنَّه حق.

فعلى الإنسان أن يترك هذا الحديث، لأنَّ في أخذه احتمال الهلاك، وهذا الترك أفضل لأنَّ في الترك دفع للمفسدة.

[٤] **(حديثاً لم تحصه):**

«الإحصاء» لغة: العدّ، ثم استعمل في معرفة الشيء تفصيلاً ـ بمناسبة أنَّ

---

(١) سورة عبس: الآيات ٤٠ ـ ٤٢.

١٠ ـ مُحَمَّدٌ، عَنْ أَحْمَدَ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الطَّيَّارِ أَنَّهُ عَرَضَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بَعْضَ خُطَبِ أَبِيهِ[١] حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَوْضِعاً مِنْهَا قَالَ لَهُ: كُفَّ وَاسْكُتْ[٢]. ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لَا يَسَعُكُمْ فِيمَا يَنْزِلُ بِكُمْ مِمَّا لَا تَعْلَمُونَ[٣] إِلَّا الْكَفُّ عَنْهُ[٤] وَالتَّثَبُّتُ[٥]، وَالرَّدُّ إِلَى أَئِمَّةِ

العد يستلزم الاطلاع الكامل ـ، (حديثاً لم تروه) عبارة أخرى عن (حديثاً لم تروه)، لكن كرّره للأهمية، فالمعنى أن تترك هذا الحديث خير من أن ترويه.

والحاصل من معنى الحديث: أنَّه إذا تردد الأمر بين أن تترك حديثاً لم تكن على يقين ومعرفة بأنَّه صحيح، وبين أن ترويه، فالأولى أن لا ترويه.

الحديث العاشر:

[١] **(خطب أبيه):**

الظاهر رجوع ضمير (أبيه) إلى الإمام عليه السلام فيكون المراد الإمام الباقر عليه السلام.

ويحتمل رجوعه إلى الراوي أي خطب محمد الطيار والد حمزة.

[٢] **(كف واسكت):**

الأمر بعدم القراءة والسكوت يحتمل وجوهاً:

١ ـ اكتفى الإمام عليه السلام بما سمعه منعه فأراد أن يعظه.

٢ ـ أو أن الموضع الذي وصل إليه كان يحتاج إلى توضيح، لغموض فيه أو لعدم استيعاب القارىء.

٣ ـ أو كان كلام الإمام عليه السلام شرحاً لما كان يقرؤه ابن الطيار.

[٣] **(ممَّا لا تعلمون):**

أي لا تستوعبونه.

[٤] **(الكفّ عنه):**

فلا يجوز الإنكار لمجرد عدم فهم المقصود، بل يلزم الكفّ والتوقف.

[٥] **(التثبت):**

التحقيق، فيكون قوله (والرد) عطفاً تفسيرياً للتثبت، أي التثبت عبر إرجاعه إلى الأئمة عليهم السلام.

الْهُدَى حَتَّى يَحْمِلُوكُمْ[٦] فِيهِ عَلَى الْقَصْدِ[٧] وَيَجْلُوا[٨] عَنْكُمْ فِيهِ الْعَمَى، وَيُعَرِّفُوكُمْ فِيهِ الْحَقَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ[٩] إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

١١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: وَجَدْتُ عِلْمَ النَّاسِ[١] كُلَّهُ فِي أَرْبَعٍ[٢]:

---

[٦] **(يحملوكم):**
أي يبينون لكم الوجه الذي أُشكل عليكم ولم تفهموه و«الحمل» باعتبار أن ما يفهمه الإنسان كأنه مَرّكَبٌ استمكن منه الشخص.
وفي بعض النسخ (يحكّموكم) بمعنى الرد.

[٧] **(على القصد):**
بمعنى المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط.
ويحتمل أن يكون معنى القصد هنا: (بيان المراد).

[٨] **(يجلو):**
من الجلاء بمعنى الكشف.

[٩] **(أهل الذكر):**
الذكر هو القرآن.

الحديث الحادي عشر:

[١] **(علم الناس):**
أي ما يحتاج الناس إلى معرفته.

[٢] **(في أربع):**
وما خلا ذلك فضل.
وعدم الإتيان بالتاء في (أربع) مع أنَّ (العلم) مذكر، وعدده يلزم أن يكون مؤنثاً، لأنَّ المراد من العلم المعرفة لأنَّه عليه السلام كرَّر قوله: (أن تعرف) في المواضع الأربعة.

أَوَّلُهَا: أَنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ[٣]، وَالثَّانِي: أَنْ تَعْرِفَ مَا صَنَعَ بِكَ[٤]، وَالثَّالِثُ: أَنْ تَعْرِفَ مَا أَرَادَ مِنْكَ[٥]، وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْرِفَ مَا يُخْرِجُكَ مِنْ دِينِكَ[٦].

١٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ؟ فَقَالَ: أَنْ يَقُولُوا[١] مَا

---

[٣] **الأول: (أن تعرف ربك):**
معرفة صحيحة حقيقية، بصفاته وذاته، فيكون توحيدك صحيحاً بتوحيد الذات والصفات والأفعال وكل ما يتعلق بالله تعالى.

[٤] **الثاني: (ما صنع بك):**
أي تعرف نِعم الله تعالى عليك، بأن تعرف أنَّه خلقك وأعطاك العقل والقدرة، وأرسل إليك الرسل والأوصياء، وأنزل إليك الكتب، ويدخل في هذا القسم المعاد، لأنَّه ممَّا يصنع الله بالإنسان. والماضوية إما من باب التغليب أو لأنَّ المعاد متحقق الوقوع.

[٥] **الثالث: (ما أراد منك):**
أي الواجبات.

[٦] **الرابع: (ما يخرجك من دينك):**
أي: المحرمات، وإخراجها من الدِّين إما إلى الكفر أو إلى الفسق.
ويمكن تفسير الثالث بما يعمّ الواجبات والمحرمات، والرابع بمعرفة ضروريات الدِّين فيدخل المعاد والنبوة ونحوها في القسم الرابع لا الثاني. لكنَّه بعيد.

الحديث الثاني عشر:

[١] **(أن يقولوا):**
١ ـ لعلَّ المراد بالقول ما يعمّ الاعتقاد القلبي والقول اللِّساني والعمل الجوارحي. لأنَّه إذا قال قولاً عن عقيدة فإنَّه يعمل به، وهذا أداء حق الله تعالى.

يَعْلَمُونَ وَيَكُفُّوا عَمَّا لَا يَعْلَمُونَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ أَدَّوْا إِلَى اللَّهِ حَقَّهُ.

١٣ - مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ الْعِجْلِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: اعْرِفُوا مَنَازِلَ النَّاسِ[١] عَلَى قَدْرِ رِوَايَتِهِمْ عَنَّا[٢].

---

٢ - وقيل لأنّه إذا صدّق فعلُه قولَه هداه الله إلى علم ما بعده، فتأمل.

٣ - ويمكن أن يكون المراد ذكر أحد حقوق الله تعالى. ولعلَّ هذا المورد كان محل ابتلاء السائل أو المستمعين فلذا أجاب الإمام عليه السلام به دون غيره من الحقوق.

الحديث الثالث عشر:

[١] **(منازل الناس):**

١ - أما المراد خصوص الشيعة - وهو الأظهر - فالمعنى اعرفوا درجتهم من هذا الأمر - وهو قدر روايتهم عن الأئمة عليهم السلام -.

٢ - أو المراد الأعم، فيشمل حتَّى غير الشيعة فإنَّ البعد عن أهل البيت عليهم السلام له درجات أيضاً - وهذا المعنى بعيد عن السياق وإن كان «الناس» يُراد منه العامة - عادة -.

[٢] **(على قدر روايتهم عنَّا):**

«القدر» يُحتمل فيه وجوه:

١ - الكميَّة: أي كثرة الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام، ممَّا يكشف عن شدة ملاصقته بهم، وشدة حبه لهم، وكثرة اعتقاده بهم.

٢ - الكيفية: أي نوعية الحديث الذي ينقله، فقد ينقل حديثاً عاماً بسيطاً، وقد ينقل أحاديث تحتوي على معاني دقيقة، فإن كان هو السامع عن الإمام فيكشف ذلك اهتمام الإمام به وتحمله لهذه المعاني فلذا قالها الإمام له، وإن كان يروي عن السامع أو ما في الكتاب فيكشف ذلك عن علمه وفهمه واستيعابه.

٣ - كلاهما معاً - وهو الأقرب -.

١٤ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا الْغَلَابِيِّ، عَنِ ابْنِ عَائِشَةَ الْبَصْرِيِّ رَفَعَهُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ فِي بَعْضِ خُطَبِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بِعَاقِلٍ مَنِ انْزَعَجَ مِنْ قَوْلِ الزُّورِ فِيهِ[١]، وَلَا بِحَكِيمٍ مَنْ رَضِيَ بِثَنَاءِ

قال العلامة المجلسي:(١):

«هذا طريق إلى معرفة الرجال غير ما ذكره أرباب الرجال، وهو أقوى وأنفع في هذا الباب، فإنَّ بعض الرواة نرى أخبارهم مضبوطة ليس فيها تشويش كزرارة ومحمد بن مسلم وأضرابهما، وبعضهم ليسوا كذلك كعمار الساباطي.

وكذا نرى بعض الأصحاب أخبارهم خالية عن التقية كعلي بن جعفر، وبعضهم أكثرها محمول على التقية كالسكوني وأضرابه.

وكذا نرى بعض الأصحاب رووا مطالب عالية ومسائل غامضة وأسراراً كثيرة كهشام بن الحكم ومفضل بن عمر، ولم نر في أخبار غيرهم ذلك.

وبعضهم رووا أخباراً كثيرة وذلك يدلُّ على شدة اعتنائهم بأمور الدِّين وبعضهم ليسوا كذلك.

وكل ذلك من مرجحات الرواة ويظهر الجميع بالتتبع التام فيها» انتهى.

أقول: المشهور عدم قبول هذا المبنى، لضعف السند، وللدور ـ إذا أريد تطبيقه على سهل وابن سنان ـ، ولعدم وضوح إرادة الوثاقة من قوله (منازل الناس) فلعل المراد شدة الولاء لا الوثاقة ولغير ذلك، ثم إن هذا على فرض ثبوت روايتهم عن الأئمة بأن يكون هنالك اطمئنان بسند الرواية إلى ذلك الراوي، وإلَّا فإنَّه يكون من باب «ثبِّت العرش ثم انقش» أي إثبات أنَّه روىٰ ثم تطبيق هذه القاعدة عليه.

الحديث الرابع عشر:

[١] **(انزعج من قول الزور فيه):**

«الانزعاج» هو الاقتلاع من مكانه، أي يخرج عن طوره. والعاقل لا يخرج

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص١٧١.

الْجَاهِلِ عَلَيْهِ[٢]، النَّاسُ أَبْنَاءُ مَا يُحْسِنُونَ[٣]، وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ، فَتَكَلَّمُوا فِي الْعِلْمِ تَبَيَّنْ أَقْدَارُكُمْ.

١٥ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يُقَالُ لَهُ: عُثْمَانُ الْأَعْمَى وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ يَزْعُمُ[١] أَنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْعِلْمَ يُؤْذِي رِيحُ بُطُونِهِمْ أَهْلَ النَّارِ، فَقَالَ أَبُو

من طوره ـ كائناً ما كان ـ بل يعمل حسب ما تمليه عليه الوظيفة الشرعية في كل الظروف.

[٢] **(رضي بثناء الجاهل عليه)**:

١ ـ لأنَّ ثناء الجاهل منقصة، وذمه كمال، قال المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأنِّي كامل

٢ ـ وقيل إنَّ كل شيء يميل إلى شاكلته فلو مدح الجاهل الحكيم ورضي الحكيم بذلك انكشف أنَّه ليس بحكيم وإلَّا لما مال الجاهل إليه.

٣ ـ ويجوز أن يكون المراد أنَّ الجاهل لعجزه عن إدراك كمال الحكيم فإنَّه يثني بما يتصوره كمالاً في حين أنَّه ليس بكمال بل نقص، فمدحه ليس بمدح بل ذم.

[٣] **(أبناء ما يحسنون)**:

إذ الإنسان ابن علمه، بمعنى أنَّ الشرف والفخر ليس بالأب بل بالعلم والإحسان.

أو كما أنَّ الأب يُصلح حال الابن ويربيه كذلك علم الإنسان يصلح حاله ويربيه.

الحديث الخامس عشر:

[١] **(إنَّ الحسن البصري يزعم)**:

كان الحسن يريد أن ينفي أن هناك علماً خاصاً بالأئمة عليهم السلام، بل الرسول صلى الله عليه وآله

جَعْفَرٍ عليه السلام: فَهَلَكَ إِذَنْ[٢] مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ. مَا زَالَ الْعِلْمُ مَكْتُوماً مُنْذُ بَعَثَ اللَّهُ

بيّن كل العلوم لعامة الناس، وكذلك الإمام علي عليه السلام، فلا يوجد من علم الرسول والوصي إلا ما هو مشهور بين أيدي الناس.

واستدل الحسن بأنَّ كتمان العلم حرام والكاتم من أهل النار معاقب، والرسول والوصي (عليهما وآلهما الصلاة والسلام) منزهان عن كل حرام.

[٢] **(فقال أبو جعفر: فهلك إذن. . .) الخ:**

ردّه الإمام الباقر عليه السلام بأنَّه ليس كل كتمان حرام، بل بعض أنواع الكتمان فعله المؤمنون، كمؤمن آل فرعون حيث قال الله تعالى عنه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾(١). وهذا دليل على أنَّ كتمان بعض العلوم جائز بل لازم.

ومن موارد لزوم الكتمان: ١ ـ التقية. ٢ ـ المصلحة المقتضية لذلك.

وأما الكتمان الحرام فهو:

١ ـ إذا بُيّن للناس ولم تكن تقية أو مصلحة في كتمانه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾(٢).

٢ ـ وكذلك الكتمان الذي يُراد منه إبطال الحق، كما في كتمان اليهود علائم نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وذكره في الكتب السماوية، أو كتمان الشهادة لتضييع الحقوق، وكذلك الكتمان لأجل مصالح دنيوية زائلة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾(٣). وقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾(٤). وقال: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة غافر: الآية ٢٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٩.
(٣) سورة البقرة: الآية١٧٤.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٤٦.

نُوحاً[٣] عليه السلام فَلْيَذْهَبِ الْحَسَنُ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَوَاللَّهِ مَا يُوجَدُ الْعِلْمُ إِلَّا هَاهُنَا[٤].

---

[٣] **(منذ بعث الله نوحاً):**

فليس مؤمن آل فرعون بدعاً من المؤمنين، بل كتمان العلم للتقية أو للمصلحة المقتضية لذلك سيرة مستمرة.

وأما قوله (منذ بعث الله نوحاً)، ـ مع أنه يظهر من بعض الأخبار أن العلم كان مكتوماً منذ وفاة آدم عليه السلام(1) ـ.

فلعل المراد نوع خاص من العلم، لأن نوحاً عليه السلام كان من أولي العزم فلعلَّ الله خصَّه وخصَّ الأولياء من بعده بعلوم أمرهم بأن لا يبوحوا بها أو لعلَّ التقية أو المصلحة أو التدرج اقتضت كتمانها.

أو يقال إن (منذ بعث . . . .) لا مفهوم له، فتأمل.

[٤] **(ما يوجد العلم إلا هاهنا):**

أي ما عند أهل البيت عليهم السلام، و«هاهنا» إما إشارة إلى المكان، أو أشار الإمام إلى نفسه، أو إشارة إلى بيت النبوة عليهم السلام.

---

(١) راجع البحار: ج١١، ص ٤٥.

بَابُ رِوَايَةِ الْكُتُبِ وَالْحَدِيثِ وَفَضْلِ الْكِتَابَةِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْكُتُبِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ[١] ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ[٢]﴾ [الزُّمَر: ١٨]؟ قَالَ: هُوَ الرَّجُلُ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ فَيُحَدِّثُ بِهِ كَمَا سَمِعَهُ لَا يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ.

الحديث الأول:

[١] **(الذين يستمعون):**

مرَّ في حديث هشام (الحديث ١٢ من كتاب العقل والجهل)، قول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾» الحديث.

وذاك الحديث يفسّر العباد: بأولي العقل والفهم، وهذا الحديث يفسر اتباع الأحسن.

[٢] **(فيتَّبعون أحسنه):**

تفسير اتباع الأحسن: بالتحديث من غير زيادة أو نقيصة، هو تفسير بأحد المصاديق، وذلك كثير من تفسيرهم عليهم السلام إذ هنالك تأويل، وتفسير للمعنى، وكذلك بيان المصاديق البارزة أو أحد المصاديق.

ويمكن أن يكون (أحسنه) على هذا التفسير قائم مقام المفعول المطلق، فالمعنى فيتبعونه اتباعاً حسناً، فـ(اتباعاً) مفعول مطلق و(حسناً) صفة، ثم أضيفت الصفة إلى الموصوف، فيكون مرجع الضمير إلى المصدر المفهوم من الجملة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾(١) والاتباع الأحسن لا يكون إلّا عبر نقله من غير زيادة ولا نقيصة.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٥٥.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَسْمَعُ الْحَدِيثَ مِنْكَ فَأَزِيدُ وَأَنْقُصُ[١]؟ قَالَ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مَعَانِيَهُ فَلَا بَأْسَ[٢].

الحديث الثاني:

[١] **(فأزيد وأنقص):**
أي في الألفاظ.

[٢] **(إن كنت تريد معانيه فلا بأس):**
دلَّ الحديث على جواز النقل بالمعنى.
ولا يمكن ذلك ـ أي النقل بالمعنى ـ إلا لمن كان عالماً بحقائق الألفاظ والمجاز، والمنطوق والمفهوم، والمقصود ونحو ذلك. فمن لا يعرف تلك الأمور لا يمكنه النقل بالمعنى.

ولا شك أنَّ النقل باللفظ أفضل وأولى، لأنَّ لفظ المعصوم قد يكون فيه وفي تركيبه حقائق لا تعبّر عنها ألفاظ أخرى مترادفة، ولذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «نصر الله عبداً سمع مقالتي وحفظها ووعاها وأداها كما سمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»(١).

ولكن بما أنَّ حصر الرواية في نقل الألفاظ فقط كان موجباً لعدم رواية الكثير بل الأكثر لعدم تيسّر الكتابة غالباً ولا يمكن الحفظ بالسماع لأول مرَّة ـ إلا نادراً ـ، وهذا مستلزم لضياع الكثير بل الأكثر من العلوم، فلذا أجازوا النقل بالمعنى وذلك وإن كان

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٧، ص ٢٨٥، باب وجوب العمل بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله، ح ٢١٣٦١.

٣ ـ وَعَنْهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنِّي أَسْمَعُ الْكَلَامَ مِنْكَ فَأُرِيدُ أَنْ أَرْوِيَهُ كَمَا سَمِعْتُهُ مِنْكَ فَلَا يَجِيءُ؟ قَالَ: فَتَعَمَّدُ ذَلِكَ[١]؟ قُلْتُ: لَا، فَقَالَ: تُرِيدُ الْمَعَانِيَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَا بَأْسَ.

يستلزم فوات بعض الفوائد لكنَّه أولى من فوات أكثر الفوائد المترتبة على النقل بالمعنى.

وهذا الجواز ممَّا اتفق عليه الكل ـ إلا نادراً ـ ولذا نشاهد اختلاف الألفاظ في حديث واحد كثيراً باختلاف الرواة أو بنقل الراوي الواحد مرات متعددة.

وفي المرآة عن بعض الأفاضل: (نقل المعنى إنَّما جوزوه في غير المصنفات أما المصنفات فقد قال أكثر الأصحاب: لا يجوز حكايتها ونقلها بالمعنى ولا تغيير شيء منها على ما هو المتعارف، وهو أحوط)(١).

أقول كلام الأكثر خال عن الدليل وإطلاق هذه الرواية يشمل المصنفات أيضاً فتأمل.

الحديث الثالث:

[١] **(فتعمد ذلك):**

أي أتتعمد ترك حفظ الألفاظ لأجل اللامبالاة بها، فقال لا وإنَّما السبب عدم التمكن من حفظ الألفاظ. و(تعمد) في الأصل: تتعمد حذفت إحدى التاءين تخفيفاً، مشتقة من (العَمْد) بمعنى القصد.

ويجوز أن يكون مشتقاً من العماد ـ مجرداً أو من باب الأفعال ـ بمعنى هل تضم إليه من نفسك أمراً تجعله عماداً لذلك الكلام؟

وهذا لا يجوز لأنَّه إضافة اجتهاد الراوي ورأيه وذلك تدليس.

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص ١٧٥.

٤ ـ وَعَنْهُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الْحَدِيثُ أَسْمَعُهُ مِنْكَ أَرْوِيهِ عَنْ أَبِيكَ، أَوْ أَسْمَعُهُ مِنْ أَبِيكَ، أَرْوِيهِ عَنْكَ؟ قَالَ: سَوَاءٌ[١] إِلَّا أَنَّكَ تَرْوِيهِ عَنْ أَبِي أَحَبُّ إِلَيَّ[٢].

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لِجَمِيلٍ[٣]: مَا سَمِعْتَ مِنِّي فَارْوِهِ عَنْ أَبِي[٤].

الحديث الرابع:

[١] **(قال: سواء):**

وذلك لأنَّ كل واحد منهم أخذ علمه من السابق من غير زيادة ولا نقيصة، فما يقوله الصادق عليه السلام هو ما سمعه من أبيه الباقر عليه السلام، وما قاله الباقر عليه السلام هو ما قاله لابنه الصادق عليه السلام، والصادق يعتقد به وينقله إلى الخلف منهم عليهم السلام وإلى الناس.

[٢] **(إلا أنَّك ترويه عن أبي أحب...):**

أي بحذف الواسطة ـ كما يحدث في الروايات المرسلة ـ.

وذلك لجهات ـ كما في الوافي والمرآة ـ:

١ ـ للتقية.

٢ ـ قول الماضي أقرب إلى القبول من قول الحي لبعده عن حسد الناس.

٣ ـ علوّ السند إذا كان الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله فيكون أقرب لقبول الناس.

٤ ـ ليقبله من الذين لا يذعنون للصادق عليه السلام. مع قبولهم لكلام الإمام الباقر عليه السلام.

[٣] **(وقال أبو عبد الله عليه السلام لجميل):**

هذا إما من تكملة حديث أبي بصير.

وإما حديث آخر رواه الكليني رضوان الله عليه ـ مرسلاً ـ.

[٤] **(ما سمعت منِّي فاروه عن أبي):**

بيان له بأنَّ حديثه حديث أبيه وكل ما يقوله فإنَّما أخذه من أبيه عليه السلام.

أو ـ إضافة إلى ذلك ـ لأجل إحدى الجهات الأربع السابقة.

٥ ـ وَعَنْهُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَجِيئُنِي الْقَوْمُ فَيَسْتَمِعُونَ مِنِّي حَدِيثَكُمْ فَأَضْجَرُ[١] وَلَا أَقْوَى، قَالَ: فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوَّلِهِ حَدِيثاً وَمِنْ وَسَطِهِ حَدِيثاً[٢] وَمِنْ آخِرِهِ حَدِيثاً[٣].

الحديث الخامس:

[١] **(فأضجر):**

أي لا أقوى على قراءة كل الأحاديث حتى يسمعونها منّي وينقلونها عنّي للعجز الذي يحصل من ذلك وخاصة إذا استلزم التكرار لكل مجموعة مع انفرادها، فقال له الإمام اقرأ عليهم من أول الكتاب ومن وسطه ومن آخره، ولعلَّ هذا نوع إجازة. فإنَّ لرواية الحديث درجات:

١ ـ أعلاها هو أن يقرأ المروي عنه، أي السماع من لفظ شيخه.

٢ ـ ثم أن يقرأ الراوي على المروي عنه فيوافقه عليه، أي يقرأ الراوي على الشيخ.

٣ ـ ثم الإجازة أي أن يناول الشيخ كتاباً للراوي ويجيزه في أن يرويه عنه.

ولذلك تفاصيل ذكرها العلامة المجلسي في المرآة(١).

[٢] **(فاقرأ عليهم من أوله حديثاً ومن وسطه. . .) الخ:**

لعلَّ السبب في ذلك:

١ ـ أنَّك إن لم تقو على قراءة الكل عليهم، فلا أقل من قراءة البعض حتى يكون بعضه من المرتبة العليا ـ وهي السماع من الشيخ ـ وبعضه من مرتبة الإجازة.

٢ ـ لزيادة اطمئنانهم واطمئنانك بأنَّك أعطيتهم الكتاب الصحيح وأجزته لهم وأنَّ الكتاب كما هو من غير زيادة ونقيصة.

٣ ـ ولعلَّ ذلك لبيان أهمية القراءة وفضيلتها على الإجازة.

[٣] **(ومن آخره حديثاً):**

لعلَّ الأول والوسط والآخر هنا ليس بالمعنى الدقي، بل بمعناه العرفي.

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص١٧٧ ـ ١٧٨.

٦ ـ عَنْهُ بِإِسْنَادِهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَّالِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِنَا يُعْطِينِي الْكِتَابَ وَلَا يَقُولُ: ارْوِهِ عَنِّي يَجُوزُ لِي أَنْ أَرْوِيَهُ عَنْهُ؟ قَالَ: فَقَالَ: إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الْكِتَابَ لَهُ[١] فَارْوِهِ عَنْهُ.

٧ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِذَا حَدَّثْتُمْ[١] بِحَدِيثٍ[٢] فَأَسْنِدُوهُ إِلَى الَّذِي حَدَّثَكُمْ[٣]،

ويمكن أن يكون المراد اقرأ لهم بعضه فتَمَّ التعبير هكذا، وأفضل الأبعاض أنَّه لا يكون من مكان واحد بل أمكنة مختلفة فتأمل.

الحديث السادس:

[١] **(إذا علمت أنَّ الكتاب له...)**:
يعني إذا علمت أنَّه مصنف الكتاب فيجوز لك أن تروي ما فيه عنه، لكن ليس بعبارة أخبرني ونحوها لدلالتها على السماع بل بعبارة روى فلان.
وفي الرواية دلالة على عدم لزوم الإجازة في الرواية، بل تجوز الرواية عنه حتى إذا سكت بل يكتفي بمجرد الإعطاء.
ويمكن أن يقال إنَّه لا يشترط حتى الإعطاء بل مجرد العلم بأنَّ الكتاب له يكفي في جواز الرواية، وذلك لأنَّ العلة واحدة وهي قوله عليه السلام: «إذا علمت أنَّ الكتاب له».

الحديث السابع:

[١] **(حدثتم)**:
على المعلوم أو المجهول، والمراد واحد.

[٢] **(بحديث)**:
قال العلامة المجلسي، ولا يبعد تعميم الحديث بحيث يشمل أخبار الناس أيضاً.

[٣] **(فأسندوه إلى الذي...)**:
يدلّ على مطلوبية ترك الإرسال في الأحاديث.

فَإِنْ كَانَ حَقّاً فَلَكُمْ[٤] وَإِنْ كَانَ كَذِباً فَعَلَيْهِ[٥].

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْمَدَنِيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حُسَيْنٍ الْأَحْمَسِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْقَلْبُ يَتَّكِلُ عَلَى الْكِتَابَةِ[١].

ويمكن استفادة: أنَّه لو علم بأنَّه حق فلا يلزم الإسناد لانتفاء العلة.

[٤] (فإن كان حقاً فلكم):

وجهه واضح، لأنَّ في نقل الحديث الحق فوائد كثيرة للناقل ـ دنيوية وأخروية ـ.

ولا ينافي ذلك وجود فوائد للمروي عنه، لأنَّ الإمام عليه السلام ليس في جهة بيان الفوائد له، وإثبات الشيء لا ينفي ما عداه.

[٥] (وإن كان كذباً فعليه):

لأنَّ الذي يضع الحديث يتحمل وزره.

وذلك فيما إذا لم يعلم الراوي الكذب، وإلا كان من المتعاون على الإثم ونشر الباطل.

الحديث الثامن:

[١] (القلب يتكل على الكتابة):

حيث إنَّ الاعتماد على الحافظة لا يفي بالمقصود أحياناً، لجهات:

١ ـ ضياع الحديث بموت أو نسيان ونحوه، دون الكتابة فإنَّها معرّضة للتلف أقل.

٢ ـ زيادة الاطمئنان فإنَّه لا يدخل الشك مع الكتاب، ويدخل على الحفظ، لاحتمال طرو النسيان والغلط والخطأ أكثر.

ولذا قيل إنَّ أضعف الأقلام ـ وهو قلم الرصاص ـ أقوى من أقوى الحافظات.

٩ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: اكْتُبُوا فَإِنَّكُمْ لَا تَحْفَظُونَ حَتَّى تَكْتُبُوا[١].

١٠ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ زُرَارَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: احْتَفِظُوا بِكُتُبِكُمْ فَإِنَّكُمْ سَوْفَ تَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا[١].

الحديث التاسع:

[١] **(لا تحفظون حتى تكتبوا):**

إما من حفظ الحديث من الاندراس.

وإما من الحافظة أي لا يتمكن الحفظ إلا بالتكرار، ولا يمكن التكرار إلا بالكتابة.

الحديث العاشر:

[١] **(سوف تحتاجون إليها):**

١ ـ إما قضية حقيقية فإنَّ الاحتياج إلى الكتب دائم ولولاها لاندرس العلم.

٢ ـ وإما قضية خارجية بمعنى مجيء زمن الإرهاب والطغيان بتسلّط بني العباس واستحكام ملكهم وعدم التمكّن من الرجوع إلى الأئمة عليهم السلام. أو لحدوث الفرق الضّالة كالواقفية الذين يمنعون من الرجوع إلى الأئمة اللاحقين لا يعتمدون على كلامهم ويقبلون كلام الأئمة السابقين.

١١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَيْبَرِيِّ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: اكْتُبْ وَبُثَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ، فَإِنْ مِتَّ فَأَوْرِثْ كُتُبَكَ بَنِيكَ[١]، فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانُ هَرْجٍ[٢] لَا يَأْنَسُونَ فِيهِ إِلَّا بِكُتُبِهِمْ.

١٢ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ الْمُفْتَرِعَ[١]، قِيلَ لَهُ: وَمَا الْكَذِبُ الْمُفْتَرِعُ؟ قَالَ: أَنْ يُحَدِّثَكَ

الحديث الحادي عشر:

[١] **(أورث كتبك بنيك):**

* أي اجعل بنيك على طريقتك في الاهتمام بالحديث، حتى يستفيدوا من تلك الكتب بعد أن يرثوها.

* أو بمعنى لا تخرج الكتب من ملكك، وذلك لكي تصل إلى ورثتك حتى يستفيدوا منها، خشية الضياع، لأنَّ الأبناء أحرص على حفظ كتب الآباء من غيرهم.

ومنه تعليمهم تلك الأحاديث وتحميلهم إياها لكي يروها من بعدك خشية اندراسها وزوالها.

[٢] **(زمان هرج):**

«الهرج»: الفتنة والاختلاف أو الاختلاط.

وزمان الهرج هو عصر التضييق على الأئمة عليهم السلام بفعل الظالمين، حيث منعوا الناس من الاتصال بهم واستمر ذلك إلى عصر الغيبة، حيث شاء الله تعالى غياب وليّه، فلا طريق إلى الأئمة عليهم السلام إلا بواسطة الكتب.

الحديث الثاني عشر:

[١] **(الكذب المفترع):**

ولعلَّ المراد به الكذب الشنيع لأنَّ الافتراع بمعنى الافتضاض من فضّ البِكر.

الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ فَتَتْرُكَهُ وَتَرْوِيَهُ عَنِ الَّذِي حَدَّثَكَ عَنْهُ.

١٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَعْرِبُوا حَدِيثَنَا[١] فَإِنَّا قَوْمٌ فُصَحَاءُ.

١٤ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ وَحَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ وَغَيْرِهِ قَالُوا: سَمِعْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: حَدِيثِي حَدِيثُ أَبِي[١]، وَحَدِيثُ أَبِي حَدِيثُ جَدِّي،

أو بمعنى الكذب الجديد الذي لم يكن سابقاً، وأحدثه اللاحقون، ليعلو الإسناد.

وقيل في تفسيره معان أخرى ذكرها في الوافي والمرآة.

الحديث الثالث عشر:

[١] **(أعربوا حديثنا):**

«الإعراب»: الإبانة والإفصاح، فالمعنى اقرؤوه بحيث لا تختلط الحروف بعضها بالبعض، فيشتبه الأمر على السامع، فيسمع حرفاً آخر ممّا يغيّر المعنى.

وقد يكون الإعراب مقابل اللحن وهو الغلط في الكلام، فيكون المراد لا تلحنوا فيه فتفقدوه جماله وفصاحته وتأثيره، وهذا المعنى أقرب، بقرينة قوله عليه السلام: «فإنا قوم فصحاء».

الحديث الرابع عشر:

[١] **(حديثي حديث أبي. . .الخ):**

١ ـ إما بمعنى أنَّ كل واحدٍ منهم أخذ العلم عن سابقه إلى أن ينتهي الأمر إلى الله عزَّ وجلَّ.

وَحَدِيثُ جَدِّي حَدِيثُ الْحُسَيْنِ، وَحَدِيثُ الْحُسَيْنِ حَدِيثُ الْحَسَنِ، وَحَدِيثُ الْحَسَنِ حَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَحَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَحَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

١٥ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ شَيْنُولَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ مَشَايِخَنَا رَوَوْا، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، وَكَانَتِ التَّقِيَّةُ شَدِيدَةً فَكَتَمُوا كُتُبَهُمْ، وَلَمْ تُرْوَ عَنْهُمْ فَلَمَّا مَاتُوا صَارَتِ الْكُتُبُ إِلَيْنَا فَقَالَ: حَدِّثُوا بِهَا فَإِنَّهَا حَق[١].

---

٢ ـ وإما بمعنى أنَّه لا طريق للآراء والظنون في كلامهم، وكذلك لا طريق للاختلاف بين كلماتهم لأنَّها كلها من منبع واحد.

الحديث الخامس عشر:

[١] **(حدّثوا بها فإنَّها حق):**

يدلُّ على جواز الاعتماد على الكتب المعتبرة إذا عُلم بنسبتها إلى أصحابها، ولعلَّه كان السؤال عن قضية خارجية، فيجوز نقل تلك الكتب، لثبوت وثاقة مؤلفيها، وثبوت نسبتها إليهم، وصحة ما نقلوه عن الصادقين عليهما السلام.

يمكن استفادة العموم من التعليل حيث قال (فإنَّها حق).

ويمكن أن يكون ذلك تصحيح من الإمام الجواد لتلك الكتب، فتأمل.

بَابُ التَّقْلِيدِ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ[١]: ﴿اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ[٢] أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ[٣]﴾ [التوبة: ٣١] فَقَالَ:

الحديث الأول:

[١] **(قلت له: اتخذوا...)**:
أي سألته عن معنى هذه الآية، ولعلَّ منشأ السؤال أنا لا نشاهد تأليه الأحبار والرهبان عند اليهود والنصارى فما معنى ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾؟.

[٢] **(أحبارهم ورهبانهم)**:
«الأحبار»: العلماء، والمراد علماء اليهود.
«الرهبان»: العُبّاد، والمراد عباد النصارى، وذلك لأنَّ رجال دين النصارى لا حظّ لهم من العلم ـ عادة ـ، بل عملهم روحي بحت ـ حسب زعمهم ـ، في حين أنَّ رجال دين اليهود علماء ـ بدينهم ـ عادة.

[٣] **(من دون الله)**:
﴿دُونِ﴾ بمعنى سوى، وكل ما كان لغير الله أو من غير أمره فهو ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾.
أما إذا كان بأمر الله فليس ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ

---

(١) سورة الزمر: الآية ٣.

أَمَا وَاللَّهِ مَا دَعَوْهُمْ[٤] إِلَى عِبَادَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ دَعَوْهُمْ مَا أَجَابُوهُمْ، وَلَكِنْ أَحَلُّوا لَهُمْ حَرَاماً[٥]، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ حَلَالاً، فَعَبَدُوهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ[٦].

﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾(١) ولا تنافي بينهما لأنَّ الأولياء في الآية الأولى لم يأمر الله تعالى بولايتهم، وفي الآية الثانية كانوا بأمره.

[٤] **(فقال: أما والله ما دعوهم...)**:

لأنَّ الرب ليس بمعنى الإله، بل بمعنى المربي، ويطلق على مالك الشيء لكونه مربياً له عادة، كقوله: (أنا رب الإبل)، فالأحبار والرهبان لم يدعوهم إلى تأليههم بل إلى إطاعتهم من دون الله.

[٥] **(ولكن أحلّوا لهم حراماً...)**:

هذا التقليد المذموم بأن يطيع الإنسان شخصاً اتضح أنَّه على باطل فيتبعه على باطله كائناً ما كان.

أما لو كان عالماً ربانياً يتبع الشرع الأقدس، فيتبعه العامي ما دام ذلك العالم على الحق، فليس هذا من التقليد المذموم بل من سؤال أهل الذكر قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾(٢) ومن رجوع الجاهل إلى العالم الواجب عقلاً.

[٦] **(فيعبدونهم من حيث...)**:

أي جعلوهم كالمعبود حيث له الأمر والنهي المطلق.

وقد يُراد بالعبارة الإطاعة كما في قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾(٣) وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾(٤).

---

(١) سورة التوبة: الآية ٥١.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٣.

(٣) سورة يس: الآية ٦٠.

(٤) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَمَذَانِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: يَا مُحَمَّدُ أَنْتُمْ أَشَدُّ تَقْلِيداً أَمِ الْمُرْجِئَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: قَلَّدْنَا وَقَلَّدُوا، فَقَالَ: لَمْ أَسْأَلْكَ، عَنْ هَذَا، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي جَوَابٌ أَكْثَرُ مِنَ الْجَوَابِ الْأَوَّلِ. فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: إِنَّ الْمُرْجِئَةَ[١] نَصَبَتْ رَجُلاً لَمْ تَفْرِضْ طَاعَتَهُ[٢] وَقَلَّدُوهُ، وَأَنْتُمْ نَصَبْتُمْ رَجُلاً وَفَرَضْتُمْ طَاعَتَهُ ثُمَّ لَمْ تُقَلِّدُوهُ فَهُمْ أَشَدُّ مِنْكُمْ تَقْلِيداً.

الحديث الثاني:

[١] **(إنَّ المرجئة)**:

«المرجئة»: طائفة من العامة يعتقدون أنَّه لا يضر مع الإيمان معصية، وهم يؤخرون العمل عن النية ـ بمعنى تأخيره رتبة ـ، ولعلَّه بمعنى عدم لزوم العمل.

والإرجاء من (التأخير) أو (الرجاء).

فعلى الأول: يكون بمعنى تأخير العمل عن النية.

وعلى الثاني: من إعطاء الرجاء للعصاة، وإيجاد اللامبالاة فيهم بالنسبة لأحكام الشرع.

ومذهبهم كمذهب بعض عوام المتصوفة حيث يقولون إنَّ اللازم طهارة القلب ولا تأثير لأعمال الجوارح.

وكذلك بعض عصاة الشيعة حيث يزعمون أنَّه لا يلزم عليهم عمل مطلقاً بعد ولا يتهم.

وأما من قال بأنَّ المرجئة هم الذين أخّروا الإمام علي عليه السلام عن الثلاثة، فإنَّما هو اصطلاح مبتدع، يُراد منه ـ كما في حاشية الوافي ـ تبرئة بعض كبار علماء العامة من الإرجاء في العقيدة، فإنَّ بعض عظمائهم مثل أبي يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وأبي حنيفة، وإبراهيم التميمي، ومسعر بن كدام، عُدّوا من المرجئة ـ كما في معارف ابن قتيبة ـ.

[٢] **(نصبت رجلاً لم تفرض طاعته. . .)**:

تقليدهم له ـ بشدة ـ بسبب أنَّ أئمتهم يدعونهم إلى الراحة والتخلي عن

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا صَامُوا لَهُمْ وَلَا صَلَّوْا لَهُمْ وَلَكِنْ أَحَلُّوا لَهُمْ حَرَاماً وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ حَلَالاً فَاتَّبَعُوهُمْ.

التكاليف، ويزينون لهم المعاصي ويؤمنوهم من عذاب الله، بعكس أئمة الحق وخلفائهم فإنَّهم يدعون إلى الطاعة وترك المعصية والابتعاد عن الشهوات المحرمة وفي ذلك مشقة فلذا يخالفهم البعض أكثر من مخالفة المرجئة لأئمتهم.

بَابُ الْبِدَعِ وَالرَّأْيِ وَالْمَقَايِيسِ

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ وَعِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ جَمِيعاً، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام النَّاسَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ[١] أَهْوَاءٌ

«البدع» جمع بدعة، وهو إدخال ما ليس من الدِّين فيه.

إما ما هو من الدِّين، أو كان الكلي من الدِّين، فوُجِد له مصداق جزئي جديد فليس من البدعة، كما في إكرام الوالدين فإنَّ أصله من الدِّين أما التطبيق فقد يحدث في كل عصر مصاديق جديدة.

وأما العبادات فلأنَّها توقيفية فكل تغيير فيها من غير دليل بدعة.

و«الرأي» هو ما يراه الشخص من غير دليل شرعي عليه كما في الاستحسان أو الترجيح بلا دليل مرجح.

و«المقاييس» جمع مقياس من القياس، وهو تنظير موضوع ليس له حكم بموضوع له حكم، لتوهم الاشتراك في العلة أو الظن بالعلة.

الحديث الأول:

[١] (وقوع الفتن):

«الفتنة» ـ لغة ـ: الاختبار والامتحان.

ثم كثر استعماله في ما يختبر به من المكروه، لأنَّ غالب الامتحان بذلك، ثم كثر استعماله بمعنى الضلال والكفر ونحوها وذلك لأنَّ نتيجة الفتنة ـ كثيراً ما ـ السقوط في الامتحان ـ إلا القليل ـ، والمراد بها هنا هو الضلال.

تُتَّبَعُ[٢]، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ[٣]، يُخَالَفُ فِيهَا[٤] كِتَابُ اللَّهِ، يَتَوَلَّى فِيهَا رِجَالٌ رِجَالاً[٥]، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ[٦] لَمْ يَخْفَ عَلَى ذِي

---

[٢] **(أهواء تتبع):**

أهواء: جمع هوى، وهو الحب المفرط ـ خيراً كان أم شراً ـ قال تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾(١).

وكل إنسان له هوى، لكن يجب عليه أن يرّوضه على جادة الشرع فلا يتعداها، وأما من اتبع الهوى فإنَّه يضلّه عن سبيله تعالى كما قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾(٣).

[٣] **(وأحكام تُبتدع):**

هذه نتيجة اتباع الهوى، إذ يبتدع حكماً ليلائم هواه.

[٤] **(يخالف فيها):**

دليل لابتداعها، أو توضيح له.

ويُستفاد منه قاعدة عامة لمعرفة الأحكام المبتدعة وهي مخالفة كتاب الله تعالى، ولذا من موازين معرفة الحق من الباطل، المخالفة أو الموافقة للقرآن الكريم.

والمخالفة هي التضاد بما لا يمكن الجمع العرفي بينهما، وإلا فالعام والخاص ـ مثلاً ـ ليسا متخالفين.

[٥] **(يتولى فيها رجال رجالاً):**

بمعنى المتابعة، فإنَّ الذي سنّ الباطل لأهوائه يجد من يتابعه فلذا تحدث الفتنة، لو لم يجد المبتدع أنصاراً ومتابعين ماتت بدعته في مهدها.

[٦] **(فلو أنَّ الباطل خلص):**

أي لم يكن مختلطاً بالحق.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(٢) سورة ص: الآية ٢٦.

(٣) سورة النازعات: الآية ٤١.

حِجًى[٧]، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ لَمْ يَكُنِ اخْتِلَافٌ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا[٨] ضِغْثٌ[٩] وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَيَجِيئَانِ مَعاً، فَهُنَالِكَ اسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ[١٠] عَلَى أَوْلِيَائِهِ[١١] وَنَجَا الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى[١٢].

---

[٧] **(ذي حجى):**
الحجى: العقل.

[٨] **(ولكن يؤخذ من هذا...):**
أي يخلط الباطل بالحق، فيتستر الباطل بلباس الحق.

[٩] **(ضغث):**
أصل الضغث: القبضة من الحشيش. ثم استُعمل في كل أمر مختلط كقوله: ﴿أَضْغَثُ أَحْلَامٍ﴾(١).

[١٠] **(واستحوذ الشيطان...):**
أي استولى كما في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾(٢).

[١١] **(على أوليائه...):**
إشارة إلى أنَّ الشيطان لا يستولي إلا على من اتبعه، أما المؤمنون فلا سلطان له عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾(٣).

[١٢] **(ونجا الذين سبقت...):**
إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة يوسف: الآية٤٤.
(٢) سورة المجادلة: الآية ١٩.
(٣) سورة الحجر: الآية ٤٢.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ١٠١.

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ الْعَمِّيِّ يَرْفَعُهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ[١] فِي أُمَّتِي[٢] فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ[٣]، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ».

في التبيين[١]: أي العِدة الحسنة، بأن قلنا إنَّهم محسنون، وكان قولنا تبعاً لما علمنا من أعمالهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا﴾ عن النار ﴿مُبۡعَدُونَ﴾ بعيدون.

الحديث الثاني:

[١] **(إذا ظهرت البدع):**

ليس معناه عدم لزوم إظهار العلم في غير هذه الصورة. بل لعلَّ المراد هو شدة الوجوب في صورة ظهور البدع. فهنا الشرط ليس له مفهوم.

[٢] **(في أمتي):**

أما غير أمة رسول الله ﷺ، فإنَّه تجب هدايتهم وإرشادهم إلى دين الإسلام، ولا فائدة لمحاربة الفرع مع عدم قبولهم للأصل، إلا إذا اتخذ ببيان بطلان بدعهم ذريعة لهدايتهم للإسلام.

[٣] **(فليظهر العالم علمه):**

أي بيان حقائق الدِّين حتى ينكشف زيف البدع.

وإظهار العلم قد يكون: بمحاربة البدعة وبيان بطلانها.

وقد يكون ببيان الحق ممَّا يكون لازمه إبطال البدعة ـ وإن لم يصرّح ببطلانها مباشرة ـ كمن يضيء شمعة في الظلام فلا يحتاج إلى شتم الظلام ولا إلى بيان أنَّه ظلام، إذ كل ذي عين حينما يرى الشمعة يعرف الظلام وبطلانه.

وقد يكون بمحاربة أهل البدعة وبيان ضلالهم.

---

(١) التبيين: ص٣٤٢.

٣ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ رَفَعَهُ[١] قَالَ: مَنْ أَتَى ذَا بِدْعَةٍ[٢] فَعَظَّمَهُ فَإِنَّمَا يَسْعَى فِي هَدْمِ الْإِسْلَامِ[٣].

٤ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبَى اللَّهُ لِصَاحِبِ الْبِدْعَةِ بِالتَّوْبَةِ»[١]. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أُشْرِبَ قَلْبُهُ حُبَّهَا[٢]».

الحديث الثالث:

[١] **(رفعه):**
أي إلى رسول الله ﷺ.

[٢] **(ذا بدعة):**
يُراد به من أسّس البدعة، أو حمل لواءها بالنشر والترويج، ويمكن أن يُراد ـ ولو بعيداً ـ من كان يعمل ببدعة أو يعتقد بها.

[٣] **(فإنَّما يسعى في هدم الإسلام):**
لأنَّ تعظيم صاحب البدعة تقوية له، ممَّا يسبب رواج بدعته، والبدعة هي هدم للإسلام ـ ولو في ذلك الموضوع الجزئي ـ.
وفي الحديث دلالة على أنَّ السعي للحرام حرام حتى إذا لم يصل إلى نتيجة.

الحديث الرابع:

[١] **(أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة):**
لعلَّ المعنى أنَّه لا يوفّق للتوبة، بمعنى أنَّه لا يُهيِّىء الله سبحانه وتعالى له أسباب التوبة.

[٢] **(إنَّه قد أُشرب قلبه حبها):**
«الإشراب»: المخالطة، كالماء الذي ينفذ في الخشب ونحوه فإنَّه لا يمكن

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ عِنْدَ كُلِّ بِدْعَةٍ تَكُونُ مِنْ بَعْدِي يُكَادُ بِهَا الْإِيمَانُ[١]، وَلِيّاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي[٢]، مُوَكَّلاً بِهِ يَذُبُّ عَنْهُ، يَنْطِقُ بِإِلْهَامٍ مِنَ اللَّهِ وَيُعْلِنُ الْحَقَّ

إخراجه عادة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾(١).

ولعلَّ منشأ الإشراب:

١ ـ أنَّه لما ابتدع وجهر ببدعته، فإنَّه يصعب عليه التراجع عنها وبيان خطئه.

٢ ـ أنَّ الشيطان يزيّن له عمله، بحيث كل يوم يمضي على بدعته يزداد اعتقاده بها وبحسنها، أكثر من ذي قبل، قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾(٢) لأنَّ الإنسان يحبّ نفسه ويحب ما يرتبط بها ـ وخاصة إذا كان غير متدين ـ فإنَّه حينئذٍ يحب بدعته لأنَّها ترتبط به، فلا يدعه الشيطان والهوى وحب الذات من الرجوع عن البدعة بالتوبة.

الحديث الخامس:

[١] **(يُكاد بها الإيمان):**

من الكيد، ـ فعل المجهول ـ بمعنى أنَّ الشيطان وأوليائه يمكرون بسبب تلك البدعة بالإيمان، ليزيلوه.

[٢] **(ولياً من أهل بيتي):**

«ولياً» اسم إنَّ، و«من» إما بيانية أي يوجد عندها وليٌ هو من أهل البيت عليهم السلام وهم الأئمة، وإما نشوية أي ولياً مرتبطاً بأهل البيت عليهم السلام فيشمل العلماء الربانيين لأنَّ علومهم من أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٩٣.

(٢) سورة النمل: الآية ٢٤.

وَيُنَوِّرُهُ[٣]، وَيَرُدُّ كَيْدَ الْكَائِدِينَ يُعَبِّرُ عَنِ الضُّعَفَاءِ[٤] فَاعْتَبِرُوا[٥] يَا أُولِي الْأَبْصَارِ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ[٦]».

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام؛ وَعَلِيُّ بْنُ

---

[٣] (ينوِّره):
أي يُظهر نوره بإزالة الحجب عنه، لأنَّ الحق نور، لكن قد تحجب بعض الأمور ذلك النُّور.

[٤] (يعبّر عن الضعفاء):
أي هذا الولي يعبّر، بمعنى أنّه لسان حال الضعفاء وهم القلّة المؤمنة التي يستضعفها الطغاة عادة قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١).

[٥] (فاعتبروا...) الخ:
قيل إنَّه من كلام الإمام الصادق عليه السلام، لكنّه خلاف الظاهر، بل الظاهر أنَّه تتمة لكلام رسول الله صلى الله عليه وآله.
ولعلَّ وجه الإتيان بهذه التتمة هو أن لا يغترّ أحدهم بالشيطان فيبتدع، لأنَّ هنالك من سيبطل بدعته.

[٦] (وتوكلوا على الله):
حتى لا تقعوا في البدعة، ولكي تتبعوا الولي من أهل البيت عليهم السلام، لا صاحب البدعة.

الحديث السادس:

ورد هذا الحديث في نهج البلاغة(٢) وإرشاد المفيد(٣)، مع اختلاف يسير.

---

(١) سورة القصص: الآية ٥.
(٢) نهج البلاغة: ج١، ص ٥١، باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام، رقم الخطبة: ١٧.
(٣) الإرشاد، المفيد: ج١، ص ٢٣١.

إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ رَفَعَهُ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ مِنْ أَبْغَضِ[١] الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَرَجُلَيْنِ[٢] رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ[٣]

---

[١] **(من أبغض...)**:

في نهج البلاغة بدون (من). ولا منافاة، لأنَّ (أبغض الخلق) داخل في (من أبغض)، كأنَّنا جمعنا أبغض الخلق في دائرة وبعضهم أبغض من بعض.

وبغض الله بمعنى أثر البغض، لأنَّ الله ليس محلاً للحوادث، فبغضه لهم بمعنى عقابهم والأبغضية: العقاب الأشد.

ووجه الأبغضية هو تعدي شرهما إلى الغير، وبقاؤه بعدهما، مضافاً إلى أنَّه شر في الدِّين.

[٢] **(لرجلين)**:

أي صنفان:

١ ـ الصنف الأول ضالّ مضلّ في أُصول الدِّين، كالمشبّهة والمجبرة أو حكّام الجور.

٢ ـ والصنف الثاني ضالّ مضلّ في الفروع، كقضاة الجور أو مطلق وعاظ السلاطين، وفي إرشاد المفيد: إنَّ من أبغض الخلق عند الله رجلٌ...الخ فلم يجعلهما صنفين بل كل هذه الصفات لصنف واحد.

الصنف الأول

[٣] **(وكله الله إلى نفسه)**:

أي لا يلطف به الله الألطاف الخفيَّة الموجبة لعونه ومدده، كما أنَّ الأب إذا أعرض ولده عن طاعته، تركه وشأنه لا يأبه به، ولا يعتني بأمره ـ كما في توضيح نهج البلاغة ـ(١). فعدم لطف الله به لسوء اختياره وفعله.

---

(١) توضيح نهج البلاغة: ج١ ص١١٧.

فَهُوَ جَائِرٌ، عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ[٤]، مَشْعُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ[٥]، قَدْ لَهِجَ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ[٦] فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ[٧]، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ[٨] مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ

---

[٤] **(فهو جائر عن قصد السبيل):**

«الجائر»: هو المائل عن القصد.

و«قصد السبيل»: الطريق المستقيم، بمعنى وسط الطريق الموصل إلى الهدف، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾(١).

[٥] **(مشعوف بكلام بدعة):**

في بعض النسخ (مشعوف) بمعنى شدة الحب وإحراق القلب، وفي بعضها (مشغوف) أي يحب هذا الكلام حباً جماً بحيث اخترق شغاف قلبه ـ أي حجاب القلب ـ ودخل إلى أعماق قلبه. قال تعالى: ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾(٢).

[٦] **(قد لهج بالصوم والصلاة...):**

«اللهج» هو كثرة الكلام في الشيء ممّا يكشف عن الولع فيه، فهذا الرجل يُكثر من الكلام في الصلاة والصوم ليزيد من خداع الناس به، فإنَّ عقولهم في عيونهم وآذانهم غالباً.

[٧] **(فهو فتنة لمن افتتن به):**

أي هو امتحان لمن انخدع به، أو هو ضلال لمن ضلّ به.

و«افتتن به» بمعنى تعلّق بأعماله وأقواله.

أما من لم ينخدع به فليس هو امتحانه.

[٨] **(عن هدي):**

«الهَدْي» ـ بفتح ثم سكون ثم ياء ـ هو السيرة والطريقة.

أو «الهُدىٰ» ـ بضم ثم فتح ثم ألف مقصورة ـ مقابل الضلال.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣٠.

لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ[٩]، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ[١٠]. وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً[١١] فِي جُهَّالِ النَّاسِ، عَانٍ بِأَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ[١٢]، قَدْ سَمَّاهُ

---

[٩] **(حمَّال خطايا غيره):**

أي كثير الحمل لخطايا الذين اتبعوه، وفي الحديث الشريف: «من سنَّ سنَّة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»(١) وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾(٢) أي يحملون ذنوب أنفسهم وذنوب اقترفوها بسبب إضلال الناس، وقال سبحانه: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٣) وقوله (بغير علم)، لأنَّ الضلال والإضلال جهل.

[١٠] **(رهن بخطيئته):**

أي مأخوذ بها.

الصنف الثاني

[١١] **(قمش جهلاً):**

«القمش»: هو جمع المتفرق، ومنه القماش لأنَّه جمع للخيوط المتفرقة.

والمراد بالجهل ـ هنا ـ: ما أخذ من غير المأخذ الشرعي كالآراء والاستحسانات.

[١٢] **(عان بأغباش الفتنة):**

١ ـ «عان» بمعنى المقيم أسيراً من (عنَّاه) أي أسره.

٢ ـ وبمعنى التعب من العناء من (عَنِيَ).

٣ ـ وبمعنى المهتم بالأمر من (عُنِي به).

٤ ـ وفي بعض النسخ: غان: من (غني بالمكان) إذا أقام به.

٥ ـ وفي بعض نسخ النهج: غارّ من الغرور بمعنى الخداع.

٦ ـ وفي بعضها: عادٍ من العدو بمعنى الركض.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢، ص ٢٤، باب ٨، ح ٧٥.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ١٣.

(٣) سورة النحل: الآية ٢٥.

أَشْبَاهُ النَّاسِ[١٣] عَالِماً وَلَمْ يَغْنَ[١٤] فِيهِ يَوْماً سَالِماً[١٥]، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ[١٦] مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ[١٧]، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى[١٨] مِنْ آجِنٍ[١٩] وَاكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ

(أغباش):

جمع غَبَش ـ بالتحريك ـ أي الظلمة، أو خصوص ظلمة آخر الليل ـ حيث إنَّها أحلك ـ فالمعنى أنَّه مقيم أو مغرور أو مسرع أو مهتم بظلمات الفتنة.

[١٣] **(أشباه الناس)**:

لأنَّهم في صورة الناس، لكنَّهم خالون عن الإنسانية، لعدم اشتمالهم على العلوم والمعارف، ولا يميِّزون بين الصالح والطالح، والصحيح والفاسد.

[١٤] **(ولم يغن)**:

أي لم يُقم، ـ كما مرّ قبل قليل ـ.

[١٥] **(فيه يوماً سالماً)**:

أي لم يقم في العلم.

(سالماً):

إما صفة لليوم أي يوماً تاماً كاملاً. أو حال عن ضمير (لم يقم) أي لم يقم هذا الرجل حال كونه سالماً في العلم يوماً بل كان مع النقص والخلط بين الحق والباطل.

[١٦] **(بكّر فاستكثر)**:

«بكّر»: أي أصبح فاستكثر من الجهالات والضلالات، أي بدأ يومه بها.

[١٧] **(ما قل منه...)**:

(ما) الأقرب أنَّها مفعول لاستكثر، فإنَّه لما لم يقم يوماً في العلم سالماً فإنَّه يبكر كل يوم فيستكثر من الأمور التي قليلها خير من كثيرها.

ويؤيده ما في نهج البلاغة «فاستكثر من جمع ما قلَّ منه خير ممَّا كثر».

[١٨] **(حتى إذا ارتوى...)**:

«الارتواء»: الامتلاء من الماء.

[١٩] **(من آجن)**:

«الآجن»: الماء المتغيّر طعمه ولونه وريحه، والمراد الاستعارة للآراء الباطلة والأهواء الفاسدة.

طَائِلٍ[٢٠] جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ[٢١] مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ، وَإِنْ خَالَفَ قَاضِياً سَبَقَهُ[٢٢]، لَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَنْقُضَ حُكْمَهُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ، كَفِعْلِهِ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ الْمُعْضِلَاتِ[٢٣] هَيَّأَ لَهَا حَشْواً

---

[٢٠] **(اكتنز من غير طائل):**

«الاكتناز»: من الكنز، أي جمع في نفسه ما عدّه كنزاً.

و«الطائل»: المفيد، فهذا جمع أموراً لا فائدة فيها.

وفي الوافي (قمش ... سالماً) لعلمه، (بكر ... كثر) لدنياه. (فارتوى) لعلمه، و(اكتنز) لدنياه.

[٢١] **(ضامناً لتخليص...) الخ:**

الذي يجلس مجلس القضاء، فكأنَّه ضمن للناس أنَّه يبين الحق الذي خفي على المتنازعين.

و«التخليص»: يُراد به استخراج الحق من بين المتخاصمين، فإنَّ هذا الحق التبس عليهما أي خفي.

[٢٢] **(وإن خالف...) الخ:**

الواو للاستئناف، والمراد أنَّه لا يوجد هنالك موازين الحق والحقيقة بل كل واحد منهم يحكم بحسب أهوائه وباطله، فيخالف من سبقه ويأتي لاحقه فينقض حكمه.

عكس ولاة الحق فإنَّ كل واحد منهم يصدق الآخر لعملهم كلهم بالحق.

ولعلّه يُستفاد من هذه الفقرة لقاعدة (القضية الواحدة لا تتحمل اجتهادين).

نعم لو علم بخطأ السابق وجب عليه التصحيح في الحقوق.

[٢٣] **(المبهمات المعضلات):**

«المبهمات»: ما لم يتبين حكمه، وأصل الإبهام عدم الكلام كالبهيمة.

«المعضلات»: من العضل، بمعنى المشكلات، وأصله المنع، وسُمِّيت به المشكلة لامتناعها عن الحلّ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾[١] أي لا تمنعوهن من الزواج.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٢.

مِنْ رَأْيِهِ[٢٤]، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ[٢٥]، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ[٢٦] فِي مِثْلِ غَزْلِ الْعَنْكَبُوتِ[٢٧] لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ[٢٨]، لَا يَحْسَبُ[٢٩] الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ

---

[٢٤] **(حشواً من رأيه)**:

«الحشو»: الزائد الذي لا فائدة فيه كما هو العادة في الجهال حيث إنَّهم يهيئون كلاماً كثيراً في المشكلات لحفظ كيانهم أمام الناس.

[٢٥] **(قطع به)**:

القطع يستعمل حتى في موارد الجزم غير المطابق للواقع.

أما اليقين فهو الجزم المطابق للواقع.

[٢٦] **(لَبس الشُّبهات)**:

«اللبس» ـ بفتح اللام ـ بمعنى الاختلاط، والالتباس هو اختلاط الأمور على الإنسان بحيث لا يميّز بين حقها وباطلها، صحيحها وسقيمها.

فالمراد: الالتباس الناشىء من الشُّبهات.

ويصحّ قراءته بالضم من لُبس الثوب، فالمعنى فهو بسبب لبسه للشُّبهات كالذباب الذي يقع في شباك العنكبوت.

[٢٧] **(مثل غزل العنكبوت)**:

لعجزه عن التخلص عن تلك الشُّبهات كالذباب الواقع في شراك العنكبوت، فالشُّبهات كبيت العنكبوت وذهنه كالذباب.

وفي هذا التشبيه بيان لوهنه ولوهن شبهاته، ومن اتبعه فهو أوهى وأعجز.

[٢٨] **(لا يدري أصاب أم أخطأ)**:

لأنَّه يعلم أنَّ أدلته واهية وأنَّه لفّقها تلفيقاً.

[٢٩] **(لا يحسب)**:

من باب (عَلِمَ) بمعنى الظن من الحِسبان ـ بكسر السين ـ، ومن باب (نَصَرَ) بمعنى العَدّ من الحساب والحُسبان ـ بضم الميم ـ، شأن الجهال حيث إذا لم يعرفوا شيئاً زعموا أنَّه ليس بعلم بمعنى أنَّه لا يعدّ ما ينكره علماً.

مِمَّا أَنْكَرَ، وَلَا يَرَى أَنَّ وَرَاءَ مَا بَلَغَ فِيهِ مَذْهَباً[٣٠]، إِنْ قَاسَ شَيْئاً بِشَيْءٍ لَمْ يُكَذِّبْ نَظَرَهُ[٣١]، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ[٣٢] اكْتَتَمَ بِهِ[٣٣]، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، لِكَيْلَا يُقَالَ لَهُ: لَا يَعْلَمُ[٣٤] ثُمَّ جَسَرَ فَقَضَى، فَهُوَ مِفْتَاحُ عَشَوَاتٍ[٣٥]،

---

[٣٠] (ولا يرى أنَّ وراء ما بلغ...):

أي يتوهم أنَّه حصل على العلم كله، فلا علم بعد علمه، وهذا دليل شدة جهله، وكذلك يزعم أن لا قيمة لكل ما ذهب إليه غيره.

[٣١] (لم يكذّب نظره):

مع أنَّ الأشياء وإن تشابهت في بعض الأمور، لكنَّها تختلف في كثير من الأمور، فلا يصحّ قياس أحدها بالآخر، وهذا لشدة جهله يتصور أنَّه علم كل شيء وحقائق الأشياء فلذا يقيس أحدها بالآخر.

[٣٢] (أظلم عليه أمر):

أي جهله، كأنَّ الأمر في ظلمة فلا يراه.

[٣٣] (اكتتم به):

أي كتمه لئلا يعلم الناس جهله، شأن الجهال ذي الأنفة.

[٣٤] (لئلا يقال: لا يعلم):

فإنَّه يرجح الإخفاء حفظاً لحظوته لدى العوام، مع أنَّ العالم الرباني لا يستحي من قول لا أعلم كما مرّ في بعض الأحاديث السابقة، ولذا قالوا: (إذا رأيتم العالم يُكثر قوله لا أدري فاقتربوا إليه فإنَّه عالم متّقٍ).

وشأن الجاهل هو خشية معرفة الناس حقيقته، بخلاف العالم فإنَّه وزين بما لديه ولذا لا يخشى.

[٣٥] (مفتاح عشوات):

أي يفتح على الناس أبواب العشوات، مفردها (العشوة) بمعنى الظلمة، كناية عن الأباطيل التي يلقيها للناس، ومنه الأعشى وهو الذي ضعف بصره بحيث يرى الأشباح فقط من غير تمييز بين الأشياء.

رَكَّابُ شُبُهَاتٍ[٣٦]، خَبَّاطُ جَهَالَاتٍ[٣٧]، لَا يَعْتَذِرُ مِمَّا لَا يَعْلَمُ فَيَسْلَمَ، وَلَا يَعَضُّ فِي الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ[٣٨] فَيَغْنَمَ، يَذْرِي الرِّوَايَاتِ ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ[٣٩]

---

[٣٦] **(ركاب شبهات):**
أي يركب الشُّبهات زعماً منه بأنَّها توصله إلى مقصوده، وكذلك يُركب الناس عليها.

[٣٧] **(خبَّاط جهالات):**
«الخبط»: المشي على غير هدى ويكون ذلك في الليل عادة، يقال (خبط الرجل) إذا طرح نفسه في أي مكان ولا يتوقى شيئاً.
فالمعنى: يخبط في الجهالات، أو يخبط بالجهالات ـ أي بسببها ـ.

[٣٨] **(لا يعضّ في العلم بضرس قاطع):**
الإنسان إذا أراد اختيار عود هل هو لين أو صلب، عضّ عليه، فيعرف حقيقته، والجازم في الأمور العالم بها كذلك. بخلاف الجاهل الذي لا يدري حقيقة الأشياء إذ لا يقدر على العض الكامل الشديد ليختبر الأمور ـ كما في التوضيح ـ.
وفي الوافي: كناية عن قصور حظه في باب العلم، تشبيهاً للعلم بالطعام.
وفي المرآة: كناية عن عدم إتقانه للقوانين الشرعية، يقال لم يعض فلان على الأمر الفلاني بضرس قاطع، إذا لم يحكمه.

[٣٩] **(يذري الروايات ذرو الريح الهشيمَ):**
«الذرو»: هو التفريق والإطارة.
و«الهشيم»: ما يبس من النباتات وتفتت.
قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾[١] أي أصبح (هشيماً) يهشم ويكسر بعد يبسه ﴿تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾ تطيّره الرياح هناك وهنالك.
وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾[٢] قسماً بالرياح التي تذري التراب وتنشره في الهواء.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٥.
(٢) سورة الذاريات: الآية ١.

تَبْكِي مِنْهُ الْمَوَارِيثُ، وَتَصْرُخُ مِنْهُ الدِّمَاءُ[٤٠] يُسْتَحَلُّ بِقَضَائِهِ الْفَرْجُ الْحَرَامُ، وَيُحَرَّمُ بِقَضَائِهِ الْفَرْجُ الْحَلَالُ، لَا مَلِيءٌ بِإِصْدَارِ مَا عَلَيْهِ وَرَدَ[٤١]، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا مِنْهُ فَرَطَ[٤٢]، مِنِ ادِّعَائِهِ عِلْمَ الْحَقِّ.

والمعنى في الحديث يحتمل أمرين:

١ ـ ما في التوضيح: «أي طرحها» فهذا الجاهل يطرح ما روي عن الرسول ﷺ لأنَّه يعتمد على رأيه لا على الروايات[١].

٢ ـ ما في المرآة: «وجه التشبيه صدور فعل بلا روية من غير أن يعود للفاعل نفع وفائدة، فإنَّ هذا الرجل المتصفح للروايات ليس له بصيرة بها ولا شعور بوجه العمل بها، كالريح التي تذري الهشيم» الخ[٢] وقريب منه الوافي[٣].

[٤٠] **(تبكي منه المواريث، وتصرخ منه الدماء):**

١ ـ إما على حذف المضاف أي أهل المواريث، وأهل الدماء.

٢ ـ وإما على الاستعارة، كأنَّ الدماء تبكي لإراقتها ظلماً، والمواريث كأنَّها تصرخ وتشتكي منه. لتوزيعها على غير أصحابها.

٣ ـ ولعلَّه على المعنى الحقيقي في يوم القيامة.

[٤١] **(لا مليء بإصدار ما عليه ورد):**

«المليء»: الثقة الغني، من الملء والامتلاء.

«الإصدار»: الإرجاع.

أي ليس له من الثقة والعلم ما يتمكن من أن يجيب على الأسئلة والمشكلات التي وردت إليه.

[٤٢] **(لما منه فَرَط):**

«الفرط» بمعنى السبق، أي ليس هو أهل لما ادّعاه من علم الحق.

ويمكن قراءته بالتشديد، أي لما فرَّط منه فالمعنى ليس هو أهل للعلم الذي فرَّط وقصَّر فيه بعدم التعلُّم فيما مضى.

---

(١) توضيح نهج البلاغة: ج١ ص١٢١.

(٢) المرآة: ج١ ص١٩١.

(٣) الوافي: ج١ ص٢٤٩.

٧ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي شَيْبَةَ الْخُرَاسَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ أَصْحَابَ الْمَقَايِيسِ طَلَبُوا الْعِلْمَ بِالْمَقَايِيسِ[١]، فَلَمْ تَزِدْهُمُ الْمَقَايِيسُ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا بُعْداً[٢]، وَإِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُصَابُ بِالْمَقَايِيسِ.

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ رَفَعَهُ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليهما السلام قَالَا: كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ[١] وَكُلُّ ضَلَالَةٍ سَبِيلُهَا إِلَى النَّارِ.

الحديث السابع:

[١] **(طلبوا العلم بالمقاييس):**

لأنَّ الأدلة الشرعية هي ما توصل إلى الحكم الحق ـ عادة ـ، وحيث إن علل الأحكام خفية على الناس عادة، فلا صحة لجعل القياس دليلاً شرعياً، لعدم إيصاله إلى الحكم غالباً، وذلك للخطأ في تشخيص العلة، وكذلك لخفاء الموانع كثيراً، أو لوجود علل أخرى غالبة.

[٢] **(من الحق إلا بُعْداً):**

للخطأ في أكثر القياسات.

الحديث الثامن:

[١] **(كل بدعة ضلالة):**

لأنَّ البدعة إدخال ما ليس من الدين في الدين، وهذا من الضلال الواضح والافتراء الفاضح. والبدعة بمعناها اللغوي الشيء الجديد فقد يكون حسناً وقد لا يكون، ولكن في مسائل الشرع هذا التقسيم باطل وأصله من العامة قالوا ذلك لتصحيح بدعة صلاة التراويح وغيرها حيث روى البخاري: (نعمت البدعة)(١)!!

---

(١) البخاري: ج٢، ص ٢٥٢، كتاب صلاة التراويح.

٩ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ فُقِّهْنَا فِي الدِّينِ[١] وَأَغْنَانَا اللَّهُ بِكُمْ عَنِ النَّاسِ، حَتَّى إِنَّ الْجَمَاعَةَ مِنَّا لَتَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ مَا يَسْأَلُ رَجُلٌ صَاحِبَهُ تَحْضُرُهُ الْمَسْأَلَةُ[٢] وَيَحْضُرُهُ جَوَابُهَا فِيمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِكُمْ[٣]، فَرُبَّمَا

وأما ما ورد فيه شيء من الشارع بشكل خاص أو عام فهو ليس من البدعة بل من الدين.

الحديث التاسع:

[١] **(فُقهنا في الدين):**

أي صرنا فقهاء في الدين، معلوم مجرد من باب كَرُم، أو مجهول من باب التفعيل.

[٢] **(ما يسأل رجل...):**

في بعض نسخ المحاسن (إلا وتحضره المسألة) وبه يستقيم المعنى أي لا يسأل أحد أحداً إلا والجواب حاضر.

وأما على نسخ الكافي من دون (إلا) فيحتاج إلى بيان، وفيه وجوه:

١ ـ (ما) نافية، و(تحضره) مستأنف، فالمعنى لا يسأل رجل صاحبه، لأنَّه تحضره المسألة فلا حاجة له في السؤال.

٢ ـ (ما) موصولة صفة للمجلس، و(تحضره) حال من الرجل، فالمعنى تكون الجماعة في المجلس الذي فيه السؤال حال كون الجواب حاضر.

٣ ـ (ما) مبتدأ موصول، و(تحضره) خبره، والعائد على الموصول محذوف وهو (عنه)، فالمعنى: الذي يسأل رجل صاحبه عنه، جوابه حاضراً.

[٣] **(فيما مَنَّ الله...) الخ:**

«في» سببيَّة أي يحضره الجواب لأجل أنَّ الله مَنَّ بكم علينا حيث علمتمونا ما نحتاج إليه، ويمكن جعلها ظرفية ـ بتكلف ـ.

وَرَدَ عَلَيْنَا الشَّيْءُ[٤] لَمْ يَأْتِنَا فِيهِ عَنْكَ وَلَا عَنْ آبَائِكَ شَيْءٌ. فَنَظَرْنَا إِلَى أَحْسَنِ مَا يَحْضُرُنَا[٥]، وَأَوْفَقِ الْأَشْيَاءِ لِمَا جَاءَنَا عَنْكُمْ[٦]، فَنَأْخُذُ بِهِ؟ فَقَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ[٧]، فِي ذَلِكَ وَاللَّهِ هَلَكَ مَنْ هَلَكَ يَا ابْنَ حَكِيمٍ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ أَبَا حَنِيفَةَ[٨] كَانَ يَقُولُ: قَالَ عَلِيٌّ، وَقُلْتُ[٩].

---

[٤] (فربَّما ورد...):

من هنا يبدأ السائل لبيان غرضه الأصلي، ليستجيز في القياس.

[٥] (أحسن ما يحضرنا...):

أي من الرأي أو من أقوال الآخرين.

[٦] (أوفق الأشياء لما جاءنا...) الخ:

أي أقرب الأجوبة الواردة منكم، لهذه المسألة ـ قياساً عليها ـ.

[٧] (هيهات):

اسم فعل بمعنى بَعُدَ، بمعنى بَعُدَ عن الطريق المستقيم كما قال تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾(١).

[٨] (أبا حنيفة...):

من أمثلة قياس أبي حنيفة، ما في الوافي والمرآة عن ربيع الأبرار للزمخشري: «قال يوسف بن أسباط ردّ أبو حنيفة على رسول الله ﷺ أربعمائة حديث وأكثر، قيل مثل ماذا؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «للفارس سهمان وللراجل سهم» قال أبو حنيفة: لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن، وأشعر رسول الله ﷺ وأصحابه البُدن وقال أبو حنيفة: الإشعار مثلة، وقال ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا»، وقال أبو حنيفة: إذا وجب البيع فلا خيار، وكان ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً وأقرع أصحابه وقال أبو حنيفة: القرعة قمار» انتهى(٢).

[٩] (كان يقول: قال علي، وقلت):

فيه احتمالات، منها:

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٣٦.

(٢) الوافي: ج١، ص٢٥٢، المرآة: ج١، ص١٩٤.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَكِيمٍ لِهِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ: وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ إِلَّا أَنْ يُرَخِّصَ لِي فِي الْقِيَاسِ.

١٠ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَفَعَهُ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام: بِمَا أُوَحِّدُ اللَّهَ[١]؟ فَقَالَ[٢]: يَا يُونُسُ لَا تَكُونَنَّ مُبْتَدِعاً[٣]، مَنْ نَظَرَ[٤] بِرَأْيِهِ هَلَكَ[٥]، وَمَنْ تَرَكَ أَهْلَ

---

١ ـ ادعى أنَّ علياً عليه السلام قال بالقياس، وأنا أقول به أيضاً.

٢ ـ إنِّي أخالف قول علي إذا كان القياس على خلاف قوله، فلعن الإمام عليه السلام لأبي حنيفة لأجل التشنيع على العاملين بالقياس وأنَّه يؤدِّي بهم إلى معارضة قول الإمام علي عليه السلام.

الحديث العاشر:

[١] **(بما أوحِّد الله):**

أي كيف أعرف التوحيد، وليس المراد أصل وجود الله وأصل التوحيد، فإنَّ ذلك دليله العقل النظري، بل مراده كيفية معرفة التفاصيل.

[٢] **(فقال:):**

ملخص كلام الإمام عليه السلام مركّب من أمرين:

١ ـ النهي عن الطرق غير المشروعة، كالرأي.

٢ ـ الأمر باتباع الطرق الصحيحة، وهي أهل بيت النبي عليهم السلام وكتاب الله وقول النبي صلى الله عليه وآله.

[٣] **(لا تكونن مبتدعاً):**

بأن تسلك الطرق غير المشروعة وتترك المشروعة.

[٤] **(من نظر...):**

من هنا إلى آخر الحديث بيان للابتداع الذي نهى عنه الإمام عليه السلام.

[٥] **(برأيه هلك):**

مرَّ أنَّ اتباع الرأي ـ كالقياس والاستحسان ونحوها ـ لا يوجب إلا بُعداً من

بَيْتِ نَبِيِّهِ ﷺ ضَلَّ[٦]، وَمَنْ تَرَكَ كِتَابَ اللَّهِ وَقَوْلَ نَبِيِّهِ كَفَرَ[٧].

١١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ مُثَنَّى الْحَنَّاطِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: تَرِدُ عَلَيْنَا أَشْيَاءُ لَيْسَ نَعْرِفُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا سُنَّةٍ فَنَنْظُرُ فِيهَا[١]؟ فَقَالَ: لَا أَمَا إِنَّكَ إِنْ أَصَبْتَ لَمْ تُؤْجَرْ[٢]، وَإِنْ أَخْطَأْتَ

الحق، وفي ذلك الهلكة في الدنيا والآخرة.

[٦] (ضلّ):
لأنّ العلوم الحقّة مستودعة عندهم، فبتركهم الضلال، وبالتمسك بهم الهداية، وتركهم كفر واقعاً، لكن ـ لمصالح ـ لا يحكم على صاحبه بالكفر، كالمنافق الذي هو مسلم ظاهراً وكافر واقعاً، وبعبارة أخرى يعامل في الدنيا معاملة المسلمين وفي الآخرة معاملة الكافرين.

[٧] (كفر):
لأنّه تكذيب لله والرسول وفي ذلك كفر.
وفي المرآة ـ ما ملخصه ـ أنّ هنا دليلين متصلاً بعضهما بالبعض الآخر.
الأول: من نظر برأيه، فقد ترك أهل بيت نبيّه. ومن تركهم، فقد ضلّ.
الثاني: ومن ترك أهل بيت نبيِّه، فقد ترك القرآن وقول النبي. ومن تركهما، فقد كفر(١).

الحديث الحادي عشر:

[١] (فننظر فيها):
لعلّ المراد استعمال الرأي ـ بمعناه المذموم كالاستحسان والقياس ـ، فالمعنى هل نستعمل الرأي والقياس فيها.

[٢] (إن أصبت لم تؤجر):
أي لم تؤجر على إصابتك الحكم، وذلك لا ينافي عقابه على سلوك الطريق المنهي عنه.

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص ١٩٥، ـ بتصرف ـ.

كَذَبْتَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٣].

١٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبَانٍ الْكَلْبِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ».

١٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: قُلْتُ:

إذ هنا أمران: ١ ـ سلوك الطريق ـ وفيه عقاب ـ ٢ ـ الوصول إلى الحكم ـ ولا أجر فيه ـ.

[٣] **(وإن أخطأت كذبت على الله):**

لأنَّه يفتي بذلك الحكم ويعمل به، فالأول كذب على الله بالقول، والثاني كذب عليه تعالى بالعمل.

الحديث الثاني عشر:

فرقه عن الحديث الثامن:

١ ـ أنَّ هذا رواه أبو عبد الله عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله وليس في ذاك عن الرسول.

٢ ـ وفي هذا (كل ضلالة في النار) وفي ذاك (كل ضلالة سبيلها إلى النار).

٣ ـ مضافاً إلى تعدّد السند.

الحديث الثالث عشر:

وهو بمضمون الحديث الثامن، ويبدو أنَّ هنالك كانت حاجة أو موجة، فلذا كثر السؤال، وكثر البيان، وكان الجواب متشابهاً.

أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّا نَجْتَمِعُ فَنَتَذَاكَرُ مَا عِنْدَنَا، فَلَا يَرِدُ عَلَيْنَا شَيْءٌ إِلَّا وَعِنْدَنَا فِيهِ شَيْءٌ مُسَطَّرٌ[١]، وَذَلِكَ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا بِكُمْ، ثُمَّ يَرِدُ عَلَيْنَا الشَّيْءُ الصَّغِيرُ[٢] لَيْسَ عِنْدَنَا فِيهِ شَيْءٌ، فَيَنْظُرُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، وَعِنْدَنَا مَا يُشْبِهُهُ فَنَقِيسُ عَلَى أَحْسَنِهِ؟ فَقَالَ: وَمَا لَكُمْ وَلِلْقِيَاسِ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِالْقِيَاسِ، ثُمَّ قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَا تَعْلَمُونَ، فَقُولُوا بِهِ. وَإِنْ جَاءَكُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ فَهَا ـ وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ[٣] ـ ثُمَّ

---

[١] **(مسطَّرٌ):**

أي مسطور مكتوب، وفي بعض النسخ (مستطر) نظير قوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾(١) بنفس المعنى.

[٢] **(الشيء الصغير):**

ولعلَّه لأنَّ الأمور الهامة والأُصول كلّها كانت عندهم ببركة بيان الأئمة عليهم السلام لهم.

ولعلَّ المراد بالصغير بعض الجزئيات أو الحوادث الجديدة المستجدة التي لم يرد فيها بيان.

[٣] **(وأهوى بيده إلى فيه):**

فيه احتمالان:

١ ـ أنَّ «ها» حرف تنبيه، والمقصود اسكتوا ولا تتكلموا، كما يضع الإنسان إصبعه على فمه ـ وأكثر ما يكون السبابة ـ للإشارة إلى السكوت كما قال في حديث مرّ ذكره: (ويكفوا عما لا يعلمون).

٢ ـ أن يكون مراده «اسألوا عنّي»، أي راجعوا الإمام واسألوه، ويؤيده ما رواه في المحاسن ـ كما في حاشية الوافي ـ عن محمد بن حكيم قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا،

---

(١) سورة القمر: الآية ٥٣.

قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ أَبَا حَنِيفَةَ كَانَ يَقُولُ: قَالَ عَلِيٌّ وَقُلْتُ أَنَا، وَقَالَتِ الصَّحَابَةُ وَقُلْتُ، ثُمَّ قَالَ: أَكُنْتَ تَجْلِسُ إِلَيْهِ؟ فَقُلْتُ: لَا وَلَكِنْ هَذَا كَلَامُهُ؛ فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِمَا يَكْتَفُونَ بِهِ فِي عَهْدِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقُلْتُ: فَضَاعَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ؟ فَقَالَ: لَا هُوَ عِنْدَ أَهْلِهِ.

١٤ ـ عَنْهُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: ضَلَّ عِلْمُ[١] ابْنِ شُبْرُمَةَ[٢] عِنْدَ الْجَامِعَةِ إِمْلَاءِ

وإذا جاءكم ما لا تعلمون فها أنا ـ ووضع يده على فيه ـ، فقلت: ولِمَ ذاك؟ قال: لأنَّ رسول الله ﷺ أتى الناس بما اكتفوا به على عهده وما يحتاجون إليه من بعده إلى يوم القيامة»(١).

الحديث الرابع عشر:

[١] (ضلّ علم):

يحتمل لمعنيين متقاربين في المقصود:

١ ـ ضاع علمه لقلته في بحر علم الجامعة ـ وهذا المعنى يأباه السياق ـ.

٢ ـ هلك علمه ـ لأنَّه في الحقيقة ليس بعلم بل هو جهل ـ لو قورن بعلم الجامعة، لأنَّ الجامعة منشؤها الرسول ﷺ، وعلم ابن شبرمة منشؤه الأدلة غير الشرعية كالقياس.

[٢] (ابن شُبْرُمة):

هو عبد الله بن شبرمة ـ ومعناها لغة: السنّور، وما انتثر من الحبل والغزل ـ. وكان من رؤساء أصحاب القياس.

---

(١) الوافي: ج١، ص ٢٥٣.

رَسُولِ اللَّهِ[٣] ﷺ وَخَطّ عَلِيٍّ عليه السلام بِيَدِهِ[٤]. إِنَّ الْجَامِعَةَ لَمْ تَدَعْ لِأَحَدٍ كَلَاماً[٥]، فِيهَا عِلْمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. إِنَّ أَصْحَابَ الْقِيَاسِ طَلَبُوا الْعِلْمَ بِالْقِيَاسِ فَلَمْ يَزْدَادُوا مِنَ الْحَقِّ إِلَّا بُعْداً، إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُصَابُ بِالْقِيَاسِ[٦].

١٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ السُّنَّةَ لَا تُقَاسُ[١]، أَلَا تَرَى أَنَّ امْرَأَةً تَقْضِي صَوْمَهَا

---

[٣] **(إملاء رسول الله):**
أي إلقاء رسول الله ﷺ، فهو من كلامه ﷺ، و«أملاه» أي قرأ عليه.

[٤] **(خط علي عليه السلام بيده):**
وقوله: (بيده) إما تأكيد لقوله: (خط)، وإما للإشارة إلى أنَّ الجامعة التي بحوزتهم نفس الخط وليس استنساخاً منه فتأمل!

[٥] **(لم تدع لأحد كلاماً):**
لأنَّها حوت العلوم الشرعية كلّها، ولا كلام مقابل كلام الرسول ﷺ إلا الضلال، فالجامعة هي الحجة التي لا شيء وراءها.

[٦] **(إنَّ دين الله لا يُصاب بالقياس):**
لأنَّ الأحكام الواردة في الشريعة أكثرها لا يطابق القياس، ولخفاء علل الأحكام عادةً، ولأنَّه قد يكون هناك مانع، وقد تزاحمها علة أقوىٰ.
فلذا قلَّما يطابق القياس الواقع.

الحديث الخامس عشر:

[١] **(إن السُّنة لا تقاس):**
أي لا يمكن الوصول إليها بالقياس، أو أنَّ الأحكام الشرعية لا يُقاس عليها شيء.
وذلك لأنَّ السُّنَّة فيها ضمّ المختلفات في الصفات الظاهرة فجعلت أحكامها واحدة، وفيها تفريق المتشاركات في الأحكام الواضحة، وذلك لخفاء علل الأحكام على أكثر الناس.

وَلَا تَقْضِي صَلَاتَهَا[٢]، يَا أَبَانُ! إِنَّ السُّنَّةَ إِذَا قِيسَتْ مُحِقَ الدِّينُ[٣].

١٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام، عَنِ الْقِيَاسِ فَقَالَ: مَا لَكُمْ وَالْقِيَاسَ[١]، إِنَّ اللَّهَ لَا يُسْأَلُ كَيْفَ أَحَلَّ وَكَيْفَ حَرَّمَ[٢].

---

[٢] **(ألا ترى أنَّ امرأة. . .) الخ:**
مع أنَّ مقتضى عقول أكثر الناس هو اشتراكهما في القضاء أو في عدم القضاء، لكن الحكم الشرعي هو قضاء الصوم دون الصلاة.

[٣] **(مُحق الدين):**
«المحق» هو ذهاب الشيء كلّه حتى لا يُرى له أثر، ولذا يُقال لأواخر الأشهر القمرية: المحاق، أي محاق القمر بحيث لا يوجد فيه نور إطلاقاً.
ومحق الدين بالقياس بسبب أنَّ القياس يُدخل في الدين ما ليس منه، ويُخرج منه ما هو من الدين.
لأنَّ كل أحد يرى بعقله أو هواه مناسبة بين الشيء المعلوم الحكم وبين الشيء المجهول الحكم، فيحكم عليه بحكمه، مع أنه لا يوجد شيء إلا وبينه وبين الأشياء الأخرى مجانسة من جهة ومفارقة من جهة، فإذا أراد جوازه قاسه بما هو جائز، وإذا أراد تحريمه قاسه بما هو حرام، وفي ذلك محق الدين.

الحديث السادس عشر:

[١] **(ما لكم والقياس):**
وفي بعض النسخ (وللقياس).

[٢] **(إنَّ الله لا يسأل كيف. . .):**
قال تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾(١) وذلك لأنَّ كل أعماله حسب الصواب والحكمة وهو المولى.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

١٧ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرٌ، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام، أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام قَالَ: مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلْقِيَاسِ[١] لَمْ يَزَلْ دَهْرَهُ فِي الْتِبَاسٍ[٢]، وَمَنْ دَانَ اللَّهَ بِالرَّأْيِ[٣] لَمْ يَزَلْ دَهْرَهُ فِي ارْتِمَاسٍ[٤]، قَالَ: وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: مَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِرَأْيِهِ فَقَدْ دَانَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ وَمَنْ دَانَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ[٥] حَيْثُ أَحَلَّ وَحَرَّمَ فِيمَا لَا يَعْلَمُ.

والله تعالى لم يبين علل كل الأحكام لجهات هو يعلمها، ولكنَّا نعلم أنَّ جميعها حسب المصالح والمفاسد الواقعية التي قد تخفى علينا كثيراً.

الحديث السابع عشر:

[١] **(من نصب نفسه)**. . .الخ:

أي من أقام نفسه للعمل بالقياس، فالمعنى من جنّد نفسه لأجل العمل بالقياس.

[٢] **(لم يزل دهره في التباس)**:

أي يبقى طول دهره وعمره في خلط واشتباه بين الحق والباطل.

[٣] **(من دان الله بالرأي)**:

أي اعتقد بأنَّه من دين الله الذي تجب مراعاته.

[٤] **(في ارتماس)**:

أي انغماس في الباطل، بحيث يحيط به من كل جانب.

[٥] **(فقد ضاد الله)**:

أي جعل نفسه ضداً ونداً لله تعالى، لأنَّه يحلّ ما حرَّم الله، ويحرّم ما أحلّ الله، فكأنَّه نصب نفسه شريكاً لله في التشريع.

١٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَيَّاحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ إِبْلِيسَ قَاسَ نَفْسَهُ بِآدَمَ[١] فَقَالَ: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]، وَلَوْ قَاسَ الْجَوْهَرَ[٢] الَّذِي خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُ آدَمَ بِالنَّارِ[٣]، كَانَ ذَلِكَ أَكْثَرَ نُوراً وَضِيَاءً مِنَ النَّارِ[٤].

الحديث الثامن عشر:

[١] **(إبليس قاس نفسه بآدم):**

لعلَّ قياسه لأنَّه ظنَّ أنَّ العلَّة في وجوب السجود لآدم عليه السلام هي كرامة الطين، ثم قاس وظنَّ أنَّ تلك العلَّة فيه أقوى لأنَّ النار خير من الطين، فلذا حكم بأنَّ السجود له أولى من السجود لآدم، في حين أنَّ العلَّة لم تكن تلك بل العلَّة ـ ولم يتفطن لها إبليس لعنه الله ـ هي أنَّ جوهر آدم أرفع منه ومن سائر الملائكة.

[٢] **(ولو قاس الجوهر. . .)** الخ:

أي لم يتفطن إلى العلَّة الحقيقية، وهذا شأن أصحاب القياس حيث لا يعرفون عادة العلَّة الحقيقية فلذا ضلّوا وأضلّوا.

[٣] **(الجوهر الذي خلق. . .)** الخ:

لعلّ ذلك الجوهر: طينة عليين التي خلق منها الأنبياء، أو روح آدم عليه السلام حيث إنَّها شُرِّفت بنسبتها إلى الله تعالى، أو النُّور الذي أودع فيه، أو غير ذلك.

[٤] **(كان ذلك أكثر نوراً وضياء من النار):**

لأنَّ النار نورها ظاهري ينطفىء بالماء والهواء ويضمحل أمام نور أقوى منه كضوء النهار، ولا يحصل منه إلا الرماد.

في حين أنَّ آدم عليه السلام أودع الله فيه نوراً معنوياً، وحتى التراب فيه من النُّور المعنوي والقابلية ما ليس في النار، فينتج الرياحين والثمار والمعادن والحيوان. . . الخ.

١٩ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَقَالَ: حَلَالُ مُحَمَّدٍ حَلَالٌ أَبَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَحَرَامُهُ حَرَامٌ أَبَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[١]، لَا يَكُونُ غَيْرُهُ وَلَا يَجِيءُ غَيْرُهُ[٢]، وَقَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: مَا أَحَدٌ ابْتَدَعَ بِدْعَةً إِلَّا تَرَكَ بِهَا سُنَّةً[٣].

٢٠ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَقِيلِيِّ، عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ قَالَ: دَخَلَ أَبُو حَنِيفَةَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقِيسُ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: لَا تَقِسْ فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسُ حِينَ قَالَ: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فَقَاسَ مَا بَيْنَ النَّارِ وَالطِّينِ، وَلَوْ قَاسَ نُورِيَّةَ آدَمَ بِنُورِيَّةِ النَّارِ عَرَفَ فَضْلَ مَا بَيْنَ النُّورَيْنِ، وَصَفَاءَ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ[١].

الحديث التاسع عشر:

[١] **(فقال: حلال محمد... الخ):**
أي الأحكام التي بقيت بعد نسخ ما نُسخ، هي مستمرة إلى يوم القيامة، وفي هذا الحديث دلالة على أن لا نسخ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

[٢] **(لا يكون غيره، ولا يجيء غيره):**
«ولا يجيء» إما تأكيد، وإما المعنى لا يكون غير الحكم ولا يجيء نبي غير محمد صلى الله عليه وآله، وإما أحدهما في الحلال والآخر في الحرام، والأقرب أول الاحتمالات أي التأكيد.

[٣] **(إلا ترك بها سنّة):**
لأنَّ جميع الوقائع لها أحكام شرعية، لعدم خلو واقعة من حكم واقعي، فإن جاء ببدعة فقد ترك حكماً واقعياً.

الحديث العشرون:

[١] **(صفاء أحدهما)....:**
فإنَّ نور آدم كان خالصاً لا كدرة فيه، عكس النار التي خُلق منها إبليس.

٢١ ـ عَلِيٌّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ قُتَيْبَةَ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَهُ فِيهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَرَأَيْتَ[١] إِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا مَا يَكُونُ الْقَوْلُ فِيهَا؟ فَقَالَ لَهُ: مَهْ[٢] مَا أَجَبْتُكَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٣] لَسْنَا مِنْ: «أَرَأَيْتَ» فِي شَيْءٍ.

٢٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُرْسَلاً قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيجَةً[١] فَلَا تَكُونُوا

الحديث الواحد والعشرون:

[١] (أرأيت...):
أي أخبرني عن رأيك، ولعلَّه كان يتصور أنَّه عن قياس أو استحسان.

[٢] (مه):
زجر بمعنى اكفف، وهو اسم فعل.

[٣] (فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله):
أي كل علمهم عن الرسول وهو أخذه بوحي من الله تعالى، وليس معنى ذلك أنَّهم حافظو أقوال فقط، بل معناه أنَّهم مستودع علم رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك بكمال قابليتهم الذاتية التي جعلها الله تعالى فيهم دون غيرهم.

الحديث الثاني والعشرون:

[١] (من دون الله وليجة):
إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾(١) أي بل ظننتم أن تُتركوا فلا تؤمروا بالقتال وبعدُ لم يظهر علم الله في المجاهد وغير

---

(١) سورة النور: الآية ١٦.

مُؤْمِنِينَ[٢]، فَإِنَّ كُلَّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ وَقَرَابَةٍ وَوَلِيجَةٍ وَبِدْعَةٍ وَشُبْهَةٍ مُنْقَطِعٌ إِلَّا مَا أَثْبَتَهُ الْقُرْآنُ[٣].

المجاهد، ولم يظهر علمه أيضاً في المؤمنين الذين لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أي بطانة وأصدقاء من الكفار، والمعنى أنَّه يأمركم بالقتال ليظهر المجاهد المخلص من الفارّ الذي يصادق الكفار(١).

[٢] **(فلا تكونوا مؤمنين):**

أي إن اتخذتم من دون الله وليجة، صرتم غير مؤمنين.

[٣] **(إلا ما أثبته القرآن):**

هذا استثناء منقطع، أي كل شيء يوم القيامة لا يفيد، وإنَّما المفيد فقط العمل الصالح ـ وهو ما كان طبقاً للقرآن الكريم ـ.
وممَّا أثبته القرآن: اتباع الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾(٢)
وكذلك اتباع الأئمة عليهم السلام قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(٣) . . . الآية.

---

(١) التبيين: ص٢٠١، ـ بتصرف ـ
(٢) سورة الحشر: الآية ٧.
(٣) سورة المائدة: الآية ٥٥.

بَابُ الرَّدِّ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ إِلَّا وَقَدْ جَاءَ فِيهِ كِتَابٌ أَوْ سُنَّةٌ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَدِيدٍ، عَنْ مُرَازِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ[١] تِبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ[٢]، حَتَّى وَاللَّهِ مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ[٣] ـ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ[٤] عَبْدٌ

الحديث الأول:

[١] **(أنزل في القرآن):**

أي جعل في القرآن ثم أنزله.

[٢] **(تبيان كل شيء):**

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾(١)، والتبيان: هو البيان الواضح.

[٣] **(حتى والله ما ترك...) الخ:**

هذا بيان لقوله تبيان لكل شيء، أي لم يترك شيئاً يحتاج إليه العباد، بل ذكره.

وأما الأمور التي لا يحتاج إليها العباد فقد يُستفاد من أدلة أخرى وجودها في القرآن، لكن لم يذكرها الإمام عليه السلام لأنها لم تكن محطّ الكلام.

[٤] **(حتى لا يستطيع... القرآن):**

جملة معترضة بين النفي (ما ترك...)، وبين الاستثناء (إلا وقد...).

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.

يَقُولُ[٥]: لَوْ كَانَ هَذَا أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ[٦] - إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِيهِ[٧].

٢ - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَدَعْ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَّا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبَيَّنَهُ لِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدّاً[١]، وَجَعَلَ عَلَيْهِ دَلِيلاً[٢] يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ

---

[٥] (عبد يقول):

أي يلقي إنسانٌ حجَّةً، حتى لو قال فإنَّ الحجَّة على خلافه، فالمعنى لا يستطيع عبد يقول قولاً صحيحاً.

[٦] (لو كان هذا أُنزل):

(لو) إما بمعنى التمني، وإما شرطية وجزاؤها محذوف، وإما شرطية والجزاء مذكور بمعنى لو كان هذا حقاً لأنزل في القرآن.

[٧] (إلا وقد أنزل فيه):

لأنَّ السُّنَّة هي بيان للقرآن حقيقة قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(١) وما نزل إليهم هو الشرائع والعلوم - كما في التبيين -(٢).

الحديث الثاني:

[١] (وجعل لكل شيء حداً):

«الحد» المقدار المنتهى الذي جعله الله بحيث لا تجوز مخالفته، قال سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٣). فالمراد بالحد هنا هو الحكم الشرعي.

[٢] (وجعل عليه دليلاً):

وهي الأدلة الشرعية التي توصلنا إلى الأحكام الشرعية، وقيل المراد به

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٢) التبيين: ص٢٨٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

عَلَى مَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ الْحَدَّ حَدّاً[٣].

٣ ـ عَلِيٌّ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ هَارُونَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: مَا خَلَقَ اللَّهُ حَلَالاً وَلَا حَرَاماً إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ كَحَدِّ الدَّارِ، فَمَا كَانَ مِنَ الطَّرِيقِ[١] **فَهُوَ مِنَ الطَّرِيقِ، وَمَا كَانَ مِنَ الدَّارِ فَهُوَ**

النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

[٣] **(وجعل على من تعدى...) الخ:**

الذي يتعدى الحدّ الشرعي فإنَّ عليه عقوبة، قد تكون دنيوية كالجلد أو الكفارة، وقد تكون أخروية.

ومثاله ـ كما في الوافي والمرآة ـ في العبادات:

الحدّ: هو وجوب الكفّ عن الأكل والشرب ونحوهما في نهار شهر رمضان.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾(١).

والحدّ ـ بمعنى العقوبة ـ: الكفارة والتعزير لمن أفطر متعمداً من غير عذر.

ومثاله ـ في غير العبادات ـ.

الحدّ: أنَّه تعالى حرَّم الزنا وجعل ثبوته بالشهود الأربعة.

الدليل: قوله تعالى: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾(٢).

الحدّ ـ بمعنى العقوبة ـ: الجلد أو الرجم.

ولو أخذ الإنسان الحكم من دليله ـ سواء كان اجتهادياً أم أصلاً عملياً ـ فإنَّه ليس من التعدي على حدود الله في شيء.

الحديث الثالث:

[١] **(فما كان من الطريق...):**

هذا تشبيه لحدود الشرع بحدود الدار، وما هو خارج الحدّ فهو من الطريق

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥.

مِنَ الدَّارِ، حَتَّى أَرْشُ الْخَدْشِ[٢] فَمَا سِوَاهُ، وَالْجَلْدَةِ وَنِصْفِ الْجَلْدَةِ.

٤ ـ عَلِيٌّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَفِيهِ كِتَابٌ أَوْ سُنَّةٌ[١].

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ[١] فَاسْأَلُونِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ إِنَّ

كذلك ما هو خارج حدّ الشرع ـ كالمباحات ـ فللجميع، وأما ما كان من الدار يحتاج إلى استئذان صاحبها ولا يجوز التصرف إلا بإذنه، كذلك ما كان من الشرع يجب العمل فيه على طبق حدّ الشارع.

[٢] **(حتى أرش الخدش)**:
أي كل شيء فيه حكم شرعي، حتى هذا المقدار الذي قد لا يهتم به أكثر الناس، وفيه إشارة إلى أنَّ لكل شيء وواقعة حكماً.

الحديث الرابع:

[١] **(أو سنة)**:
لعلَّ المقصود كل شيء موجود حكمه في ظواهر الكتاب والسُّنَّة، ـ بنحو جزئي أو كلي ـ.

الحديث الخامس:

[١] **(إذا حدثتكم بشيء. . .)**:
لأنَّ كل شيء في كتاب الله تعالى، كما قال: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(١) وعلمه ـ بظاهره وباطنه ـ عند أهل البيت عليهم السلام، فلذا قال عليه السلام: إنَّكم إذا أردتم مصدر ما قلنا من الكلام أو تعلُّم الاستدلال، فاسألوا عن الآية التي تدل عليه.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى، عَنِ الْقِيلِ وَالْقَالِ[٢]، وَفَسَادِ الْمَالِ[٣]، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ[٤]، فَقِيلَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَيْنَ هَذَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ[٥]؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍ

---

[٢] **(القيل والقال):**

أي ما لا فائدة له من الكلام، ومنه ما يوجب الخصومة إذ لا فائدة فيه بل فيه الضرر، ومنه أيضاً المراء فإنَّه مضر غير مفيد.

١ ـ و«القول» إذا كان المقول خيراً، و«القيل» إذا كان شراً مثل ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾(١). حيث إنَّ مقول القول هو عدم إيمانهم.

٢ ـ أو أنَّ «القول» مصدر و«القيل» و«القال» اسمان للمصدر.

٣ ـ ويمكن أن يكونا فعلين، جُرِّدا عن معنى الفعلية وصارا اسمين، ولذا قبلا الإعراب وحرف التعريف.

[٣] **(فساد المال):**

أي صرفه فيما يؤدِّي إلى فساده، كأن يُصرف في المصارف غير المشروعة، أو يُساء التصرف فيه حتى يتلف.

[٤] **(كثرة السؤال):**

أي عمّا لا يفيد ولا يحتاج إليه الإنسان من الأسئلة الباطلة، أو اللغو من القول.

[٥] **(فقيل له يا ابن. . .):**

أي لما ذكر الإمام عليه السلام ثلاثة أمور وهي النهي:

١ ـ عن القيل والقال.

٢ ـ وعن فساد المال.

٣ ـ وعن كثرة السؤال. وكان قد قال لهم إذا حدثتكم بشيء فاسألوني عن كتاب الله، فلذا طلبوا من الإمام الآيات التي تدلُّ على هذه المطالب الثلاث.

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٨٨.

بَيْنَ ٱلنَّاسِ[٦]﴾ [النساء: ١١٤] وَقَالَ: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا[٧]﴾ [النساء: ٥] وَقَالَ: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ[٨]﴾ [المائدة: ١٠١].

---

[٦] (لا خير في كثير من نجواهم):

في التبيين(١): كما كان يناجي قوم (أبي طعمة) بعضهم من بعض لأجل تبرئة السارق ﴿إِلَّا﴾ نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ كأعمال البر ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ النجوى لأجل الخير ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ﴾ أي يطلب رضا ﴿ٱللَّهِ فَسَوْفَ﴾ في الآخرة ﴿نُؤْتِيهِ﴾ نعطيه أجراً عظيماً.

[٧] (ولا تؤتوا السفهاء...):

في التبيين(٢) ﴿وَلَا تُؤْتُواْ﴾ أي لا تعطوا ﴿ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ المراد أموالهم، وأضيف إلى «كم» باعتبار أنَّ المال بالنتيجة مال المجموع، (فإنَّ الإسلام يقرّ الملكية الفردية، والمقصود النتيجة الاقتصادية للمال حيث تعود فائدته إلى الجميع) فهو إتلاف لمال المجتمع ﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ فإنَّ قيام معاش الإنسان إنَّما هو بالمال ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي في تلك الأموال ﴿وَٱكْسُوهُمْ﴾ أي أعطوا كسوتهم منها ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي تلطفوا بالكلام مع السفيه حتى لا ينكسر خاطره.

[٨] (لا تسألوا عن أشياء...):

وفي التبيين(٣) فقد كانوا يكثرون السؤال ممَّا يوجب حزنهم، مثلاً يسألون عن مكان أجدادهم الكفرة، فإنَّ الجواب: بأنَّهم في النار يحزنهم، ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾ تظهر تلك الأشياء ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ أي تغمّكم ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ في زمان الوحي، وحين كون جبرئيل عند النبي ﷺ فيجيب عن الله على كل سؤال ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ أي تظهر لكم تلك الأشياء المسيئة ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ أي لا يؤاخذكم عن عدم علمها.

---

(١) التبيين: ص١٠٨.

(٢) التبيين: ص٨٨.

(٣) التبيين:ص١٣٦.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ إِلَّا وَلَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَكِنْ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُ الرِّجَالِ[١].

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرْسَلَ إِلَيْكُمُ الرَّسُولَ صلى الله عليه وآله وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

الحديث السادس:

[١] (إلا وله أصل...):

«الأصل»: الجذر.

أي له حكم في كتاب الله ـ إن كان من الأحكام الشرعية ـ، وكذلك إن كان من الموضوعات الخارجية، فإنَّه أيضاً مذكور في القرآن ـ ولو بشكل كلي ـ، ويمكن أن يكون مذكوراً بشكل جزئي أيضاً، لكن في البطون التي لا يطلع عليها إلا الراسخون في العلم.

الحديث السابع:

وردت هذه الخطبة أيضاً في نهج البلاغة ـ باختلاف يسير ـ في موضعين(١) ـ.

الاستعارات والبيان الموجود في أول الرواية إلى قوله عليه السلام (في النار ملبس)، إشارة إلى أمرين:

الأول: خلوهم من العلم والدين (إلى قوله عليه السلام: تلظّ من الحروب).

الثاني: خلوهم من الرفاه والأمن (إلى قوله عليه السلام: وغور من مائها).

فلا هم منعَّمون بالماديات ولا حظ لهم في المعنويات.

---

(١) راجع توضيح نهج البلاغة: ج٢، ص ٣٠، وج٢، ص ٤٣٦.

وَأَنْتُمْ أُمِّيُّونَ عَنِ الْكِتَابِ[١] وَمَنْ أَنْزَلَهُ[٢]، وَعَنِ الرَّسُولِ وَمَنْ أَرْسَلَهُ، عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ[٣]، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ[٤]، وَانْبِسَاطٍ مِنَ الْجَهْلِ[٥]،

---

[١] (أميّون عن الكتاب. . .):

«الأمي»: من لم يتعلم القراءة والكتابة، نسبة إلى (الأمّ)، وذلك لأنَّه باق على جِبلَّته الأولى كما ولد من أُمّه. وقيل: هو نسبة إلى (أُم القرى) أي مكة، لكنَّه ـ بعيد هنا ـ.

ولعلَّ للأميّ معنيان: أحدهما: المنسوب إلى (الأُم)، والآخر: المنسوب إلى (أُم القرى).

وما يقال من أنَّ النسبة إلى (أُم القرى) يجب أن يكون بالمضاف إليه أي (قروي) كما هو القاعدة في باب النسبة، غير صحيح، لجواز النسبة إلى المضاف أو المضاف إليه، وإن كان النسبة إلى المضاف إليه أكثر.

[٢] (عن الكتاب ومن أنزله):

تعدية الأمي بـ(عن) لتضمينه معنى الغفلة.

[٣] (على حين فترة من الرسل):

إشارة إلى قول تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾(١).

و«الفترة»: الفتور والانقطاع من الإرسال، ولذا يقال للكسل الفتر كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾(٢).

[٤] (طول هجعه من الأُمم):

«الهجعة»: النوم بالليل، كقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾(٣)، والهجعة هنا كناية عن الغفلة.

[٥] (انبساط من الجهل):

«الانبساط»: الانتشار.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٩.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٠.

(٣) سورة الذاريات: الآية ١٧.

وَاعْتِرَاضٍ مِنَ الْفِتْنَةِ[٦]، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ[٧]، وَعَمًى عَنِ الْحَقِّ، وَاعْتِسَافٍ مِنَ الْجَوْرِ[٨]، وَامْتِحَاقٍ مِنَ الدِّينِ[٩]، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ[١٠]، عَلَى حِينِ

و«البسط»: المد والتوسعة، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾(١) وقوله سبحانه: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى﴾(٢).

[٦] **(اعتراض من الفتنة):**
«العرض»: الإظهار.
و«الاعتراض»: وقوعها في عرضهم أي في طريقهم.
و«الفتنة»: الضلال عن الحق.
وفي نهج البلاغة (اعتزام من الفتن) أي غلبة الفتن عليهم.

[٧] **(انتقاض من المُبرم):**
«المبرم»: المحكم، و«الإبرام»: الإحكام، كما يقال (النقض والإبرام).
وأصل الإبرام هو في الحبل إذا فُتل فتلاً قوياً.
وكأنَّ المراد: زوال ما كان عليه الناس من النظام بسبب الشرائع السابقة، أو انتشار الفوضى بسبب ظلم الحكّام وضعفهم.

[٨] **(اعتساف من الجور):**
«الاعتساف»: التصرف اعتباطاً، ومنه الظلم، و«الجور»: هو الظلم المتعدي، فالمعنى انتشار الفوضى بسبب الجور.

[٩] **(امتحاق من الدين):**
«المحق» ـ كما مرّ ـ ذهاب الشيء كله حتى لا يُرى له أثر.

[١٠] **(وتلظّ من الحروب):**
«التلظي»: اشتعال النار، وكلّما بَعُدَ الناس عن الدين الحق كثرت الحروب، لأنّها ولائد الفتن وعدم استقرار النظام.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٦.
(٢) سورة المائدة: الآية ٢٨.

اصْفِرَارٍ[١١] مِنْ رِيَاضِ جَنَّاتِ الدُّنْيَا[١٢]، وَيُبْسٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، وَانْتِثَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَيَأْسٍ مِنْ ثَمَرِهَا[١٣]، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا[١٤] قَدْ دَرَسَتْ أَعْلَامُ

---

[١١] **(على حين اصفرار...)**:

شروع في بيان خلوّهم من الرفاه والأمن، والجملة بدل من قوله: (على حين فترة...).

[١٢] **(اصفرار من رياض جنات...)**:

١ - الرياض جمع روضة، والجنات جمع جنة، معناها متقارب، فيكون من إضافة الشيء إلى نفسه، ولعلَّ المراد التأكيد.

٢ - ويمكن أن تكون الروضة أصغر من الجنة، والجنة مشتملة على عدة روضات، فتكون الروضة كالحديقة.

٣ - أو سلخت الروضة من معناها فقصد بها الأشجار.

والاستعارة: لبيان أنَّ الدنيا كالشجرة إذا كانت مع دين كانت مخضَّرة، وذلك للنشاط والحياة والصحة التي يولدها الدين فيها، وإلا كانت بالعكس.

[١٣] **(يأس من ثمرها)**:

لأنَّ الدنيا إذا كانت مضطربة، لا تثمر الثمر المطلوب منها من التقدم والأمن والرخاء.

[١٤] **(اغورار من مائها)**:

الاغورار هو ذهاب الماء في جوف الأرض بحيث يصعب طلبه، كما قال تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾(١) بمعنى أن يصبح الماء غائراً في الأرض ممَّا يسبب جفاف النباتات.

وهذا كناية عن عدم النضارة والبهجة، ولعلَّ هذا على نحو الحقيقة، فإنَّ الانحراف عن مناهج السماء يوجب جفاف الأنهار وقلة الثمار واصفرار الأشجار، وهذا كما أنَّه مربوط بالأمور الغيبية، كذلك مرتبط بالمناهج، فإنَّ

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤١.

الْهُدَى[١٥]، فَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى[١٦]، فَالدُّنْيَا مُتَهَجِّمَةٌ[١٧] فِي وُجُوهِ أَهْلِهَا مُكْفَهِرَّةٌ[١٨].

الدين يوسّع آفاق الفكر، ويضع المناهج الصحيحة، ويوجب التعاون، وكل ذلك موجب لعمارة الأرض.

[١٥] **(قد درست أعلام الهدى):**

هذا كالنتيجة لما سبق، فإنَّ الفترة والغفلة والهجعة والجهل وسائر ما ذكر، تنتج اندراس أعلام الهداية.

و«الدروس»: المحو والانمحاء، ويقال لقراءة الكتب الدرس، لأنَّ الكتاب يبلى باستعماله.

و«الأعلام» جمع عَلَم، وهو ما يدلُّ على الشيء، فالمعنى أنَّ دلائل الهدى قد بُليت.

[١٦] **(فظهرت أعلام الردى):**

أي رايات الضلال الموجبة للهلاك.

والفاء للتفريع، وللإشارة إلى أنَّه متى زالت أو بليت رايات الحق تظهر رايات الباطل الموجبة للهلاك والشقاء.

[١٧] **(فالدنيا متهجَّمة):**

من الهجوم وهو الدخول بغتة، وقد يكون بمعنى التهدّم أو انهدام البيت، فالمعنى الدنيا تهجم على أهلها كهجوم العدو، أو أنَّها منهدمة على وجوه أهلها، فالمراد ملاقاتها لهم على غير الوجه المأمول لهم وعلى غير ما يتمنون.

وفي نهج البلاغة وبعض النسخ (متجهمة)، من «التجهُّم» بمعنى الاستقبال بوجه كريه وعابس.

[١٨] **(مكفهّرة):**

«الاكفهرار»: العبوس وهو القبض اشمئزازاً.

مُدْبِرَةٌ غَيْرُ مُقْبِلَةٍ[١٩] ثَمَرَتُهَا الْفِتْنَةُ[٢٠]، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ[٢١]، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ[٢٢]، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ[٢٣]، مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ[٢٤] وَقَدْ أَعْمَتْ عُيُونَ

---

[١٩] **(مدبرة غير مقبلة):**

«إقبال الدنيا»: كونها على وفق المراد، بتوفر الخيرات، وراحة البال، ونحوهما.

و«إدبارها»: أن لا تكون على وفق المراد، كقلة الخيرات وكثرة المشاكل.

[٢٠] **(ثمرتها الفتنة):**

فإنَّ المناهج إذا انحرفت كثُرت الفتن والاضطرابات، وانحرافها بسبب تسلط الظالمين وفقدان الأنبياء والأوصياء.

[٢١] **(وطعامها الجيفة):**

أي الدنيا على غير المراد منها، فأكلها مضر ونتاجها أضرّ، و«الجيفة» ما أنتن من اللحم، وقد يُطلق على مطلق الروائح الكريهة.

[٢٢] **(وشعارها الخوف):**

«الشعار» الثوب الملاصق للجسم، ولأنَّه يلصق بالشَّعر سُمِّي الشِّعار، والمعنى أنَّ الخوف ملازم للناس نافذ في أعماقهم ملاصق لقلوبهم، وذلك لأنَّ اضطراب المناهج يوجب خوف الناس بعضهم من البعض.

[٢٣] **(ودثارها السيف):**

«الدثار» هي الملابس الظاهرة التي تُلبس فوق الشعار، وقد يطلق على مطلق ما يغطي به الإنسان نفسه كاللحاف ونحوه.

فالمعنى أنَّ المجتمع إذا كان خائفاً يحمل السلاح وقاية للنفس من الأعداء.

فحاصل الأمر أنَّه في الجاهلية قلوب الناس خائفة وهم يحملون السلاح دائماً ليحفظوا أنفسهم وليدافعوا عنها.

[٢٤] **(مزِّقتم كل مُمَزَّق):**

«الممزَّق» مصدر بمعنى التفرُّق كالثوب الذي يمزّق فتتفرق قطعه، والمراد

أَهْلِهَا[٢٥]، وَأَظْلَمَتْ عَلَيْهَا أَيَّامُهَا[٢٦]، قَدْ قَطَّعُوا أَرْحَامَهُمْ، وَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَدَفَنُوا فِي التُّرَابِ الْمَوْؤُودَةَ[٢٧] بَيْنَهُمْ[٢٨] مِنْ أَوْلَادِهِمْ، يَجْتَازُ

تشتت قلوبهم، وكذلك تفرقهم في البلدان من الخوف أو القحط، كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾(١) أي فرقناهم تفريقاً كاملاً. فمعنى الحديث تفرقتم ومزقتم تمزيقاً كاملاً.

[٢٥] **(وقد أعمت عيون أهلها)**:

الضمائر راجعة إلى الدنيا.

[٢٦] **(أظلمت عليها أيامها)**:

ضمير عليها راجع إلى الدنيا، ولكن المراد ظلمة الأيام على أهل الدنيا.

[٢٧] **(الموؤودة بينهم)**:

«الموؤودة» البنت المدفونة حية خوفاً من العار أو الفقر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾(٢) وسؤالها تبكيتاً لقاتلها، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾(٣) والكظيم هو الممتلىء غيظاً، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾(٤) وقوله مثلاً المراد به (شبهاً) حيث إنَّ الولد يشبه أباه، حيث كانوا يقولون إنَّ الملائكة بنات الله وهذه الأصنام كاللات والعزى ومناة هياكل لتلك الملائكة ـ كذا في التبيين ـ(٥).

[٢٨] **(بينهم)**:

«بينهم» إما متعلق بالدفن أي دفنوا بينهم الموؤودة، وإما متعلق بالوأد ولكن بتضمينه معنى الشيوع أي وأدوا وشاع ذلك بينهم.

---

(١) سورة سبا: الآية ١٩.

(٢) سورة التكوير: الآيتان ٨.

(٣) سورة النحل: الآيتان ٥٨ ـ ٥٩.

(٤) سورة الزخرف: الآية ١٧.

(٥) التبيين: ص٥٤١.

دُونَهُمْ[٢٩] طِيبُ الْعَيْشِ[٣٠] وَرَفَاهِيَةُ خُفُوضِ الدُّنْيَا[٣١]؛ لَا يَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ثَوَاباً، وَلَا يَخَافُونَ ـ وَاللَّهِ ـ مِنْهُ عِقَاباً[٣٢]؛ حَيُّهُمْ أَعْمَى نَجِسٌ[٣٣] وَمَيِّتُهُمْ

---

[٢٩] **(يجتاز دونهم)**:

«الاجتياز» بمعنى المرور، أي الطيب والرفاهية لا تلبث عندهم فهم في ضنك دائم.

وفي نسخة (يختار) من الاختيار أي الطيب والرفاهية تختار غيرهم.

وفي نسخة (يحتاز) بالحاء والزاي، من التحيُّز وهو التمسك والتجمع أي الطيب والرفاهية لا يجتمعان عندهم.

[٣٠] **(طيب العيش)**:

وفي نسخة «طلب العيش».

[٣١] **(رفاهية خفوض الدنيا)**:

أي الرفاهية الناشئة من سهولة تناول الدنيا والوصول إليها.

و«الرفاهية»: السعة والخصب في المعاش وسائر أمور الدنيا.

و«الخفوض»: بمعنى الدعة والراحة، من الانخفاض بمعنى سهولة الوصول إليها وعدم صعوبته، كالفاكهة الدانية كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾(١).

[٣٢] **(لا يرجون... لا يخافون...)**:

أي لا يعرفون العقائد الحقة، فإنَّهم وإن كانوا يعتقدون بوجود الله ولكنَّهم كانوا ضلالاً في سائر العقائد.

[٣٣] **(أعمى نجس)**:

«أعمى»: أي جاهل ضال لعدم معرفته.

«النجس»: الرجس، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾(٢).

وفي نسخة (نحس) من النحوسة، أي الشؤم، كقوله: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾(٣).

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٢٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٨.

(٣) سورة القمر: الآية ١٩.

فِي النَّارِ مُبْلَسٌ[٣٤]، فَجَاءَهُمْ بِنُسْخَةِ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى[٣٥]، وَتَصْدِيقِ

وفي أخرى (بخس) أي ناقص الحظ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾(١).

[٣٤] **(مبلس):**

من «الإبلاس»: أي القنوط من رحمة الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾(٢) أي من قبل أن ينزل عليهم المطر قبل السحاب كانوا قانطين، ومن المادة نفسها «إبليس» لأنَّه قانط من رحمته تعالى.

[٣٥] **(فجاءهم بنسخة ما في الصحف الأولى):**

أي المطالب التي كانت في الكتب السماوية السابقة، موجودة في القرآن الكريم، وذلك لأنَّ الدين واحد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٣) والعقائد الحقة واحدة، فكل الأنبياء والكتب السماوية جاءت بها، نعم قد تختلف الشرائع أو بعض الأحكام وتلك في الأمور الفرعية.

و«النسخة» أصلها من النسخ، وهو ذهاب الشيء وإبطاله كما يقال نسخت الشمس الظل أي أذهبته وأبطلته، وحيث إن الكتاب الجديد يحلّ محل الكتاب السابق لذا سُمِّي بالنسخة، ونقل الكتابة أيضاً يسمى بالنسخ لأنَّ الكتابة الجديدة تحلّ محلّ سابقتها.

ومنها نسخ الآية كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾(٤).

ويحتمل أن يكون المراد بالنسخة: النسخ، أي جاء بالقرآن الناسخ للكتب السابقة.

(الصحف الأولى):

أي الكتب السماوية السابقة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٥.

(٢) سورة الروم: الآية ٤٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ[٣٦]، وَتَفْصِيلِ الْحَلَالِ مِنْ رَيْبِ الْحَرَامِ[٣٧]. ذَلِكَ الْقُرْآنُ

صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾(١) وقوله: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ من باب المثال أي مثل صحف إبراهيم وموسى.

[٣٦] **(تصديق الذي بين يديه):**

أي القرآن يصدق الكتب السابقة، كما قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(٢)، وكل أمر سابق يُنتظر أن يأتي شيئاً بعده، يقال له إنَّه بين يدي اللاحق، فالتوراة بين يدي القرآن، لأنَّها سابقة وكان ينتظر نزول القرآن بعدها، فحاصل معنى بين يديه: أي قبله.

وتصديق القرآن للكتب السابقة:

إما بمعنى أنَّ القرآن يؤيد أنَّها كتب سماوية نزلت من الله أو أنَّه يؤيد المطالب العقائدية التي فيها، وكذلك التشريعات ولكن مع بيان نسخ بعض تلك الأحكام التشريعية، كما قال تعالى عن لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾(٣).

[٣٧] **(تفصيل الحلال من ريب الحرام):**

كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾(٤) وقال سبحانه: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٥).

وهذه الأمور الثلاثة مرتبة، فالقرآن الكريم:

١ ـ نسخ الكتب السابقة.

٢ ـ صدّق أنَّها كتب سماوية وأنَّ مطالبها صحيح ـ وإن نسخ بعضها ـ.

٣ ـ بيّن الحلال والحرام مفصلاً.

---

(١) سورة الأعلى: الآيتان ١٨ ـ ١٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٠.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١١٩.

(٥) سورة يوسف: الآية ١١.

فَاسْتَنْطِقُوهُ[٣٨] وَلَنْ يَنْطِقَ لَكُمْ[٣٩]، أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ[٤٠]، إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا مَضَى، وَعِلْمَ مَا يَأْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[٤١]، وَحُكْمَ مَا بَيْنَكُمْ، وَبَيَانَ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ

---

[٣٨] **(فاستنطقوه):**

أمر تعجيزي، أو إنَّه أمر حقيقي ثم بيَّن كيفية الاستنطاق وشرطه ومعناه، أي استنبطوا منه الأخبار والأحكام.

[٣٩] **(ولن ينطق لكم):**

فيه إشارة إلى أنَّ استنباط تلك الأحكام والأخبار لا يمكن إلا بواسطة بيان الحجة من أهل البيت عليهم السلام، فأشار إلى نفسه الشريفة، ودعاهم إلى التعلُّم منه.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾(١) والراسخون في العلم هم ثابتو القدم فيه لكثرة علمهم، وينحصر ذلك في الرسول وأهل بيته (عليه وعليهم السلام).

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾(٢)، وأولو الأمر هم أصحاب الأمر الذين عيّنهم الرسول صلى الله عليه وآله، والاستنباط: الاستخراج.

[٤٠] **(أخبركم عنه):**

استئناف، لبيان أنَّه هو الذي يستنطق القرآن.

وكما قال عليه السلام في خطبة أخرى(٣): «ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تَمَسّكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهله، فإنَّهم عيش العلم وموت الجهل» والمعنى (فالتمسوا ذلك) أي العمل بالكتاب، والمراد العلم بمقاصد الكتاب.

وفي نهج البلاغة(٤) (ولكن أخبركم عنه).

[٤١] **(علم ما مضى وعلم ما يأتي...):**

أي الأخبار والحوادث التي مرَّت والتي ستأتي.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٣) توضيح نهج البلاغة ج٢ ص٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٤) توضيح نهج البلاغة: ج٢ ص٤٣٧.

تَخْتَلِفُونَ[٤٢]، فَلَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ لَعَلَّمْتُكُمْ[٤٣].

٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ أَعْيَنَ قَالَ:

سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: قَدْ وَلَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ[١] صلى الله عليه وآله وَأَنَا

---

[٤٢] **(حكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون):**
لعلَّ الجملة الثانية (حكم ما بينكم) تأكيد للأولى (بيان ما أصبحتم....).
أو أنَّ الأولى يُراد بها تنظيم شؤونكم بالأحكام الشرعية، والثانية في الموضوعات التي تحتاج إلى القضاء.
أو العكس بأن تكون الأولى في القضاء، والثانية في الأحكام الشرعية لأنَّها محل الخلاف بين الناس.
والحاصل: أنَّ في القرآن الأنباء، والأحكام الشرعية، وفصل الخصومات.

[٤٣] **(فلو سألتموني...):**
قيل استعمال كلمة (لو) للإشارة إلى فقد من يسأله عن هذه الأمور كما قال عليه السلام: «إن ههنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة»(١)، ومن شقائهم ما روي أنَّه قال عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني» فسأله أحدهم عن عدد شعرات رأسه، مستهزئاً بالإمام عليه السلام فأجابه عليه السلام إنَّ في أصل كل شعرة شيطان يلعنه(٢).

الحديث الثامن:

[١] **(قد ولدني رسول الله):**
هذا التمهيد لبيان أنَّ علمه من علم الرسول صلى الله عليه وآله، كما أنَّ الولد يتعلَّم من أبيه لكثرة معاشرته له، ولذا قالوا (ابن العالم نصف العالم)، وفي الحديث دلالة على أنَّ ولد البنت ولد حقيقة.
كما أنَّ الولادة هنا تشمل الولادة الجسمانية والولادة الروحانية، فإنَّ

---

(١) شرح أصول الكافي، المولى المازندراني: ج١، ص ٣٨.
(٢) كامل الزيارات: باب ٢٣، ص ١٥٥.

أَعْلَمُ[٢] كِتَابَ اللَّهِ وَفِيهِ بَدْءُ الْخَلْقِ[٣]، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[٤]، وَفِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ وَخَبَرُ الْأَرْضِ[٥]، وَخَبَرُ الْجَنَّةِ وَخَبَرُ النَّارِ[٦]، وَخَبَرُ مَا

نسبه عليه السلام يرجع إليه صلى الله عليه وآله كذلك علمه يرجع إلى علمه، فهو وارث علمه كما أنَّه وارث ماله.

[٢] **(وأنا أعلم...):**
الواو إما للاستئناف، أو أنَّها حالية وعليه تكون دلالة على أنَّ هذا العلم من حين الولادة أي (ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله والحال أني أعلم...)، وليس ذلك محال فقد أتى الله بعض أوليائه ذلك كما قال عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾(١) مع أنَّه كان في المهد صبياً، وكذلك يحيى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(٢).

[٣] **(وفيه بدء الخلق):**
أي في الكتاب خبر كيفية إنشاء الخلق، من خلق نور الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وخلق الملائكة والماء ونحوها، ولعلَّ المراد كل المخلوقات التي خُلقت في الماضي بقرينة قوله فيما بعد (وما هو كائن).

[٤] **(وما هو كائن..الخ):**
أي الموجودات التي تخلق فيما بعد.
وهذين المقطعين إشارة إلى علمه بالمخلوقات أجمع ما خلقت وما ستخلق.

[٥] **(وفيه خبر السماء...):**
بعد أن ذكر المخلوقات وأنَّه عالم بها، ذكر عليه السلام أنَّه عالم بأخبار المخلوقات أيضاً سماوية كانت أم أرضية.

[٦] **(وخبر الجنة وخبر النار):**
بعد أن ذكر علمه بالمخلوقات وأخبارها، ذكر عليه السلام أنَّه يعلم علم العالم الآخر وما ستؤول إليه المخلوقات ومصيرها.

---

(١) سورة مريم: الآية ٣٠.
(٢) سورة مريم: الآية ١٢.

كَانَ، وَخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ[٧]، أَعْلَمُ ذَلِكَ كَمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي[٨]، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ[٩].

---

[٧] **(وخبر ما كان وخبر ما هو كائن):**
هذا من قبيل ذكر العام بعد الخاص، فإنَّه عليه السلام ذكر علمه:
١ ـ بالمخلوقات.
٢ ـ بأخبارها.
٣ ـ بمصيرها من الجنة والنار.
بعد ذلك ذكر ما يعمّ جميعها تأكيداً، فقال خبر ما كان وخبر ما هو كائن.

[٨] **(أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي):**
أي واضح لي لا لبس فيه ولا يحتاج إلى إعمال نظر ونحوه، بل كلها من العلوم البديهية.

[٩] **(إن الله يقول. . .) الخ:**
هذا دليل لما قبله. فإنه:
أولاً: يُثبت وجود كل شيء في القرآن، و«التبيان» البيان الواضح.
وثانياً: يثبت علم البعض به بكل ما فيه، إذ لولا ذلك لكان جعل التبيان لكل شيء فيه لغواً، تعالى الله عن ذلك.
وثالثاً: ومن أولى من رسول الله صلى الله عليه وآله لمعرفة ذلك التبيان، فلا شك أنَّه صلى الله عليه وآله كان عالماً بكل ما في القرآن، وبعد الرسول صلى الله عليه وآله ورثته وهم الأئمة عليهم السلام.
ومن نافلة القول:
أنَّ بعض العامة ـ ومن تبعهم من ضعاف النُّفوس من الشيعة ـ يستنكرون معنى هذا الحديث.
مع أنَّه ورد في أصحّ الكتب عندهم أنَّ بعض الصحابة كان يعلم بما كان وما هو كائن.
فمنها ما رواه البخاري ومسلم.
فقد روى البخاري في (القدر، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾)(١).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٨.

٩ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ[١]،

(خطبنا النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم خطبة، ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله) الحديث.

وروى مسلم في (الفتن وأشراط الساعة):

(صلى بنا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلّى، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا).

وروى مسلم أيضاً في (الباب المذكور):

(قام فينا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء) الحديث.

ولعلَّ اختلاق أمثال هذه المرويات في الصحابة، لأجل التغطية على فضائل أهل البيت عليهم السلام، أو لنقض فضائلهم عليهم السلام ففي الوافي(١):

ويُروى عن ابن عرفة المعروف بنفطويه «أنَّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة، افتُعلت أيام بني أمية، تقرباً إليهم بما يظنون أنَّهم يرغمون بها أنف بني هاشم».

وسيأتي بعد قليل ما رواه المدائني بهذا المعنى.

الحديث التاسع:

[١] **(نبأ ما قبلكم):**

أي أخبار الأُمم السالفة، وكذلك أخبار المبدأ والملائكة والرسل والكتب.

---

(١) الوافي: ج١، ص٢٨٠.

وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ[٢]، وَفَصْلُ مَا بَيْنَكُمْ[٣] وَنَحْنُ نَعْلَمُهُ[٤].

١٠ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ أَبِي الْمَغْرَاءِ، عَنْ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَكُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله؟ أَوْ تَقُولُونَ فِيهِ[١]؟ قَالَ: بَلْ كُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله.

---

[٢] **(وخبر ما بعدكم):**
ممَّا سيجري في الأُمم اللاحقة، وكذلك أخبار المعاد والحساب والجنة والنار وأمثالها.

[٣] **(فصل ما بينكم):**
الأحكام التي تفصل في الخصومات، وكذلك عامة الأحكام الشرعية لأنَّها ممَّا قد يختلف فيها الناس فكلمة الفصل تكون للقرآن الكريم.

[٤] **(نحن نعلمه):**
أي نعلم كتاب الله بهذه التفاصيل المذكورة.

الحديث العاشر:

[١] **(أو تقولون فيه):**
أي هل تحكمون فيه بآرائكم حيث إنَّه لا يوجد فيه حكم؟
وفي نسخة (أو يقولون فيه) بمعنى هل أنَّ الناس يقولون إنَّ كل شيء في القرآن وليس كذلك.

بَابُ اخْتِلَافِ الْحَدِيثِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ، عَنْ أَبَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ الْهِلَالِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنِّي سَمِعْتُ مِنْ سَلْمَانَ وَالْمِقْدَادِ وَأَبِي ذَرٍّ شَيْئاً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثَ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله غَيْرَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، ثُمَّ سَمِعْتُ مِنْكَ تَصْدِيقَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُمْ. وَرَأَيْتُ فِي أَيْدِي النَّاسِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَمِنَ الْأَحَادِيثِ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنْتُمْ تُخَالِفُونَهُمْ فِيهَا، وَتَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بَاطِلٌ؛ أَفَتَرَى النَّاسَ يَكْذِبُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مُتَعَمِّدِينَ، وَيُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِآرَائِهِمْ؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: قَدْ سَأَلْتَ فَافْهَمِ الْجَوَابَ: إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ[١] حَقّاً وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وَكَذِباً[٢]،

الحديث الأول:

[١] (إنَّ في أيدي الناس):
قبل أن يجيب الإمام عليه السلام على السؤال، قدَّم مقدمة إلى قوله عليه السلام: (ثم كذب عليه من بعده)، تمهيداً لبيان سبب اختلاف الحديث.

[٢] (حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً):
الفرق بينهما من وجوه:
١ ـ أنَّ الحق والباطل يرتبطان بالواقع ـ سواء كان خبراً أم لا ـ مثلاً التوحيد حق وتعدد الآلهة كذب.
والصدق والكذب يرتبطان بالخبر عن الواقع ككون الرسول صلى الله عليه وآله قال كذا أم لم يقله.

وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً[٣]، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً[٤]، وَحِفْظاً

---

٢ ـ فرق اعتباري.
فيقال للخبر المطابق للواقع: (صدق) لأنَّه مطابق للواقع، و(حق): لأنَّه هو الواقع.
٣ ـ الحق والباطل في الرأي، والصدق والكذب في القول.
٤ ـ الحق والباطل عام للقول والفعل، والصدق والكذب في القول فيكون من قبيل ذكر الخاص بعد العام.

[٣] **(ناسخاً ومنسوخاً)**:
«الناسخ» ما أزال الحكم السابق بأن بيَّن انتهاء أمده ووقته.
و«المنسوخ» ما انتهى أمد حكمه وزال.

[٤] **(محكماً ومتشابهاً)**:
«المحكم»: هو ظاهر الدلالة على معنى بحيث لا يحتمل غيره من المعاني وكان محفوظاً من النسخ أو التخصيص ونحوها، وأصله في اللغة هو المضبوط المتقن.
«المتشابه»: هو المجمل الذي يشتبه المراد منه.
وفي التبيين(١): وهذا طبيعي أن يقع التشابه في الكلام البليغ.
وفي التقريب(٢): «والمتشابه هو الذي يحتمل وجهين أو وجوهاً ممَّا سبَّب عدم إدراك الناس كلهم لها، وإنَّما يؤتى به إما امتحاناً حتى يعرف المؤمن من المنافق، أو لتقريب المطلب إلى أذهان الناس الذين لا يدركون الحقائق، ككثير من آيات الصفات ونحوها كقوله سبحانه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٣)، حيث أريد التفهيم من أنَّ المؤمنين ينظرون إلى رحمة الله، أو كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾(٤)، أو لأنَّ المطلب دقيق لا تتحمله بعض

---

(١) التبيين: ص٦١.
(٢) التقريب: ج١ ص٣١٢.
(٣) سورة القيامة: الآية ٢٤.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٩.

وَوَهَماً[٥]، وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَهْدِهِ[٦] حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ[٧]، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ

العقول كآيات الجن والشيطان ممَّا لا يتحملها عقل من أَلِفه المادة فيشتبه الأمر عليه، أو لأنَّه جيء به لاعتبار كلامي فاشتبه الأمر نحو ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾(١)، أو غير ذلك.

والمتشابه ممَّا لا بدَّ منه في الكلام الراقي» انتهى.

[٥] **(وحفظاً ووهماً):**

«الحفظ»: ما كان موافقاً لما سمعه أو رآه مع يقين الراوي.

و«الوهم»: ما شك فيه أو غلط فيه، حتى إذا كان قاطعاً عند النقل، والماضي «وَهَمَ» ـ بالفتح ـ إذا ذهب الوهم إلى شيء وهو يريد غيره، و«وَهِم» ـ بالكسر ـ إذا غلط وسهى.

[٦] **(وقد كذب على رسول الله في عهده):**

ولعلَّ ذلك بسبب كثرة الأعداء المتربصين والمنافقين وهؤلاء كانوا يكذبون على الرسول ﷺ لأجل الإضرار بالرسول وبالإسلام، وكذلك كثرة النفعيين الذين كانوا يريدون الوصول إلى مآربهم ومصالحهم عبر الكذب على الرسول ﷺ، وحيث إن الناس ينصاعون إلى الدين أكثر من غيره، فالداعي إلى الكذب في الدين لأجل المصلحة عند غير المتورعين أكثر.

[٧] **(الكذَّابة):**

فيه وجوه:

١ ـ صيغة مبالغة، والتاء للتأنيث، فيكون المعنى كثرت الجماعة الكذابة.

٢ ـ مصدر بمعنى المفعول، أي كثر عليَّ الكلام المكذوب.

٣ ـ أن يكون بكسر الكاف وتخفيف الذال مثل كِتابة، مصدر أي كثر عليَّ الكذب.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦٧.

مُتَعَمِّداً[٨] فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ[٩] مِنَ النَّارِ، ثُمَّ كُذِبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّمَا أَتَاكُمُ الْحَدِيثُ مِنْ أَرْبَعَةٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ: رَجُلٍ مُنَافِقٍ يُظْهِرُ الْإِيمَانَ[١٠]، مُتَصَنِّعٍ بِالْإِسْلَامِ[١١] لَا

---

[٨] **(كذب عليَّ متعمداً)**:
أي لا عن وهم، فإنَّه قد يعذر، إن لم يكن مقصراً.

[٩] **(فليتبوأ مقعده)**:
قد مرَّ معنى ذلك، وهو أمر بمعنى خبر، كنايةً عن أنَّه يستخف بكذبته هذه.
قوله: (إنَّما آتاكم الحديث من أربعة):
التقسيم هو: أنَّ الراوي إما صادق وإما كاذب، والصادق قسمان، والكاذب قسمان، فالأقسام أربعة:

الراوي:
- الكاذب
  - (١) غير متحرج عن الكذب
  - (٢) غلط ووهم في فهم وسماع الحديث
- الصادق
  - (٣) غير عالم بالناسخ
  - (٤) عالم بالتفاصيل من الناسخ والخاص وغيرهما

الصنف الأول

[١٠] **(رجل منافق يظهر الإيمان)**:
«يُظهر» وصف توضيحي للمنافق، لأنَّه من يبطن الكفر ويظهر الإسلام، وهذا يعامل في الدُّنيا معاملة المسلمين، وفي الآخرة معاملة الكفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(١).

[١١] **(متصنّع بالإسلام)**:
«التصنع»: التكلُّف، لأنَّ من يظهر ما لا يعتقد به يصعب عليه ذلك، بل يكون متكلّفاً في إظهاره، وأصله من الصنع حيث إنَّ المنافق يصنع لنفسه من دون أن يكون في الواقع مسلماً.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٥.

يَتَأَثَّمُ[١٢] وَلَا يَتَحَرَّجُ[١٣] أَنْ يَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَعَمِّداً؛ فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَذَّابٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا هَذَا قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَرَآهُ وَسَمِعَ مِنْهُ[١٤]؛ وَأَخَذُوا عَنْهُ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ حَالَهُ[١٥]، وَقَدْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ، عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَهُ وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ[١٦] فَقَالَ عَزَّ

---

[١٢] **(لا يتأثّم):**

أي لا يعترف بالإثم، فلا يعتبر الكذب على الرسول ﷺ إثماً، فلا يخاف منه.

[١٣] **(ولا يتحرّج):**

«الحرج»: ضيق الصدر وهو أمر نفسي.

والمعنى لا يشعر بالحرج من الكذب، عكس المؤمن الذي يشعر بالإثم والحرج من المحرمات.

[١٤] **(ورآه وسمع منه):**

عطف تفسيري على (صحب)، ويمكن أن تكون الصحبة أعمّ منهما فالأعمى كابن أم مكتوم صحابي، وأيضاً من أسلم بحضرة الرسول ﷺ وإن لم يسمع منه شيئاً فإنَّه يطلق عليه الصحابي.

وإنَّما ذكر الرؤية والسمع لأنَّهما الطريق إلى الرواية، فينقل ما رآه من الرسول ﷺ أو سمعه منه.

[١٥] **(وهم لا يعرفون حاله):**

حيث ظنوا أنَّ الصحبة تعصم الصحابي من الكذب، مع أنَّ القرآن يشهد بكذب بعضهم.

[١٦] **(وقد أخبره الله... الخ):**

أي أخبر الله الرسول ﷺ عن حال المنافقين وصفاتهم الذميمة، وفي ضمن الكشف عن سوء أحوالهم أخبر الله تعالى عن صفة الكذب فيهم كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ وذلك لأنَّ لسانهم يخالف قلبهم ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أي وقاية لحفظ مالهم ودمهم ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١).

---

(١) سورة المنافقون: الآيتان ١ ـ ٢.

وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ[١٧]﴾ [المنافقون: ٤]. ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ[١٨] بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ

---

[١٧] **(وإذا رأيتهم تعجبك...):**

في التبيين(١): ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ بحسن منظرهم، ﴿وَإِن يَقُولُوا﴾ يتكلموا ﴿تَسْمَعْ﴾ تُصْغِ ﴿لِقَوْلِهِمْ﴾ لحسن منطقهم، ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ جمع خشبة ﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾ أسندت إلى الحائط، لها ظاهر جميل ولكنّها فارغة لا تتمكن من القيام بنفسها، فهم أشباح خالية عن العلم والإيمان.

فهل يتوقع الإنسان بعد ذلك من أمثال هؤلاء الصدق والأمانة في نقل الحديث، فهؤلاء لهم من المنظر ما يوجب اغترار الناس بهم وتصديقهم فيما ينقلونه عن النبي ﷺ، فمنظرهم جميل يشدّ القلوب كما قال: ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾، ولسانهم ذلق حلو كما قال سبحانه: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ كالخشبة المسندة التي لا يُرجى خير في ثمرتها ولا هي واقفة بنفسها كالأشجار بل بالإسناد.

وفي الوافي(٢) عن ابن العتائقي أنّه نقل عن المدائني في كتاب (الأحداث): «أنَّ معاوية كتب إلى عماله أن ادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة، فرُويت أخبار كثيرة مفتعلة لا حقيقة لها، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر».

[١٨] **(أئمة الضلالة والدعاة إلى النار):**

قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾(٣) لأنّهم الأساس وسائر الناس تبع لهم.

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾(٤) أي رؤساء دعوا أتباعهم إلى ما عاقبته النار.

---

(١) التبيين: ص٥٦٨.

(٢) الوافي: ج١ ص٢٧٩، والمرآة: ج١ ص٢١٢.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢.

(٤) سورة القصص: الآية ٤١.

وَالْبُهْتَانِ[١٩]، فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ[٢٠]، وَحَمَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ[٢١]، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا[٢٢]، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا[٢٣] إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ[٢٤]، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.

---

[١٩] **(بالزور، والكذب، والبهتان)**:

أي تقربوا إلى أئمة الضلال بهذه الأمور:

و«الزور»: الكذب، وعادة يُستعمل في الشهادة الباطلة.

و«البهتان»: الكذب، ويُستعمل عادة في نسبة أمر باطل وشنيع للغير.

و«الكذب»: مطلق القول المخالف للواقع.

ولعلَّ الترتيب في اللفظ حسب كثرة الاستعمال في الخارج، فهؤلاء الوضّاعون أكثر موضوعاتهم للشهادة لحكَّام الجور ولصحة طريقتهم، ثم إنَّهم يكثرون من الكذب بشكل عام، ثم بعد ذلك يفترون على من يخالف أئمة الجور والضلال.

[٢٠] **(فولوهم الأعمال)**:

حيث رأى أئمة الضلال أنَّ في بقاء هؤلاء تقوية لسلطانهم، فاسترضوهم بالولايات ولكي يشدوا قلوب الناس إلى هؤلاء الأئمة الضُلَّال، بأكاذيبهم.

[٢١] **(حملوهم على رقاب الناس)**:

كناية عن تصرفهم في العباد والبلاد كيفما شاؤوا.

[٢٢] **(أكلوا بهم الدُّنيا)**:

أي أكل هؤلاء الوضاعون بأئمة الضلَّال الدنيا.

ويحتمل إرجاع الضمائر بالعكس، أي أكل أئمة الضلال بسبب ما اختلقه هؤلاء الدُّنيا، حيث قوي سلطانهم بهؤلاء الوضاعين.

[٢٣] **(وإنَّما الناس مع الملوك والدُّنيا)**:

هذا إشارة إلى أنَّ القسم الأول من رواة الحديث أي الوضاعون هم الأكثر لأنَّ الناس عبيد الدُّنيا فيميلون مع الملوك والدُّنيا.

[٢٤] **(إلا من عصم الله)**:

«العصمة» بمعنى الحفظ، أي من حفظه الله من السقوط في الدُّنيا وفي براثن الملوك.

وَرَجُلٍ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئاً لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى وَجْهِهِ[٢٥] وَوَهِمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً فَهُوَ فِي يَدِهِ، يَقُولُ بِهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَرْوِيهِ فَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ لَمْ يَقْبَلُوهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ وَهِمَ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُلٍ ثَالِثٍ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً أَمَرَ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ[٢٦] وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ[٢٧] وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ مَنْسُوخَهُ وَلَمْ

وأما «العصمة» بمعنى الملكة الخاصة المانعة عن ارتكاب المعاصي الملزمة لفعل الطاعات فهي أمر خاص بالرسول والأئمة عليهم السلام واللفظ اصطلاح فيها.

الصنف الثاني

[٢٥] **(لم يحمله وجهه):**

أي الجهة التي أرادها رسول الله ﷺ، فإما أخطأ المقصود فغلط في الفهم، أو أخطأ اللفظ فغلط فيه.

الصنف الثالث

[٢٦] **(أمر به ثم نهى عنه):**

أما في القضايا يكون الأمر ثم النهي بالبداء ـ بمعنى الإبداء ـ كأمره ﷺ بذهاب أبي بكر بسورة براءة ثم نهيه عن ذلك، وتبديله بالإمام علي عليه السلام.

وأما في الأحكام فبالنسخ، على القول بوجود النسخ في كلام الرسول ﷺ، ولعلَّ المراد تفسيره للآيات الناسخة بناءً على عدم وجود النسخ في كلامه ﷺ.

[٢٧] **(ينهى عن شيء ثم أمر به):**

كالنهي عن الجهاد في مكة وأمره بالجهاد في المدينة.

يَحْفَظِ النَّاسِخَ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرَ رَابِعٍ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مُبْغِضٍ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّهِ[٢٨] ﷺ، لَمْ يَنْسَهُ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ[٢٩] فَجَاءَ بِهِ كَمَا سَمِعَ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ[٣٠]، وَعَلِمَ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ، فَعَمِلَ بِالنَّاسِخِ وَرَفَضَ الْمَنْسُوخَ[٣١]، فَإِنَّ أَمْرَ النَّبِيِّ[٣٢] ﷺ مِثْلُ الْقُرْآنِ نَاسِخٌ

الصنف الرابع

[٢٨] **(خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله):**

أي وجه عدم كذبه أمران، شرعي وعقلي.

١ ـ حرمة الكذب، فلا يكذب، خوفاً من الله.

٢ ـ التعظيم للرسول ﷺ، فحتى لو فرض عدم الحرمة، فإنَّه لا يكذب لعلمه بقبح الكذب ولزوم تعظيم الرسول ﷺ إذ نسبة الكذب إليه قبح ينافي مقامه الكريم.

[٢٩] **(حفظ ما سمع على وجهه):**

حفظه على وجهه بمعنى فهمه لمقصد الرسول ﷺ.

[٣٠] **(لم يزد فيه ولم ينقص منه):**

أي زيادة أو نقيصة تخلّ بالمعنى، أما نقل كلام الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام بالمعنى فلا بأس به كما مرّ في باب رواية الكتب.

[٣١] **(ورفض المنسوخ):**

أي لم يعمل بالمنسوخ، ولا بأس بروايته مع عدم العمل به.

[٣٢] **(أمر النبي):**

الأظهر أنَّ المراد بالأمر: الشأن، فيشمل نواهيه أيضاً، ومن هنا يبدأ الإمام عليه السلام بيان سبب افتراق القسم الثاني والثالث والرابع.

وَمَنْسُوخٌ[٣٣]، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، قَدْ كَانَ يَكُونُ[٣٤] مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ[٣٥]: كَلَامٌ عَامٌّ وَكَلَامٌ خَاصٌّ، مِثْلُ الْقُرْآنِ.

---

[٣٣] **(مثل القرآن ناسخ ومنسوخ):**

برفع (مثل) على أنَّه خبر (فإن).

و(ناسخ ومنسوخ) ـ بالرفع ـ إما خبر ثان، وإما خبر لمبتدأ محذوف، أي بعضه ناسخ وبعضه منسوخ.

وإما مجرور على أنَّه صفة للقرآن فالمعنى أنَّ كلام الرسول ﷺ ينسخ بعضه بعضاً، لا أنَّ الحديث ينسخ القرآن ـ وقد ذكرنا ذلك في كتاب التفكر في القرآن ـ.

ولعل سبب النسخ في كلام رسول الله ﷺ هو تدريجية نزول الأحكام وتبليغها، فقبل تشريع حكم بالوجوب أو التحريم ـ مثلاً ـ لو كان يسأل الرسول ﷺ عنه كان يجيب بالإباحة، ثم بعد نزول الحكم وفعليته كان يذكر التحريم أو الوجوب، وهذا وإن لم يكن نسخاً بالمعنى المصطلح، لكنَّه نسخ بالمعنى اللغوي، فتأمل.

[٣٤] **(قد كان يكون...):**

الأنسب إلى المعنى جعل (كان) تامة، و(يكون) ناقصة واسم يكون (الكلام)، وخبرها (له وجهان):

فالمعنى: قد وجدت كثيراً هذه الحالة بأن يكون كلام الرسول له وجهان.

ولعلَّ تكرار ذكر الخاص والعام لكثرته.

[٣٥] **قوله: (الكلام له وجهان):**

حيث إنَّ الرسول ﷺ كان يتكلم بلسان قومه عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾(١)، وحيث البلغاء يحتوي على مختلف أقسام الكلام.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤.

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[٣٦] فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] فَيَشْتَبِهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَلَمْ يَدْرِ[٣٧] مَا عَنَى اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ[٣٨] ﷺ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْأَلُهُ عَنِ الشَّيْءِ فَيَفْهَمُ[٣٩]، وَكَانَ مِنْهُمْ

---

[٣٦] **قوله: (وقال الله عزَّ وجلَّ... الخ)**:

أي لما علموا هؤلاء ـ وهم القسم الثاني والثالث والرابع ـ وجوب اتباع كلام الرسول ﷺ ولم يتعمدوا الكذب فيه عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(١)، أرادوا أخذ كلام الرسول ﷺ، فأخطأ القسم الثاني والثالث، وأصاب القسم الرابع.

[٣٧] **قوله: (لم يدر....)**:

كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾(٢)، حيث كان قصدهم من قول راعنا ـ من المراعاة ـ: تكرار الكلام والتمهل فيه حتى يستوعبوه. ولكن مع ذلك نهى الله عن قول هذه اللفظة، لأن الله تعالى أراد أن لا يستغلها من يريد شتم الرسول ﷺ من اليهود، التي كانت كلمة راعنا عندهم سبّة، فمن لم يعرف ما أراده الله لا يلتفت إلى معنى هذه الآية.

[٣٨] **قوله: (ما عنى الله به ورسوله)**:

أي لم يدر ما هو قصد الله تعالى من ذلك الحكم الذي أنزله، وكذلك لم يدر ما هو قصد الرسول ﷺ من الحكم الذي بيّنه.

[٣٩] **قوله: (وليس كل أصحاب...)**:

دفع لإشكال مقدّر، وهو كيف لم يوضّح الرسول ﷺ الأحكام وهو المرسل لتبليغها.

فالجواب: هو أنَّ الرسول ﷺ بيَّن كل شيء وحسب المتعارف، وبعض

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٤.

مَنْ يَسْأَلُهُ وَلَا يَسْتَفْهِمُهُ[٤٠]، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ[٤١] وَالطَّارِئُ[٤٢] فَيَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَسْمَعُوا. وَقَدْ كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلَّ يَوْمٍ دَخْلَةً، وَكُلَّ لَيْلَةٍ دَخْلَةً، فَيُخَلِّينِي[٤٣] فِيهَا أَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ[٤٤]، وَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنَ

الأحيان لقصور في فهم البعض كان يحتاج إلى السؤال، ولكنَّه لم يسأل إما لعدم السؤال، أو لأنَّه كان يسأل لكنَّه لم يفهم الجواب فلا يكرّر السؤال، كل ذلك إعظاماً للرسول ﷺ أو لقصور في الفهم أو لجهة أخرى.

[٤٠] **(ولا يستفهمه):**
أي حينما لم يكن يفهم لا يستوضح الجواب حتى يعيه، ولذا قال تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾(١) وكان عدم الاستفهام خجلاً أو جهلاً.

[٤١] **(الأعرابي):**
نسبة إلى الأعراب ـ لا مفرد له ـ وهم سكنة البوادي من العرب خاصة، أما سكنة البوادي من غير العرب فلا يُقال لهم أعراب بل يُطلق عليهم اللفظ العام. وهو «البدوي» نسبة إلى البَدْو بمعنى البادية.

[٤٢] **(والطارىء):**
الغريب الذي يطرأ على المدينة وليس من سكانها.

[٤٣] **(فيخليني):**
من الخلوة أي يجعل خلوة بيني وبينه، وعليه فقوله: (أدور) مستأنف.
أو من التخلية بمعنى الترك والسَّماح أي لا يجعل مانعاً بيني وبينه ويسمح لي فأدور معه حيث دار، وعليه فقوله: (أدور) حال.

[٤٤] **(أدور معه حيث دار):**
بمعنى أنَّه كان مستودعاً لأسرار النبي ﷺ، ولا يعارضه في أي شيء، فكان يقبل كلّ ما قاله النبي ﷺ.

---

(١) سورة الحاقة: الآية ١٢.

النَّاسِ غَيْرِي[٤٥]، فَرُبَّمَا كَانَ فِي بَيْتِي يَأْتِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَكْثَرُ ذَلِكَ فِي بَيْتِي[٤٦]، وَكُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ مَنَازِلِهِ أَخْلَانِي وَأَقَامَ عَنِّي نِسَاءَهُ[٤٧]. فَلَا يَبْقَى عِنْدَهُ غَيْرِي. وَإِذَا أَتَانِي لِلْخَلْوَةِ مَعِي فِي مَنْزِلِي لَمْ تَقُمْ عَنِّي فَاطِمَةُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِيَّ[٤٨]، وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُهُ أَجَابَنِي، وَإِذَا سَكَتُّ عَنْهُ وَفَنِيَتْ مَسَائِلِي[٤٩]

---

[٤٥] **(وقد علم أصحاب...)**:

ذكر عليه السلام هذا حتى لا يتوهم أحد من ضعاف الإيمان، أنَّ ما يقوله عليه السلام مبالغة أو كذب، بل أصحاب النبي ﷺ شهود على صدق المقال.

[٤٦] **(أكثر ذلك في بيتي)**:

لما بيّن عليه السلام أنَّه كان يدخل على رسول الله ﷺ، وربّما كان الرسول ﷺ يدخل عليه، بيَّن أنَّ الأكثر هو الثاني أي دخول الرسول عليه، ولعلَّ ذلك لبيان فضيلة له عليه السلام، أو لبيان أنَّ تلك العلوم شاركه فيها فاطمة والحسنين عليهم السلام.

[٤٧] **(أقام عنِّي نساءه)**:

لعلَّه لجهتين:

١ ـ هو علم خصَّ الرسول ﷺ علياً عليه السلام به. لم يكن يريد علم نسائه به.

٢ ـ حتى لا يتحرج علي عليه السلام من السؤال ومن إطالة الجلوس ونحوهما.

[٤٨] **(ولا أحد من بني)**:

وهذا يشمل زينب وأم كلثوم عليهما السلام أيضاً، ولعلَّه يمكن استفادة معرفتهما بتلك العلوم أيضاً.

وأيضاً وعيهما وفهمهما لما يقوله الرسول ﷺ ـ رغم صغر السن ـ وإلا لم يكن معنى لقول (لم يقم عنِّي أحد من بني)، فتأمل.

لأنَّ الطفل غير المميز لا يُقام عادة من المجالس التي تذكر فيها العلوم والمسائل الخاصة، بل يقام المميز إذا لم يريدوا علمه، فإذا لم يُقم فمعناه إرادتهم إشراكه في العلم، فتأمل.

[٤٩] **(وفُنيت مسائلي)**:

أي انتهت أسئلتي، ولعلَّ ذلك كان مراعاة لحال رسول الله ﷺ، وخاصة

ابْتَدَأَنِي، فَمَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَقْرَأَنِيهَا[٥٠]، وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ[٥١] فَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي[٥٢]، وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا[٥٣] وَنَاسِخَهَا وَمَنْسُوخَهَا، وَمُحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا، وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَنِي فَهْمَهَا وَحِفْظَهَا، فَمَا نَسِيتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا عِلْماً أَمْلَاهُ عَلَيَّ وَكَتَبْتُهُ، مُنْذُ دَعَا اللَّهَ لِي بِمَا دَعَا[٥٤]، وَمَا تَرَكَ شَيْئاً عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ، وَلَا

حينما تطول الجلسة.

[٥٠] **(اقرأنيها)**:
أي قرأها عليَّ.

[٥١] **(وأملاها عليَّ)**:
أي كنت أكتبها أيضاً، أو بمعنى أنَّه ﷺ كان يطلب منِّي كتابتها.

[٥٢] **(فكتبتها بخطي)**:
تأكيد لإملاء الرسول ﷺ، أو لبيان أنَّه هو الكاتب مباشرة ولم يكن يأمر غيره بالكتابة.

[٥٣] **(تأويلها وتفسيرها)**:
«التأويل»: بيان المقصود في الآية المتشابهة، وكذلك بطون الآيات، وفيه إشارة إلى أنَّه عليه السلام من الراسخين في العلم كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾(١) و«التفسير»: بيان المعاني المقصودة حسب ظاهر الآيات.

[٥٤] **(منذ دعا الله لي. . .الخ)**:
فسبب عدم النسيان ـ بعد هذا الدعاء ـ هو استجابة الله تعالى لدعاء الرسول ﷺ، ولا ينافي عدم نسيانه قبل هذا الدعاء ـ لسبب آخر غير دعاء الرسول ﷺ ـ، فالمعنى أنَّ سبب الاستمرار هو الدعاء، ولعلَّ سبب الحدوث أمر آخر.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨.

أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ كَانَ أَوْ يَكُونُ[٥٥]. وَلَا كِتَابٍ مُنْزَلٍ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ[٥٦] إِلَّا عَلَّمَنِيهِ وَحَفِظْتُهُ، فَلَمْ أَنْسَ حَرْفاً وَاحِداً؛ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي وَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَمْلَأَ قَلْبِي عِلْماً وَفَهْماً وَحُكْماً وَنُوراً[٥٧]، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي: مُنْذُ دَعَوْتَ اللَّهَ لِي بِمَا دَعَوْتَ لَمْ أَنْسَ شَيْئاً وَلَمْ يَفُتْنِي شَيْءٌ لَمْ أَكْتُبْهُ، أَفَتَتَخَوَّفُ عَلَيَّ النِّسْيَانَ فِيمَا بَعْدُ؟ فَقَالَ: لَا، لَسْتُ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ النِّسْيَانَ وَالْجَهْلَ.

أو يقال: إنَّ هذا الدعاء كان من أول الأمر، فسبب عدم النسيان هو الدعاء من الأول، لا أنَّه كان ينسى ثم هذا الدعاء منع النسيان.

[٥٥] **(كان أو يكون)**:

لأنَّ الله كان يُعلِّم الرسول ﷺ بعض الأحكام التي لم يَحُن وقتها، وكان الرسول ﷺ يخبر أصحابه ببعضها، إما ليتهيؤوا أو لسبب آخر، وقد كان يؤخر البيان إلى وقت الحاجة، لكنَّه كان يبيِّن جميعها للإمام علي عليه السلام.

ويمكن أن يكون المراد الأوامر والنواهي التي كانت في الأُمم السابقة ثم نُسخت، والأوامر والنواهي التي تكون في هذه الأُمة أي التي شرّعت للمسلمين.

[٥٦] **(من طاعة أو معصية)**:

بيان للكتاب، أي الكتاب المنزل الذي فيه الطاعة أو المعصية.

[٥٧] **(علماً وفهماً وحكماً ونوراً)**:

«العلم»: هو انكشاف الحقائق.

و«الفهم»: أخصّ من العلم، فهو علم معه تصديق. أو هو إدراك الأمور الخفية.

و«الحكم»: سلطة القضاء بين الناس، كما قال تعالى عن لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(١) حيث لا يجوز الحكم إلا بإذن الله تعالى، إذ الحكم

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٤.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْوُونَ، عَنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَا يُتَّهَمُونَ بِالْكَذِبِ[١]، فَيَجِيءُ مِنْكُمْ خِلَافُهُ؟ قَالَ: إِنَّ الْحَدِيثَ يُنْسَخُ[٢] كَمَا يُنْسَخُ الْقُرْآنُ[٣].

بين الناس إنَّما هو لله تعالى ولمن أذن له، حيث إنَّه من الولاية التشريعية.

و«النور»: هو العلم باعتبار أنَّه يجلو العمى والمشكلات، فيلازمه كون ذلك العلم ربانياً كما ورد (ليس العلم بكثرة التعليم والتعلُّم وإنَّما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء).

الحديث الثاني:

[١] **(لا يتهمون بالكذب):**

أي الأقوام ومن يرون عنهم لا يتهمون بالكذب.

[٢] **(إنَّ الحديث ينسخ... الخ):**

١ ـ السؤال عن الحديث المتواتر والمستفيض، لذا قال السائل (عن فلان وفلان)، وفي مثله لا يتهم أحد بالكذب، لتواتره أو استفاضته، ومع ذلك يأتي خلافه من الأئمة عليهم السلام.

والجواب أنَّ هؤلاء سمعوا المنسوخ فنقلوه ولم يسمعوا الناسخ، وأهل البيت عليهم السلام لعلمهم بالناسخ فإنهم يروونه عن جدهم صلى الله عليه وآله.

٢ ـ أو أنَّ السؤال كان عن ناس ليسوا بمنافقين ولا كذابين، فكيف ينقلون أمراً ـ مع عدم كذبهم ـ ومع ذلك يأتي خلافه عن الأئمة عليهم السلام.

٣ ـ أو الإمام عليه السلام استعمل التقية لعدم تمكنه من كشف نفاق بعض الصحابة وكذبهم، فلذا أجاب بهذا الجواب.

[٣] **(ينسخ كما... الخ):**

أي حديث الرسول صلى الله عليه وآله ينسخ بعضه بعضاً، لا أنَّ كلام الإمام عليه السلام ينسخ كلام الرسول صلى الله عليه وآله، وذلك لأنَّه لا نسخ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، فحلاله حلال

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا بَالِي أَسْأَلُكَ، عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَتُجِيبُنِي فِيهَا بِالْجَوَابِ، ثُمَّ يَجِيئُكَ غَيْرِي فَتُجِيبُهُ فِيهَا بِجَوَابٍ آخَرَ؟ فَقَالَ: إِنَّا نُجِيبُ النَّاسَ عَلَى الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ[١]؛ قَالَ: قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ[٢] صلى الله عليه وآله صَدَقُوا عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَمْ كَذَبُوا؟ قَالَ: بَلْ

إلى يوم القيامة وحرامه كذلك، وهو مقتضى إكمال الدِّين، ومقتضى عرض المتعارضات على سنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

الحديث الثالث:

[١] **(بالزيادة والنقصان):**

أي قد نذكر التفاصيل وقد لا نذكرها، فيتوهم من لا معرفة له أنَّ هنالك اختلافاً، وليس في الحقيقة اختلاف.

ولعلّ منشأ ذكر التفاصيل وعدمها أحد أمور:

١ ـ اختلاف استعداد الناس وقابليتهم، فيجيب كل على حسب عقله عملاً، بقوله صلى الله عليه وآله (أمرنا أن نكلِّم الناس على قدر عقولهم)(١).

٢ ـ شدة انشغال الإمام بإجابة مسائل الناس ممَّا يقتضي الاختصار أحياناً والإطناب في غير تلك الحالة، وكذلك كثرة أسئلة السائل وقلّتها.

٣ ـ مراعاة التقية ممَّا تستدعي عدم ذكر بعض الأمور أحياناً.

[٢] **(عن أصحاب رسول الله. . .):**

لعلَّ السائل قصد المؤمنين، ولم يقصد المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، فإنَّ المنافقين لا يبالون بالكذب على الله فضلاً عن الرسول صلى الله عليه وآله، وقد أخبر الله تعالى بكذبهم فقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾(٢).

---

(١) الكافي: ج١، ص ٢٣، كتاب العقل، ح ١٥.

(٢) سورة المنافقون: الآية ١.

صَدَقُوا؛ قَالَ: قُلْتُ: فَمَا بَالُهُمُ اخْتَلَفُوا؟ فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَيُجِيبُهُ فِيهَا بِالْجَوَابِ، ثُمَّ يُجِيبُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَنْسَخُ ذَلِكَ الْجَوَابَ، فَنَسَخَتِ الْأَحَادِيثُ بَعْضُهَا بَعْضاً.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ لِي: يَا زِيَادُ: مَا تَقُولُ لَوْ أَفْتَيْنَا رَجُلاً مِمَّنْ يَتَوَلَّانَا بِشَيْءٍ مِنَ التَّقِيَّةِ[١]؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَنْتَ أَعْلَمُ جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ قَالَ: إِنْ أَخَذَ بِهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَعْظَمُ أَجْراً[٢].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى إِنْ أَخَذَ بِهِ أُوجِرَ، وَإِنْ تَرَكَهُ وَاللَّهِ أَثِمَ[٣].

أو أنَّ الإمام عليه السلام أجاب على التقية، فالمقصود هو ردّ الأحاديث الموضوعة أو المتوهم فيها، وهذا الغرض يحصل بالإجابة بالنسخ، فتأمل.

الحديث الرابع:

[١] **(ما تقول لو. . .) الخ:**
أي في حكم ذلك الرجل، وفي حكم عمله هل يقع صحيحاً؟.

[٢] **(خير له وأعظم أجراً):**
ليس المراد أنَّ ترك التقية فيه أجر، فليس (خير) و(أعظم) للتفضيل بل منسلخان منه.
وسبب كونه خيراً هو: أنَّه عملٌ بالوظيفة وإطاعة الإمام ونجاة من الظالمين.
وسبب كونه أعظم أجراً هو أنَّ من يعمل حسب وظيفته يؤجر ومن يترك الوظيفة لا يؤجر.
والمشهور بطلان العمل بحسب الواقع إذا كان خلاف التقية الواجبة، نعم لو لم تكن التقية واجبة بل كانت جائزة أو مستحبة جاز العمل حسب الحكم الواقعي.

[٣] **(إنَّ تركه والله أثم):**
لأنَّ ترك التقية الواجبة، ترك للواجب، وفي تركه الإثم.

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَنِي، ثُمَّ جَاءَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَأَجَابَهُ بِخِلَافِ مَا أَجَابَنِي، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَأَجَابَهُ بِخِلَافِ مَا أَجَابَنِي، وَأَجَابَ صَاحِبِي، فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ: رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ شِيعَتِكُمْ قَدِمَا يَسْأَلَانِ فَأَجَبْتَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِغَيْرِ مَا أَجَبْتَ بِهِ صَاحِبَهُ[١]؟ فَقَالَ: يَا زُرَارَةُ إِنَّ هَذَا خَيْرٌ لَنَا، وَأَبْقَى لَنَا وَلَكُمْ[٢] وَلَوِ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ[٣] لَصَدَّقَكُمُ النَّاسُ عَلَيْنَا وَلَكَانَ أَقَلَّ لِبَقَائِنَا[٤] وَبَقَائِكُمْ[٥].

الحديث الخامس:

[١] **(رجلان من أهل العراق...):**

فهم زرارة أنَّ الباقر عليه السلام أجابه بالجواب الواقعي وأجاب الآخران بالتقية، وذلك لشدة قربه بالإمام عليه السلام ولأنَّ الجوابين الآخرين كانا بمحضره.

[٢] **(وأبقى لنا ولكم):**

هذا عطف تفسيري وشرح لما لقوله: (خير لنا).

[٣] **(ولو اجتمعتم... الخ):**

كانت العامة لا تصدق نسبة الشيعة أنفسهم لأهل البيت عليهم السلام وكانوا يزعمون أنَّهم يكذبون على الأئمة عليهم السلام ـ كما يقوله الكثير من العامة والنواصب في الحال الحاضر ـ. ولو كانت كلمة الشيعة تجتمع على شيء واحد وخاصة في الأحكام الظاهرة لاكتشفوا ارتباطهم بأهل البيت عليهم السلام وأنَّهم يأخذون منهم فكان يوجب ذلك مشقة وخطراً على الأئمة عليهم السلام وعلى الشيعة أنفسهم.

[٤] **(أقل لبقائنا):**

حيث كان الظالمون يعجلون في القضاء عليهم.

[٥] **(وبقائكم):**

لأنَّهم كانوا يُكتشفون بسهولة، أما مع تفاوت أعمالهم وأقوالهم فيصعب

قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : شِيعَتُكُمْ لَوْ حَمَلْتُمُوهُمْ عَلَى الْأَسِنَّةِ أَوْ عَلَى النَّارِ لَمَضَوْا[٦]، وَهُمْ يَخْرُجُونَ[٧] مِنْ عِنْدِكُمْ مُخْتَلِفِينَ؛ قَالَ: فَأَجَابَنِي بِمِثْلِ جَوَابِ أَبِيهِ.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ نَصْرٍ الْخَثْعَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: مَنْ عَرَفَ أَنَّا لَا نَقُولُ إِلَّا حَقّاً فَلْيَكْتَفِ بِمَا يَعْلَمُ مِنَّا[١]، فَإِنْ سَمِعَ مِنَّا خِلَافَ مَا يَعْلَمُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ دِفَاعٌ مِنَّا عَنْهُ.

كشف الشيعي لقلة العلائم المميزة.

ثم لا يخفى أنَّ الأئمة اللاحقون عليهم السلام وثقات الفقهاء من رواتهم بيّنوا مواطن التقية من غيرها، فلذا اتضحت غالب الروايات التي فيها تقية.

وهذا ممَّا يستدلّ به على حجية فهم الفقهاء المتقدّمين للأحاديث وكذلك حجية إعراضهم أو عملهم برواية، فتأمل.

[٦] **(لمضوا):**

أي لنفذوا كلامكم، ومضوا على طريقتكم، حتى لو كانت الأخطار محدقة بهم.

[٧] **(وهم يخرجون...):**

أي كيف يخرجون مختلفين، مع أنهم مخلصون ومستعدون لتحمل الصعاب والمخاطر لأجلكم.

الحديث السادس:

[١] **(فليكتف بما يعلم منَّا):**

هذا في صورة انفتاح باب العلم، وأما حين انسداد باب العلم وتعارض الأخبار فإنَّه يعمل بما يعلم من الأحكام ـ لتواتره أو لاكتنافه بالقرائن ـ، وأما المرويات المخالفة لما علم فعليه أن يحملها على التقية.

٧ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى وَالْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ جَمِيعاً، عَنْ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ[١] فِي أَمْرٍ كِلَاهُمَا يَرْوِيهِ[٢]: أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِأَخْذِهِ وَالْآخَرُ يَنْهَاهُ عَنْهُ، كَيْفَ يَصْنَعُ؟ فَقَالَ: يُرْجِئُهُ[٣] حَتَّى يَلْقَى مَنْ يُخْبِرُهُ[٤]، فَهُوَ فِي

الحديث السابع:

[١] **(رجلان من أهل دينه):**

ليس في الرواية دلالة على كفاية كون الراوي من أهل دينه من غير اشتراط أمر آخر، فإنَّ السؤال ليس من جهة الراوي حتى يتمسك بالإطلاق، بل السؤال ناظر إلى حكم الاختلاف، وقد يكون لجهة عدم معرفة الرجل ما يميز به بين الروايات ويرجح بعضها على بعض.

(أهل دينه):

الظاهر أنَّ المراد به: الراوي الإمامي، ويمكن أن يكون المراد كون الراوي متديناً متحرزاً عن الكذب.

[٢] **(يرويه):**

ظاهره الاختلاف في الرواية، وليس المراد الاختلاف في الفتوى.

[٣] **(يرجئه):**

أي يؤخر العمل بذلك الأمر، كما في الآية ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾[١] أي أخر أمرهما، وهذا فيما أمكن فيه الإرجاء، أما إذا كان لا بدَّ من العمل فيأتي الكلام في التخيير، أو المرجحات، أو التساقط والرجوع إلى دليل آخر.

[٤] **(حتى يلقى من يخبره):**

١ ـ المراد إما الإمام عليه السلام، كما في أحاديث أخرى (أرجه حتى تلقى إمامك).

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١١١.

سَعَةٍ[٥] حَتَّى يَلْقَاهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: بِأَيِّهِمَا أَخَذْتَ[٦] مِنْ بَابِ التَّسْلِيمِ[٧] وَسِعَكَ.

---

٢ ـ أو من له قدرة التمييز بين المرويات.
٣ ـ أو المفتي الذي يؤخذ بفتواه.

[٥] **(فهو في سعة)... الخ:**
أي لا يتنجز عليه الحكم فيمكنه عدم العمل بأي منهما، والرجوع إلى أصل البراءة ـ مثلاً ـ.

[٦] **(بأيهما أخذت):**
كما عليه البعض من التخيير رأساً.
وقيل إنَّ التخيير بعد إعمال المرجحات ـ للجمع بين الأخبار ـ.
ثم اختلف في تفصيل تلك المرجحات: فمنهم من اختصر المرجحات على الموافقة للكتاب ومخالفة العامة فحمل روايات سائر المرجحات على الاستحباب، ومنهم من حصر المرجحات بما في الأخبار، ومنهم من عمّم المرجحات لكل ما يوجب الظن بالأقربية إلى الواقع.
وقيل بالتساقط رأساً.
وتفصيله في بحث التعادل والتراجيح.

[٧] **(من باب التسليم):**
أي التسليم والرضا لما ورد عنهم من الروايات، أو أنَّ اختيار أحدهما لم يكن بداع الهوى أو الظن بل لأجل التسليم لأمر أولياء الله تعالى.
وفي الوافي «على أنّا لا نمانع أن يكون الحكم في بعض المسائل التخيير وكانوا قد أتوا في كل خبر بأحد فردي المخيَّر فيه[١]، كما يُستفاد من رواية علي بن مهزيار قال: قرأت في كتاب لعبد الله بن محمد إلى أبي الحسن عليه السلام اختلف أصحابنا في رواياتهم عن أبي عبد الله عليه السلام في ركعتي الفجر في السفر، فروى بعضهم أن

---

(١) أي أصل التشريع هو التخيير ـ كخصال كفارة الصوم ـ لكن الإمام لمصلحة مرة ذكر أحد الشقين وفي مرة أخرى ذكر الشق الآخر.

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: أَرَأَيْتَكَ لَوْ حَدَّثْتُكَ بِحَدِيثٍ الْعَامَ، ثُمَّ جِئْتَنِي مِنْ قَابِلٍ فَحَدَّثْتُكَ بِخِلَافِهِ، بِأَيِّهِمَا كُنْتَ تَأْخُذُ؟ قَالَ: قُلْتُ: كُنْتُ آخُذُ بِالْأَخِيرِ[١] فَقَالَ لِي: رَحِمَكَ اللَّهُ.

٩ ـ وَعَنْهُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَرَّارٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِذَا جَاءَ حَدِيثٌ عَنْ أَوَّلِكُمْ، وَحَدِيثٌ عَنْ آخِرِكُمْ بِأَيِّهِمَا نَأْخُذُ؟ فَقَالَ: خُذُوا بِهِ[١] حَتَّى يَبْلُغَكُمْ

صلّها في المحمل وروى بعضهم أن لا تصلّها إلا على الأرض فأعلمني كيف تصنع أنت لأقتدي بك في ذلك؟، فوقع عليه السلام، موسع عليك بأيه عملت»(١).

الحديث الثامن:

[١] (آخذ بالأخير):

إذ الأخير فيه الوظيفة الحالية ـ سواء كان تقية أو كان السابق تقية ـ، وعلى الإنسان الأخذ والعمل بما تمليه عليه وظيفته حالاً لا ما كانت وظيفته سابقاً.

وقد يُستفاد منه وجوب الأخذ بالمتأخر مع التعارض، لكنَّه محل تأمل.

ويمكن أن يكون الإمام عليه السلام في باب اختبار الراوي، وبيان مدى تسليمه لأمر الأئمة عليهم السلام فإنَّه يسلِّم بالأمر مطلقاً حتى وإن كان الكلام متخالف في ظاهره، ويظهر التسليم أكثر بالأخذ بالحكم المتأخر حيث إنَّه أَلِف الحكم المتقدّم ومع ذلك يتركه تسليماً لأمر الإمام عليه السلام فتأمل.

الحديث التاسع:

[١] (خذوا به):

١ ـ يحتمل أن يكون المعنى خذوا بالحديث على التخيير.

---

(١) الوافي: ج١، ص٢٨٤.

عَنِ الْحَيِّ، فَإِنْ بَلَغَكُمْ عَنِ الْحَيِّ[٢] فَخُذُوا بِقَوْلِهِ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُدْخِلُكُمْ إِلَّا فِيمَا يَسَعُكُمْ[٣]؛ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: خُذُوا بِالْأَحْدَثِ[٤].

١٠ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ: سَأَلْتُ

---

٢ ـ ويحتمل أن يكون مرجع الضمير (حديث عن آخركم) لأنَّه الأقرب والضمير يرجع إلى الأقرب.

[٢] **(فإن بلغكم عن الحيّ...)**:

لما مرّ بأنَّ الإمام الحاضر يعرف بمصلحة المكلفين وتشخيص موضوع التقية أو انتهاء وقتها.

فلعلَّ الإمام السابق بيّن الحكم الواقعي، والآن حان موعد التقية، أو الإمام السابق بيّن الحكم في التقية، وقد انتهى وقتها الآن.

[٣] **(فيما يسعكم)**:

أي يجوز لكم القول والعمل به، تقيةً أو لمصلحة أخرى.

[٤] **(خذوا بالأحدث)**:

حيث يعلم هو بالتقية أو انتهاء وقتها.

أو لأنا علمنا بتغيّر المصلحة ـ في الحكم الأول ـ ببيان الإمام الحكم الثاني، والمصلحة الجديدة لم يعلم تغيّرها فتستصحب، وذلك لما علم من تبعية الأحكام للمصالح والمفاسد.

ولا يخفى أنَّ التقية كما تكون في الأحكام كذلك تكون في القضايا الخارجية أما تبدل المصلحة فلا يكون إلا في القضايا الخارجية.

الحديث العاشر:

الحديث معروف بمقبولة عمر بن حنظلة، لأنَّ الأصحاب تلقوا الحديث بالقبول.

أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، عَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِنَا بَيْنَهُمَا مُنَازَعَةٌ فِي دَيْنٍ أَوْ مِيرَاثٍ[١]، فَتَحَاكَمَا إِلَى السُّلْطَانِ وَإِلَى الْقُضَاةِ[٢]، أَيَحِلُّ ذَلِكَ؟ قَالَ: مَنْ تَحَاكَمَ إِلَيْهِمْ فِي حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ[٣] فَإِنَّمَا تَحَاكَمَ إِلَى الطَّاغُوتِ[٤]. وَمَا يَحْكُمُ لَهُ فَإِنَّمَا يَأْخُذُ

---

[١] **(منازعة في دَيْن أو ميراث):**

لعلَّ الدِّين أو الميراث من باب المثل، فيشمل كل أنواع النزاع سواء كان في الأمور المالية أم في غيرها، وإنَّما خصّص الدِّين والميراث بالذكر لأنَّ أكثر النزاعات ناشئة منهما.

(أو ميراث): النزاع:

١ ـ إما في كونه وارثاً أو ليس بوارث فيرجع إلى النزاع في النسب أو المصاهرة.

٢ ـ وإما في ثبوت الإرث للاختلاف في حكم أقرباء الميت، مثلاً هل يرث من هو في الطبقة الثانية مع وجود الطبقة الأولى.

٣ ـ وإما في مقدار الإرث.

٤ ـ وإما في كون شيء من الإرث أو لا، كما لو ادعى بعضهم أنَّ ما كان بحوزة الميت لم يكن ملكاً له بل استعاره مثلاً.

[٢] **(إلى السلطان وإلى القضاة):**

أي سلاطين الجور وقضاتهم، وهؤلاء ليست لهم شرعية في القضاء والحكم.

[٣] **(من تحاكم إليهم في حق أو باطل):**

أما في الباطل فواضح.

وأما في الحق، فلأنَّ الحكم لله تعالى ولمن نصبه كما قال تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(١).

وسلاطين الجور وقضاتهم غير شرعيين فلا يجوز الرجوع إليهم مطلقاً.

[٤] **(الطاغوت):**

صيغة مبالغة من الطغيان، ومن مصاديقه الشيطان وكل من صدّ عن عبادة

---

(١) سورة يوسف: الآية ٢٢.

سُحْتاً[٥]، وَإِنْ كَانَ حَقّاً ثَابِتاً؛ لِأَنَّهُ أَخَذَهُ بِحُكْمِ الطَّاغُوتِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ أَنْ

الله، ويُطلق على الأصنام أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(١) أي اجتنبوا عبادة الأصنام، لأنَّها منشأ الإضلال والطغيان كما قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾(٢) والمعنى ضلّ بسببهن.

ومن الواضح أن سلاطين الجور وقضاتهم ليسوا بأهل للتصدي للحكم فهم من أبرز مصاديق الطاغوت.

[٥] **(سحتاً)**:

«السحت» الحرام الشديد، والمعنى يأخذ مالاً سحتاً، وذلك لحرمة المأخوذ، أي المال الذي يأخذه بحكم الطاغوت يكون مالاً حراماً، كما لو لم يكن المال له، أو كان شاكّاً فيه، أو كان ديناً فاسترجعه بحكم الطاغوت، لأنَّ انتقال الدين من الذمة إلى العين الخارجية يحتاج إلى مجوز شرعي وحكم الطاغوت لا يصلح لأن يعيّن الدين في العين الخارجيَّة فتبقى تلك العين على ملك مالكها فلا يجوز التصرف فيها.

نعم لو كان المأخوذ عين ماله، كما لو غصب غاصب ماله، فإنَّه يجوز له استرجاع هذا المال، ولو رجع إليه هذا المال ـ سواء كان بطريقة شرعية أو غير شرعية ـ فإنَّه يجوز أن يتصرف في مال نفسه.

وفي الفقه(٣) وهنا أمور:

الأول: الرجوع إلى قضاة الجور في حال التقية، فلا شكّ أنَّه جائز بل لا خلاف فيه، لإطلاق أدلة التقية، وبعض الروايات الخاصة في المقام.

الثاني: الرجوع إليهم في حال توقف إنقاذ الحق على الرجوع إليهم، ـ ولو لامتناع خصمه عن المرافعة إلا إليهم ـ والظاهر جوازه والإثم حينئذٍ على الممتنع.

(١) سورة النحل: الآية ٣٦.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.
(٣) الفقه: ج٨٤، ص٤٤ ـ ٥٠.

يُكْفَرَ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[٦]: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ[٧]﴾ [النِّسَاء: ٦٠]. قُلْتُ: فَكَيْفَ يَصْنَعَانِ؟ قَالَ: يَنْظُرَانِ إِلَى مَنْ كَانَ

الثالث: حكم الحق المأخوذ بفتواهم إذا أمكن الرجوع إلى قضاة أهل العدل، ومع ذلك لم يرجع إليهم، فإنَّه فعل حراماً، لكن المأخوذ ـ إذا كان له واقعاً ـ يجوز تصرفه فيه، انتهى باختصار.

ويمكن أن يكون قوله (سحتاً) صفة لمفعول مطلق محذوف، أي يأخذ أخذاً سحتاً، فيكون الأخذ حراماً حتى لو كان المأخوذ حلالاً.

[٦] **قوله: (قال الله تعالى..):**

قال العلامة المجلسي: «والآية ـ بتأييد الخبر ـ تدلُّ على عدم جواز الترافع إلى حكَّام الجور مطلقاً، وربما قيل بجواز التوسل بهم إلى أخذ الحق المعلوم اضطراراً مع عدم إمكان الترافع إلى الفقيه العدل، وبجواز الاستعانة بهم في إجراء حكم الفقيه، وأيّد ذلك بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟﴾ فإنَّ الترافع على وجه الاضطرار ليس تحاكماً على الإرادة والاختيار، والمسألة قوية الإشكال»(١).

[٧] **قوله: (وقد أمروا أن يكفروا به):**

في التبيين: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي ألم تنظر، استفهام تعجب ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ وهم المنافقون الذين يقولون آمنا، ولكنَّهم لا يرضون بحكم الرسول ﷺ ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ كالتوراة والإنجيل ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ كل طاغ تعدى الحدود، والمراد حكَّام الجور ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي بالطاغوت في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ﴾ ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ بما زيَّن لهم من التحاكم إلى الباطل ﴿أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ من الحق(٢).

والكفر بالطاغوت هو اعتقاد وعمل، أما الاعتقاد فهو أن لا يراه أهلاً

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص٢٢٢.

(٢) تبيين القرآن: ص٩٩.

مِنْكُمْ[٨] مِمَّنْ قَدْ رَوَى حَدِيثَنَا[٩]، وَنَظَرَ فِي حَلَالِنَا وَحَرَامِنَا[١٠]، وَعَرَفَ أَحْكَامَنَا[١١]،

للتحاكم، وأما العمل فهو عدم الرجوع إليه.

وفي الوافي(١): «والكفر بالطاغوت» أن يعتقد أنَّه ليس أهلاً للتحاكم، فمن اعتقد ذلك ثم أراد التحاكم إليه فهو خائن، فإن لم يرد لكن اضطر إليه كما إذا لم يوجد هنالك عدل أو كان خصمه لا يرضى بالتحاكم إلى العدل فحينئذٍ يحتمل: حلّ ما أخذ إذا كان حقاً له ثابتاً لأنَّه كافر به وقد اضطر إلى التحاكم إليه من غير إرادة منه، ولعلَّ ذلك هو السر في قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ﴾ دون: يتحاكمون.

[٨] **(من كان منكم):**

أي إمامياً، فلا يجوز مراجعة غير الإمامي من القضاة.

[٩] **(قد روى حديثنا):**

فمن لا معرفة له بالأخبار لا يجوز له التصدي للقضاء ولا يجوز الترافع إليه، لأنَّ الأخبار هي عمدة الأدلة الشرعية بعد القرآن الكريم.

[١٠] **(ونظر في حلالنا وحرامنا):**

أي له تفقه، فإنَّ مجرد الرواية لا تكفي، بل لا بدَّ من دراية وفهم للأخبار.

وذلك إما بأن يكون القاضي مجتهداً فيكون متتبعاً للأخبار وسائر الأدلة ومطلعاً على الأدلة المتعارضة ووجوه الجمع والترجيح بالسند وبالدلالة وبجهة الصدور، أو يكون عارفاً بفتوى المجتهد قادراً على تطبيق الحكم على الوقائع والقضايا الخلافية، وإن لم يكن مجتهداً(٢).

[١١] **(وعرف أحكامنا):**

عطف العام على الخاص، أي عرف سائر الأحكام التكليفية وكذلك الوضعية كالصحة والبطلان.

أو المراد أنَّه بعد أن نظر في الحلال والحرام توصّل إلى الحكم الشرعي،

---

(١) الوافي: ج١، ص٢٩٠.

(٢) للتفصيل حول اشتراط أو عدم اشتراط الاجتهاد يُراجع موسوعة الفقه: ج٨٤، ص٢٤ ـ ٢٦.

فَلْيَرْضَوْا بِهِ حَكَماً[١٢]، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ حَاكِماً[١٣]، فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا[١٤]

فهذا يجوز له القضاء، أما من نظر في الأدلة لكنَّه لم يصل إلى الحكم الشرعي فإنَّه لا يجوز له القضاء في تلك الواقعة حتى إذا كان فقيهاً مجتهداً.

[١٢] **(فليرضوا به حكماً):**

أي يجب أن يرجعوا إليه ويقبلوا حكمه، ولا يخفى أنَّ القضاة قسمان:

١ ـ المعيَّن من قبل الإمام عليه السلام وهو يجب الرجوع إليه مطلقاً.

٢ ـ حكم المراضاة، وهو القاضي المستجمع لشرائط القضاء، لكنَّه غير منصوب بالتعيين، ـ ويقال له قاضي التحكيم ـ.

وفي زمان الغيبة لا يمكن تصور قاضي المراضاة، لأنَّ كل من استجمع شرائط القضاء فهو منصوب على نحو العموم(١).

والمعنى أنَّ من استجمع الشرائط يجب أن يقبلوا به للقضاء، ولازمه وجوب اتباع حكمه والتسليم له.

[١٣] **(فإنِّي قد جعلته عليكم حاكماً):**

تعليل لقوله: «فليرضوا» أي نصبتُه للقضاء، لأنَّ أمر القضاء بيد الله وهو نصب الأنبياء والأئمة له، ولا يجوز لغيرهم التصدي إلا بإذنهم ـ إذناً خاصاً أم عاماً ـ.

وقد يستدلّ بهذا المقطع على أنَّ الفقيه نائب الإمام عليه السلام في كل أمر إلّا ما استثني، لكن الظاهر من كلمة «الحاكم» هنا هو «القاضي».

وفي المرآة(٢): الظاهر أنَّه رخّص له في الحكم فيما رفع إليه لا أنَّه يمكنه جبر الناس على الترافع إليه أيضاً، نعم يجب على الناس الترافع إليه والرضا بحكمه.

وحاصل المعنى أنَّه يجب الترافع إلى هذا الشخص لأنَّ الإمام عليه السلام نصبه قاضياً.

[١٤] **(فإذا حكم بحكمنا):**

أي حكم طبقاً للموازين الشرعية المأخوذة من رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

---

(١) للتفصيل يُراجع موسوعة الفقه: ج٨٤، ص٣٩ ـ ٤٢.

(٢) المرآة: ج١، ص٢٢٣.

فَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُ[١٥] فَإِنَّمَا اسْتَخَفَّ بِحُكْمِ اللَّهِ[١٦]، وَعَلَيْنَا رَدَّ[١٧]، وَالرَّادُّ عَلَيْنَا الرَّادُّ عَلَى اللَّهِ[١٨] وَهُوَ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ[١٩]. قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ كُلُّ رَجُلٍ

أما إذا حكم بخلاف الشرع فلا يجوز قبوله لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(١) ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٢) ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٣).

[١٥] **(فلم يقبله منه):**

أي الذي لم يكن الحكم لصالحه، لم يقبل ذلك الحكم من هذا القاضي.

[١٦] **(استخف بحكم الله):**

لأنَّ الله أمر بقبول حكم هذا القاضي، فردّه استخفاف بحكم الله.

[١٧] **(وعلينا ردّ):**

لأنا نصبنا هذا القاضي وأمرنا بقبول حكمه.

[١٨] **(والراد علينا الراد على الله):**

أي لا يرد كلامنا إلا من أراد ردّ كلام الله تعالى، لأنَّ الله أمر باتباع الأئمة عليهم السلام، وهم ذكروا ما يريده الله تعالى، فالرد عليهم ردّ على الله تعالى.

[١٩] **(وهو على حدّ الشرك بالله):**

لأنَّ الحكم خاص بالله تعالى، فقبول حكم غيره هو شرك بالله تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾(٥)، فمن يقبل حكم غير الله فهو في الحقيقة قد أشرك بالله تعالى في الحكم وإن كان في الظاهر محكوماً بالإسلام، وإنَّما قال عليه السلام (في حد الشرك بالله)، لأنَّ بعض الأمور هي شرك واقعاً، لكن لا يجري عليها أحكام الشرك في الظاهر، فمثلاً الرياء هو شرك واقعاً لكن لا يُعتبر المرائي مشركاً في الظاهر ولا يخرج

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٥.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٦٢.

(٥) سورة الكهف: الآية ٢٦.

اخْتَارَ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِنَا، فَرَضِيَا[٢٠] أَنْ يَكُونَا النَّاظِرَيْنِ فِي حَقِّهِمَا، وَاخْتَلَفَا فِيمَا حَكَمَا، وَكِلاهُمَا اخْتَلَفَا فِي حَدِيثِكُمْ[٢١]؟ قَالَ: الْحُكْمُ مَا حَكَمَ بِهِ أَعْدَلُهُمَا وَأَفْقَهُهُمَا وَأَصْدَقُهُمَا فِي الْحَدِيثِ وَأَوْرَعُهُمَا[٢٢] وَلَا يَلْتَفِتْ إِلَى مَا

عن الملّة الإسلامية، وكالنفاق الذي هو كفر واقعاً، لكن المنافق يُعتبر مسلماً في الظاهر يجري عليه ما يجري على المسلمين في الدُّنيا.

وكل من تشهَّد الشهادتين فهو مسلم، ولا يحكم عليه بالكفر إلا إذا كذَّب إحدى الشهادتين، ولذا قال مشهور الفقهاء بأنَّ منكر الضروري لا يُعتبر كافراً إلا إذا رجع إنكاره إلى تكذيب الله تعالى أو تكذيب الرسول ﷺ أي رجع الإنكار إلى الارتداد عن الشهادتين أو إحداهما.

[٢٠] **(فرضيا):**

أي رضي المتخاصمان، أو رضي الرجلان القاضيان.

[٢١] **(وكلاهما اختلفا في حديثكم):**

أي منشأ اختلافهم في الحكم هو اختلاف الحديث، فكان قضاء أحدهم طبقاً لحديث، وقضاء الآخر طبقاً لحديث آخر.

ولعلَّ العلة في الجواب تشمل ما إذا كان منشأ اختلاف الحكم هو اختلاف استنباط الحكم الشرعي أي اختلاف في الفتوى لا في الحديث، فتأمل.

[٢٢] **(ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما):**

في الجواب إشعار إلى لزوم كونهما عادلين، فقيهين، صادقين ورعين.

«الفقه» هو العلم بالأحكام الشرعية، أي أعرفهما بالحكم الشرعي ـ اجتهاداً أو تقليداً ـ.

ولعلَّ الظاهر كونه أفقه في مسائل القضاء، ويحتمل أن يكون المراد الأفقه في خصوص تلك الواقعة، أو الأفقه في مطلق المسائل.

و«أصدقها في الحديث» إما لكونه أضبط وأدق وأقوى حافظة، أو لأنَّه ينقل عن الأعدل والأوثق، فلا يروي عن الضعفاء مثلاً.

و«الورع» شدة التقوى، ويُستعمل عادة في التجنب عن المحرمات، ولعلَّ

يَحْكُمُ بِهِ الْآخَرُ؛ قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّهُمَا عَدْلَانِ مَرْضِيَّانِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا[٢٣] لَا يُفَضَّلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ؟ قَالَ: فَقَالَ: يُنْظَرُ إِلَى مَا كَانَ مِنْ رِوَايَتِهِمْ عَنَّا فِي ذَلِكَ الَّذِي حَكَمَا بِهِ[٢٤] الْمُجْمَعُ عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِكَ[٢٥] فَيُؤْخَذُ بِهِ مِنْ حُكْمِنَا،

ذكر الورع بعد العدالة من باب ذكر الخاص بعد العام، لأنَّ الورع درجة فوق العدالة.

فمن اجتمعت فيه هذه الأوصاف يرجّح قضاؤه على غيره، وأما إذا اختلفت الأوصاف بأن كان أحدهما واجداً لبعضهما والآخر واجداً لبعضهما الآخر فلا ترجيح بهذه الصفات، ويلزم الرجوع إلى المرجحات الأخرى.

[٢٣] **(مرضيان عند أصحابنا):**

ولا يهمّ ما يقوله المخالفون عنهم، لأنَّ أولئك اتخذوا طريقة العداء للشيعة، بل حتى من كان منهم لكنَّه روى فضائل لأهل البيت عليهم السلام(١)، وأما أصحابنا رضوان الله عليهم فإنَّهم جعلوا الله تعالى نصب أعينهم فرضوا عمَّن رضي الله وأوليائه عنه.

[٢٤] **(في ذلك الذي حكما به):**

أي في ذلك الموضوع الذي حكما فيه، فالباء بمعنى «في»، أو في ذلك الحكم الذي حكما به.

[٢٥] **(المجمع عليه من أصحابك):**

بدل عن «ما كان من روايتهم» أي ينظر إلى المجمع عليه، والمراد به: اتفاق الرواة وأصحاب الكتب على روايته، فيدلُّ على أنَّ تكرار الخبر في مصنفات الأصحاب من المرجحات، قال العلامة المجلسي (رضوان الله عليه): وعليه كان عمل قدماء الأصحاب رضوان الله عليهم(٢) والمراد من الإجماع هنا هو الشهرة الروائية كما يُستفاد من سائر كلام الإمام عليه السلام ومن سؤال الراوي.

«من أصحابك» فليس نقل المخالفين ولا الشهرة عندهم بحجة ولا بمرجح،

---

(١) يُراجع كتاب (الإفصاح عن أحوال رواة الصحاح) للعلامة الشيخ محمد حسن المظفر رحمه الله.

(٢) المرآة: ج١، ص٢٢٥.

وَيُتْرَكُ الشَّاذُّ الَّذِي لَيْسَ بِمَشْهُورٍ عِنْدَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ لَا رَيْبَ فِيهِ[٢٦]، وَإِنَّمَا الْأُمُورُ ثَلَاثَةٌ[٢٧]: أَمْرٌ بَيِّنٌ رُشْدُهُ[٢٨] فَيُتَّبَعُ، وَأَمْرٌ بَيِّنٌ غَيُّهُ[٢٩]

نعم قد يذكر ما في كتبهم لا للاستدلال به بل للاحتجاج عليهم، كما قد يُنقل ما في كتب أصحاب الأديان والمذاهب للاحتجاج لا للاستدلال.

ولا يخفى أنَّه كثر في عصرنا من يعتمد على كتب المخالفين أكثر من اعتماده على كتب الأصحاب، وفي ذلك زيغ عن الحق واتباع للباطل والانهزامية أمام تهريج المخالفين، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، وأتذكر أنّي قرأت في بعض كتب العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله كلاماً معناه (الحجة بيننا وبين الله ما رواه أئمتنا عليهم السلام وما نقله عن المخالفين إنَّما هو لإلقاء الحجة عليهم وإلزامهم).

[٢٦] **(فإنَّ المجمع عليه لا ريب فيه)**:

أي لا شك فيه، ويوجد وثوق بصدوره عن المعصوم عليه السلام، وهذه العلة يُستفاد منها أنَّ اللازم هو الوثوق بالخبر، وهذا الوثوق قد يحصل من كثرة النقل، وقد يحصل من وثاقة المخبر، وقد يحصل من القرائن الخارجيَّة كعمل المشهور، وقد يحصل من غير ذلك، أما الاكتفاء بوثاقة المخبر فقط في جميع الأخبار فلا وجه له وهو خلاف المشهور ـ قديماً وحديثاً ـ.

[٢٧] **(وإنَّما الأمور ثلاثة)**:

هذا دليل على لزوم الأخذ بالرواية المشهورة، لأنَّها من الأمور الواضح رشدها.

[٢٨] **(بيّن رشده)**:

«الرشد» هو الصواب، كقوله تعالى: ﴿يَهْدِيَ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾[١].

[٢٩] **(بيّن غيّه)**:

«الغي»: من الغواية وهي الضلال.

---

(١) سورة الجن: الآية ٢.

فَيُجْتَنَبُ، وَأَمْرٌ مُشْكِلٌ[٣٠] يُرَدُّ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ[٣١] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[٣٢]: «حَلَالٌ بَيِّنٌ وَحَرَامٌ بَيِّنٌ وَشُبُهَاتٌ بَيْنَ ذَلِكَ، فَمَنْ تَرَكَ

---

[٣٠] **(مشكل):**

أصله من الشكل بمعنى الشبيه، وسمي الأمر المجهول بالمشكل لأنَّه يشبه الحق والباطل، فلا يدرى هو حق أم باطل ثمَّ استُعمل في كل أمر يُشتبه حاله.

[٣١] **(يرد علمه إلى الله وإلى رسوله):**

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾(٢).

وفي التبيين(٣): ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ﴾ من أمور دينكم ﴿فَرُدُّوهُ﴾ فراجعوا فيه ﴿إِلَى﴾ كتاب ﴿ٱللَّهِ﴾ وسنَّة ﴿وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ﴾.

وفي التبيين أيضاً(٤): ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي ذكروا ذلك الأمر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أصحاب الأمر الذين عيّنهم الرسول ﷺ مرجعاً ﴿لَعَلِمَهُ﴾ علماً يبين أنَّه ممَّا ينبغي كتمانه أو إفشائه ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ أي يستخرجون أنَّه من أي قسم.

وسيأتي في الباب الآتي الروايات المبينة لكيفية الرد إلى الله وإلى الرسول ﷺ.

[٣٢] **(قال رسول الله ﷺ):**

استشهاد بكلام الرسول ﷺ في هذا التقسيم الثلاثي، فإنَّ علومهم عليهم السلام مأخوذة من جدهم رسول الله ﷺ.

ويمكن أن يكون الإمام عليه السلام في صدد شرح كيفية الرد إلى الرسول ﷺ حيث إنَّ رسول الله ﷺ أمر بالاحتياط في الشُّبهات، والاحتياط إنَّما يجب إذا اختلط الحرام بغيره بحيث لم يمكن التمييز، في بعض موارد العلم

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٣) التبيين: ص٩٨.

(٤) التبيين: ص١٠٢.

الشُّبُهَاتِ[٣٣] نَجَا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ[٣٤]، وَمَنْ أَخَذَ بِالشُّبُهَاتِ ارْتَكَبَ الْمُحَرَّمَاتِ وَهَلَكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ[٣٥]». قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ الْخَبَرَانِ عَنْكُمَا[٣٦] مَشْهُورَيْنِ قَدْ رَوَاهُمَا الثِّقَاتُ عَنْكُمْ؟ قَالَ: يُنْظَرُ فَمَا وَافَقَ حُكْمُهُ[٣٧] حُكْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ[٣٨]

الإجمالي، وأما في الشُّبهات الحكمية فالاحتياط مستحب ـ وهذا مقتضى الجمع بين الأخبار ـ.

[٣٣] **(فمن ترك الشُّبهات):**
سواء كانت في الحكم أو العمل أو الفتيا أو القضاء.

[٣٤] **(نجا من المحرمات):**
لأنَّ من لا يتورع عن الشُّبهات فإنَّه سيرتكب الكثير منها، فلا محالة يقع في المحرمات.

[٣٥] **(هلك من حيث لا يعلم):**
أما في أطراف العلم الإجمالي: فإنَّ الاحتياط واجب ـ لو لم يستلزم العسر ـ، وعدم الاحتياط سببٌ للوقوع في المحرم الواقعي كثيراً.
وأما في الفتوى: فإنَّ نفس الحكم بغير علم حرام، حتى إذا طابق الواقع ـ بالصدفة ـ.

[٣٦] **(عنكما):**
أي عن الإمام الصادق والإمام الباقر عليهما السلام، وتخصيصهما بالذكر لكثرة الروايات عنهما عليهما السلام، دون الأئمة السابقين عليهم السلام، لشدة التقية في زمانهم وشدة الحصار عليهم، أما الصادقين عليهما السلام فإنَّ الفرجة التي حدثت في أواخر بني أمية وأوائل بني العباس سمحت لنشر علومهما وأخذ الناس عنهما.

[٣٧] **(فما وافق حكمه):**
سيأتي في الباب الآتي معنى الموافقة للكتاب والسُّنَّة.

[٣٨] **(حكم الكتاب والسُّنَّة):**
أي السُّنَّة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله بتواتر أو قرائن قطعيَّة.

وَخَالَفَ الْعَامَّةَ[٣٩] فَيُؤْخَذُ بِهِ وَيُتْرَكُ مَا خَالَفَ[٤٠] حُكْمُهُ حُكْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَوَافَقَ الْعَامَّةَ. قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ[٤١] أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْفَقِيهَانِ عَرَفَا حُكْمَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَوَجَدْنَا أَحَدَ الْخَبَرَيْنِ مُوَافِقاً لِلْعَامَّةِ وَالْآخَرَ مُخَالِفاً لَهُمْ بِأَيِّ الْخَبَرَيْنِ يُؤْخَذُ؟ قَالَ: مَا خَالَفَ الْعَامَّةَ فَفِيهِ الرَّشَادُ[٤٢]. فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ

---

[٣٩] (وخالف العامة):
لأنَّ الحديث الموافق لهم يكون مظنة التقية، وأما المخالف لهم فلا يحتمل كونه للتقية.
وقوله عليه السلام: (وخالف) بالواو دون أو، لأنَّه في الأحاديث المتعارضة يكون ما وافق العامة مخالفاً للقرآن الكريم ـ عادةً ـ، وذلك لأنَّهم عملوا بالآراء والمقاييس ورجّحوا رغبات وأهواء السلاطين.

[٤٠] (ويترك ما خالف...):
هذا في غير التقية، ولا تقية في مورد الحديث، إذ مع اختلاف شيعيّين ورجوعهما إلى فقيهين من الشيعة دون قضاة العامة، لا يوجد احتمال التقية، فلذا لا محذور في ترك الحديث الموافق للعامة المخالف للكتاب.

[٤١] (قلت جعلت فداك):
لما بيَّن الإمام عليه السلام أنَّ المرجع إلى حديث جمع الوصفين ـ أي موافقة الكتاب والسُّنة، ومخالفة العامة ـ، سأل الراوي عن فرض آخر وهو موافقة كليهما للكتاب والسُّنة ومخالفة أحدهما للعامة مع موافقة الآخر لهم؟

[٤٢] (ففيه الرشاد):
أي الصواب، وذلك لأنَّه أبعد عن التقية، مضافاً إلى تعمُّد العامة في مخالفتهم عليهم السلام، ومن أمثلته إخفاتهم للبسملة حتى في الصلاة الجهرية، لأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يجهر بها(١)، بل بعضهم لا يقرؤها أصلاً مع أنها آية في القرآن الكريم بل أعظم آية ـ كما في الروايات(٢) ـ.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢، ص ٧٥.
(٢) بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ٢١، باب ٢٣.

فَإِنْ وَافَقَهُمَا الْخَبَرَانِ جَمِيعاً. قَالَ: يُنْظَرُ إِلَى مَا هُمْ إِلَيْهِ أَمْيَلُ[٤٣] - حُكَّامُهُمْ وَقُضَاتُهُمْ - فَيُتْرَكُ وَيُؤْخَذُ بِالْآخَرِ. قُلْتُ: فَإِنْ وَافَقَ حُكَّامُهُمُ الْخَبَرَيْنِ جَمِيعاً؟ قَالَ: إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَرْجِهْ حَتَّى تَلْقَى إِمَامَكَ[٤٤]، فَإِنَّ الْوُقُوفَ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ خَيْرٌ مِنَ الاقْتِحَامِ فِي الْهَلَكَاتِ[٤٥].

---

[٤٣] (إلى ما هم إليه أميل):
أي أكثر ميلاً ورغبة، وذلك لأنَّ احتمال التقية فيه أكثر.

[٤٤] (فأرجه حتى تلقى إمامك):
«الإرجاء» هو التأخير، كقوله تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾(١)
أي أخِّر أمرهما إلى ذلك الحين.
هذا في زمن الحضور، وأما في الغيبة: فقيل: بالتساقط أي عدم العمل بأي منهما والرجوع إلى سائر الأدلة أو الأُصول العملية، وقيل: بالتخيير كما مرّ في قوله عليه السلام: (بأيّما أخذتم من باب التسليم وسعكم) أي لم يكن المرجح الهوى بل لأجل التسليم لأمرهم عليهم السلام بالتخيير.

[٤٥] (من الاقتحام في الهلكات):
جمع «هَلَكَة» بمعنى الهلاك، والمراد الضلال ومن ثمَّ العقاب..

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١١١.

بَابُ الْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَشَوَاهِدِ الْكِتَابِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً[١]، وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُوراً[٢]، فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ[٣]،

المراد بالسنَّة، ما ثبت صدوره من رسول الله صلى الله عليه وآله ـ بالتواتر أو بالقرائن القطعية ـ.

وشواهد الكتاب: دلائل القرآن أي ما دلَّ عليه، ولعلَّ المراد محكماته. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(١)، أي فراجعوا فيه إلى كتاب الله وسنَّة الرسول صلى الله عليه وآله.

الحديث الأول:

[١] **(كل حقّ حقيقة)**:

أي على كل واقع دليلٌ يدلُّ عليه، ـ سواء كان من الأمور الدينية أم الدنيوية ـ، فكل أمر صحيح واقعاً جعل الله تعالى عليه دليلاً يدلُّ عليه، ليتمكن الناس من الوصول إليه عبر ذلك الدليل.

[٢] **(كل صواب نوراً)**:

فإنَّ الله جعل على كل اعتقاد صحيح حق برهاناً يدلُّ على صحته.

فالفقرة الأولى: تدلُّ على أنَّ لكل واقع دليلاً، والثانية: تدلُّ على أنَّ كل اعتقاد صحيح له برهان يوضحه، ويهدي إليه، ويبين أنَّه صحيح.

[٣] **(فما وافق كتاب الله فخذوه)**:

لأنَّ القرآن أصل كل اعتقاد حق وقول صحيح، فقد جعل الله تعالى في

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

القرآن الحقائق أجمع، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾(١) أي ما قصّرنا في الكتاب شيئاً، بل ذكرنا فيه كل شيء يحتاج إليه الإنسان، وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٢) أي ممّا يحتاج إلى شرح والتفصيل في أمور الدِّين والدُّنيا.

ومعنى موافقة الكتاب أن يكون طبقاً لموازين القرآن الكريم وأحكامه وقواعده، فمثلاً يجب العمل بأقوال رسول الله ﷺ لأنَّ اتباعه من موازين القرآن وأحكامه قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(٤).

وكذلك ما بينّه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أيضاً موافق للكتاب، أي الأخذ والعمل به متطابق مع قواعد القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٥)، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾(٦).

وحيث إنَّ القرآن هو الدال على لزوم اتباع الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام، لزم منه عصمتهم ومطابقة كلامهم للقرآن بالكمال والتمام، وإلّا لزم التناقض والاختلاف فيه، لحكمه بوجوب إطاعة الله وإطاعة الرسول وإطاعة أولي الأمر، فلو خالف حكمهم حكم القرآن ـ مع لزوم إطاعتهم وإطاعته ـ لزم التناقض في القرآن.

فلذا الحديث المعتبر ـ إذا لم يتعارض مع القرآن ـ يكون موافقاً له حتى إذا لم يرد في ظاهر القرآن.

ويدخل في موافق القرآن، الخبر الموافق لروح القرآن ـ حسب التعبير

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٨.
(٢) سورة يوسف: الآية ١١١.
(٣) سورة النحل: الآية ٤٤.
(٤) سورة الحشر: الآية ٧.
(٥) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٦) سورة النساء: الآية ٨٣.

وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ[٤].

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ[١]

المتداول ـ ويعبّر عنه بعض الفقهاء بمذاق الشرع، فإن من كان له أنس بالقرآن وبالشرع المقدّس فإنّه يتمكّن من اكتشاف نهج الشارع الأقدس ومعرفة ذوقه وطريقته، فيمكنه أن يكتشف انطباق أيَّ مطلب على الشرع أو عدم انطباقه.

ولذا يرى بعض الفقهاء أنَّ معنى الأعلم ـ الذي يشترط في مرجع التقليد على المشهور ـ هو الأعرف بالأشباه والنظائر، وذلك لأنَّ معرفتها توجب الوصول إلى الواقع غالباً.

كما أنَّ في قوانين العصر الحاضر في الموارد التي لا يوجد فيها قانون خاص قد يعبّر عن بعض التشريعات بأنَّها متوافقة مع روح القانون، أو أنَّها متعارضة معه.

[٤] **(وما خالف كتاب الله فدعوه):**

أي ما تعارض مع موازين القرآن وأُصوله وقواعده، يجب تركه، ولا يجوز العمل به، لأنَّه إما مكذوب عليهم وإما صدر منهم تقية، وفي المرآة(١): «أي ينتهي بيانه إلى ما يخالف كتاب الله ولا ينتهي إليه ولا إلى ما يوافقه فدعوه».

فلذا لا يجوز العمل بأخبار المخالفين وما صدر عن حكّامهم، لأنَّه ينتهي إلى أشخاص لم يأمر الله بإطاعتهم بل نهى عن الرجوع إليهم.

الحديث الثاني:

[١] **(قال وحدثني حسين...):**

الظاهر أنَّ القائل هو أبان بن عثمان، فالمعنى أنَّ الحسين كان حاضراً في

---

(١) المرآة: ج١، ص٢٢٨.

أَنَّهُ حَضَرَ ابْنَ أَبِي يَعْفُورٍ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ اخْتِلَافِ الْحَدِيثِ يَرْوِيهِ مَنْ نَثِقُ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا نَثِقُ بِهِ[٢]؟ قَالَ: إِذَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ حَدِيثٌ[٣] فَوَجَدْتُمْ لَهُ شَاهِداً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ[٤] صلى الله عليه وآله

مجلس الإمام الصادق عليه السلام حينما سأله عبد الله بن أبي يعفور، فأبان ينقل كلام الإمام الصادق عن شخصين: ابن أبي يعفور، والحسين بن أبي العلاء.

[٢] **(يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به):**

الظاهر أنَّ السائل يريد السؤال عن ضابط للخبر الحجَّة حين التعارض فهل مجرد وثاقة الراوي في أحدهما تكفي في ترجيح خبره على الخبر الذي يرويه غير الثقة؟

ولذا كان في السؤال (اختلاف الحديث يرويه) أي يروي ذلك الحديث بشكل متعارض راويان، أحدهما موثوق به والآخر غير موثوق به.

[٣] **(قال إذا ورد عليكم. . .) الخ:**

الإمام عليه السلام في الجواب بيَّن القاعدة العامة لقبول الخبر أو عدم قبوله، وهي وجود شاهد من القرآن أو من السنَّة المعلومة، فإن كان شاهد لزم قبول الخبر سواء كان الراوي ثقة أم لا، وإن لم يكن شاهد لزم ترك الخبر من غير فرق بين وثاقة الراوي وعدمها، ومن غير فرق في تعارض الأخبار أو عدم تعارضهما.

[٤] **(فوجدتم له شاهداً من كتاب الله. . .):**

أي ما يدلُّ من القرآن على قبول خبره، وهذا هو الميزان لقبول الخبر أو ردّه. وقد ينطبق هذا الميزان على خبر الثقة، لأنَّ القرآن دلَّ على قبول خبره إذا لم يكن فيه محذور قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾(١) حيث دلَّ مفهومها

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٦.

وَإِلَّا فَالَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ أَوْلَى بِهِ[٥].

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحُرِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: كُلُّ شَيْءٍ مَرْدُودٌ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ[١]، وَكُلُّ حَدِيثٍ لَا

على قبول خبر الثقة ـ إذا لم يكن قبوله جهالة ولا استوجب ندماً أي ما أوجب الاطمئنان ـ، فهكذا خبر له شاهد من القرآن الكريم دلَّ على لزوم قبوله.

وقد ينطبق هذا الميزان على خبر غير الثقة، كالخبر الضعيف المحفوف بالقرائن الدالة على الصدق، لأنَّ تلك القرائن من التبيُّن المأمور به في آية النبأ مضافاً إلى أنَّ العمل به ليس جهالة ولا يوجب ندماً.

[٥] **(فالذي جاءكم به أولى به):**

أي لا تقبلوا منه، لأنَّه في الخبر المعتبر يتساوى الراوي والسامع في لزوم العمل به، أما في الخبر غير المعتبر فلا يلزم عمل السامع فكأنَّه كان الراوي أولى بالعمل به من السامع.

الحديث الثالث:

[١] **(كل شيء مردود إلى الكتاب والسُّنَّة):**

أي من الأمور الدينية، أما الأمور الدنيوية البحتة فهي لها موازين خاصة جعلها الله تعالى في التكوين، وعلى الإنسان اكتشافها وتطبيق حياته عليها، ليتنعم أكثر من نعم الله تعالى.

أي يرجع إلى الكتاب والسُّنَّة المعلومة فيه، لأنَّهما الميزان لتمييز الصحيح من السقيم، فكل ما رجع إليهما مباشرة أو بواسطة فهو حق وإلا فيجب الإعراض عنه.

يُوَافِقْ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ زُخْرُفٌ[٢].

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ رَاشِدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا لَمْ يُوَافِقْ مِنَ الْحَدِيثِ الْقُرْآنَ فَهُوَ زُخْرُفٌ[١].

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ وَغَيْرِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بِمِنًى فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ: مَا جَاءَكُمْ عَنِّي يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَنَا قُلْتُهُ، وَمَا جَاءَكُمْ يُخَالِفُ كِتَابَ اللَّهِ فَلَمْ أَقُلْهُ[١]».

---

[٢] (فهو زخرف):

«زخرف القول»: باطله، كقوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾(١)، وأصله التذهيب والتزيين، ولما كان أهل الباطل يزينونه ويحسنونه ليخدعوا الناس به لذلك قيل للكلام الباطل: زخرف.

الحديث الرابع:

[١] (ما لم يوافق من الحديث...):

قد مرّ في الحديث الأول معنى الموافقة وعدمها.

الحديث الخامس:

[١] (فلم أقله):

لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله معصوم فلا يعقل أن يخالف كلامه القرآن ـ ولو بالسهو والخطأ ـ، فإذا وجدنا الرواية المنسوبة إليه مخالفة للقرآن فإنا نعلم بكذب نسبتها إليه، كما روت العامة عنه صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «فإنَّ الميت يعذب ببكاء أهله عليه»(٢) وهذا الكلام موضوع كذب بلا ريب لمخالفته

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٢.

(٢) مسلم: ج٣، باب الميت يعذب ببكاء أهله، ص ٤١.

٦ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: مَنْ خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَقَدْ كَفَرَ[١].

٧ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: إِنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ مَا عُمِلَ بِالسُّنَّةِ وَإِنْ قَلَّ[١].

لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(١).

الحديث السادس:

[١] **(فقد كفر):**
المراد الكفر العملي، أي كان عمله كعمل الكفار، لا أنَّه يخرج عن الإسلام، نظير قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(٢).
وإذا أريد من المخالفة التكذيب، كان الكفر بمعنى الكفر الاعتقادي المخرج عن الملَّة، أي من كذَّب القرآن وكذَّب رسول الله صلى الله عليه وآله فإنَّه كافر.
والحاصل: أنَّ تلفظ الشهادتين يدخل الإنسان في دائرة المسلمين ولا يخرج عن الإسلام إلا بإنكارهما أو إنكار أحدهما، ولذا قالوا إنَّ منكر الضروري من الدِّين إذا رجع إنكاره إلى تكذيب الله أو الرسول، كان كافراً، وإلَّا فلا.

الحديث السابع:

[١] **(ما عمل بالسُّنَّة وإن قل):**
أي ما عمل فيه بالسنَّة، أي كان ذلك العمل مطابقاً لسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله.
«وإن قلّ» لأنَّ العمل الصحيح مقبول ـ حتى إذا كان قليلاً ـ، أما العمل المخالف للسُّنَّة ـ حتى وإن كان كثيراً ـ فإنَّه باطل وغير صحيح.

---

(١) سورة النجم: الآية ٣٨.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ٧.

٨ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْقَمَّاطِ وَصَالِحِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ، عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَ فِيهَا، قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ الْفُقَهَاءَ لَا يَقُولُونَ هَذَا، فَقَالَ: يَا وَيْحَكَ[١] وَهَلْ رَأَيْتَ فَقِيهاً قَطُّ[٢]؟! إِنَّ الْفَقِيهَ حَقَّ الْفَقِيهِ[٣]

فمن يصلي الصلوات الواجبة على نهج الرسول ﷺ عمله مقبول، أما من يقضي ليله ونهاره في صلاة مخالفة لنهجه ﷺ فعمله باطل لا يوجب له قرباً ويكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(١).

الحديث الثامن:

[١] **(يا ويحك):**

«الويح» بمعنى الويل، إلا أنَّ الويح يُستعمل حين الإشفاق والترحم، والويل يُستعمل حين العذاب ـ عادةً ـ.

[٢] **(هل رأيت فقيهاً قط؟):**

إشارة إلى ندرة الفقهاء، ولعلَّه ردّ على السائل حيث زعم أنَّ علماء العامة فقهاء، حيث كان «الفقيه» يُطلق على كثير من العامة، مع أنَّهم بعيدون كل البعد عن الفقه الحقيقي.

[٣] **(الفقيه حق الفقيه):**

أي الفقيه الحق الذي يستحق أن يُطلق عليه هذا اللقب، فـ«حق الفقيه» من إضافة الصفة إلى الموصوف، وهو بدل كل من «الفقيه».

وفي المرآة(٢): «وحاصل الحديث أنَّ من استقر العلم في قلبه كان عاملاً بمقتضى علمه، والعلم يقتضي الزهد في الدُّنيا والرغبة في الآخرة والتمسك

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٤.

(٢) المرآة: ج١، ص٢٣١.

الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا[٤]، الرَّاغِبُ فِي الْآخِرَةِ[٥]، الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ[٦] ﷺ.

٩ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَزْدِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ الْعَبْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا قَوْلَ إِلَّا بِعَمَلٍ[١]،

بسنَّة النبي ﷺ سواء كان بلا واسطة أو بها» يعني بواسطة الأئمَّة عليهم السلام لأنَّ حديثهم حديث جدهم.

[٤] **(الزاهد في الدنيا):**

الزهد هو عدم التعلق بالدنيا، لا أن لا يملك شيئاً، ولذا قيل في معنى الزهد «أن لا يملكك شيء لا أن لا تملك شيئاً».

[٥] **(الراغب في الآخرة):**

أي في ثواب الآخرة، ولا يكون ذلك إلا بإرادتها والسعي اللائق بها عن طريق الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾(١).

[٦] **(المتمسك بسنَّة النبي):**

«التمسك»: الأخذ بقوَّة، والمراد هنا هو العمل بها.

الحديث التاسع:

[١] **(لا قول إلا بعمل):**

أي لا يفيد الكلام إلا إذا كان مقترناً بالعمل، وإلا كان من مصاديق قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٩.
(٢) سورة الصف: الآية ٣.

وَلَا قَوْلَ وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ[٢]، وَلَا قَوْلَ وَلَا عَمَلَ وَلَا نِيَّةَ إِلَّا بِإِصَابَةِ السُّنَّةِ[٣].

١٠ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ النَّضْرِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ شِرَّةٌ وَفَتْرَةٌ[١]، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى بِدْعَةٍ فَقَدْ غَوَى[٢].

---

[٢] **(إلا بنيَّة):**
أي بقصد القربة، فالعمل رياءً أو سمعة ونحوهما غير مقبول.

[٣] **(بإصابة السُّنة):**
أي بالأخذ من سنَّة الرسول صلى الله عليه وآله والإتيان بما يوافقها، والحاصل: يُقبل العمل بشرط أن يكون له صلاحية المقربيَّة إلى الله تعالى ـ بأن يكون مأخوذاً من الرسول صلى الله عليه وآله ـ وأن يأتي به الإنسان بقصد القربة لا للرياء والسمعة ونحوهما.

الحديث العاشر:

[١] **(وله شِرَّة وفترة):**
«الشِرَّة»: ـ بكسر الشين وتشديد الراء ـ: النشاط والرغبة. ويمكن قراءته بفتح الشين وتخفيف الراء بمعنى الحرص والولع بالشيء.
«الفترة» أي خمول وسكون.
فحاصل المعنى أنَّ لكل أحد نشاط وحركة في زمان، وخمول وسكون في زمان آخر.

[٢] **(فقد غوى):**
ولعلَّ المعنى: أنَّ كل إنسان في بداية أمره يتحرك في اتجاهات مختلفة بحثاً عن الحقيقة والأسلوب الأمثل في الحياة، سواء في جانبه الفكري أم العملي، وبعد زمان من الحراك يستقر أمره على أفكار معينة أو أعمال مخصوصة.

١١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرٍ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: كُلُّ مَنْ تَعَدَّى السُّنَّةَ[١] رُدَّ إِلَى السُّنَّةِ[٢].

١٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: السُّنَّةُ سُنَّتَانِ[١]: سُنَّةٌ

فإن كان استقرار فكره وعمله إلى ما فيه رضى الله تعالى بأن كان مطابقاً لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله فقد اهتدى إلى الحق أي سار على الطريق المستقيم.

ولكن إن كان استقرار فكره وعمله إلى البدع فقد ضلّ.

الحديث الحادي عشر:

[١] **(تعدّى السنة):**

أي خالفها بأن لم يتوقف عندها، بل تجاوزها إلى البدعة.

[٢] **(رُدّ إلى السنة):**

جملة خبرية بمعنى الأمر، أي يجب ردّه إلى السنَّة، وذلك بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وإذ في تركه بحاله بقاء البدعة وانتشارها في الناس ممّا يسبب ضلالهم.

الحديث الثاني عشر:

[١] **(السنَّة سنتان):**

أي سنَّة الرسول صلى الله عليه وآله ـ سواء كانت قوله أم فعله أم تقريره ـ تنقسم على قسمين:

وفي الوافي(١): «السنَّة» في الأصل الطريقة، ثم خصّت بطريقة الحق التي

---

(١) الوافي: ج١، ص٣٠٢.

فِي فَرِيضَةٍ[٢] الْأَخْذُ بِهَا هُدًى وَتَرْكُهَا ضَلَالَةٌ[٣]، وَسُنَّةٌ فِي غَيْرِ فَرِيضَةٍ[٤] الْأَخْذُ بِهَا فَضِيلَةٌ[٥] وَتَرْكُهَا إِلَى غَيْرِ خَطِيئَةٍ[٦].

تَمَّ كِتَابُ فَضْلِ الْعِلْمِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

وضعها الله للناس وجاء بها الرسول ﷺ ليتقربوا بها إلى الله عزَّ وجلَّ ويدخل فيها كل عمل شرعي واعتقاد حق. وتقابلها «البدعة».

[٢] **(سنة في فريضة):**
أي سنَّة في بيان واجب من الواجبات، و«الفريضة»: يُثاب الإنسان على فعلها ويُعاقب على تركها.

[٣] **(الأخذ بها هدى وتركها ضلالة):**
أي العمل بها سبب للهداية، لأنَّ من عمل بالفرائض سار على الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(١).
و«في تركها ضلالة» قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾(٢).

[٤] **(سنَّة في غير فريضة):**
أي سنَّة في بيان أمر غير واجب بل مستحب.

[٥] **(الأخذ بها فضيلة):**
والفضيلة هي ما يُثاب الإنسان على فعلها ولا يُعاقب على تركها، وهي عادة من الكمالات المعنوية التي قد تظهر على أفعال الإنسان.

[٦] **(إلى غير خطيئة):**
أي تركها لا ينتهي إلى الذنب، لأنَّه يجوز ترك المستحبات، وإن كان الإتيان بها أفضل.

---

(١) سورة النور: الآية ٥٤.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

إلى هنا ينتهي كتاب فضل العلم من الكافي الشريف سبحان ربك رب العزَّة عمَّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

وكانت الانتهاء من هذه التعليقات في ليلة الثامن من ربيع الأول ليلة ذكرى استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام رزقنا الله زيارته في الدنيا وشفاعته في الآخرة من العام ١٤٣٠ للهجرة النبوية.

الفهرس

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ